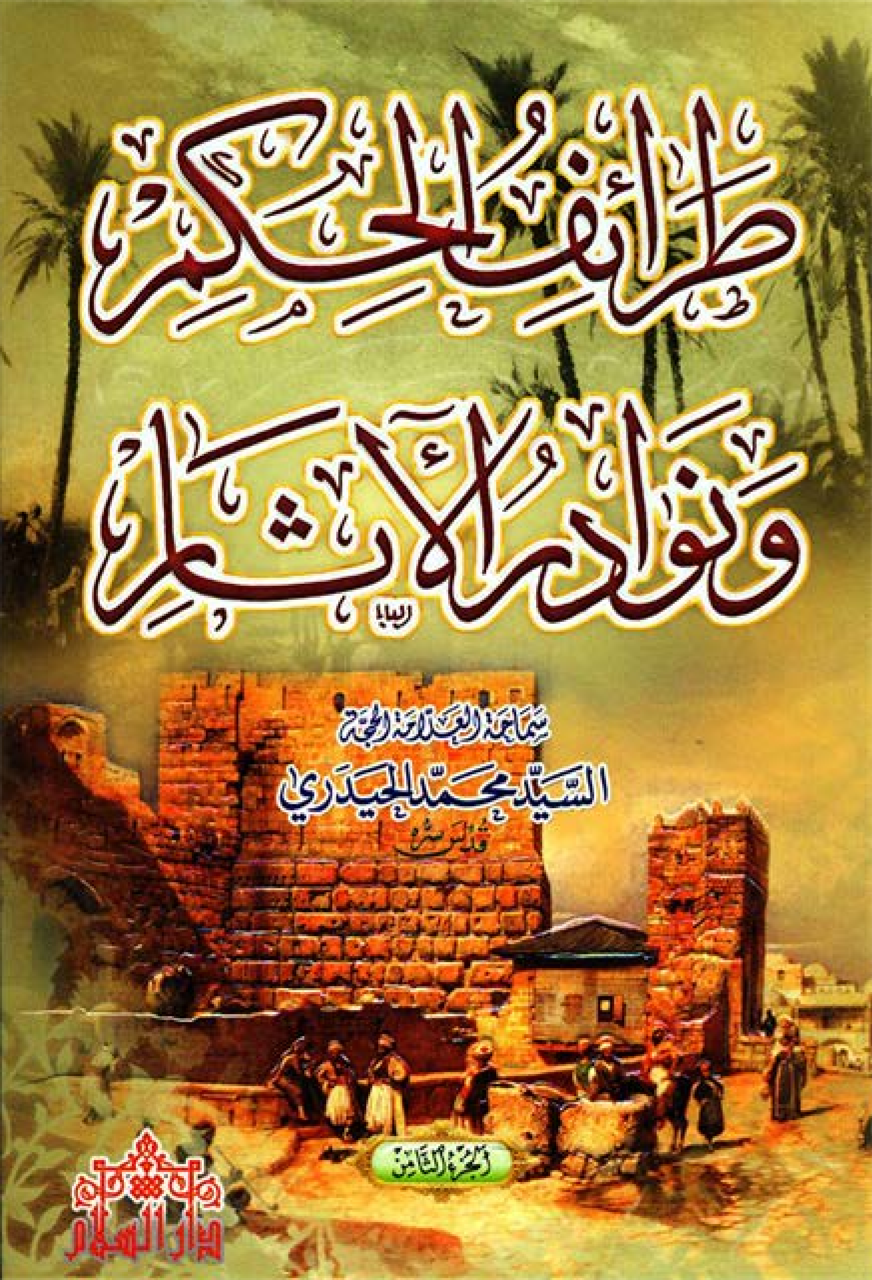

طرائف الحكم
ونوادر الآثار
سماحة العلامة الحجة
السيد محمد الحيدري
قدس سره
الجزء الثامن
دار السلام



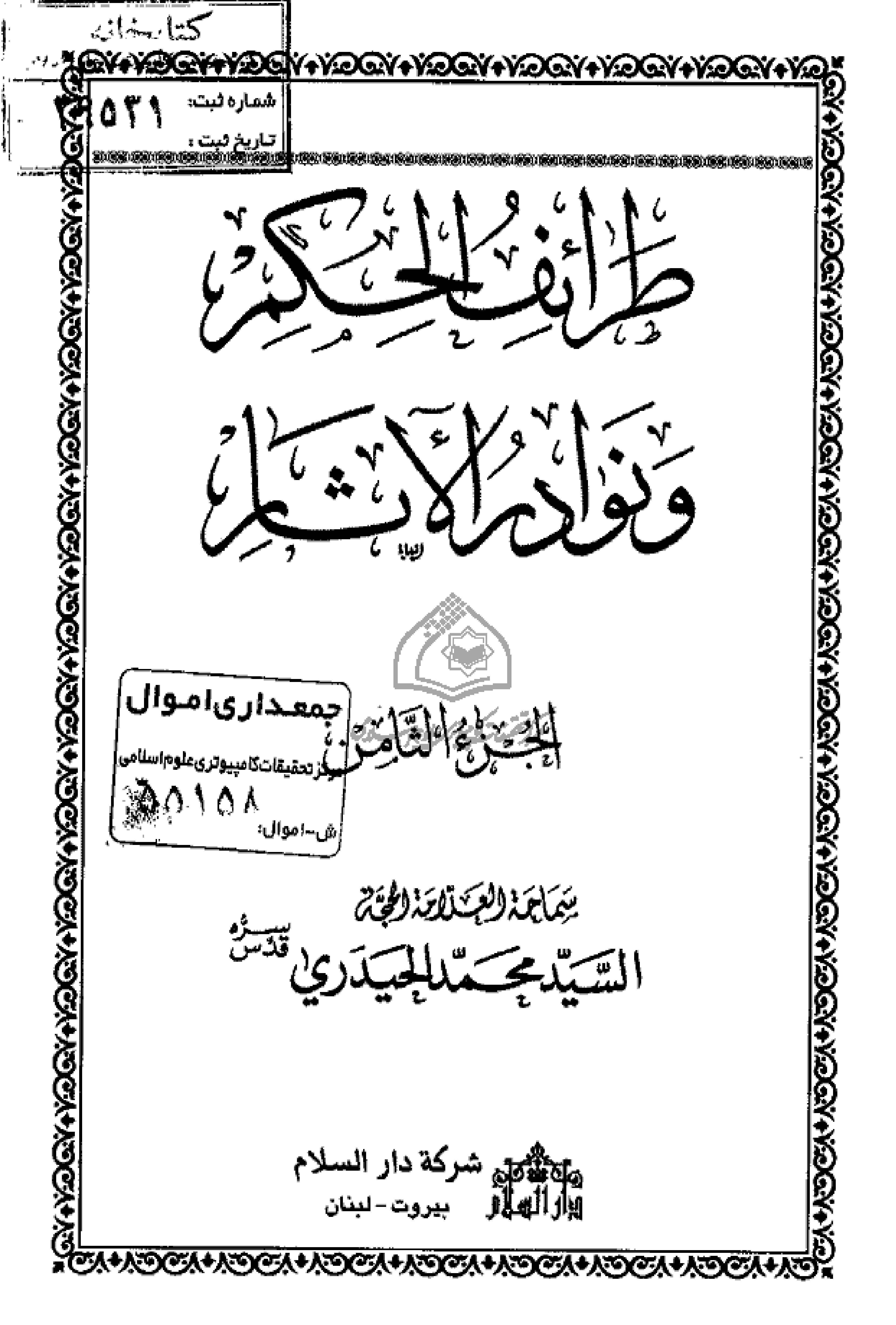
طرائف الحكم
ونوادر الأمثال

طرائف الحكم ونوادر الأشعار

١ – ٨

الطبعة الأولى
١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

شركة دار السلام
للطباعة والنشر والتوزيع
دار السلام
تلفون: ٠٠٩٦١٣٤٦١٥٩٥
بيروت - لبنان ٠٠٩٦١١٤٧٢١٩٢
E-mail:daralsalamco@hotmail.com

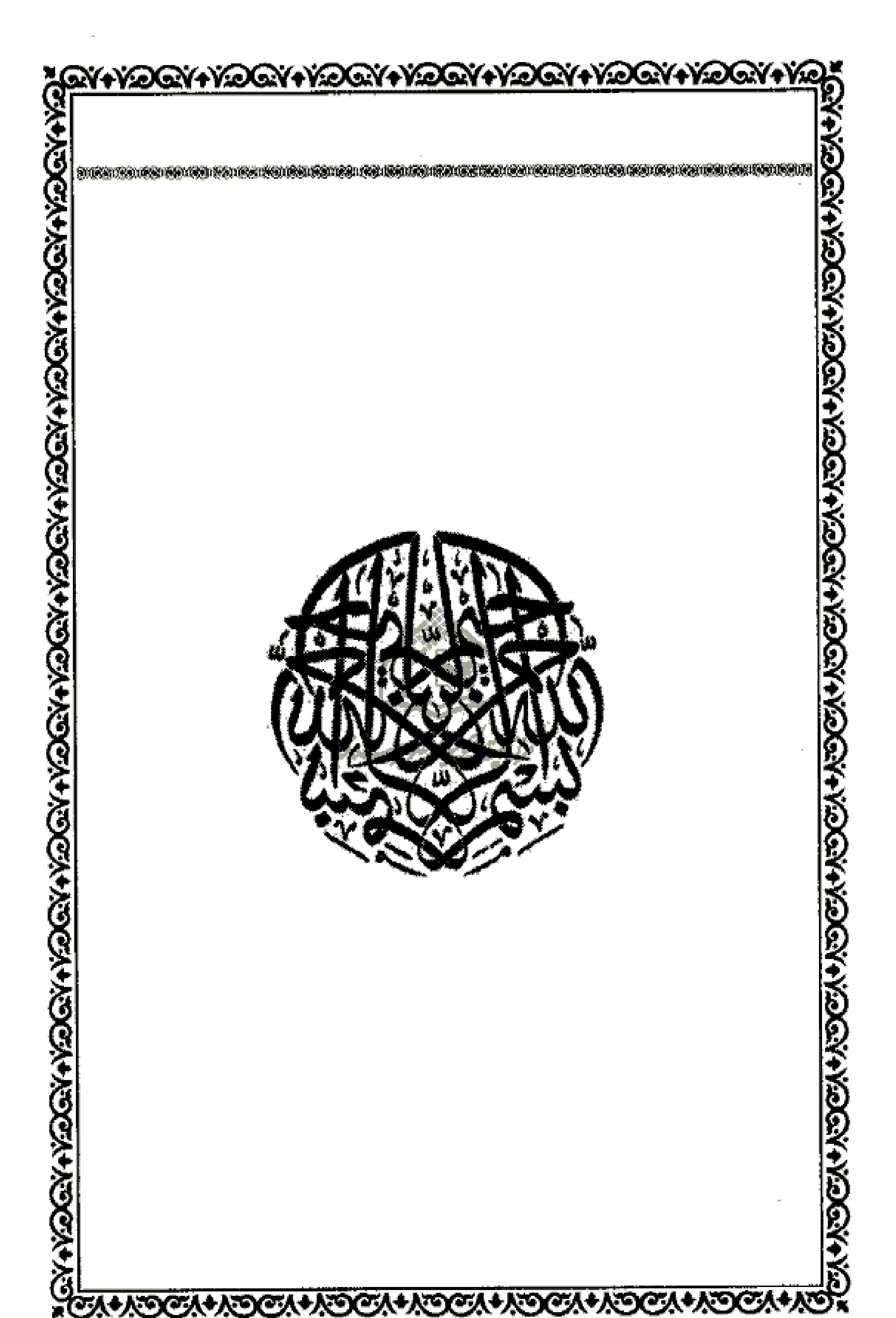


طرائف الحكم ونوادر الآثار

الجزء الثامن

سماحة العلامة الحجة
السيد محمد الحيدري قدس سره

شركة دار السلام
بيروت - لبنان



٧٧٧٧ـ قال أمير المؤمنين عليه السلام: «الحذرَ الحذر، فواللّهِ لقد ستر، حتى كأنّه قد غفر». وقال: «الغنىٰ في الغربة وطن، والفقرُ في الوطن غربة». وقال: «لسانُ العاقل وراء قلبه، وقلبُ الأحمق وراء لسانه». وقال: «لا تستحِ من إعطاء القليل فإنّ الحِرمانَ أقلُّ منه». وقال: «لا ترى الجاهلَ إلّا مُفرِطاً أو مُفرِّطاً». وقال: «من كساه الحياء ثوبَه لم ير الناس عيبَه». وقال: «نَفَسُ المرء خُطاه إلى أجله». وقال: «إنّ الأُمور إذا اشتبهت اعتبر آخرُها بأوّلها». وقال: «بقيّةُ السيف أبقىٰ عدداً وأكثرُ وَلَداً». وقال: «عجِبتُ لِمَن يقنَط ومعه الاستغفار». وقال: «اعْقِلوا الخبرَ إذا سمِعتموه عقلَ رِعايةٍ لا عقلَ رُواية فإن رُواةَ العلم كثير ورُعاتَه قليل». وقال: «لا يقيم أمر الله سبحانه إلا من لا يصانع، ولا يضارع، ولا يتّبع المطامع». وقال: «إنّ كلامَ الحكماء إذا كان صواباً كان دواءً، وإذا كان خطأً كان داءً». وقال: «كفىٰ بالأجل حارساً». وقال: «القرابةُ إلى المودّة أحوجُ من المودّة إلى القرابة». وقال: «اتقوا معاصيَ الله في الخلوات فإنّ الشاهدَ هو الحاكم». وقال: «ما ظفِرَ مَن ظفِر الإثمُ به، والغالبُ بالشرّ مغلوب». وقال: «إنّ اللّهَ سبحانه فرض في أموال الأغنياء أقواتَ الفقراء، فما جاع فقيرٌ إلا بما مُتّع به غنيّ الله تعالىٰ سائلُهم عن ذلك». وقال: «لكلّ امرىءٍ في ماله شريكان: الوارث والحوادث». وقال: «إذا تمّ العقل نقَص الكلام». وقال: «مَن كثُر كلامُه كثُر خطؤه». وقال: «تكلّموا تُعرفوا فإنّ المرءَ مخبوءٌ تحت لسانه». وقال: «من صارع الحقّ صرعه». وقال: «الناسُ

أعداءُ ما جهلوا». وقال: «زهدُك في راغبٍ فيك نُقصانُ حظ، ورغبتك في زاهدٍ فيك ذُلُّ نفس». وقال: «العَفاف زينةُ الفقر، والشكرُ زينة الغنى». وقال: «أحْبِبْ حبيبَك هوناً مّا عسىٰ أن يكونَ بغيضَك يوماً مّا، وابْغِضْ بغيضَك هوناً مّا عسىٰ أن يكونَ حبيبَك يوماً ما». وقال: «غيرة المرأة كفر، وغيرة الرجل إيمان». وذلك لأنّ غيرة المرأة قد تؤدّي إلى تحريم ما أحلّ الله من تعدّد الزوجات، وغيرةَ الرجل قد تؤدّي إلى صيانة نفسه وأهله من الحرام.

٧٧٧٨- سافرتُ مع جماعةٍ من أصدقائي إلى مصيف «سولاف» فأوحت لي مناظرُها الخلّابة بهذه المقطوعة الشعريّة:

سولاف يا جنّةَ الدنيا وبهجتَها ... قد صوّر اللّهُ فيكِ الحسنَ تصويرا

وقد حباكِ جمالاً لا نظيرَ له ... وقدّر اللّهُ فيكِ الفنَّ تقديرا

أنّى تسِرْ تلقَ عيناً حولها شجرٌ ... قد فجّر اللّهُ فيها الماءَ تفجيرا

وحيثما تتّجهْ تلقَ الجمالَ بها ... يزهو وتنظرْ هناك النَّوْرَ والنُّورا

والزرعَ منتشراً والوردَ مزدهراً ... والماءَ منتشراً والخيرَ موفورا

كأنّها جنّةُ الفردوس حيثُ بها ... في كلّ وقتٍ ترى الوِلدانَ والحورا

وقد أطلّتْ على سولاف سِلسلةٌ ... من الجبال فكانت تُشبه السورا

والنهرُ ينساب دفّاقاً فيملؤها ... ماءً يطهّر تلك الأرضَ تطهيرا

حتى اكتست حُلّةً خضراءَ حافلةً ... بالخير قد عمّت «الكبْرات» والدورا

تفوق «سرسنك» سحراً حيثُ إنّ بها ... للعين نوراً وللوجدان تأثيرا

ولا يكاد يَحُلّ المرءُ ساحتَها ... إلاّ وكبّر فيها اللّهَ تكبيرا

لكنّها وإن ازدانتْ مرابعُها ... بالحسن تحتاج إصلاحاً وتطويرا

٧٧٧٩- سافرتُ مع جماعةٍ من أصدقائي إلى مصيف «سولاف» مرّة أخرىٰ فأوحت لي طبيعتُها الساحرة بهذه القصيدة:

نبع الماءُ من الصخر الأصمْ
ومضىٰ يخترِق الطودَ الأشمْ
وجرىٰ في الأرض كالبحر الخِضَمْ
فإلام الماءُ فوق الأرض يجري؟
لستُ أدري

فانظرِ الأشجارَ والأزهارَ حفّتْ بالمياهْ
يانعاتٍ مثمراتٍ وهي تعطيها الحياهْ
فتعالىٰ مبدعُ الكون وسبحان الإلٓهْ
كيف أجرى الماءَ عذباً سلسبيلاً؟
لستُ أدري

والجبالُ الخضرُ قد طبّقتِ الأرضَ جمالاً
واكتسىٰ من حسنها الكونُ بهاءً وجلالاً
فتسامى الخالقُ المبدِعُ حقّاً وتعالىٰ
كيف ينمو الزرعُ في الصخر ويعلو؟
لستُ أدري

ومن الصُّمّ الصياخيد عيونٌ تتفجّرْ
وتشُقّ الأرضَ كي تجريَ في الوادي المشجّرْ
أرحيقٌ يتهادىٰ أم لُجينٌ يتبخترْ
أم عيونٌ من جنان الخلد فاضت؟
لستُ أدري

وانظرِ الأثمارَ كيف اختلفت طعماً وشكلاً
فترى ذلك حلواً وترى الآخرَ أحلى
وهما في بُقعةٍ ما اختلفت نوعاً وأصلاً
أترى للأرض تفكيرٌ وعقلٌ؟
لستُ أدري

وترى الواديَ قد طبّق فيه الشجرُ
وعلاه الزهرُ - في أغصانه - والثمرُ
وعليه في الليالي البيض يزهو القمرُ
أهو الفردوسُ أم جنّةُ عدنٍ؟
لستُ أدري

هاهنا أشجارُ جوزٍ وهنا أشجارُ لوزِ
وهنا ألواحُ قمحٍ وهنا ألواحُ رُزٍّ
أيُّ أنسٍ لمن استوطنها أم أيُّ فوزِ
هي أحلى أم قرى لُبنانَ أحلى؟
لستُ أدري

ورأيتُ الماءَ دفّاقاً جرى بين الصخورْ
بين أشجار تدلّتْ بثِمارٍ وزهورْ
صافياً كاللؤلؤ الرطب مضيئاً كالبدورْ
ألُجَينٌ ذائبٌ أم هو درٌّ؟
لستُ أدري

منظر يبعث في النفس سروراً أبديًا
ونسيمٌ يغمُر القلبَ نشاطاً حيويًا
ومياهٌ تملأ الجوّ خريراً ودويًا

وربوعٌ هل لها في الأرض شِبْهٌ؟

لستُ أدري

هذه «سولاف» رمزُ الحسن عنوانُ الكمالْ

في رُباها الشاعر المبدِعُ يستوحي الجمالْ

غارقاً في بحر إلهامٍ ووحيٍ وخيالْ

إن تسله أين أنت الآن؟ نادىٰ:

لستُ أدري

٧٧٨٠ـ سافرتُ مع جماعةٍ من أصدقائي إلى مصيف «شقلاوة» فأوحت لي مناظرُها الجميلة بهذه القصيدة:

بشقلاوةَ قد تمّت لنا النّعمةُ والبِشرُ
ففيها القلبُ يهتزُّ وفيها الشعرُ يفترُّ
تدفّق ماؤها العذب وفاض المنبعُ الثرُّ
وفيها الشجرُ الغضّ وفيها الوردُ والزهرُ
تضوّع من شذاها الجوُّ إذ عبّقه العِطرُ
ربوعٌ كلُّها سِحرٌ علاها النُّورُ والنَّوْرُ
وأرضٌ كلُّها خيرٌ كأنّ ترابَها تِبْرُ
قد التفّت على «كبْراتها» أغصانُها الخضرُ
ويعلو فوقها الجوز ويجري تحتها النهرُ
وما أحلى لياليها إذا ما أشرق البدرُ
وفوق جبالها الخضراء تبدو الأنجمُ الزُهرُ
بها قد أزهر الكوخ وفيها ازدهر القصرُ

فحدّثْ عن مفاتنها ففيها يكمُن السّرُّ
قد اجتمعت بها الأضداد حتى التبس الأمرُ
ففيها العسلُ الحلو وفيها الحنظلُ المرُّ
وفيها الرشدُ والغيّ وفيها الخيرُ والشرُّ
يحار العقلُ في منظرها الزاهرِ والفكرُ
وتفعل في نفوس الناس ما لا يفعل السّحرُ
جمالٌ ما له حدّ وحسنٌ ما له حصرُ
بها طاب لنا العيش وفيها قد صفا العمرُ
فسبحان الذي جمّتْ بها آياتُه الغُرُّ
وسبحان الذي عمّتْ بها آلاؤه الكُثرُ
له ـ جلّت أياديه ـ بحقّ الحمدُ والشكرُ

٧٧٨١ـ من مكتشفات العلم الحديث: إنّ الرياحَ تلعب دوراً مهمّاً في تكوين المطر حيثُ تجمع بين كهربائيّةٍ موجبةٍ في سحابةٍ وبين كهربائيّةٍ سالبةٍ في سحابةٍ أخرىٰ فتقع الملاقحة وينتج عنها المطر. وهذا ما نصّ عليه القرآنُ الكريم بقوله تعالىٰ في سورة الحِجْر، الآية(٢٢): ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَـٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾، وبقوله في سورة النور، الآية(٤٣): ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَـٰلِهِۦ﴾[1].

٧٧٨٢ـ روي: إنّ رجلاً من الصحابة قال لرسول الله ﷺ: يا

(١) يزجي: يسوق. ركاماً: بعضه فوق بعض. الودْق: المطر.

رسول الله دُلّني على عملٍ إذا عملتُه أحبّني اللّهُ وأحبّني الناس، فقال ﷺ: «ازهَدْ في الدنيا يُحبّكَ الله، وازهَدْ فيما في أيدي الناس يُحبّك الناس».

٧٧٨٣ـ قال الشاعر ملغزاً في الكعبة المعظمة:

سمراءُ يهواها جميعُ الورىٰ   من أجلها كم سار في الأرضِ رَكْب
كيما يروا أنوارَها سارعوا   شوقاً لها من كل حَدْبٍ وصَوْب
يرجون من خلّاقها رحمةً   ويأمُلون العفوَ عن كلِّ ذَنْب

٧٧٨٤ـ قال النبيّ ﷺ: «إنّ الدعاة سلاحُ المؤمن، وعمودُ الدين، ونورُ السمواتِ والأرض». وقال: «الدعاءُ مخُّ العبادة». وقال: «إنّ اللّهَ عزّ وجل حَيِيٌّ كريمٌ يستحي إذا بسط الرجلُ إليه يديْه أن يردَّهما صِفراً ليس فيهما شيء». وقال: «ليس شيءٌ أكرمَ على الله من الدعاء».

٧٧٨٥ـ قال الشاعر يناجي ربَّه عزّ وجل:

شخصنا إليك بأبصارنا   شخوصَ الغريق لمرّ السفُن

٧٧٨٦ـ روي: إنّ النبيّ ﷺ قال يوماً وهو يخاطب ربَّه: «يا كريمَ العفو» وكان عنده جبرئيل، فقال في تفسير هذا الخطاب: «إنّه يعفو عن السيئات برحمته، ثم يُبدِلها حسناتٍ بكرمه».

٧٧٨٧ـ روي: إنّ النبيّ ﷺ قال لأصحابه: «أكلكم يحب أن يدخلَ الجنّة؟» قالوا: نعم يا رسول الله، قال: «قصّروا من الأمل، واجعلوا آجالكم بين أبصاركم».

٧٧٨٨ـ من أدعية رسول الله ﷺ التي تجمع بين الدنيا والآخرة

قولُه: «اللهم إني أعوذ بك من دنياً تمنع الآخرة، وأعوذ بك من حياةٍ تمنع خيرَ الممات، وأعوذ بك من أملٍ يمنع خيرَ العمل»، ولتأكيد هذا الترابط الدقيق والوثيق بين مصالح الدنيا ومصالح الآخرة جاءت الأحاديثُ الشريفة تقول: «ليس منّا من ترك دنياه لآخرته، ولا آخرتَه لدنياه». وتقول: «لا خيرَ فيمن ضيّع آخرتَه لدنياه، ولا خيرَ فيمن ضيّع دنياه لآخرته».

٧٧٨٩ـ روي: إنّ أبا عبد الله الصادقعليه السلام قال لأحد أصحابه: «ما فعل عمرُ بنُ مسلم؟» قال: جُعلت فداك أقبل على العبادة وترك التجارة، فقالعليه السلام: «ويحه، أما علم أنّ تارك الطلب لا تُستجاب له دعوة، إنّ قوماً من أصحاب رسول اللهصلى الله عليه وآله لمّا نزلت آية: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾[1] أغلقوا الأبواب وأقبلوا على العبادة، وقالوا: قد كُفينا. فبلغ ذلك النبيّصلى الله عليه وآله فأرسل إليهم وقال: «ما صنعتم؟» قالوا: يا رسول الله تكفّل الله لنا بأرزاقنا فأقبلنا على العبادة، فقالصلى الله عليه وآله: «إنّه من فعل ذلك لم يُستجبْ له، عليكم بالطلب».

وروي عن عمر عمرَ بنِ يزيد أنّه قال: قلت لأبي عبد اللهعليه السلام: رجلٌ قال: لأقعدَنّ في بيتي ولأصلّيَنّ ولأصومَنّ ولأعبدَنّ ربي، فأمّا رزقي فيأتيني، فقال أبو عبد اللهعليه السلام: «هذا أحدُ الثلاثة الذين لا يُستجاب لهم»، قلت: ومن الاثنان الآخران؟ قالعليه السلام: «رجلٌ له امرأة يدعو الله أن يريحَه منها ويفرّقَ بينه وبينها فيُقال له: أمرُها بيدك خلّ سبيلَها. ورجلٌ له حقٌّ على إنسان لم يُشهد عليه فيدعو الله أن يردَّ عليه

---

(١) سورة الطلاق، الآية(٢-٣).

حقّه فيُقال له: قد أمرتُ أن تُشهدَ وتستوثقَ فلم تفعلْ».

٧٧٩٠ـ ذكر شيخُنا الصدوق«قدس» في كتابه «الاعتقادات»، وسيّدُنا المرتضى«رض» في كتابه «تنزيه الأنبياء»: «إنّ كلّ ما أنزل اللّهُ تعالىٰ في القرآن العظيم مخاطباً رسولَه الكريم بما يوحي بصدور المعصية منه أو أنه ﷺ قد همّ بها كقوله تعالىٰ في سورة الزمر، الآية(٦٥): ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾، وكقوله في سورة الإسراء: ﴿وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾﴾ فمحمولٌ على إرادة الأمّة وإن كان الخطاب موجهاً لقائدها الأعظم ﷺ وذلك من باب: «إيّاك أعني واسمعي يا جارة». وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنه أنّه قال: «نزل القرآن بإيّاك أعني واسمعي يا جارة».

٧٧٩١ـ روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «إذا كان يوم القيامة نشر اللّهُ تبارك وتعالىٰ رحمتَه حتى يطمعَ بها إبليس».

٧٧٩٢ـ روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «إذا أراد اللّهُ عزّ وجل بعبدٍ خيراً عجّل عقوبتَه في الدنيا، وإذا أراد بعبدٍ سوءً امسك عليه ذنوبَه حتى يوافيَ بها يومَ القيامة».

٧٧٩٣ـ روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ اللّهَ كريمٌ يحب الخيرات، يستحي أن يكونَ عبدُه المؤمن قد أحسن الظن به، ثم يُخلف ظنَّه ورجاءَه».

٧٧٩٤ـ روي: إنّ اللّهَ تعالىٰ أوحىٰ إلى نبيّه داود عليه السلام: «ما اعتصم بي عبدٌ من عبادي دون أحدٍ من خلقي، عرَفت ذلك من نيّته ثم تَكيده السمواتُ والأرض ومن فيهن إلا جعلتُ له المخرجَ من بينهنّ. وما اعتصم عبدٌ من عبيدي بأحدٍ من خلقي، عرَفت ذلك من نيّته إلا

قطعتُ أسبابَ السموات والأرض من يديه، وأسختُ الأرضَ من تحته، ولم أبالِ بأيِّ وادٍ هلك».

٧٧٩٥ـ روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مَن انقطع إلى الله عزّ وجل كفاه الله كلَّ مؤونة، ورزقه من حيث لا يحتسب. ومَن انقطع إلى الدنيا وكله الله إليها».

٧٧٩٦ـ روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «إذا كان يوم القيامة أمر الله تبارك وتعالىٰ بقوم ساءت أعمالُهم في دار الدنيا إلى النار، فيقولون: يا ربّنا كيف تدخلنا النار وقد كنّا نوحّدك في دار الدنيا؟ وكيف تحرق ألسنتَنا وقد نطقتْ بتوحيدك في دار الدنيا؟ وكيف تحرق قلوبَنا وقد عقَدتْ على أن لا إلّه إلا أنت؟ وكيف تحرق وجوهَنا وقد عفّرْناها لك بالتراب؟ وكيف تحرق أيدينا وقد رفعناها بالدعاء إليك؟» فيقول الله جلّ جلاله: «عبادي ساءت أعمالكم في دار الدنيا فجزاؤكم نارُ جهنم» فيقولون: يا ربنا عفوك أعظم أم خطايانا؟ فيقول عزّ وجل: «بل عفوي» فيقولون: رحمتُك أوسع أم ذنوبُنا؟ فيقول عزّ وجل: «بل رحمتي» فيقولون: إقرارُنا بتوحيدك أعظم أم ذنوبُنا؟ فيقول عزّ وجل: «بل إقرارُكم بتوحيدي أعظم» فيقولون: فليسعنا عفوُك ورحمتُك التي وسِعت كلَّ شيء. فيقول الله جلّ جلاله: «ملائكتي.. وعزّتي وجلالي ما خلقتُ خلقاً أحبَّ إليّ من المقِرّين بتوحيدي، وأن لا إلّهَ غيري، وحقٌّ عليّ أن لا أُصليَ بالنار أهلَ توحيدي، أدخِلوا عبادي الجنّة».

٧٧٩٧ـ روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال لإسحاقَ بنِ عمّار: «يا إسحاق خَفِ اللّهَ كأنّك تراه، وإن كنتَ لا تراه فإنّه يراك، فإن كنتَ ترىٰ أنّه لا يراك فقد كفرت، وإن كنتَ تعلم أنّه يراك ثم

برزتَ له بالمعصية فقد جعلتَه من أهون الناظرين عليك».

٧٧٩٨ـ روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «إنّ الله تبارك وتعالىٰ أقسم بعِزّته وجلاله أن لا يعذّبَ أهلَ توحيده بالنار أبداً».

٧٧٩٩ـ ينقسم المذنبون الذين يَفِدُون على الله تعالىٰ يوم القيامة إلى أربعة أصناف:

الأوّل: الكافرون ـ على اختلاف مِللهم ـ الذين لم يتوبوا من كفرهم، وماتوا وهم كفّار، فهؤلاء لن يغفرَ الله لهم، لأنّه سبحانه صرّح بذلك في قرآنه المجيد حيثُ قال في سورة النساء، الآية(٤٨): ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾، وقال في سورة محمد: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡ ٣٤﴾، وقال في سورة النساء، الآية(١٣٧): ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ﴾.

الثاني: المنافقون الذين أظهروا الإسلام وأضمروا الكفرَ والنفاق، وماتوا على ذلك، فهؤلاء مسلمون في الظاهر وكافرون في الباطن، وهم في الدرْك الأسفل من النار ولن يغفرَ الله لهم لأنّه سبحانه صرّح بذلك في كتابه العزيز حيثُ قال في سورة النساء، الآية(١٤٠): ﴿إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾، وقال في نفس السورة: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾، وقال في سورة المنافقون، الآية(٦): ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ أَسۡتَغۡفَرۡتَ لَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ لَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡ﴾.

الثالث: المذنبون التائبون ـ من المؤمنين ـ، وهؤلاء ـ إن صدقت توبتُهم ـ وعد الله بالغفران لذنوبهم والتكفيرِ عن سيئاتهم، والله سبحانه لا

يخلف الميعاد، وقد اتّفقت على ذلك جميعُ الفرق الإسلاميّة. والآيات الكريمة والأحاديث الشريفة صريحة بهذا الأمر، قال تعالىٰ في سورة النساء، الآية(١٧): ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾، وقال في سورة الشورى، الآية(٢٥): ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾. وقال رسول الله ﷺ: «التائب من الذنب كمن لا ذنب له».

الرابع: المذنبون غير التائبين ـ من المؤمنين ـ، وهؤلاء وقع الخِلاف بين الفرق الإسلاميّة في حالهم ومآلهم، فمنهم من قال بأنّ اللّٰهَ لا يمكن أن يعفوَ عنهم ويغفرَ لهم ـ وهو قول بعض المعتزلة ـ، ومنهم من قال بإمكان شمول عفو الله عنهم ومغفرتِه لهم ـ وهو قول أكثر المسلمين ـ.

وقد احتج القائلون بعدم إمكان العفو عنهم والمغفرة لهم بالأدلة الآتية:

الدليل الأوّل: الآيات والروايات التي تصرّح بترتّب العقاب على المعاصي.

والجواب عن ذلك: إنّ هذه الآياتِ والرواياتِ إنّما جاءت لبيان الاستحقاق، ولا عَلاقة لها بمرحلة التطبيق والتنفيذ، فإنّ ذلك يعود إلى مشيئة الله وحده إن عذّب فبعدله، وإن عفا فبفضله.

الدليل الثاني: إنّ اللّٰهَ وعد على الطاعة بالثواب، وتوعّد على المعصية بالعقاب. وكما لا يجوز أن يتخلّفَ الوعدُ بالثواب كذلك لا يجوز أن يتخلّفَ الوعيدُ بالعقاب فكلاهما من وادٍ واحد.

والجواب على ذلك: إنّ الفرقَ بين هٰذينِ الموردينِ واضح، فإنّ

تخلّفَ الوعد بالثواب قبيحٌ وكذبٌ لا يليق بمقام الربوبيّة. أمّا تخلّفُ الوعيد بالعقاب فهو حسَنٌ وتفضّلٌ يتّفق مع سعة رحمة الله وعظيم لطفه. وقد اعتبر العقلاء ـ في كل زمان ومكان ـ عدمَ إنجاز الوعد رذيلة، بينما اعتبروا عدمَ إنجاز الوعيد فضيلة، حتى قال عامر بن الطفيل مفتخراً:

وإنـي وإنْ أوعــدْتُــه أو وَعــدْتُــه لَمُخْلِفُ إيعادي ومُنْجِزُ موعدي

وروي: إن عمرو بن عبيد اجتمع مع أبي عمرو بن العلاء، فقال عمرو لأبي عمرو: إنّ اللّهَ وعد وعداً وأوعد إيعاداً وإنّه منجزٌ وعدَه ووعيدَه، فقال له أبو عمرو: إنك واللّهِ أعجمَ القلبِ لا أعجمُ اللسان، أمَا تعلم ويحك إن العرب تعدّ إنجازَ الوعد مكرمة، وتركَ إنجاز الوعيد مكرمة، ثم استشهد على ذلك ببيت عامر بن الطفيل الآنف الذكر.

الدليل الثالث: إنّ العفوَ عن غير التائب يوجب إغراءَ العبد بارتكاب المعصية، وهو قبيحٌ ونافٍ للطف الذي أوجبه الله على نفسه.

والجواب عن ذلك: إنّ العفوَ لم يكن لازماً على كل حال حتى يستلزمَ الإغراء ويكونَ منافياً للّطف، وإنما هو جائزٌ وممكن، وهو راجعٌ إلى الله سبحانه إن شاء عذّب وإن شاء عفا. ومجرّد احتمالِ العقاب أو الظنّ به كافٍ في ردع المكلّف عن معصية ربّه والتعرّضِ لغضبه وسخطه.

الدليل الرابع: إنّ العفوَ عن المذنب غير التائب منافٍ للعدل لأنه سكون معه مساوياً للمذنب التائب، وسيكون جزاؤهما واحداً. وفي هذا تضييعٌ لحق المؤمنين التائبين ومناقضٌ لقوله تعالى في سورة الجاثية: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا

ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحۡيَاهُمۡ وَمَمَاتُهُمۡۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ﴿٢١﴾﴾.

والجواب عن ذلك: إنّ العفوَ عن المذنب غيرِ التائب ليس معناه أن يكونَ مساوياً للمذنب التائب، بل العكس هو الصحيح فلا يكون مساوياً له لا في الدنيا ولا في الآخرة كما هو ظاهر الآية الكريمة التي تنفي المساواة بين من اجترح السيئات وبين من عمِل الصالحات في المحيا وفي الممات. ففي الدنيا ينال التائبُ منزلةً في قلوب الناس تختلف عن غيره، وفي الآخرة يكون جزاؤه من ربّه أكبر، ونصيبُه من نعيمه أوفر، والله لا يضيع أجرَ المحسنين.

أمّا القائلون بإمكان شمول عفو الله عنهم ومغفرته لهم ـ وهم أكثر المسلمين ـ فحجّتهم في ذلك عموم الآيات كقوله تعالىٰ في سورة الزمر: ﴿۞ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾، وقوله في سورة النساء، الآية(٤٨): ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ من دون تفريقٍ ـ في الآيتيْن ـ بين التائب وغير التائب. فالله سبحانه هو المتصرّف في ملكه وفي عباده يغفر لمن يشاء ويعذّب من يشاء، قال تعالىٰ في سورة الفتح: ﴿وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٤﴾﴾، نعم كان الله غفوراً رحيماً قد سبقت رحمتُه غضبَه فلا مانع عقلاً وشرعاً من أن يشمُلَ برحمته من عصاه ومات من غير توبة إن اقتضت حكمتُه ورحمتُه ذلك وهو جلّ شأنه أحكمُ الحاكمين وأرحمُ الراحمين ﴿وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[1].

---

(١) سورة آل عمران، الآية(١٣٥).

٧٨٠٠- لقد جاء في غضون الأدعية المأثورة عن المعصومين عليهم السلام تصريحٌ واعترافٌ باقتراف الذنوب وارتكابِ المعاصي، وطلبِ العفو والمغفرة من الله تعالىٰ، فكيف يتّفق ذلك مع ما ثبت نقلاً وعقلاً من عصمتِهم من كلّ ذنب، ونزاهتِهم عن كلّ عيب، وطهارتِهم من كلّ رجس؟

ذُكر في جواب هذا السؤال وفي حلّ هذا الإشكال وجوهٌ عديدة نختار منها ما يلي:

الأوّل: إنّ العبدَ كلما ازدادت معرفتُه بربّه ازداد خوفاً وخشيةً منه كما قال تعالىٰ في سورة فاطر، الآية(٢٨): ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ فيزداد شعورُه بالتقصير، ويزداد اعترافُه بالذنب، وطلبُه للعفو والمغفرة.

الثاني: لَمّا كان المعصومون عليهم السلام في المحل الأرفع من الكمال الإنساني، وقد تعلّقت قلوبُهم وأرواحُهم بالملأ الأعلىٰ، فمتىٰ ما انشغلوا بما تقتضيه بشريّتُهم من المأكلِ والمشرب والمنكح وغيرِ ذلك من المباحات عَدّوا ذلك تقصيراً في حقّ ربّهم فاستغفروه وأنابوا إليه، وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «حسناتُ الأبرار سيئاتُ المقرَّبين».

الثالث: إنّه يجوز على الأنبياء والأئمة عليهم السلام ارتكابُ ما يخالف الأوْلىٰ، ولكنّهم لعظيم مكانهم وعلوّ منزلتهم يرون ذلك تجرّؤاً على خالقهم ومعصيةً له فتأخذهم الخَشْيةُ والرَّهْبة، وتصدر عنهم تلك الأدعيةُ الطافحةُ بالضَّراعة والاستكانة والخشوع، وتفيض أعينُهم بالدموع.

الرابع: إنّ النفسَ البشريّةَ ـ من حيثُ طبيعتُها وغريزتُها ـ أمّارةٌ بالسوء ونزّاعةٌ للشر، ولكنّ الله بلطفه وتسديده يجعل بعضَ النفوس تستعلي على الغرائز والنوازع الطبيعيّة، وترتفع إلى أفق النزاهة والطهارة والقدس. فالمعصومون عليهم السلام حين ينظرون إلى طبيعتهم البشريّة يشعرون بالنقص والتقصير، ويطلُبون من الله العونَ والتسديد، ويضرعون إليه بكل وسيلة يتوصّلون بها إلى بلوغ أعلى الدرجات وأقصى الغايات. وقوله تعالىٰ في سورة يوسف، الآية(٢٤): ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾، وقولُه في سورة الإسراء: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾﴾ يؤكّد هذه الحقيقةَ بأفصح بيان وأوضحِ برهان.

الخامس: إنّ الله سبحانه أتمّ على المعصومين من عباده نعمَه ظاهرةً وباطنة، ومن المعلوم أنّ زيادةَ النعم تحتاج إلى زيادة الشكر، وهم كلّما اجتهدوا في عبادة ربّهم وذكرِه وشكرِه وجدوا أنفسَهم قاصرين ومقصّرين، وإنّ ما يبذلونه من طاعةٍ وعبادةٍ هي دون ما يليق بفضلِ ربّهم عليهم ولطفِه بهم وإحسانِه إليهم، بل هي نعمةٌ جديدةٌ منه تعالىٰ تحتاج إلى شكرٍ جديد، فيزدادون خوفاً وفَرَقاً منه جلّ ثناؤه وتقدّست أسماؤه. وفي جواب رسول الله صلى الله عليه وآله لمن استكثر منه عبادتَه: «أفلا أكون عبداً شكوراً» توضيحٌ وترجيحٌ لهذا الوجه.

السادس: إنّ التضرّعَ إلى الله، والمثولَ بين يديْه، والتذلُّلَ إليه، وطلبَ العفو والمغفرة منه هو بحدّ ذاته عبادةٌ محبوبةٌ لله عزّ وجل. ولَمّا كان المعصومون أكثرَ الناس عبادةٍ لله وأسبقَهم إلى كل فضيلة لا جرم كانوا أكثرَ الناس دعاءً وبكاءً وتضرّعاً وتذلُّلاً لله جلّ شأنه.

السابع: إنهم عليهم السلام إنّما يقولون ما يقولون في أدعيتهم ومناجاتهم لله تواضعاً منهم أمامَ كبريائه وقوّة جبروته، وتصاغراً منهم أمامَ عظمته وسِعَة ملكوته، وليس هو بسبب ذنبٍ اقترفوه أو خطإٍ ارتكبوه.

الثامن: إنّهم عليهم السلام في تكاملٍ مستمرٍ في عوالم القدس، وإنهم في عروجٍ متواصلٍ من مرتبةٍ سابقةٍ إلى مرتبةٍ لاحقةٍ أسمىٰ في معرفة ربهم والقربِ منه والزُلفةِ لديه. فكلما ارتقَوْا إلى المرتبة الأعلى اعتبروا حالَهم في المرتبة الأدنىٰ ذنباً أو شبيهاً بالذنب، فتأخذهم الخَشْيَةُ والرَّهْبةُ والخُشوعُ والخُضوعُ لله عزّ وجل. والله سبحانه هو الأعلم بحقائق الأمور.

٧٨٠١- قال الشاعر وهو يصوّر الفرقَ بين الرجلِ القويّ الوثّاب، والرجلِ الضعيفِ الهيّاب:

المؤمنُ الوثّابُ تعصِمُه من الهوْل السكينةْ
والخائفُ الهيّابُ يَخرق وهْو في ظلّ السفينةْ

٧٨٠٢- قال ابن الأزرق:

وإن جلّ خطبٌ فانتظِرْ فرجاً لهُ ... فسوف تراه في غدٍ عنك يُرفَعُ
وكن راجعاً للّهِ في كلّ حالةٍ ... فليس لنا إلا إلى اللّهِ مرجعُ

٧٨٠٣- قال الله تعالىٰ في سورة طه: ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ۝٤٩ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ۝٥٠ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ۝٥١ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ۝٥٢﴾. وظاهرُ هذه الآيات الكريمة: إنّ فرعونَ لمّا سأل موسى وهارونَ عليهما السلام عن ربّهما أجابه موسى عليه السلام ببيانٍ موجزٍ بليغ لخّص فيه

مقامَ الخالق المدبّر وهدايته العامّةَ لجميع مخلوقاته حيث هدىٰ كلَّ شيء إلى ما فيه بقاؤه وصلاحُه. فقال فرعون في جوابه: ﴿فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ﴾ وقد ذكر المفسرون في معنى هذا الجواب وجوهاً كثيرة أهمُّها وجهان:

الأوّل: إنّه عليه السلام بعد أن أفهمه وأفحمه بالحُجّة القاطعة إنّ الله سبحانه هو خالقُ كلّ شيء، وهو الهادي إلى سواء السبيل، وإنّ جميعَ الكائنات العُلويّة والسُّفليّة هي مخلوقةٌ ومربوبةٌ له عزّ وجل، وإنّه منه المبدأ وإليه المعاد توجّه فرعون بهذا السؤال الذي طالما تكرّر نظيرُه من الكافرين والملحدين على مدى التاريخ وهو: كيف يكون مصيرُ الأمم الماضية والقرون الخالية وقد أفناهم الدهر وأبلىٰ أجسادَهم، وكيف يُحشرون وكيف يُحاسبون؟!.

الثاني: إنّ فرعون لمّا رأى نفسَه عاجزاً عن مقارعة الحُجّة بالحُجّة عدل إلى موضوعٍ آخرَ ليصرِفَ به موسى عن موضوع الخلق والخالق بعد أن وقف مذهولاً ومبهوتاً أمام قوّة البيان وقوّة البرهان فوجّه إلى موسى عليه السلام سؤالاً عن أحوال الأمم والقرون السالفة ليشغَلَه بذلك عن حديث الخلق والإيجاد والمبدأ والمعاد.

وعلى كلا الوجهين كان جوابُ موسى قاطعاً وحاسماً حيثُ أحال علمَ ذلك كلّه إلى الله الذي أحاط بكلّ شيء علماً فقال: ﴿عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾. فهو سبحانه عالمٌ بجميع أحوالهم وأعمالهم وأقوالهم وحركاتهم وسكناتهم لا يعزُبُ عن علمه مثقالُ ذرّةٍ في الأرض ولا في السماء.

٧٨٠٤ـ قال أمير المؤمنين عليه السلام يصف ملكَ الموت: «هل

يُحَسُّ إذا دخل منزلاً؟ أم هل تراه إذا توفَّى أحداً؟ بل كيف يتوفَّى الجنينَ في بطن أمّه؟ أيلج عليه من بعض جوارحها؟ أم أجابه بإذن ربّها؟ أم هو ساكنٌ معه في أحشائها؟ كيف يصف إلَهه من يعجَز عن صفة مخلوقٍ مثلِه».

٧٨٠٥ـ قال بعض الفلاسفة: «لا يستكمل الإنسانُ حدَّ الإنسانيّة إلا بالموت، لأنَّ الإنسانَ هو الحيُّ الناطقُ الميّت» فإذا كان هذا تعريفه فلا يستكمل كلَّ قيود التعريف إلا بالموت.

وقيل لأعرابيٍّ قد أشرف على الموت: إنك ميّت، قال: إلى أين يذهبون بي؟ قالوا: إلى الله، قال: إذاً ما أكره أن أذهبَ إلى مَن لم أر الخيرَ إلا منه. وقال أحد الشعراء في هذا المعنى:

جزى اللّهُ عنّا الموتَ خيراً فإنه ... أبرُّ بنا من كلّ بَرٍّ وأرأفُ

يعجّلُ تخليصَ النفوس من الأذى ... ويُدني من الدار التي هي أشرفُ

وقال الآخر في المعنى نفسِه:

من كان يرجو أن يعيشَ فإنّني
أصبحتُ أرجو أن أموتَ لِأُعتَقا

في الموت ألفُ فضيلةٍ لو أنّها
عُرفتْ لكان سبيلُه أن يُعشَقا

ومن هنا ندرك المغزى الرفيعَ من قول سيّد الأوصياءعليه السلام: «واللّهِ إنّ ابنَ أبي طالب آنسُ بالموت من الطفل بثدي أمّه»، وقولِ سيّد الشهداءعليه السلام في يوم عاشوراء: «لا أرى الموتَ إلا سعادة» وقولِه: «خُطَّ الموتُ على ابن آدم مخطَّ القِلادة على جيد الفتاة» فإنهعليه السلام شبّه الموتَ بشيءٍ حسنٍ جميل وهو «القِلادة على جيد الفتاة».

٧٨٠٦ـ قال الشاعر:

أراكَ تَزيدك الأيام حرصاً على الدنيا كأنك لا تموتُ
فهل لك غايةٌ إن صِرتَ يوماً إليها قلتَ حسبي قد رضيتُ؟

٧٨٠٧ـ قال أبو العتاهية:

سل الأيامَ عن أممٍ تقضّت ستخبرك المعالمُ والرسومُ
تروم الخلدَ في دار التفاني وكم قد رام قبلك ما ترومُ
لأمرٍ مّا تصرّمتِ الليالي وأمرٍ مّا تقلّبتِ النجومُ
إلى ديّان يوم الدين نمضي وعند الله تجتمع الخصومُ

٧٨٠٨ـ قيل لأمير المؤمنين عليه السلام: ما أكثرَ حبَّ الناس للدنيا؟ فقال عليه السلام: «هم أبناؤها، أفيلام الإنسانُ على حبِّ أمّه؟» وقد أخذ هذا المعنى محمّدُ بنُ وهيب الحميري فقال:

ونحن بنو الدنيا خُلقنا لغيرها وما كان منها فهو شيءٌ محبَّبُ

٧٨٠٩ـ روي: إنّ الإمامَ الصادق عليه السلام ضاعت له دابّة فقال: «لئن ردّها الله عليَّ لأشكرنّه حقَّ شكره» فلمّا رُدّتْ إليه قال: «الحمدُ لله»، فقال له أحدُ أصحابه: جُعلت فِداك أليس قلتَ: لأشكرنّ اللّهَ حقَّ شكره؟ فقال عليه السلام: «ألم تسمعْني قلتُ: الحمد لله؟». وذلك لأنّ هذه الصيغة تدلّ على الحصر وعلى الإستغراق، فالذي يقول: «الحمدُ لله» فكأنّه قال: الحمدُ ـ بجميع أصنافه وأجناسه ـ لله وحده لا شريك له. وبملاحظة هذا المعنى الشامل يكون عليه السلام بقوله: «الحمدُ لله» قد وفى بنذره، وشكر اللّهَ حقَّ شكره.

٧٨١٠ـ لقد ثبت في النصوص القرآنيّة والأحاديث المأثورة عن

المعصومين عليهم السلام أنّ الحيواناتِ تُحشر يوم القيامة مع الإنس والجن. فمن تلك النصوص قولُه تعالىٰ في سورة الأنعام: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ وقولُه في سورة التكوير: ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾﴾. وروي عن أبي ذر رضي الله عنه إنّه قال: بينا أنا عند رسول الله صلى الله عليه وآله إذ انتطحتْ عنزتان، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: «أتدرون فيما انتطحتا؟» فقلنا: لا ندري، قال: «لكن الله يدري وسيقضي بينهما». وورد أيضاً: إنّ البهائمَ تُحشر يوم القيامة فيقتصّ الله من القرناء للجمّاء ثم يقول: كوني تراباً، فتكون تراباً، فيقول الكافر إذا رأى ذلك: يا ليتني كنتُ تراباً. وهو قولُ الله عزّ وجل في سورة النبأ، الآية(٤٠): ﴿وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِي كُنتُ تُرَٰبًا﴾.

٧٨١١- روي: إنّ نوحاً عليه السلام مرّ على كلبٍ أجرب فقال: ما هذا الكلب؟ فنطق الكلب وقال: يا نبيّ الله هكذا خلقني ربّي فإنْ قدرتَ أن تغيّرَ صورتي بأحسنَ من هذه فافعلْ. فندِم نوح على ما قال، وبكىٰ أربعين يوماً، فسمّاه الله نوحاً، وكان اسمُه «عبدَ الملك» أو «عبدَ الجبّار».

٧٨١٢- روي: إنّ اللّهَ تعالىٰ أوحىٰ إلى نبيّه موسى عليه السلام: إذا جئتَ لمناجاتي فاصحب معك من تكون خيراً منه، فجعل موسى عليه السلام كلّما مرّ به أحدٌ من الناس لا يجرُؤ أن يقول: أنا خسيرٌ منه فيكفّ عنه. ثم تنزّل إلى الحيوانات فمرّ به كلبٌ أجرب فقال: أصحبُ هذا، ثم جعل في عُنُقه حبلاً وصار يسحبه معه، فلمّا كان في بعض الطريق أرسل الحبلَ من يده وذهب وحده لمناجاة ربّه، فقال سبحانه وتعالىٰ

له: يا موسى أين مَن أمرتُك به؟ قال عليه السلام: يا رب لم أجدْه، فقال عزّ وجل: «وعزّتي وجلالي لو أتيتني بأحدٍ لمحوتُك من ديوان النبوّة».

٧٨١٣- قال صالح بن عبد القدّوس:

مَن يُخبِرْك بشتمٍ عن أخٍ فهو الشاتم لا مَن شتمكْ
ذاك شيءٌ لم يواجهْك بهِ إنّما اللوم على مَن أعلمكْ
كيف لم ينصرْك إن كان أخاً ذا حفاظٍ عند مَن قد ظلمكْ؟

٧٨١٤- قال الشاعر يخاطب ربّه عزّ وجل:

جمالُكَ في كل الحقائق ظاهرُ وليس له إلا جلالُكَ ساترُ
تَجلّيتَ في الأكوان خلف ستورها فنمّتْ بما ضمّتْ عليها الستائرُ[1]

٧٨١٥- روى الكليني في «الكافي» عن الإمام الصادق عليه السلام إنّه قال: «ما من أمر يختلف فيه اثنان إلا وله أصلٌ في كتاب الله عزّ وجل ولكن لا تبلغه عقولُ الرجال».

٧٨١٦- حُكي: إنّ ابنَ خلّكان كان يقيم في المدرسة العادليّة بدمشق، وكان إذا أصابه الأرَقُ في الليل نزل من غرفته وجعل يطوف حول بُركة المدرسة ويقول:

أنا واللّهِ هالكْ آيسٌ من سلامتي
أو أرى القامةَ التي قد أقامتْ قيامتي

وفي هذه المدرسة ألّف ابنُ خلّكان كتابَه الشهير «وفياتُ الأعيان وأنباءُ أبناء الزمان».

(١) نمّت: أظهرت.

٧٨١٧ـ قال الإمام الباقر عليه السلام: «لو يعلم السائلُ ما في المسألة ما سأل أحدٌ أحداً، ولو يعلم المعطي ما في العطيّة ما ردّ أحدٌ أحداً».

٧٨١٨ـ قال الله تعالىٰ في سورة الأنفال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ (٦٥) الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (٦٦)﴾[1].

هاتانِ الآيتانِ الكريمتان قرّرتا حقيقة مهمّةً من الحقائق العسكريّة كما قرّرتا حكماً مهمّاً من الأحكام الشرعيّة.

أمّا الحقيقةُ العسكريّة: فهي إنّ الغلَبَةَ في الحرب لا تكون ملازمةً دائماً لكثرة العَدَد أو العُدّة وإنّما تتحقّق ـ في الأعمّ الأغلب ـ للجانب الذي يؤمن بالقضيّة التي يحارب من أجلها ويدافع عنها، ويفقه الهدفَ والغايةَ من خوض المعركة مع عدوّه، لذلك وصف ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾. وقال تعالىٰ في سورة البقرة، الآية(٢٤٩): ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ وإنما غلبت هذه الفئةُ الصابرة ـ مع قِلّتها ـ تلك الفِئةَ الكافرة ـ مع كثرتها ـ لأن الأُولىٰ تملك قوّة الإيمان والبصيرة دون

---

(١) قال شيخنا الطبرسي في «مجمع البيان» وغيرُه من العلماء: إنّ الآيةَ الثانية ـ التي تتضمّن حكم التخفيف ـ نزلت بعد الآية الأولىٰ بمدّة من الزمن وإن قُرِن بينهما في التّلاوة، والثانية ناسخة للأولىٰ، والعِبرةُ ـ في الناسخ والمنسوخ ـ بالنزول لا بالتّلاوة.

الثانية. وقال في سورة التوبة، الآية(٢٥): ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ وإنما فرّوا مدبِرين ـ مع كثرتهم ـ لأنهم فقدوا مقوّماتِ النصر والظَّفَر وهي الإيمانُ الراسخ والبصيرةُ النافذة.

وأمّا الحكمُ الشرعيّ: فهو إنّ المسلمين في أوّل الأمر لمّا كانوا يتمتّعون بقوّةٍ معنويّة عالية جعل اللّٰهُ الواحدَ منهم في مقابل العشرة من الكافرين، وحرّم عليهم الفِرارَ من الزحف حتى لو كان العدوُّ عشرةَ أضعافهم. فلمّا ضعُفتْ عزيمتُهم وقلَّتْ معنوياتُهم خفّف الله عنهم وجعل الواحدَ منهم في مقابل الاثنين، وحرّم عليهم الفِرارَ من الزحف إذا كان العدوُّ على الضّعف منهم أو أقلَّ من ذلك إلا لمُتَحرِّفٍ لقتال ـ وهو الذي يفِرُّ ثم يكُرُّ ليتمكّنَ من عدوّه ـ أو مُتَحيِّزٍ إلى فئة ـ وهو الذي ينضمّ إلى جماعةٍ ليقاتلَ معها العدوّ ـ كما قال تعالىٰ في سورة الأنفال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٦﴾﴾.

٧٨١٩ـ روي: إنّ عبدَ الله بن رواحة قال لرسول اللهﷺ ليلةَ بيعةِ العقَبة: اشترطْ لربّك ولنفسك ما شئتَ يا رسولَ الله فقالﷺ: «اشترطُ لربّي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، واشترطُ لنفسي أن تمنعوني مِمّا تمنعون منه أنفسَكم وأموالَكم»، فقال عبد الله: وما لنا إذا نحن فعلنا ذلك؟ قالﷺ: «الجنّة» قال: ربِح البيع، لا نُقيل ولا نستقيل ـ أي: لا نقبل أن نرجعَ نحن عن هذا البيع، ولا أن يرجعَ عنه رسول الله ﷺ ـ فنزل قولُه تعالىٰ في سورة التوبة: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ

اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١١﴾».

٧٨٢٠- قال العلماء المتخصِّصون في صِناعة الكتابة: «إنّ الكتابةَ بمَرارة السلحفاة تظهر بالليل وتختفي بالنهار».

وقالوا: «إذا أخذ دُهن السمك وعُرض على النار حتى يغلِظُ ثم كُتب به فإنّ الكتابةَ لا تظهر، وإذا عُرضت على الشمس ظهرت بلون الذهب».

وقالوا: «إذا كُتب بماء البصل الأحمر وتُركت الكتابة حتى تجِفَّ فإنّها لا تظهر، فإذا عُرضت على الشمس ظهرت بلونٍ أخضر».

وقالوا: «إذا نُقع مسحوق الحرمل في الماء لمدّة يومين ثم كُتب به فإنّ الكتابةَ لا تظهر، فإذا عُرضت على النار ظهرت».

وقالوا: «إذا أصاب القرطاسَ دُهن، فخُذْ شيئاً من العظم واسْحَقْه ناعماً وانْثُرْه على موضع الدُّهن من القِرطاس، ثم اجْعلْ فوقه شيئاً ثقيلاً واتركْه فترةً من الوقت فإنه سيُزيل جميعَ ما على القِرطاس من الدُّهن».

وقالوا: «إذا أردتَ أن تحفظَ القِرطاسَ من التأثر بالماء فاطْلِهِ بمسحوق الشب اليماني المعجون باللبن».

وقالوا: «إذا أردتَ أن تحفظَ الكتابةَ من الهوام التي قد تسبِّب تلَفَها فاجعلْ في المِداد مرارةَ البقر، فإنّ الهوامَ تبتعد عنها ولا تقترب منها».

٧٨٢١ـ قد صدرت من بعض الأئمة الطاهرين صلوات الله عليهم رخصةٌ لبعض أصحابهم بأن ينسبوا ما قاله إمامٌ من الأئمة إلى إمامٍ آخرَ منهم، فيقول أحدهم للإمام الصادق عليه السلام: «الحديث اسمعه من أبيك أرويه عنك؟ فقال عليه السلام: «سواء». والسبب في ذلك واضح لأنهم عليهم السلام نورٌ واحد وطينةٌ واحدة لا يختلفون في آرائهم كما يختلف غيرُهم، ولا يحكمون إلا بحكم الله، ولا يحدّثون إلا بحديث رسول الله، ولا يجوز فيهم ما يجوز في غيرهم من العلماء والمجتهدين من الخطأ والسهو والاشتباه، لأنهم معصومون من الذنوب ومنزّهون عن العيوب، فقولُهم وفعلُهم وتقريرُهم حُجّةٌ قاطعة وسُنّةٌ متّبعة كجدّهم الأعظم صلى الله عليه وآله سواء بسواء. فكما أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله لا ينطق عن الهوىٰ فكذلك هم، غير أنّ النبيّ يتلقّى الأحكامَ عن طريق الوحي وهم يتلقّونها عن طريق الوِراثة والإلهام. نعم لا يجوز أن يقولَ الراوي: إني سمعتُ هذا الحديثَ من الإمام الفلاني بينما سمِعه من الإمام الآخر لأنّ ذلك كذبٌ صريح، ولكن يجوز أن ينسبَ مضمونَ هذا الحديث أو الحكمَ الذي تضمّنه إلى أيّ إمامٍ من الأئمة الاثني عشر عليهم السلام لأنّ قولَهم ورأيَهم وحكمَهم واحد لا يختلفُ عن حكم الله ورسوله قيْدَ شعرة، فالرخصة الواردة منحصرةٌ في هذا المعنىٰ. وقد صرّح أهل البيت عليهم السلام بهذه الحقيقة في عِدّة روايات. منها ما ذكره شيخنا الكليني في كتابه «الكافي» بسنده عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال: «حديثي حديثُ أبي، وحديثُ أبي حديثُ جدّي، وحديثُ جدّي حديثُ الحسين، وحديثُ الحسين حديثُ الحسن، وحديثُ الحسن حديثُ أمير المؤمنين، وحديثُ أمير المؤمنين حديثُ رسول الله، وحديثُ رسول الله هو قولُ الله عزّ وجل» ولله دَرّ الشاعر حيثُ يقول:

فوالِ أُناساً قولُهم وحديثُهم روىٰ جدُّنا عن جبرئيلَ عن الباري

وكما أنهم صلوات الله عليهم لا يختلفون في أقوالهم عن أقوال جدّهم رسول الله ﷺ كذلك لا يختلفون بأيّ حالٍ من الأحوال عن القرآن الكريم لأنهم حَمَلتُه وتراجمتُه ومبلّغوه ومفسّروه، وهم لا يفترقون عنه أبداً كما صرّح بذلك النبيّ ﷺ بقوله في عليّ عليه السلام خاصة: «عليٌّ مع القرآن والقرآنُ مع عليّ ولن يفترقا»، وبقوله في أهل بيته عليهم السلام عامة: «إني تاركٌ فيكم الثقلين كتابَ الله وعترتي أهلَ بيتي وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض».

ولله دَرُّ شيخنا الأعسم حيثُ يقول:

مَن جاء بالقول البليغِ فناقلٌ عنهم وإلا فهُوَ منهم سارقُ
ساووا كتابَ الله إلا أنّه هو صامتٌ وهمُ الكتابُ الناطقُ

٧٨٢٢- لو واقع الزوجُ زوجتَه في أثناء الحيض فستترتّب على هذه المواقعة أمورٌ ثلاثة تعود عليهما معاً بالوَبال.

الأوّل: إنهما يرتكبان بعملهما هذا معصيةً لله عزّ وجل لأنه نهى عن المواقعة في أثناء الحيض بقوله في سورة البقرة، الآية(٢٢٢): ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ وَلَا﴾، ومن الفقهاء مَن أوجب عليه الكفارة.

الثاني: حصولُ الضرر الصِحّي والأذى الذي نصّتْ عليه الآيةُ الكريمة، وهو شاملٌ للطرفيْن كما دلّت عليه الدِراساتُ الطبيّةُ القديمةُ منها والحديثة.

الثالث: لو حصل صِدفةً جنينٌ بهذه المواقعة ـ والطب لا يمنع من حصوله في هذه الحالة ولو نادراً ـ فقد يتعرّض للتشويه أو

النقصان، لأن الرحم وقتَ الحيض يكون في حالةٍ غيرِ طبيعيّة وغيرِ اعتياديّة. وقد وردت نصوصٌ عن المعصومين عليهم السلام تحذّر من مغبّة هذه المواقعة وما يترتّب عليها من ضررٍ بالغٍ على الطفل، إضافةً إلى الضرر الحاصل على الزوجيْن. قال النبيّ صلى الله عليه وآله: «مَن جامع امرأته وهي حائض فخرج الولدُ مجذوماً أو أبرصاً فلا يلومنَّ إلا نفسَه»، وقال الإمام الصادق عليه السلام لأحد أصحابه: «ترىٰ هؤلاءِ المشوّهين؟» قال: نعم، فقال عليه السلام: «هؤلاء الذين آبائهم يأتون نساءَهم في الطمث ـ أي الحيض ـ». وهكذا يسير الشرع والطب جنباً إلى جنب ليحقّقا للإنسان حياةً مليئةً بالخير والصِحّة والهناء.

وإضافةً إلى هذه الآثار المادّية والجسديّة هنالك آثارٌ معنويّةٌ ونفسيّة وقد أشار إلى ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله بقوله لعليّ عليه السلام: «يا علي لا يُبغِضك إلا منافق أو ابن زنىً أو ابن حيض».

٧٨٢٣ـ اسقط الإسلام ما كانت عليه المجتمعاتُ والأوساطُ من اهتمامٍ بالغٍ في شروط الرجل والمرأة عند إرادة الزواج. فالمالُ والجمالُ والحسب والنسب والجاه كلُّ هذه الأمور لم تكن أساسيّةً وجوهريّةً في اختيار الرجل لزوجته، أو اختيارِ المرأة لزوجها، بل الدينُ والخلق والأمانة هي مناطُ الاختيار في الإسلام، والمسلمون بعضُهم أكفاءُ بعض، والمسلمُ كُفءُ المسلمة وإن اختلفا في المال أو الجمال أو النسب أو المنزلة الإجتماعيّة. وقد طبّق رسولُ الله صلى الله عليه وآله منهجَ الإسلام هذا عمليّاً مع نفسه ومع المسلمين، فقد زوّج زينبَ بنتَ جحش ـ ابنةَ عمّته ـ من مولاه زيدِ ابنِ حارثة، وزوّج ضباعةَ بنتَ الزبير بنِ عبد المطلب ـ ابنةَ عمّه ـ من المقداد بنِ الأسود. وكان صلى الله عليه وآله يقول:

«انكحتُ زيد بنَ حارثة زينبَ بنتَ جحش، وأنكحتُ المقدادَ بنَ الأسود ضباعةَ بنتَ الزبير بنِ عبد المطلب ليعلموا أنّ أشرفَ الشرف الإسلام».

وفي القِصّتيْنِ المذكورتيْنِ في كتب السيرة النبويّة حول تزويج «جويبر» بالدلفاء، وتزويج «جليبيب» بمهيرة العرب اعظمُ درسٍ في إلغاء الفوارق الطبقيّة التي كانت سائدةً في المجتمعات الجاهليّة.

أمّا الرجلُ الأوّل المسمّى بجويبر فهو رجلٌ من أهل اليَمامة اسلم على يد النبيّ ﷺ وحسُن اسلامُه، وكان فقيراً قصيراً دميماً يميل لونُه إلى السواد. فنظر إليه النبيّ ﷺ يوماً نظرَ عطفٍ ورحمةٍ وحنانٍ وقال له: «يا جويبر لو تزوّجتَ امرأةً فعففتَ بها فرجَك، واعانتكَ على دنياك وآخرتِك» فقال جويبر: «يا رسولَ الله بأبي انت وأُمّي مَن يرغب فيّ؟ فوالله ما من حسبٍ ولا نسبٍ ولا مالٍ ولا جمال، فأيُّ امرأةٍ ترغب فيّ؟»، فقال رسول الله ﷺ: «يا جويبر إنّ الله قد وضع بالإسلام مَن كان في الجاهليّة شريفاً، وشرّف بالإسلام مَن كان في الجاهليّة وضيعاً، وأعزّ بالإسلام من كان في الجاهليّة ذليلاً، وأذهب بالإسلام ما كان مِن نخوة الجاهليّة وتفاخرِها بعشائرها وانسابها، فالناسُ اليومَ كلُّهم ابيضُهم واسودُهم وعربيُّهم وعجميُّهم من آدم، و إنّ آدمَ خلقه الله من طين، وانَ احبَّ الناس إلى الله اطوعُهم وأتقاهم. وما اعلمُ يا جويبر لأحدٍ من المسلمين عليك اليوم فضلاً إلا لِمن كان اتقى لله منك واطوع» ثم قال له: «انطلقْ يا جويبر إلى زياد بن لبيد فإنّه من اشرف بني بياضة حسباً فيهم فقلْ له: «إنّي رسولُ رسولِ الله إليك وهو يقول لك: زوّجْ جويبراً بنتَك الدلفاء». فلمّا ذهب إليه وقال له ذلك ذُهل زياد من قوله، فكيف يزوّج ابنته الجميلةَ الحسناء من هذا الرجل الدميم الأسود؟! ثم اسرع إلى الرسول الكريم ﷺ لستوضحَ الأمرَ بنفسه، فإذا بالنبيّ ﷺ يقول له

ـ وهو يرسّخ في الأرض قِيَمَ السماء ـ: «يا زياد، جويبر مؤمن، والمؤمن كُفءُ المؤمنة، والمسلم كُفؤ المسلمة، فزوِّجه يا زياد ولا ترغبْ عنه». فعرض الأبُ أمرَ رسول الله ﷺ على ابنته فرضيت بمن رضيَ عنه رسول الله، وتمّ بينهما الزواجُ الميمون.

وأمّا الرجلُ الثاني المسمّى بجلبيب فهو شبيهٌ بالرجل الأوّل «جويبر» من حيثُ الفقرُ والدّمامة، والروايةُ عن زواجه تقول: جاء رجلُ إلى النبيّ ﷺ فقال له: يا رسول الله عندي مهيرة العرب ـ والمهيرة: هي الحرّة الغالية المهر ـ، وأحبُ أن تقبلَها وهي ابنتي. فقال له النبيّ ﷺ: «زوِّجها من جلبيب» فذُهل الرجل ممّا دخله، ثم اتى امّها فأخبرها الخبر فدخلها مثلُ ما دخله، وظلاّ في حَيْرةٍ وذهول، فكيف يخالفانِ امرَ الرسول؟ وكيف يزوّجان بنتهما «مهيرةَ العرب» من «جلبيب»؟!.. وبينما هما في هذه الحالة إذْ دخلتْ عليهما ابنتُهما ـ وقد سمِعتْ مقالَهما وعلِمتْ بحالهما ـ فقالت لهما: ارضَيا لي من رضي الله ورسولُه لي. ففرِح الأبوانِ فرحاً عظيماً، وجاء ابوها إلى رسول الله ﷺ فأخبره بما قالت ابنتُه فقال ﷺ: «قد جعلتُ مهرها الجنّة» ويا له من مهرٍ كريم لا يناله إلا ذو حظٍّ عظيم. وتضيف الرواية: إنّ زوجَها جلبيباً قد مات عنها فتزوّجت بعد ذلك بمهرٍ قدره مائة ألف درهم.

وهذه الحوادث التي وقعت في عهد النبيّ ﷺ وبأمره وتوجيهه ليس معناها أنّ الإسلامَ لا ينظر إلى الصفاتِ الجسميّة بل ينظر فقط إلى الصفات الروحيّة كلاّ، بل المقصودُ منها هو أن لا يكونَ الجمالُ أو المالُ أو غيرُهما من الصفات الماديّة اساساً ومقياساً في اختيار الزوج

لزوجته أو الزوجةِ لزوجها، بل يجب أن يكونَ نظرُهما اسمى وارفعَ من ذلك، وأن يكونَ الدينُ هو المحورَ الأوّلَ الذي يدور عليه الاختيار كما قال ﷺ: «مَن تزوّج امرأةً لمالها وكله الله إليه، ومَن تزوّجها لجمالها رأى فيها ما يكره، ومَن تزوّجها لدينها جمع الله له ذلك»، وفي حديثٍ آخر: «من تزوّج امرأةً لجمالها جعل الله جمالَها وبالاً عليه». أمّا إذا نظر إلى صفاتها الروحيّة والمعنويّة أوّلاً ثم نظر إلى صفاتها الجسميّة والجماليّة ثانياً فهذا نورٌ على نور. كيف وقد قال الرسول العظم ﷺ: «أفضل نساء أمتي اصبحهُنّ وجهاً واقلُهنّ مهراً» وقال أيضاً: «اطلبوا الخيرَ عند حِسان الوجوه».

وأمر ﷺ مَن أراد الزواج ان ينظرَ إلى خطيبته ليتحقّق بنفسه عن صفاتها الجماليّة. وقال الإمام الرضا عليه السلام: «من سعادة الرجل ان يكشفَ الثوبَ عن امرأة بيضاء»، وقال ايضاً: «اذا اراد احدكم ان يتزوّجَ فليسألْ عن شعرها كما يسأل عن وجهها فانّ الشعرَ أحدُ الجمالين».

وفي بعض الأحاديث: «أنّ من سعادة المرء الزوجةُ الصالحة التي اذا نظر اليها سرّته، واذا غاب عنها حفِظتْه في نفسه وماله». فاذا روعيت هذه الأمور مجتمعةً تحقّقتِ الحياةُ الزوجيّةُ الرغيدة التي تفيض بالسعادة والهناء، وتموج بالمحبّة والصفاء، وتزخَر بالرحمة والعطاء. وتجلّتِ الحكمةُ العُليا من قوله تعالى في سورة الروم: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾.

٧٨٢٤- مما قلتُه في سيّد الشهداء وآله واصحابه الأوفياء عليهم السلام:

لولا الأُلى استُشهِدوا في الطف ما بقيت شـريـعـةُ الله تـعـلـو هـامـةَ الـزمـنِ

جَدّوا بنصرة دين الله واجتهدوا بطاعة الله في سرٍّ وفي علَنِ
باعوا نفوسَهمُ لِلّهِ غاليةً وليس بعد جنان الخلد من ثمنِ

٧٨٢٥ـ نشرت بعض الصحف: إنّ احدى المؤسّسات الثقافيّة في الولايات المتحدة الامريكيّة طلبت من احد ذوي الاختصاص أن يُلقيَ محاضرةً علميّة في موضوعٍ يتعلّق باختصاصه على أن لا تَزيد فترةَ إلقائها على نصف ساعة. فوافق على شرط إمهاله مدّة لا تقِلّ عن شهريْن لإعداد محاضرته هذه، فقالوا له: إذاً كم مدّة تريد لو كانت فترةُ إلقاء محاضرتك ساعتيْنِ أو اكثر؟ فقال: في هذه الحال لا اريد أيَّ فترة زمنيّة للتحضير والإعداد بل سأُلقي محاضرتي هذه فوراً ودون أيّ تأخير. وهذا دليلٌ على أنّ الاختصار والتركيزَ في البحث يحتاجان إلى جُهدٍ كبير ومهارةٍ فائقة. أمّا الثرثرةُ والتطويل فلا يحتاجان إلى مثل هذا الجُهد وهذه المهارة.

٧٨٢٦ـ قال عبيد بن الأبرص ـ الشاعرُ الجاهليُّ المعروف ـ:

من يسألِ الناسَ يَحرِموه وسائلُ الله لا يخيبُ
وكلُّ ذي غيبةٍ يؤوبُ وغائبُ الموت لا يؤوبُ

٧٨٢٧ـ قال عبيد بن الأبرص:

إذا انت حَمَّلْتَ الخؤونَ امانةً
فإنّكَ قد اسندتَها شرَّ مُسْنَدِ
ولا تُظهِرَنْ وِدَّ امرئٍ قبل خُبْره[1]
وبعد بلاء المرء[2] فاذمُمْ أو احْمدِ

---

(١) خُبره: اختباره.
(٢) بلاء المرء: امتحانه.

٧٨٢٨ـ قال عبيد بن الأبرص:

ترى المرء يصبو[1] للحياة وطولها
وفي طول عيش المرء أبرحُ[2] تعذيبِ

٧٨٢٩ـ قال الشاعر:

عيّرتني بالشيب وهو وقارُ ليتها عيّرتْ بما هو عارُ
وإذا شابت الذوائبُ منّي فالليالي تَزينُها الأقمارُ

٧٨٣٠ـ طرق البابَ علينا طارقٌ في يومٍ شديدِ المطر والبرد، وقد كنت آنئذٍ منحرف المزاج، فلمّا سألوا عنِ الطارق قال: أنا رجلٌ مسلم احمل للسيد كتاباً خطيّاً من تأليف جدّه الأكبر السيد حيدر، كما احمل رسالةً مني ارجو تسليمَها إليه. فلمّا نظرتُ في الكتاب وجدتُه قِطعةً من الجزء الثاني من «الخصائص الحيدريّة في النهضة الحسينيّة» لجدّنا الأعلى «قدس سرّه»، وهو كتابٌ قيّم إلا أنّ خطَّه ليس بجيّد ومملوءٌ بالأخطاء الإملائيّة وغير الإملائيّة. ولمّا نظرتُ في الرسالة وجدتُها تعبّر عن إخلاصٍ عميق وشعورٍ فيّاض، وفيها ابياتٌ رقيقةٌ لصاحبها تدلّ على أدبه وفضله وألمعيّته وهي:

وافيتُ في اليوم المطير مُيمِمّاً[3] بحراً شأى[4] الأنواءَ فيضُ عطائهِ
من «آلِ حيدرَ» معدِنِ الفضلِ الأُلى قد خصّهمْ ربُّ الورى بثنائهِ
وإليه قد قدّمتُ خيرَ وسيلةٍ هي إرثُه الموروثُ من آبائهِ
سِفراً حكتْه الشمسُ في ألَقٍ وما بلغتْ مداه بنوره وجلائهِ

---

(١) يصبو: يحِن.

(٢) ابرح: اشدّ.

(٣) ميمماً: قاصداً.

(٤) شأى: سبق.

ولسانُ حالي في الأنام مردِّدٌ ... بيتاً سما في سبْكِه وبنائهِ
«كالبحر يَمْطُرهُ السحابُ وما لَهُ ... فضلٌ عليه لأنّه من مائهِ»

ثم يقول في جانبٍ آخرَ من الرسالة:

يا عاذلي[١] إنّي ادخرتُ لفاقتي ... شَهْماً فأكثِرْ من مَلامك أو زِدِ
مَن مَتّ[٢] للحسنِ الزكيِّ نُجارُه[٣] ... واضاف سُؤْدَدَهُ لطيب المَحْتِدِ[٤]
قد طاب منهلُه النميرُ لواردٍ ... إذْ كان عذبَ الوِرْدِ غيرَ مُصرَّدِ[٥]
أنّى يطاولني[٦] الزمانُ بصَرْفه[٧] ... عنتاً[٨] ولي في العَوْن مثلُ «محمّدِ»

فعلِمتُ أنّه في حاجةٍ ماسّة فارسلتُ إليه بما تيسّر لي في ذلك الوقت، ولم أتمكّنْ من مشاهدته والتعرّف عليه بسبب انحراف صِحّتي. وفّقه الله لكل خير، وأمَدّه بالقناعة والصبر، وأعانه على نوائب الدهر، إنه سبحانه هو الموفّق والمُعين.

٧٨٣١- جاء في كثير من الأحاديث النبويّة المرويّة في كتب المسلمين من الشيعة والسُّنّة: أنّ عليّاً عليه السلام هو وصيُّ رسول الله صلى الله عليه وآله، بل هو سيّد الأوصياء. وقد أُلِّفتْ في ذلك كتبٌ خاصة، منها كتاب «إثبات الوصيّة» للمسعودي، وكتاب «التحفة البهيّة» للسيد هاشم البحراني، وكتاب «الوصيّ» للمرحوم السيد الوالد(قده).

كما جاء ذكر «الوصيّ» في الشعر وعلى لسان الشعراء المتقدّمين

(١) يا عاذلي: يا لائمي.
(٢) متّ: وصل.
(٣) نُجاره: اصله وحسبه.
(٤) المحتِد: الأصل.
(٥) غير مصرَّد: غير قليل وغير منقطع.
(٦) يطاولني: يغلبني ويعتدي عليّ.
(٧) بصرفه: بقهره وأذاه.
(٨) عنتاً: إمعاناً في الأذى وإلحاق المشقة.

والمتأخّرين. وأوّل من خلّد هذه المكرُمةَ الجليلةَ بشعره هو اميرُ المؤمنين عليه السلام نفسُه حيثُ قال وهو يخاطب الحارثَ الهمداني كما جاء في كتاب «ينابيع المودّة» للشيخ سليمان الحنفي وغيرِه من كتب المناقب والتراجِم والتاريخ:

يا حادر همدان من يمُتْ يرَني ... من مؤمن أو منافق قُبُلا[1]

يَعرِفُني طرفُه واعرِفُه ... بنعته واسمه وما فعلا

وانت عند الصراط تعرِفُني ... فلا تخفْ عُثرةً ولا زلَلا

اقول للنار - حين توقف للعر ... ض -: ذريه لا تقربي الرجلا

ذريه لا تقربيه أنّ له ... حبلاً بحبل الوصيّ متّصِلا

أسقيه من باردٍ على ظَمأ ... تخاله في الحلاوة العلا

وقال عبدُ الله بن العباس يمدح علياً عليه السلام:

وصيُّ رسول الله من دون اهله ... وفارسُه إنْ قيل: هو من منازلِ

وقال الفضلُ بنُ العباس يمدحه عليه السلام:

وكان وليَّ الأمر بعد محمّدٍ ... عليٌّ وفي كل المواطن صاحبُهْ

وصيُّ رسول الله حقّاً وصِهرُه ... واوّلُ مِن صلّى وما ذُمّ جانبُهْ

وقال حسانُ بنُ ثابت مشيداً بمواقفه عليه السلام في غزوة خيبر:

وقال: سأُعطي الرايةَ اليومَ فارساً ... كمياً شِجاعاً في الحروب محاميا

يُحبُ الإلهَ والإلهُ يُحبُّه ... به يفتحُ الله الحصونَ الأوابيا

فخصّ به دون البريّة كِلّهمْ ... علياً وسمّاه الوصيُّ المؤاخيا

---

(١) قبلا: عِياناً ومقابلة.

وقال أيضاً في مدحه عليه السلام:

جزا الله خيراً والجزاءُ بكفّه ابا حسن عنّا ومَن كأبي حسَنْ
حفِظتَ رسول الله فينا وعهِدَه إليكَ ومَن اولى به منكَ مَنْ ومَنْ
ألستَ اخاه في الهدى ووصيَّه واعلمَ منهم بالكتاب وبالسنَنْ

وقال عبدُ الله بنُ ابي سفيان بنِ الحارث بن عبد المطّلب:

ومنّا عليٌّ ذاكَ صاحبُ خيبرٍ
وصاحبُ بدرٍ حين سارت كتائبُهْ
وصيُّ النبيّ المصطفى وابنُ عمّه
فمن ذا يدانيه ومن ذا يقاربُهْ؟

وقال خزيمةُ بنُ ثابت «ذو الشهادتيْن»:

يا وصيَّ النبيّ قد أجلتِ الحزْ بُ الأعادي وسارتِ الأضعانُ

وقال رضي الله عنه مخاطباً عائشة:

وصيُّ رسول الله من دون اهله
وانتِ على ما كان من ذاك شاهدَهْ

وقال عبد الرحمن بن جعل الجمحي:

عليٌّ وصيُّ المصطفى وابنُ عمّهِ
واوّلُ من صلّى لذي العرشِ واتّقى

وقال الشافعي كما جاء في الينابيع:

عليٌّ حبُّه جُنَّةْ قسيمُ النار والجَنَّةْ
وصيُّ المصطفى حقّاً إمامُ الإنس والجِنَّةْ

وقال أيضاً:

قالوا: ترفضتَ قلتُ: كلاّ ... ما الرفضُ ديني ولا اعتقادي
لكن توليتُ دون شكٍّ ... خيرَ امامٍ وخيرَ هادي
إنْ كان حبُّ الوصيِّ رفضاً ... فإنّني ارفضُ العبادِ

وقال المتنبي:

وتركتُ مدحي للوصيِّ تعمّداً ... إذْ كان نوراً مستطيلاً شاملا
وإذا استطال الشيءُ قام بنفسه ... وصفاتُ ضوء الشمس تذهبُ باطلا

وقال ابنُ الرومي:

يا هندُ لم اعشَقْ ومثلي لا يرى ... عِشقَ النساء ديانةً و تحرُّجا
لكنَّ حبّي للوصيِّ مخيِّمٌ ... في الصدر يسرح في الفؤاد تولُّجا
فهو السراجُ المستنيرُ ومَن به ... سببُ النجاة من العذاب لِمَنْ نجا
وإذا تركتُ له المحبّةَ لم اجدْ ... يوم القيامة من ذنوبي مخرَجا
قلْ لي: أأترك مستقيمَ طريقه ... جهلاً وأتّبعُ الطريقَ الأعوجا؟؟
ومحِلُّه من كلِّ فضلٍ بيِّنٌ ... عالٍ محِلَّ الشمس أو بدرِ الدُّجى

وقال قاضي القضاة يحيى بنُ محمد الأموي الشافعي:

أدين بما دان الوصيُّ ولا ارى
سواه وان كانت أميّة مُحتدي[1]
ولو شهِدت صفّينَ خيلي لأعذرتْ[2]
وساء بني حربٍ هنالك مشهدي

---

(١) محتِدي: أصلي.

(٢) اعذرت: انصفت و أتت بما تعذر عليه.

ولِلّه دَرُّ القائل:

ابا حسنٍ سيّدي انت انت وصيُّ المهيمن لو انصفوكا
وانت جعلتَ قريشاً عبيداً ولولا حسامُك كانوا ملوكا
وانت المقدَّمُ في النائبات وعند الخِلافة لِم أخّروكا؟
ولكنهم أخّروا حظّهُمْ ولو قدّموا حظّهُمْ قدّموكا

٧٧٣٢- يجب في صِحّة الطلاق حضورُ شاهديْنِ عادليْنِ يسمعانِ صيغةَ الطلاق. والدليلُ على ذلك من الكتاب والسُّنّة والإجماع.

أمّا الكتاب: فقوله تعالى في سورة الطلاق: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُواْ ٱلْعِدَّةَ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُواْ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾.

والمقصود من قوله عزّ وجلّ في هذه الآية الكريمة: ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُواْ ٱلْعِدَّةَ﴾: هو أنّ الطلاق لا يكون إلا في طُهرٍ غيرِ مواقَعٍ فيه، وقد سُئل الإمام الصادقعليه السلام عن طلاق السُّنّة فقال: «على طُهْر من غير جُماع بشاهديْ عدل، ولا يجوز الطلاق إلا بشاهديْنِ والعِدّة، وهو قولُه تعالى: ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾. وفي قوله تعالى: ﴿وَأَشْهِدُواْ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ تصريحٌ بوجوب الإشهاد لأنَّ الأمرَ يقتضي الوجوب.

وأمّا السُّنّة: فقد روي عن محمد بنِ مسلم أنه قال: قدِم رجلٌ إلى أمير المؤمنينعليه السلام بالكوفة فقال: إني طلقتُ امرأتي بعدما طهُرَتْ من محيضها قبل أن اجامعها، فقال أمير المؤمنينعليه السلام: «اشهدت

رجلَيْنِ ذوَيْ عدلٍ منكم كما امرك الله؟» فقال: لا، فقال عليه السلام: «اذهبْ فإنّ طلاقَك ليس بشيء»، وعن الإمام الباقر عليه السلام قولُه: «الطلاقُ لا يكون بغير شهود»، وعن الإمام الصادق عليه السلام قولُه: «من طلّق بغير شهود فليس بشيء» إلى غير ذلك من الأخبار الصحيحة والصريحة بوجوب الإشهاد.

وأمّا الإجماع: فقد اتّفق علماءُ الإماميّة وتحقّق إجماعُهم بقسميْه «المحصّل والمنقول» على وجوب ذلك دون أيّ خِلافٍ بينهم.

ويُشترط في الشاهدَيْن ـ إضافة إلى العدالة ـ الذكورة، فلا تُقبل شهادةُ النساء في موضوع الطلاق، والأخبار صريحةٌ بذلك كقول الإمام الرضا عليه السلام: «لا تجوز شهادة النساء في الطلاق».

٧٨٣٣ـ آيةُ الخمس التي جاءت في القرآن الكريم وهي قولُه تعالى في سورة الأنفال، الآية (٤١): ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾﴾ تدلّ بالمعنى اللغوي والتشريعي على شمول حكم الخمس لكل ما يغنَمه الإنسان ـ أي يستفيده ويحصل عليه ـ ولا يختصّ الحكم بالمغانم الحربيّة، بل إنّ هذه المغانمَ احدُ مصاديق المعنى العام للغنيمة.

وقد استعمل القرآنُ الكريم هذه اللفظةَ بمعناها العام في آيةٍ اخرى وهي قولُه تعالى في سورة الفتح، الآية (٢٠): ﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً﴾ أي مكاسبُ ومنافعُ كثيرة.

كما أنّ السُّنّةَ المطهّرة نصّت على هذا المعنى العام لهذه الكلمة

فقد روي: أنّ بعضَ الصحابة سألوا رسولَ اللهﷺ عن غنيمة مجالس الذكر ـ أي منفعتها وفائدتها ـ فقالﷺ: «غنيمةُ مجالس الذكر الجنّة». وروي عنهﷺ أنّه قال: «إذا اعطيتم الزكاةَ فلا تنسَوْا ثوابَها أن تقولوا: «اللهم اجعلْها مَغنماً ولا تجعلْها مَغرماً» ـ أي اجعلها فائدةً ومنفعةً وزيادة ولا تجعلها خسارة وضرراً ونقصاً ـ. وروي عنهﷺ أنّه قال: «الصومُ في الشتاء الغنيمةُ الباردة» ـ أي المنفعة الطيبة التي يحصل عليها الإنسان دون مشقّةٍ كبيرة ـ. وقال أمير المؤمنينعليه السلام في عهده إلى عثمان بنِ حُنَيْف: «فواللهِ ما كنَزْتُ من دنياكم تِبْراً، ولا ادَّخرْتُ من غنائمها وَفْراً» ـ أي من فوائدها ومنافعها ـ.

وجاء في تفسير الآية الكريمة عن العترة الطاهرة تصريحٌ بهذا الشمول لمعنى كلمة ﴿غَنِمْتُم﴾، فقد روي عن حكيم المؤذّن أنّه سأل الإمامَ جعفرَ بنَ محمّدعليه السلام عن قوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوٓا أَنَّمَا غَنِمْتُم﴾ فقال: «هي والله الإفادة»، وروي عن الإمام محمد الجوادعليه السلام أنّه قال في حديثٍ طويل: «فأمّا الغنائم والفوائد فهي واجبة عليهم في كل عام قال الله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوٓا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ ...﴾ ثم قال: «فهي الغنيمة يغنمها المرء والفائدةُ يُفيدها».

وقد جرى الشعرُ العربي على هذا المجرى، واستعمل هذه المادةَ بالمعنى اللُّغويّ العام الذي يشمَل كلَّ نفعٍ أو فائدة، قال عمر بن ابي ربيعة:

حرّةُ الوجه والشمائل والجو ... هر تكليمُها لمن نال غُنْمُ

وقال مطيع بن اياس:

فعاد الناس قد غنموا وحجّوا ... وعُدْنا موقَرين من الخسارةْ

وقال عبيد بن الأبرص يخاطب امرئ القيس:

فلو ادركتَ عِلباءَ بنَ قيسٍ قنِعتَ من الغنيمة بالإيابِ

ومن الأمثال السائرة قولُ الشاعر العربيّ:

وقد طوّفتُ بالآفاق حتى رضيتُ من الغنيمة بالإيابِ

وقد صرّح كثير من ائمة اللغة بهذا المعنى العام في معاجمهم اللُّغويّة، قال ابن فارس في «معجم مقاييس اللغة»: «غنِم: يُدلّ على إفادة شيء لم يُملك من قبل». وقال الراغبُ الأصفهاني في «المفردات»: «الغَنَم: معروف، والغُنْم: إصابتُه والظَّفَرُ به، ثم استُعمل في كلّ مظفورٍ به. قال تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم . . .﴾ والمَغْنَم: ما يُغنم وجمعه مَغانم قال تعالى: ﴿فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ﴾[1]. وقال ابن الأثير في «النهاية»: «ومنه الحديث: «الصومُ في الشتاء الغنيمةُ الباردة» وإنما سمّاه غنيمة لِما فيه من الأجر والثواب. ومنه الحديث: «الرهن لِمن رَهَنه، له غُنْمُه وعليه غُرْمُه» غُنْمه: زيادته ونَماؤه وفاضل قيمته». وقال ابن منظور في «لسان العرب»: «وفي الحديث: «الرهن لِمن رَهَنه، له غُنْمه وعليه غُرْمه» غُنْمه: زيادته ونَماؤه وفاضل قيمته. وفي الحديث: «الصومُ في الشتاء الغنيمةُ الباردة» سمّاه غنيمة لِما فيه من الأجر والثواب:. وقال الزبيدي في «تاج العروس»: «وفي الحديث: «الرهن لِمن رَهَنه، له غُنْمه وعليه غُرْمه» غُنْمه: أي زيادته ونَماؤه وفاضل قيمته». وقال الطريحي في «مجمع البحرَين»: «قوله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم . . .﴾ الغنيمة في الأصل: هي الفائدة

---

(١) سورة النساء، آية (٩٤).

المكتسَبة». وقال ابو البقاء في «الكُلّيات»: «وكل شيء مظفور به فإنه يُسمّى غُنْماً ـ بالضم ـ ومَغنماً وغنيمة». وقال الشرتوني في «اقرب الموارد»: «وكل شيء مظفور به فإنّه يُسمّى غُنماً ـ بالضم ـ ومَغنماً وغنيمة». وقال لويس معلوف في «المنجد»: «الغنيمة: المكسب عموماً».

وأمّا ما ذكره بعض اللغويين في معاجمهم من أنّ المرادَ من ﴿غَنِمْتُم﴾ في الآية الكريمة هو ما حصلتم عليه من اسلاب الحرب فهو خروجٌ عن المعنى اللُغويّ الأصيل ـ الذي يجب أن يَأخذَ به اللُغويّ ـ إلى المعنى الفقهيّ الذي ذهب إليه فقهاءُ المذاهب الأربعة في حصر الغُنْم ـ في الآية ـ باسلاب الحرب تبعاً لبعض اسلافهم الذين اقتضت سياستُهم تضييقَ دائرة الخمس إلى حدٍّ يحول دون تسرّب الأموال إلى ذوي القربى من آل محمّدٍ صلوات الله عليه وعليهم. وهذا ـ دون ريب ـ يخالف ما تقتضيه اللغة، وهو دليلٌ واضح على مدى تأثر هؤلاء اللُغويّين بالمذاهب الفقهيّة من حيثُ يشعرون أو لا يشعرون. قال القرطبي في تفسيره: «واعلم أنّ الاتّفاقَ ـ ويقصد بين فقهاء المذاهب الأربعة ـ حاصلٌ على أنّ المرادَ من قوله تعالى: ﴿غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ﴾ مالُ الكفّار إذا ظفِر به المسلمون على وجه القَهْر والغَلَبة، ولا تقتضي اللغةُ هذا التخصيص».

واهم ما احتجّ به القائلون بالمعنى الخاص المقتصر على غنائم الحرب: أنّ الآيةَ نزلت في غزوة بدر، وطبيعةُ هذا الظرف الذي نزلت فيه الآيةُ الكريمة تقتضي حملَ الآية على هذا المعنى الفقهيّ الخاص وصرْفَها عن المعنى اللُغويّ العام. والجوابُ عن هذا السؤال أو

الإشكال: هو أنّ الكثيرَ من الآيات القرآنيّة نزلت في ظرفٍ خاص أو في حادثةٍ خاصة ولكنها تبقى على عمومها وشمولها لا تتقيّد بذلك الظرف ولا تتحدّد بتلك الحادثة، وقد صرّح علماءُ الأُصول بهذه الحقيقة بقولهم: «الموردُ لا يخصّص الوارد» وقولِهم: «العبرةُ بعموم اللفظ لا بخصوص المورد».

وكما اتّفق فقهاءُ المذاهب الأربعة ومفسّروهم على حمل الآية الكريمة علي المعنى الخاص بغنائم الحرب فقد اتّفق فقهاءُ الشيعة ومفسروهم ـ تبعاً لأئمة الهدى من أهل البيت عليهم السلام ـ على حمل الآية على المعنى العام الشامل لكلّ ما يحصل عليه الإنسان من الفوائد والمكاسب الماديّة ـ سواء كان ذلك عن طريق التّجارة أو الإجارة أو الزراعة أو الصّناعة، أو كان عن طريق الحرب والغَلَبة على الأعداء ـ. قال شيخ الطائفة (قدس سرة) في «الخلاف»: «كلّ ما يؤخذ بالسيف قهراً من المشركين يُسمّى غنيمة بلا خلاف، وعندنا إن ما يستفيده الإنسان من أرباح التجارات والمكاسب والصنايع يدخل أيضاً فيه. دليلُنا إجماع الفرقة، وأيضاً قوله تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم﴾ عامّ في جميع ذلك، فمن خصّصه فعليه الدّلالة». وقال العلامة اعلى الله مقامه في «المنتهى»: «الصنف الخامس: ارباحُ التجارات والزراعات والصنايع وجميعُ انواع الاكتسابات وفواضل الأقوات من الغَلاّت والزراعات عن مؤونة السنة على الاقتصاد يجب فيها الخمس، وهو قول علمائنا اجمع، وقد خالف فيه الجمهور كافة. لنا قوله تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم﴾ ووجه الاستدلال أنّه تعالى أوجب الخمسَ في كل ما يُغنم وهو يتناولُ غنيمةَ دار الحرب ويتناول غيرها، فالتخصيصُ من غير دليلٍ باطل»، وقال في موضعٍ آخرَ من الكتاب نفسِه: «الغنيمة: هي الفائدةُ

المكتسَبة، سواء اكتُسبتْ برأس المال كأرباح التجارات والزراعات وغيرهما، أو اكتُسبتْ بالقتال والمحاربة.. وقد بيّنا أنّ الغنيمةَ شاملةٌ لِما يُغنم بالقهر والغَلَبة من أموال المشركين، ولِما يُغنم بالمعاش والربح. وعند الجمهور الغنيمةُ اسمٌ للمعنى الأوّل، والوضع يساعدنا على الشمول للمعنيَين معاً».

ورواياتُ اهل البيت عليهم السلام صريحةٌ في هذا المعنى العام، وهم اعلمُ الناس بكتاب الله عزّ وجل لأنّهم حَمَلَتُه وامناؤه وقرناؤه، وأحدُ الثقلَين اللّذيْنِ خلّفهما النبيُّ صلى الله عليه وآله في أُمّته. وصدق من قال:

بآل محمدٍ عُرف الصوابُ ... وفي ابياتهم نزل الكتابُ

ومن قال:

فأنتم الملأُ الأعلى وعندكمُ ... علمُ الكتاب وما جاءت به السّوَرُ

ومن قال:

ساووا كتابَ الله إلا أنّه ... هو صامتٌ وهمُ الكتابُ الناطِقُ

٧٨٣٤ـ لمّا تمّ تجديد بناء مرقد السيد الشريف الرضي رضوان الله عليه في الكاظمية طلَب مني بعض القائمين على هذا المشروع الجليل أن انظِمَ ابياتاً في مدح الشريف لتوضعَ في واجهة مرقده الطاهر، فنظمتُ هذه الأبيات ووضِعتْ في المكان المناسب وهي:

قِف حيثُ ترتهبُ القلوبُ وتخشَعُ ... قِف حيثُ يثوي العبقريُّ ويضجَعُ

قِفْ فالشريفُ الهاشميُّ محمّدٌ ... قد ضمّه هذا المقامُ الأرفَعُ

قِفْ فالرضيُّ هنا يشِعُّ بنوره ... كالبدر يسطَعُ في السماء ويلمَعُ

هو ذلك الرجلُ الذي بعلومه ... بغدادُ تفخرُ والعواصِمُ اجمَعُ

وبشعره سحر العقولَ ولم يزلْ يُتلى على مرّ العصور ويُسمَعُ
الله اودع فيه كلَّ فضيلةٍ والله يرزقُ من يشاء ويمنَعُ
ما مات من ابقى تراثاً خالداً هو للحقائق والدقائق منبَعُ
أوْ مَن بنى لعُلاه مجداً شامخاً تتصدّع الدنيا ولا يتصدَّعُ

٧٨٣٥ـ لفظ «العالَم» يُعتبر مفرداً وجمعه عوالم وعالَمون وعالَمين، ويُعتبر جمعاً لا واحدَ له من لفظه كقوم ورهط ونفر.

٧٨٣٦ـ كلمتا «الحمد والمدح» مادتهما واحدة وهي «ح م د» مع التقديم والتأخير ولكنّ الحمدَ خاصٌ غالباً بالله سبحانه، ولا يُستعمل في غيره إلا نادراً كقوله تعالى في سورة آل عمران، الآية (١٨٨): ﴿وَيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ﴾ وقول الشاعر:

حمِد الواصفون فضلَ عُلاه وعُلى فضله فكان «محمّدْ»

وهو الثنا، على الجميل الاختياري دون التكويني، قال الله تعالى في سورة الفاتحة: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ وقال في سورة الروم، الآية (١٨): ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ وقال في سورة القصص، الآية (٧٠): ﴿لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ﴾. وأمّا المدح فهو ما يُطلق على غير الله تعالى، وهو الثناء على الجميل الاختياري والتكويني، فيصِحُ أن تقول: امدح فضلَ فلان عليّ وإحسانَه إليّ، كما يصِحُ أن تقول: امدح جمالَ فلان وحسنَ صورته. وأمّا الشكر فهو ما يُطلق على الخالق والمخلوق، وهو الثناء على الجميل والإحسان الصادر منهما كقوله تعالى في سورة لقمان، الآية (١٤): ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾ كقول النبيّ ﷺ: «من لم يشكرِ المخلوقَ لم يشكرِ الخالقَ».

وكما يتحقّق الشكر باللسان يتحقّق بالقلب قال الإمام

الصادق عليه السلام: «من انعم الله عليه بنعمة فعرَفها بقلبه فقد أدّى شكرَها»، ويتحقّق أيضاً بالعمل بأوامر الله والانتهاء عن نواهيه واتّقاء محارمه وهو اكملُ افراده وافضلُ صوره قال الله تعالى في سورة سبأ، الآية (١٣): ﴿ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾، وقال في سورة آل عمران، الآية (١٢٣): ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾، وقال الإمام الصادق عليه السلام: «شكرُ النعمة إجتنابُ المحارم». وبالشكر تدوم النعم وتَزيد كما قال تعالى في سورة إبراهيم، الآية (٧): ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾، وبه يَدرأ عن نفسه العذاب كما قال تعالى في سورة النساء: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾﴾، وصدق الله حيثُ يقول في سورة لقمان، الآية (١٢): ﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾.

ونقيض المدح هو الذم، وقد يطلق المدح على ذكر المناقب فيكون نقيضه الهجاء وهو ذكر المثالب، ونقيض الشكر هو الكفر أو الكفران قال تعالى في سورة إبراهيم، الآية (٧): ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ﴾، وقال في سورة النمل، الآية(٤٠): ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ﴾.

٧٨٣٧ـ قال الحكماء الإلهيّون: إنّ كلّ شيء في الوجود مفتقرٌ إلى الله تعالى ومحتاجٌ إليه في دوام بقائه، كما هو مفتقرٌ ومحتاجٌ إليه في اصل حدوثه، لا يستغني عن فيضه ولطفه لحظةً واحدة أو أقلّ منها، وهذه هي القيمومةُ المطلقة: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾[1]، والربوبيّةُ العظمى: ﴿وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ﴾[2].

---

(١) سورة البقرة، آية (٢٥٥).

(٢) سورة الانعام، آية (١٦٤).

٧٨٣٨ـ ذكر الفلاسفة والمتكلّمون: إنّ صفات الله سبحانه وتعالى منها ما هو متعلّقٌ بذاته ومنها ما هو متعلّقٌ بفعله، واضطربت عباراتُهم في تحديد الفارق بين الصفتيْن، ولكنّ التدبُّرَ في آيات الكتاب المجيد واحاديثِ المعصومين عليهم السلام يوصل إلى قاعدةٍ مطّرَدة في هذا الموضوع الدقيق وهي: إنّ كلَّ صفةٍ يصِحّ إطلاقُها على الله تعالى في حال الثبوت ولا يصِحَ إطلاقُها عليه في حال السلب فهي من صفات الذات كالعليم والحكيم والقدير والسميع والبصير وغيرِها من الأسماء الحُسنى. وإنّ كلَّ صفةٍ يصحّ إطلاقُها عليه سبحانه في حال الثبوت كما يصِحَ إطلاقُها عليه في حال السلب فهي من صفات الفعل كالإرادة والهداية والمحبّة قال الله تعالى في سورة البقرة: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾، وقال في سورة النور: ﴿يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ وقال في سورة يوسف: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ﴾، وقال في سورة البقرة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ وقال في نفس السورة: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

٧٨٣٩ـ كلمة «الايمان» مشتقةٌ من الأمْن لأنه يوجب أمْن المؤمن من عذاب الله وعقابه، ومعناه الكامل: «الاعتقاد بالجَنان، والعمل بالأركان، والإقرار باللسان» وله مراتبُ دون ذلك. والفعل «آمن» قد يُستعمل لازماً كقوله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ﴾. وقد يُستعمل متعدّياً بالباء كقوله في نفس السورة: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾، وقوله في سورة الاعراف: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾. أو متعدّياً باللام كقوله في سورة البقرة: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾، وقوله في سورة يونس: ﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ﴾.

٧٨٤٠ـ كلمة «الكفر» في اصل اللغة تُستعمل بمعنى سَتْرِ الشيء وتغطيته، ولذلك سمي الليل كافراً لأنّه يسترُ الأشياءَ ويغطّيها بظلامه وسواده. ويسمى الزارع كافراً لأنّه يستر الزرعَ ويغطيّه بالتراب. والقرآن الكريم يُطلق الكفرَ على مَن جحد أصلاً من أصول الدين أو انكر ضرورياً من ضروريّاته فيكون في مقابل الإيمان كقوله تعالى في سورة الكهف، الآية (٢٩): ﴿وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ﴾. ويُطلقه أيضاً على مَن جحد نِعَم الله عليه فيكون في مقابل الشكر كقوله تعالى في سورة لقمان، الآية (١٢): ﴿وَمَن يَشۡكُرۡ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾، وقوله في سورة إبراهيم، الآية (٧): ﴿لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾.

٧٨٤١ـ روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه سُئِل عن الكفر والشرك أيهما اقدم؟ فقال عليه السلام: «الكفر أقدم، وذلك أنّ ابليسَ أوّلُ مَن كفر» وهو قول الله عزّ وجل في سورة البقرة، الآية (٣٤): ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾.

٧٨٤٢ـ روي عن جميل بن درّاج أنه قال: سألتُ ابا عبد الله عليه السلام عن ابليس أكان من الملائكة؟ وهل كان يلي شيئاً من أمر السماء؟ فقال عليه السلام: «لم يكن من الملائكة، ولم يكن يلي شيئاً من أمر السماء، وكان مع الملائكة، وكانت الملائكة ترى أنه منها، وكان الله يعلم أنه ليس منها، فلمّا أُمِر بالسجود كان منه الذي كان».

٧٨٤٣ـ أمر الله سبحانه آدمَ وحوّاءَ أن يسكنا الجنّةَ وأن يأكلا منها رغداً حيثُ شاءا، ونهاهما عن شجرةٍ واحدةٍ معيّنة. وقد اختلف المفسرون في هذه الجنّة على اقوال متعدّدة.

منها: أنّها جنة الخُلْد التي اعدّها الله لعباده المتقين. وهذا القول مردودٌ من وجوه:

الأوّل: أنّ جنّة الخلد إنّما اعدّها الله في الآخرة لعباده المتّقين جزاءً لهم على ما قدّموه في الدنيا من الأعمال الصالحة، ولم يحصلْ من آدمَ وحوّاء عليهما السلام بعدُ ما يستحِقّان به نعيمَ الجنّة.

الثاني: أنّها دارُ النعيم والجزاء وليست هي دارَ التكليف والعناء كما وقع لهما فيها حيثُ كلّفهما بأن لا يقرَبا هذه الشجرةَ ولا يأكلا منها.

الثالث: أنّ الذين يدخلون جنّة الخلد يخلُدون فيها ولا يخرجون منها كما قال تعالى في سورة الحِجْر: ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾﴾، مع أنّ آدمَ وحوّاء خرجا منها بعد صدور المخالفة منهما.

الرابع: أنّ جنّةَ الخلد أُعِدّت للمتّقين ولا يدخلها الكافرون، فكيف دخلها ابليس ووسوس لآدمَ وحوّاء فيها.

الخامس: لو كانت هي جنّةَ الخلد لما صحّ أن يقولَ ابليسُ لآدمَ كما جاء في سورة طه، الآية (١٢٠): ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾.

السادس: أنّ جنّةَ الخلد ليس فيها لغوٌ ولا اثم كما قال تعالى في سورة الواقعة، آية: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾﴾، فكيف حصلت فيها وسوسة الشيطان وهي من اظهر مصاديق اللغو والإثم؟!.

ومنها: أنّها جنّةٌ من جنان الدنيا ـ بغضّ النظر عن كونها في

الأرض أو في السماء ـ أمر الله آدمَ وحواء أن يسكنا فيها ويتنعَّما بها ويأكلا منها رغداً حيثُ شاءا إلا شجرةً واحدةً أمرهما الله أن لا يقرَباها ولا يأكلا منها.

وهذا القول هو الأصح، وتؤيّده الاعتباراتُ والرواياتُ فقد روى الصدوق في «العلل» والكليني في «الكافي» وغيرهما عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه سُئِل عن جنّة آدم فقال: «هي من جِنان الدنيا تطلُع فيها الشمسُ والقمر، ولو كانت من جِنان الآخرة ما خرج منها أبداً».

أمّا مكانُ هذه الجنّة فهل هو في الأرض أم في السماء فهذا ما وقع فيه الاختلاف بين العلماء والمفسّرين. وظاهر بعض الروايات يدُلّ على أنّها في السماء فقد روي عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنّه سأله رجلٌ شاميّ عن أكرم وادٍ على وجه الأرض فقال عليه السلام: «وادٍ يُقال له «سرنديب» سقط فيه آدمُ من السماء» وروي عن الإمام جعفر بنِ محمّد الصادق عليه السلام في حديثٍ طويلٍ يقول في آخره: «قال الله لهما ـ أي آدم وحوّاء ـ: اهبِطا من سماواتي إلى الأرض فإنّه لا يجاورني في جنّتي عاصٍ ولا في سماواتي».

٧٨٤٤ـ سُئِل رسولُ الله صلى الله عليه وآله عن معنى العَدْل في قوله تعالى من سورة البقرة: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ ﴿٤٨﴾﴾، وفي قوله سبحانه من نفس السورة: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ فقال صلى الله عليه وآله: «العَدْلُ هو الفِدْية» فهي تماماً كقوله تعالى في سورة الحديد، الآية (١٥): ﴿فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ﴾. وسُئِل صلى الله عليه وآله عن معنى الصَّرْف في قوله تعالى من سورة

الفرقان، الآية (١٩): ﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا﴾، فقال: «الصَّرْف هو التوبة».

٧٨٤٥ـ اصطلح الفقهاء على بعض الإجراءات الفقهيّة بالحِيَل الشرعيّة ومعناها: «اجتهادُ الفقيه في إخراج الموضوع المحرّم عن انطباق عنوان الحرام عليه إلى عنوانٍ محلَّلٍ يدُلّ على حِلّيّته الدليلُ الشرعيّ». وليس المقصودُ هو التحايلَ على الأحكام الشرعيّة بغير دليلٍ أو ميزانٍ شرعيّ. وهذا المعنى للحيلة الشرعية هو ما أشار إليه الإمامُ الباقر عليه السلام بقوله: «نعمت الحيلةُ الفِرار من الحرام إلى الحلال»، وما أشار إليه الإمامُ الصادق عليه السلام بقوله: «ما أعاد الصلاةَ قط فقيه، يحتالُ فيها ويدبّرُها حتى يصحّحها».

٧٨٤٦ـ علّق النبيّ صلى الله عليه وآله على قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ (٧٠)﴾ بقوله: «إنهم أُمِروا بأدنى بقرة، ولكن شدّدوا على انفسهم فشدّد الله عليهم، وايْم اللهِ لو لم يستثنوا ـ أي يقولوا إن شاء الله ـ ما اهتدوا إليها أبداً» وبقوله: «لو لم يستثنوا ويقولوا إن شاء الله لما تبيّنتْ لهم إلى آخر الأبد».

٧٨٤٧ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله فإنّ كثرةَ الكلام بغير ذكر الله تُقسي القلب، وإنّ أبعدَ الناس عن الله القلبُ القاسي». ويؤيّد ذلك قوله تعالى في سورة الزمر، الآية (٢٢): ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ﴾، وقوله في سورة البقرة: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٧٤)﴾.

٧٨٤٨ـ الفعل «تولّى» إذا استُعمل متعدّياً بنفسه كان بمعنى المحبّة والمواصلة والإقبال، وإذا استُعمل متعدّياً بعن كان بمعنى الكراهة والمجانبة والإعراض، وإذا استُعمل من دون تعديةٍ احتاج إلى قرينةٍ للدّلالة على أحد هذيْن المعنيين كقوله تعالى في سورة البقرة، الآية (٨٣): ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴾ فقوله: ﴿وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴾ «وانتم معرضيون» قرينةٌ على أنّ المرادَ من ﴿تَوَلَّيْتُمْ﴾ في الآية الكريمة هو المعنى الثاني.

٧٨٤٩ـ روى الطبرسيّان في «مجمع البيان» و «الاحتجاج»: إنّ ابنَ صوريا وجماعةً من يهود فدك جاؤوا إلى النبيّ ﷺ بعد قدومه إلى يثرب وسألوه فقالوا: يا محمد كيف نومُك فقد أخبرنا عن نوم النبيّ الذي يأتي في آخر الزمان؟ فقال ﷺ: «تنام عيناي وقلبي يقظان»، قالوا: صدقتَ يا محمد. فأخبرنا عن الولد يكون من الرجل أو المرأة؟ فقال ﷺ: «أمّا العِظام والعصَب والعروق فمن الرجل، وأمّا اللحم والدم والظفر والشعر فمن المرأة» قالوا: صدقتَ يا محمد. فما بالُ الولد يُشبه أعمامَه وليس فيه من شبَه أخواله شيء؟ فقال ﷺ: «أيّهما علا ماؤه كان الشبَهُ له» قالوا: صدقتَ يا محمد. فأخبرنا عن ربّك ما هو؟ فأنزل الله سبحانه وتعالى سورة التوحيد. فقال له ابنُ صوريا: يا محمد بقيتْ خِصلةٌ واحدةٌ إنْ قلتَها آمنتُ بك واتبعتُك أيّ مَلَك يأتيك بما يُنزل الله عليك؟ فقال ﷺ: «جبرئيل» قال ابنُ صوريا: ذاك عدوُّنا يَنزل بالقتال والشدّة والحرب، وميكائيل يَنزل باليُسر والرّخاء، فلو كان ميكائيل هو الذي يأتيك لآمنّا بك. فأنزل الله على نبيّه ﷺ قولَه في سورة البقرة، آية: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا

لِلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾».

٧٨٥٠ـ السِّحْرُ شعبةٌ من الكفر والشرك أو أنه يجرّ إليهما. وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك بقوله في سورة البقرة، الآية (١٠٢): «وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ»، ونصّ رسولُ الله ﷺ على ذلك بقوله: «السِحْرُ والشركُ مقرونان»، ونصّ أميرُ المؤمنين عليه السلام على ذلك أيضاً بقوله: «مَن تعلّم شيئاً من السحر ـ قليلاً كان أو كثيراً ـ فقد كفر».

٧٨٥١ـ من الآيات الكريمة التي كثُر حولها الكلام والجدال قوله تعالى في سورة البقرة: «وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾».

والذي يدلّ عليه سياقُ الآية الكريمة وصرّحت به الرواياتُ الشريفة هو: أنّ الناسَ في عهد سليمان وما بعده من العهود كان السحرُ والكِهانةُ والشعوذةُ متفشيّةً فيهم، وكانوا ينظرون إلى السَّحرة والكُهّان والمشعوذين نظرَ تقديرٍ واحترام بحيثُ يقتفون آثارَهم ويتّبعون اعمالَهم ويصدّقون أقوالَهم. ومن ذلك ما صدر من بعض شياطين الجن أو الإنس من تضليلٍ وتشويشٍ وافتراءٍ على نبيّ الله سليمان عليه السلام ومُلْكِه

الذي امتدّ في الآفاق، وادَّعَوْا أنَ مُلْكَ سليمانَ كان قائماً على السحر، وأنّه ما استطاع تسخيرَ المخلوقات أو إظهارَ المعجزات إلاّ بواسطة ذلك، وما كان سليمانُ ساحراً ولا كافراً وإنما كان نبيّاً من انبياء الله الصالحين، ولكنّ الشياطينَ هم الذين نسبوا إليه ما هو بريءٌ منه، وهم الذين علّموا الناسَ السحر: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾. وقد ارسل الله في بابل ملَكَيْنِ كريميْنِ على صورة البشر هما «هاروت وماروت» وانزل عليهما السحر أي ألهمهما فنونَه وأساليبَه ليعلّما الناسَ ذلك حتى يتجنّبوا وساوسَ السحَرَة ومكائدَهم ومصائدَهم، وكانا لا يعلّمان احداً شيئاً من السحر حتى يُبيّنا له الغرضَ من ذلك ليكون على بيّنة من امره وبصيرةٍ من دينه: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ لأنَ السحرَ بابٌ من أبواب الكفر. والمراد بالفتنة هو الاختبارُ والامتحانُ والتفريقُ بين الحق والباطل وبين سِحْر السحَرَة ومعاجز الأنبياء. ولكنّ الناس ـ وهم يهود ذلك العصر ـ جُبلوا على الانحراف والالتواء والعصيان، فصاروا يتعلّمون منهم السحرَ للعمل به لا للاحتراز منه: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾ ولو أنّهم رجعوا إلى عقولهم وثابوا إلى رُشدهم لعلِموا أنّهم أوقعوا انفسَهم في العذاب المُهين في الدنيا والآخرة وذلك هو الخسران المبين: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ﴾ ـ والضمير يعود إلى السحر ـ أي علِموا أنَّ الذي استبدل الباطلَ بالحق، واستحبّ العمى على الهدى، واتّبع وساوس السحَرَة والشياطين، وأعرض عن شرائع الأنبياء والمرسلين ﴿مَا لَهُۥ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾ أي ليس له حظٌ ونصيبٌ في نعيم الآخرة بل هو من الذين استحقوا

عذابَ النار هم فيها خالدون: ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾.

والأحاديث الواردة حول هذه الآية الكريمة تؤكّد وتوضّح هذه المعاني التي دلّ عليها ظاهرُ الآية وسِياقُها، فقد روي عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: «فلما هلك سليمان عليه السلام وضع ابليس السحر وكتبه في كتاب، ثم طواه وكتب على ظهره: هذا ما وضع آصف بن برخيا للملك سليمانَ بنِ داود من ذخائر كنوز العلم، من اراد كذا وكذا فليعمل كذا وكذا. ثم دفنه تحت سريره، ثم استثاره لهم - أي اخرجه لهم - فقرأه، فقال الكافرون: ما كان يغلِبنا سليمانُ إلا بهذا، وقال المؤمنون: بل هو عبدُ الله ونبيُّه. فقال الله جلّ ذكره: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ﴾. وروي عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال للمأمون: «وأمّا هاروت وماروت فكانا ملَكيْن علّما الناسَ السحرَ ليتحرّزوا به عن سحر السحَرَة ويُبطِلوا كيدَهم، وما علّما احداً من ذلك شيئاً إلا قالا له: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ فكفر قومٌ باستعمالهم لِما أمروا بالاحتراز عنه، وجعلوا يفرّقون بما تعلّموه بين المرء وزوجه، قال الله تعالى: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾. وقد سئل الإمام الصادق عليه السلام: «من أين علِم الشياطينُ السحر» فقال عليه السلام: «من حيثُ عرَف الأطباءُ الطب، بعضه تجرِبةٌ وبعضه علاج». واحاديثُ اهل البيت عليهم السلام هي القولُ الفصل في مثل هذه الأمور، وهي الحدُّ الفاصل بين الحق والباطل.

٧٨٥٢- روى الواحدي في «أسباب النزول» عن ابن عباس رضي الله عنه في سبب نزول قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا

تَقُولُواْ رَاعِنَا وَقُولُواْ انظُرْنَا﴾: أنّ العربَ كانوا يتكلّمون بهذه الكلمة فلمّا سمِعهم اليهود يقولونها للنبيّ ﷺ اعجبهم ذلك. وكلمة «راعنا» في لغتهم السبُّ القبيح، فقالوا: إنّا كنّا نسُبّ محمداً سرّاً فالآن نسُبّه جهراً، فكانوا يأتون النبيّ ﷺ فيقولون: يا محمد راعِنا ويضحكون، ففطِن لها سعدُ بنُ عُبادة ـ او سعدُ بنُ مُعاذ ـ وكان عارفاً بلغتهم، فقال لهم: يا اعداءَ الله عليكم لعنةُ الله، والذي نفسُ محمّدٍ بيده لئن سمعتُها من رجلٍ منكم لأضربَنَّ عنُقَه، فقالوا: ألستم تقولونها؟ فأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا﴾. وروى الشيخ الطوسي في «التبيان» عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «راعنا كلمةُ سبٍّ عند اليهود». وقيل: إنّ اصلَها في العبرانية «اعينو» بمعنى الشرّ أو القبيح.

٧٨٥٣ـ في قوله تعالى من سورة البقرة، الآية (١٣٠): ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ مطالبُ مهمّة:

الأوّل: إنّ ما دعا إليه إبراهيمُ عليه السلام كان مطابقاً للعقل وموافقاً للفطرة، فلذلك اعتبر الله عزّ وجل من اعرض عن تعاليمه ورغِب عن دعوته سفيهاً قد عطّل عقلَه وأهلك نفسَه.

الثاني: إنّ «مَن» هنا للاستفهام الإنكاري أي: لا يرغب عن مِلّة إبراهيم إلا مَن سفِه نفسَه.

الثالث: إنّ الفعلَ «رغِب ويرغَب» إنْ عُدّي بإلى أو في كان بمعنى الميل والإقبال كقولك: زيد يرغب في العلم أو يرغب إلى العلماء ومنه قولُه تعالى في سورة الشرح: ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ﴿٨﴾﴾، وإذا عُدّي بعن كان بمعنى الإعراض والإدبار كما في هذه الآية الكريمة

وكقولهﷺ: «النكاح سُنتي فمن رغِب عن سُنتي فليس مني» فهو من الأضداد.

الرابع: السفَه معناه: ضعفُ العقل وتعطيلُه عن العمل سواء كان ذلك في الأمور الدنيويّة أو في الأمور الأخرويّة، فمن الأوّل قولُه تعالى في سورة النساء، الآية (٥): ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ﴾، ومن الثاني قولُه تعالى في سورة البقرة: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾، وقولُه في نفس السورة، الآية (١٤٢): ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا﴾.

الخامس: قد يأتي الفعل «سفِه» متعدّياً كما في الآية الكريمة فيكون مكسورَ الفاء، وقد يأتي لازماً كقولهم: «سفُه زيدٌ» فيكون مضمومَ الفاء.

٧٨٥٤- الفعل «حنف» والفعل «جنف» يدُلاّن على الميل، غير أنّ الأوّلَ منهما يُستعمل في الميل من الضلال إلى الهدى ومن الباطل إلى الحق كقوله تعالى في سورة آل عمران، الآية (٩٥): ﴿فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾، وقولِه في سورة الروم، الآية (٣٠): ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾. والثاني منهما يُستعمل في الميل من الهدى إلى الضلال ومن الحق إلى الباطل كقوله تعالى في سورة البقرة، الآية (١٨٢): ﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾، وقولِه في سورة المائدة، الآية (٣): ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

٧٨٥٥- في قوله تعالى من سورة البقرة، الآية (١٤٣): ﴿وَكَذَٰلِكَ

جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ مطالبُ مهمّة:

الأوّل: أنّ الجعلَ في الآية الكريمة لم يكن جعلاً تكوينيّاً فحسب بحيثُ لا دخْلَ له في عمل الإنسان وسعيه كما هو الحال في جميع مجعولاته التكوينيّة كقوله تعالى في سورة الإسراء، الآية (١٢): ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ﴾، وقوله في سورة الأنبياء، الآية (٣٠): ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾، بل هو من الجعل المرتّب على اهليّة الإنسان واستعدادِه لهذه المنزلة السامية كما قال تعالى في سورة السجدة، الآيـة(٢٤): ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟﴾ فـجـعـل صبرَهم عِلّةً لهذا الجعل.

الثاني: أنّ المرادَ بالأمّة في هذه الآية الكريمة هو جماعةٌ خاصّةٌ من الناس وليس المرادُ مجموعَ الأمّة المسلمة. وإطلاقُ كلمة الأمّة على جماعةٍ من الناس شائعٌ في الاستعمال ولا سيما في القرآن الكريم قال تعالى في سورة آل عمران، الآية (١٠٤): ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾، وقال في نفس السورة: ﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ﴾ وقال في سورة المائدة، الآية (٦٦): ﴿مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾، وقـال فـي سـورة الأعـراف: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾، وقال في نفس السورة، الآية (١٦٤): ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾.

ويُحمل على هذا المعنى ما جاء في زيارات الحسين عليه السلام: «لعن الله أمّةً قتلتك، ولعن الله أمّةً ظلمتك، ولعن الله أُمّةً سمِعت بذلك فرضيت به» أي: لعن الله جماعةً قتلتك أو ظلمتك أو سمِعت بذلك فرضيت

به. بل قد تُطلق كلمة الأُمّة على الفرد الكامل من الناس الذي هو القدوة لغيره كما في قوله تعالى من سورة النحل: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾﴾. وليس من المعقول أن يريدَ الله بالأمّة - في آية الشهادة - جميعَ اهل الإسلام حتى مَن كان منهم متلبّساً بالفسق والفجور. ومثلُ هؤلاء لا تُقبل شهادتُهم في الدنيا حتى على أقلّ الأشياء وأهونِها فكيف تُقبل شهادتُهم في الآخرة على اعمال العباد صغيرِها وكبيرِها؟!. أضفْ إلى ذلك الأحاديثَ الشريفةَ التي صرّحت بأنّ الشهداءَ على الناس هم صفوةُ هذه الأُمّة ولُبابُها الذين اختارهم الله على علم على العالمين، فقد روى شيخنا الكليني في «الكافي» عن ابي جعفر الباقر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ قال عليه السلام: «نحن الأمّةُ الوسط، ونحن شهداءُ الله على خلقه»، وروي أيضاً عن بريد العجلي قال: سألتُ ابا عبد الله الصادق عليه السلام عن قول الله عزّ وجل: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ فقال عليه السلام: «نحن الأمّة الوسطى، ونحن شهداءُ الله على خلقه وحججُه في ارضه» ثم قال: «فرسولُ الله الشهيدُ علينا بما بلغنا عن الله عزّ وجل، ونحن الشهداءُ على الناس، فمن صدّق صدّقناه يوم القيامة، ومن كذّب كذّبناه يوم القيامة»، وفي «تفسير العياشي» عنه عليه السلام قال في تفسير الآية الكريمة: «أظننتَ انّ الله عنى بهذه الآية جميعَ أهل القبلة من الموحّدين؟ أفترى أنّ مَن لا تجوز شهادته في الدنيا على صاعٍ من تمر يطلُبُ الله شهادَته يوم القيامة ويقبلُها منه بحضرة جميع الأمم الماضية؟! كلاّ لم يعنِ الله مثلَ هذا من خلقه، بل يعني الأمّةَ التي وجبت لها دعوةُ إبراهيم: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ وهم الأمّة الوسطى، وهم خيرُ أمّةٍ

أُخرجت للناس»، وفي «المناقب» عنهعليه السلام قال: «ولا يكون شهداء على الناس إلا الأئمة والرسول، فأمّا الأمّة فإنه غيرُ جائزٍ أن يستشهدَها الله وفيهم مَن لا تجوز شهادتُه في الدنيا في حُزمة بَقل»

الثالث: معنى الوسط في الآية الكريمة هو المِعيارُ الكامل للمرتبة العُليا في جميع الملَكات النفسيّة، وهو الحَدُّ الفاصل بين الإفراط والتفريط في كل الصفات والملَكات، وهي مرتبةٌ تقصُر عن إدراكها الهِممُ والعقول لأنّها المقامُ الأرفع والأفقُ الأعلى الذي لا يرقى إليه إلا مَن اجتباهم الله واصطفاهم وآتاهم مِن علومه واسراره ما لم يؤتِ احداً من العالمين. ولذلك جعل الله مَن بلغ هذه الذروة العليا من الكمال الإنساني شهداء على الناس تُعرض عليهم اعمالُهم في الدنيا ويشهدون عليهم في الآخرة، أمّا في الدنيا فلقوله تعالى في سورة التوبة، الآية(١٠٥): ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾، وأمّا في الآخرة فلقوله في هذه الآية الكريمة: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[1].

٧٨٥٦ـ التزكية: تُطلق على النمو والبركة كما تُطلق على التطهير من الرذائل والأدناس. وإنّما سُمّيت الزكاةُ زكاةً لأنها سببٌ مهم في تنمية المال وزيادة بركته، كما أنّها سببٌ مهم أيضاً في تطهيره من الشبهات والمحرمات، وتطهيرِ مُخرجها من الشّح والبخل، وترويضه على البذل والعطاء للفقراء وعلى التوجّه والإخلاص لله عزّ وجل كما قال تعالى في سورة التوبة، الآية (١٠٣): ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾. وقد تُنسب التزكيةُ إلى الله سبحانه كقوله تعالى

(١) سورة البقرة آية: (١٤٣).

في سورة النساء، الآية (٤٩): ﴿بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ﴾، وقوله في سورة النور، الآية (٢١): ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ﴾. وقد تُنسب إلى رسول الله ﷺ كقوله تعالى في سورة البقرة: ﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ١٥١﴾.

وقوله في سورة الجمعة، الآية (٢): ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ﴾. وقد تُنسب إلى الإنسان نفسه كقوله تعالى في سورة الشمس: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ٩﴾، وقوله في سورة الأعلى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ١٤﴾.

٧٨٥٧ـ روى شيخنا الكليني في «الكافي» بسنده عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «إنّ الله عزّ وجل يقول: مَن شُغل بذكري عن مسألتي اعطيتُه افضلَ ما اعطي من سألني».

٧٨٥٨ـ روى الكليني في «الكافي» بسنده عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «اوحى الله إلى موسى عليه السلام: يا موسى لا تفرح بكثرة المال، ولا تدَعْ ذكري على كلّ حال، فإنّ كثرة المال تُنسي الذنوب، وأنّ تركَ ذكري يُقسي القلوب».

٧٨٥٩ـ روي عن النبيّ ﷺ أنّه قال: «اربعة من كُنّ فيه كان في نور الله الأعظم: مَن كانت عِصمةُ أمره شهادةَ أن لا إله إلا الله وأني رسولُ الله، ومَن إذا اصابته مصيبةٌ قال: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، ومَن إذا اصاب خيراً قال: الحمدُ لله ربِّ العالمين، ومَن إذا أصاب خطيئةً قال: استغفرُ الله ربّي واتوبُ إليه».

٧٨٦٠ـ ينقسم الموجود من حيثُ هو إلى ثلاثة أقسام:

الأوّل: أن لا يكون محتاجاً إلى المادة مطلقاً ـ لا في ذاته ولا في فعله ـ لأنّه منزّه عنها. وهذا القسم منحصرٌ في الله عزّ وجل خالقِ كلِّ شيء.

الثاني: أن يكون محتاجاً إلى المادة ـ في ذاته وفعله معاً ـ وهو عالم الماديات الصرفة.

الثالث: أن لا يكون محتاجاً إلى المادة في ذاته ولكنّه محتاجٌ إليها في فعله وهو عالم النفوس سواء كانت إنسانية أوحيوانية.

٧٨٦١ـ كلمة «الخلق والخالق» تأتي بمعنى الإبداع والمبدع للشيء من غير مثال كقوله تعالى في سورة الأنعام، الآية (٧٣): ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ أي أوجدهما وابدعهما من غير مثالٍ سابقٍ، فهي بهذا المعنى كقوله تعالى في سورة البقرة، الآية (١١٧): ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ وقوله سبحانه في سورة فاطر، الآية (١): ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، وهذا المعنى للخلق مختصّ بالله عزّ وجلٍ كما جاء في قوله جلّ ثناؤه في سورة النحل: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾﴾. وقد تأتي بمعنى إيجاد شيءٍ من شيءٍ آخر كقوله تعالى في سورة النحل، الآية (٤): ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ﴾، وقوله في سورة الرحمن: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾﴾، وهذا المعنى للخلق قد يُطلق على غير الله عزّ وجلٍ كقوله تعالى في سورة المائدة مخاطباً لعيسى عليه السلام: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى﴾. نعم عند الإطلاق لا تنصرف هذه الكلمة ـ بكل مشتقاتها

- إلا إليه ولاتدُلَ إلا عليه جلّت قدرته، أمّا دَلالتها على غيره فتحتاج إلى قرينةٍ - حاليّةٍ أو مقاليّة-، ولا يكون ذلك إلا بإذنه عزّ وجل: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾[1]. وقد تكلمنا عن هذا الموضوع في فِقرةٍ سابقةٍ من هذا الكتاب.

٧٨٦٢- كلمة «الفُلْك» - بضمّ الفاء وسكونِ اللام - معناها: السفينة، وجمعُها كفردها، والقرائن الحاليّة والمقاليّة هي التي تفرّق بينهما، فقولُه تعالى في سورة هود، الآية (٣٧): ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾، وقولُه في سورة يس: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾﴾ استُعمل في المفرد، وقولُه تعالى في سورة البقرة، الآية (١٦٤): ﴿وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾، وقولُه في سورة النحل، الآية (١٤): ﴿وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ﴾ استُعمل في الجمع. ومثله ما جاء في دعاء شعبان: «اللهمَ صلّ على محمّدٍ وآل محمّد الفُلْكِ الجاريةِ في اللُّجَجِ الغامرة».

أمّا كلمة «الفَلَك» - بفتح الفاء واللازم معاً - فمعناها: مَدارُ الكواكب ومَسارُها في الكون كقوله تعالى في سورة الأنبياء: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾﴾، وقوله في سورة يس: ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾، وهو مفرد وجمعه «الأفلاك».

٧٨٦٣- ورد في الحديث الشريف: «إذا خرج المؤمن من قبره

---

(١) سورة المؤمنون، آية (١٤).

خرج معه مِثالٌ يتقدَّم أمامه، فيقول له المؤمن: من أنت؟ فيقول له: أنا السرور الذي كنتَ ادخلته على أخيك المؤمن في الدنيا».

٧٨٦٤ـ التقليد والاتباع إذا كان في الخير والحق فهو سُنّة حسنة من سنن المجتمع الصالح، إذْ لا يرتقي افرادُ كلّ مجتمع إنسانيّ إلا إذا اتّبع الجاهلُ منهم العالمَ واقتفى الناقصُ منهم اثرَ الكامل. وهو امرٌ فطريٌ وعقليٌ، فكلّ من أراد شيئاً يجهله يرجع بفطرته وبحكم عقله إلى العالِم به. فالرجوعُ إلى ذوي العلم والاختصاص في جميع أمور الحياة سُنّةٌ لعقلاء في كل زمان ومكان.

والتقليدُ المصطلَحُ عليه عند فقهاء الإسلام إن كان في أصول الدين وأسس العقيدة فهو لا يُغني من الحق شيئاً ولا يُجدي صاحبَه نفعاً على ما هو المشهور بينهم. وأمّا في فروع الدين وأحكام الشريعة فلا بدّ لِمن لم يبلغ رتبةَ الاجتهاد ولم يسلك طريقَ الاحتياط أن يقلّدَ الفقيهَ الجامعَ للشرائط، إذْ لا يمكن الوصولُ إلى طاعة الله ورِضوانِه إلا بذلك.

أمّا اتّباعُ الغير وتقليدُه ولو كان ذلك الغيرُ منحرِفاً عن الحق ومتحيّزاً للباطل فهو في الحقيقة اتّباعٌ للشيطان وقد نهى الله عن ذلك في كتابه العزيز فقال تعالى في سورة لقمان: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٢١﴾﴾، وقال في سورة البقرة: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾﴾. فالله سبحانه وتعالى انكر عليهم اتّباع آبائهم وكبرائهم لأنهم لا يعقِلون ولا يعلَمون ولا يهتدون، فلو لم

يكونوا كذلك لساغ لهم اتّباعُهم كما قال تعالى في سورة يونس: ﴿أَفَمَن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾﴾، وقال في نفس السورة، الآية (٨٩): ﴿وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾. أمّا الذين اتبعوا العلماء فهم الذين اتبعوا ما أنزل الله واتبعوا رسولَ الله ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ﴾[1] وهم ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾[2].

٧٨٦٥ـ يُستفاد من قوله تعالى في عِدّة آياتٍ من القرآن: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ﴾ إطلاقُ التحريم لكلِّ أجزاء الميتة ولكلِّ أنواع الاستعمالات والانتفاعات، ويؤيّد ذلك ما جاء في الأحاديث الشريفة كقول رسول الله ﷺ: «لا تنتفعوا من الميتة بشيء» وقولِ الإمام الصادق عليه السلام: «لا يُنتفعُ بشيءٍ من الميتة ولو بشِسعٍ منها». كما يُستفاد من الآية الكريمة إطلاقُ التحريم للحيوانات البريّة والبحريّة وما كان له نفسٌ سائلة وما لم يكن كذلك، غير أنّ ميتةَ ما لم يكن له نفسٌ سائلة وإن كانت محرمةَ الأكل ـ كما قلنا ـ ولكنها طاهرة، والقِطعةُ المبانَةُ من الحيّ تُعتبر ميتةً محرمة لقول النبيّ ﷺ: «ما قُطع من البهيمة وهي حيّة يكون ميتة».

٧٨٦٦ـ قال الحكماء الإلهيّون: «إنّ مَن كان حقّاً بذاته ومن ذاته فلا بدّ أن يكون حقاً في جميع شؤون وجهاته، وفي جميع أفعاله وصفاته» ويتفرّع على هذه القاعدة الكُلّيّة المدعَمةِ بالبراهين العقليّة التلازمُ بين المبدأ والمعاد في كل ما يتعلّق بشؤون العباد.

---

(١) سورة الأعراف، آية (١٥٧). (٢) سورة الزمر، الآية (١٨).

٧٨٦٧ـ قد يبدو أنّ هناك تعارضاً أو تناقضاً بين قوله تعالى في سورة الحِجر: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾، وقولِه في سورة الصافات: ﴿وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾﴾، وبين قولِه في سورة الرحمن: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾﴾، ولكن التدبّرَ في هذه الآيات الكريمة يُظهر بجلاء: أنّ الآيتيْن الأوليَيْنِ جاءتا في مقامِ إثبات المسؤوليّة يوم القيامة، وأنّ كلَّ إنسان يُسأل ويُحاسب ويُدان على اعماله، وأمّا الآية الثالثة فقد جاءت لبيان أنّ المجرمَ يوم القيامة لا يُحتاج في إثبات جرائمه إلى سؤالٍ واستفهام منه أو تحقيقٍ وتدقيقٍ معه كما هو الحال بالنسبة إلى محاكم الدنيا؛ لأنّ الإدانةَ في الآخرة ثابتةٌ ولازمةٌ بصحيفة أعماله وشهادة اعضائه فلا يُحتاج إلى مثل هذا السؤال والتحقيق، ويدلّ على ذلك قولُه تعالى بعد هذه الآية: ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾﴾ من غير حاجةٍ إلى سؤالٍ واستفهامٍ.

كما أنّ الآيتيْن الأُوليَيْنِ قد تبدو متعارضةً مع قوله تعالى في سورة البقرة، الآية (١٧٤): ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾، وقولِه في سورة آل عمران، الآية (٧٧): ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾. ولكنّ التدبُّرَ في هذه الآيات الكريمة يكشف بوضوح: أنّ المثبَتَ في الآيتيْنِ الأوليَيْنِ هو كلامُ المحاسبة والتأنيب والتوبيخ، وأنّ المنفيَّ في الآيتيْنِ الأخيرتيْنِ هو كلامُ التلطّف والتكريم والتبشير فلا اختلافَ بين الآيات لاختلاف المقامات، ومنشأ ما يتقوّلونه هو قِلّةُ الفهم وعدمُ التدبّر وصدق الله حيثُ يقول في سورة النساء: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾.

٧٨٦٨ـ روي: أنّ رجلاً سأل رسولَ الله ﷺ عن البرّ فأنزل الله تعالى على نبيّه قولَه في سورة البقرة: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾. فقال النبيّ ﷺ: «مَن عمِل بهذه الآية فقد استكمل حقيقةَ الإيمان» وذلك لأنّها اجمعُ آيةٍ في كتاب الله للمعارفِ الإلهيّة والكمالاتِ الإنسانيّة. ونذكر هنا بعض ما يتعلّق بهذه الآية الكريمة:

أولاً: يجوز في كلمة «البر» الرفعُ على انها اسم ليس، ويكون خبرُها جملةَ ﴿أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ﴾ أو المصدرَ المؤوّلَ من أن المصدرية وما بعدها فيكون المعنى: «ليس البرُّ توليتَكم وجوهكم». كما يجوز فيها النصبُ ـ وهو المرسوم في المِصحف الشريف ـ على أنّها خبرُ ليس المقدّم، ويكون اسمُها المؤخّر جملةَ «أنْ تولوا وجوهكم» أو المصدرَ المؤوّل فيكون المعنى: «ليس البِرَّ توليتُكم وجوهكم»، وهذانِ الوجهانِ جائزان في كل موردٍ يقع بعد ليس معرفتان إلا إذا اقترن أحدُ الاسمينِ بحرف الجرَ فلا يصحّ في الإسم الأوّل إلا الرفعِ كقوله تعالى في سورة البقرة، الآية (١٨٩): ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ﴾.

ثانياً: أنّ قولَه تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾ تقديره: «ولكن البِرَّ بِرُّ مَن آمن بالله» وإنما حُذف المضاف لغرضٍ بلاغيٍّ رفيع وهو إظهارُ أهميّة الذات المتّصِفةِ بهذه الصفات، وبيانُ أنّ المقصودَ هو الذاتُ لا مجرّدُ الصفات، وفي هذا العدول من ذكر الصفات إلى ذكر

الذات من الروعة والبلاغة ما لا يخفى.

ثالثاً: كلمة «الكتاب» في الآية الكريمة قد يُراد منها جنسُ الكتب السماويّة، وإنّما افردها للإشارة إلى أنّها متّفقةٌ في الأُسس والأُصول العامة فكأنّها كتابٌ واحد. وقد يُراد منها خصوصُ القرآن الكريم لأنّه اعظمُها واكملُها واجمعُها لكلّ ما يحتاج إليه الإنسانُ فس سعادتِه الدُنيويّة والأُخرويّة وفي كمالِه المعنويّ والماديّ. وقد يُراد منها جنسُ التعاليم الإلهيّة التي نزلت بها الكتبُ السماويّة أو جاءت على ألْسنة الأنبياء والرسل.

رابعاً: يظهر من قوله: ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ أنه تعالى يريد هنا مطلقَ الإنفاقِ والبذلِ والعطاءِ في سبيل البرّ والخير لا خصوصَ الزكاةِ المفروضة ولذلك خصّ الزكاة بالذكر بعد ذلك بقوله: ﴿وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ﴾. والضمير في ﴿عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ ربّما يعود إلى الله فيكون المعنى: أنّهم يُنفقون مالَهم على حبّ الله وابتغاءِ وجهه. وربّما يعود إلى المال فيكون المعنى: أنّهم يُنفقون مالَهم مع حبّهم له وحاجتِهم إليه. ويجري هذا الكلام أيضاً في قوله تعالى من سورة الدهر: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾﴾.

خامساً: الظاهر أنّ المرادَ من قوله: ﴿ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ هو قرابةُ المعطي. ويُحتمل أن يكون المرادُ قرابةَ الرسول ﷺ فتكون الآيةُ مشابِهةً لقوله تعالى في سورة الانفال، الآية (٤١): ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ وقد جاء في بعض الأحاديث ما يدُلُّ على ذلك، ولعلّ

المقصودَ ذكرُ اشرف المصاديق لا الحصرُ والتعيين.

سادساً: جاءت كلمة ﴿وَالْمُوفُونَ﴾ في الآية مرفوعةً لأنها معطوفةٌ على قوله: ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾، وجاءت كلمة ﴿وَالصَّابِرِينَ﴾ منصوبة على المدح والاختصاص فيكون المعنى: وخُصّ بالذكر والمدح الصابرين لإبراز اهميّة الصبر في البأساء والضرّاء وحين البأس ـ أي حين اللقاء مع الأعداء ـ وهو أحد الأساليب البليغةِ في كلام الفصحاء.

٧٨٦٩ـ روي: أنّه كان بين حيّيْنِ من أحياء العرب قتال، وكان لأحد الحيّيْنِ طَوْلٌ على الآخر فقالوا: نقتل بالعبد منّا الحرَّ منكم وبالمرأة منّا الرجلَ منكم، فأنزل الله سبحانه على نبيه قوله في سورة البقرة: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَى بِالْأُنثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَاأُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ ونشير هنا إلى بعض الأمور المهمّة في هذه الآية الكريمة:

أولاً: في قوله: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَى﴾ تشريعٌ لقانون العدل والمساواة في القِصاص بعد أن كان حبُّ الانتقام والإسراف في القتل هو السائد في المجتمع العربيّ قبل نزول هذه الأحكام الإلهيّة العادلة. قال الإمام الصادق عليه السلام: «لا يُقتل الحرُّ بعبد ولكن يُضرب ضرباً شديداً ويغرم دِيةَ العبد. وإن قتل رجلٌ امرأةً فأراد أولياءُ المقتول أن يقتلوا أدّوا نصفَ ديته إلى أهل الرجل».

ثانياً: في قوله: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ﴾ بيانٌ لجواز العفو بل رجحانِه، فمن عفا عن الجاني ولم

يقتص منه ورضي بالدِية فعليه بسلوك طريق المعروف فلا يُرهق صاحبَه فوق طاقته، وإن كان ذوُ عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إلى مَيْسَرَة، وإن اسقط عنه بعض الدِية فهو من المعروف الذي يُحبّه الله ويُحبّ صاحبَه. كما أنّ على الجاني أن لا يماطلَ في دفع ما عليه، وأن يؤدّيَ ما في ذِمّته بالإحسان. قال الإمام الصادق عليه السلام: «ينبغي لِلَّذي له الحق أن لا يُعسِرَ اخاه إذا كان قد صالحه على دِية، وينبغي للذي عليه الحق أن لا يمطُلَ اخاه إذا قَدِر على ما يعطيه ويؤدّي إليه بإحسان».

ثالثاً: في قوله: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ تهديدٌ من الله تعالى لمن اعتدى على الجاني وقتله بعد أن عفا عن القِصاص وصالحه على الدِية كلِّها أو بعضِها. قال الإمام الصادق عليه السلام: «هو الرجل يقبل الدية أو يعفو أو يصالح ثم يعتدي فيقتل فله عذابٌ أليمٌ كما قال الله عزّ وجل».

رابعاً: في قوله: ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ بيانٌ جامعٌ رائع لحكمة هذا التشريع الإلهيّ العظيم لأنّه يحمي الفردَ والمجتمعَ من التهاون في قتل النفوس وسفكِ الدماء. وهذه الآيةُ الكريمة تُعتبر في القِمّة من الفصاحة والبلاغة والذُروةِ من الإيجاز والإعجاز حتى قال بعض العلماء والمفسرين إنّها ابلغُ آيةٍ في كتاب الله العزيز. ولو قارنتَ بينها وبين ما قاله البلغاء في هذا المقام لأدركتَ الفارقَ بين الجواهرِ والحصى وبين اللآلئ والأحجار كقولهم: «القتل أنفى للقتل» وقولِهم: «قتل البعض إحياءٌ للجميع» وقولِهم: «أكثروا القتلَ ليقِلَّ القتل». قال الإمام زينُ العابدين عليه السلام في تفسير هذه الآية الكريمة: «ولكم يا أُمّةَ محمّد في القِصاص حياة، لأنّ مَن همَّ بالقتل

فعرَف أنّه يُقتصُّ منه فكفَّ لذلك عن القتل كان حياةً لِلّذي همَّ بقتله، وحياةً للجاني الذي اراد أن يقتل، وحياةً لغيرهما من الناس، فإذا علِموا أنّ القِصاصَ واجبٌ لا يجترئون على القتل مخافةَ القِصاص».

٧٨٧٠ـ قيل: إنّ ابنَ النفيس ـ الطبيبَ العربيَّ المعروف ـ دخل الحمّام وبينما هو يغسِل جمسَه إذ خرج من الحمّام وطلَب قرطاساً وقلماً وحِبْرا، وبدأ يكتب في موضوع كتابه عن النبض، ثم عاد إلى الحمّام ليكمل غَسلَ جسمه. وبعد ذلك أتمّ كتابه القيّم عن النبض.

٧٨٧١ـ قال بعض العلماء: إنّ ما ورد في أدعية أهل البيتعليهم السلام من قولهم: «اسألك باسمك العظيم» فالمراد به ما أذن الله لعموم خلقه أن يدعوه به. وقولِهم: «اسألك باسمك الأعظم» أو «باسمك العظيم الأعظم» فالمراد به ما هو مستورٌ عن عموم خلقه إلا من اصطفاهم واجتباهم من الأنبياء والأوصياء الذين أذن لهم أن يدعوه به. وقولِهم: اسألك باسمك الأعظم الأعظم» فالمراد به ما استأثر به لنفسه ولم يُظهِرْه لأحدٍ من خلقه.

٧٨٧٢ـ روي عن الإمام الباقرعليه السلام أنّه قال: «اذكروا من عظمة الله ما شئتم، ولا تذكروا ذاتَه فإنكم لا تذكرون منه شيئاً إلا وهو اعظمُ منه»، وروي عن الإمام الصادقعليه السلام أنه قال: «إن الله تعالى يقول: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾﴾[1] فإذا انتهى الكلام إلى الله تعالى فأمسكوا».

٧٨٧٣ـ البسملة جزء من كل سورة في القرآن إلا سورة التوبة

---

(١) سورة النجم، آية (٤٢).

فإنّها نزلت بغير بسملة، والنصوص الواردة من الفريقيْنِ تدُلّ على ذلك بكلّ صراحةٍ ووضوح، فقد روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «البسملةُ في أول كلّ سورة آيةٌ منها، وإنما كان يُعرف انقضاءُ السورة بنزولها ابتداءً للأُخرى، وما انزل الله تعالى كتاباً من السماء إلا وهي فاتحتُه». وقال أيضاً: «أنها ـ أي البسملة ـ من الفاتحة، وأنّ رسولَ الله صلى الله عليه وآله كان يقرؤها ويَعِدّها آيةً منها ويقول: فاتحةُ الكتاب هي السبع المثاني». وروي عن ابن عباس رضي الله عنه أنّه قال: «إنّ رسولَ الله صلى الله عليه وآله كان لا يعرف فصلَ السورة ـ أي انقضاءَها ـ حتى ينزلَ عليه بسم الله الرحمن الرحيم»، وعن أبي هريرة أنّه قال: «إذا قرأتم الحمد فاقرؤوا بسم الله الرحمن الرحيم فإنها أُمّ الكتاب والسبعُ المثاني، وبسم الله الرحمن الرحيم احدى آياتها».

٧٨٧٤ـ روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: الرحمن اسم خاص لصفةٍ عامّة، والرحيم اسم عام لصفةٍ خاصّة» والمراد: أنّ لفظَ «الرحمن» عَلَمٌ خاص لِلّه عزّ وجل لا يُطلق على غيره ويُدلّ على عموم رحمته في الدنيا التي وسِعت كلَّ شيء وعمّت المؤمنين والكافرين، وأنّ لفظَ «الرحيم» اسمٌ عام يُطلق على الله وعلى غيره من عباده الرحماء ويدُلّ على خصوص رحمته بعباده المؤمنين في الآخرة.

٧٨٧٥ـ روي عن محمّد بن يوسف الحمّادي أنه قال: حضرتُ مجلسَ عبيد الله بنِ عبد الله بنِ طاهر وقد حضره البحتري، فقال عبيد الله للبحتري: يا ابا عبادة أمسلم بن الوليد اشعر أم ابو نؤاس؟ فقال: «بل ابو نؤاس لأنّه يتصرّف في كلّ طريق، ويتنوّع في كل مذهب، إن شاء جدّ، وإن شاء هزَل. ومسلم يلتزم طريقاً واحداً لا يتعدّاه، ويتحقّق مذهباً لا يتخطّاه».

٧٨٧٦- جاء في «البيان والتبيين» للجاحظ: قال الفرزدق: «أنا عند الناس اشعرُ العرب، ولربّما كان نَزْعُ ضِرْسٍ ايسرَ عليّ من أن اقولَ بيتَ شعر».

٧٨٧٧- ما هو الرقم الذي إذا ضربناه بخمسة، ثم جمعنا ناتج الضرب مع خمسة، ثم قسمنا ناتج الجمع على خمسة، ثم طرحنا من ناتج القسمة خمسة، يكون الحاصل خمسة؟

الحل: رقم(٩)

٧٨٧٨- قال بشار بن برد:

وما الناس إلا حافظٌ ومضيِّعٌ ... وما العيشُ إلا ما تطيب عواقبُهْ
ولا خير في قربى لغيرك نفعُها ... ولا في صديقٍ لا تزال تعاتبُهْ

٧٨٧٩- قال بشار في الغزل:

يا اطيبَ الناسِ ريقاً غير مختَبِرٍ ... إلا شهادةَ اطرافِ المساويكِ
اغراكِ بالبخل قلبٌ لا يلين لنا ... يا ليته مرّةً بالجود يَغريكِ
قالت: ملكتُ ولم تملِكْ فقلتُ لها: ... ما كل مالكةٍ تُزري[1] بمملوكِ

٧٨٨٠- قال بشار:

راحت ولم تعطه بُزْءاً لِعِلّته ... منها ولو سألتْهُ النفسَ اعطاها
تغُمّه نفسُه من طول صبوتها[2] ... حتى لو اجتمعت في الكفّ ألقاها
ما شاهد القومَ إلا ظلّ يذكرها ... ولا خلا ساعةً إلا تمنّاها

---

(١) تزري: تستهين.

(٢) صبوتها: هيئتها.

٧٨٨١ـ قال بشار:

لخدّيكَ من كفّيكَ في كلّ ليلةٍ إلى أن ترى وجهَ الصباحِ وسادُ
تَبيتُ تراعي الليلَ ترجو نفادَه وليس لليلِ العاشقينَ نَفادُ

٧٨٨٢ـ قال بشار وقيل غيرُه:

انّ الطبيبَ بطبّه ودوائه لا يستطيع دفاعَ مقدورٍ أتى
ما للطبيب يموت بالداء الذي قد كان يُبرئ مثلَه فيما مضى
هلك المداوى والمداوي والذي جلب الدواء وباعه ومن اشترى

٧٨٨٣ـ قال ابو الأسود الدؤلي:

يلومونني في البخل جهلاً وضِلّةً ولَلْبخلُ خيرٌ من سؤال بخيلِ

وقال عبد الله بن المعتز في هذا المعنى:

أعاذلُ[1] ليس البخلُ مني سجيّةً ولكنْ وجدتُ الفقرَ شرَّ سبيلِ
لَموتُ الفتى خيرٌ من البخل للفتى ولَلْبخلُ خيرٌ من سؤال بخيلِ

وقال شاعر آخر:

يقولون لي: إني بخيلٌ بنائلي[2]
ولَلْبخلُ خيرٌ من سؤال بخيل

٧٨٨٤ـ قال ابو الأسود الدؤلي:

ليت شعري عن خليلي ما الذي غاله في الحبّ حتى وَدَعَهْ

ويريد: ودّعه، وهي لغة أخرى في «ودّع»، وبعض القراء قرأ

---

(١) عاذل: لائم.

(٢) النائل: العطاء.

بهذه اللغة قوله تعالى في سورة الضحى، الآية (٣): ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾[(١)].

٧٨٨٥ـ قال ابن الرومي في مطلع قصيدةٍ عامرة يَرثي بها امّه ويخاطب عينيه:

أفيضا دماً إنّ الرزايا لها قِيَمْ فليس كثيراً أن تجودا لها بدَمْ

٧٨٨٦ـ مادة «ص و م» تدُلّ على السكون والإمساك وتُستعمل في الإنسان والحيوان والجماد، فصوم الإنسان إمساكه عن الطعام أو الكلام ومنه قوله تعالى في سورة مريم، الآية (٢٦): ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾. وصوم الحيوان إمساكه عن الحركة والاعتلاف ومنه قول النابغة:

خيلٌ صيامٌ وخيلٌ غيرُ صائمةٍ
تحت العجاج وأخرى تعلُك[(٢)] اللُجُما[(٣)]

ويُقال أيضاً: صام الماء إذا سكن وركد.

٧٨٨٧ـ مادة «س ف ر» تدُلّ على الكشف في جميع استعمالاتها، فسُمي السَّفَرُ سَفَراً لأنه يكشِف عن اخلاق المسافرين، ويكشِف عن خصائص الأمكنة وسكّانها. وسُميت الكتب اسفاراً لأنها تكشِف عن حقائق الأمور. وسُمي الكرام البرَرَة سَفَرة لأنهم يكشِفون أوامر الله ونواهيه. وسُمي خِوان الطعام سُفرة ـ في العاميّة ـ لأنّه يكشِف عن أنواع الطعام وألوانه. وسُميت المرأة المتبرجة سافرة لأنها تكشِف

---

(١) قلى: ابغض.

(٢) تعلُك: تمضَغ.

(٣) اللُجُم: جمع لِجام وهو ما يُربط به الفرس.

عن محاسنها ومفاتنها. ويُقال: اسفر الصبح لأنه يكشف عن الموجودات.

٧٨٨٨- المرض هو الخروج عن حدّ السلامة والاعتدال، ويكون في الجسم كقوله تعالى في سورة الفتح، الآية (١٧): ﴿وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾، ويكون في القلب كقوله تعالى في سورة الأحزاب، : ﴿وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم﴾.

٧٨٨٩- قال بعض العلماء: «الفقير والمسكين إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا» ومعنى ذلك: إنّ كلمتي الفقير والمسكين إذا جاءت كلٌ منهما منفردةً دلّت على معنًى شاملٍ لهما كقوله تعالى في سورة الحج، الآية (٢٨): ﴿فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ﴾، وقوله في سورة البقرة، الآية (١٨٤): ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾. وإذا جاءتا مقترنتينِ في كلامٍ واحد دلّت كلٌ منهما على معنًى يختلف عن الآخر كقوله تعالى في سورة التوبة، الآية (٦٠): ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾، ولم يقترنا في القرآن الكريم إلا في هذه الآية. والمسكين أسوأ حالاً من الفقير.

٧٨٩٠- قال ابو الفتح البستي:

عـزّ الـوفـاء فـلـسـت أدري مَـن أعـاشـرُ أو أُآخـي

٧٨٩١- روى البخاري ومسلم والنسائي وابنُ ماجة وابو داود في صِحاحهم واحمد بن حنبل في مسنده عن النبيّ ﷺ أنه قال: «ليس من البِرّ الصيامُ في السفر». وروى النسائي وابنُ ماجة في الصحيحيْن عن النبيّ ﷺ أنه قال: «الصائم في السفر كالمفطر في الحضر». وروى مسلم والنسائي والترمذي في صحاحهم عن جابر بنِ عبد الله الأنصاري

كما روى الصدوق في الفقيه والكليني في الكافي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «خرج رسول الله صلى الله عليه وآله إلى مكّة عام الفتح حتى بلغ كراع الغميم ـ وهو وادٍ امام عسفان ـ وصام الناس معه، فقيل له: إنّ الناسَ قد شقّ عليهم الصيام، وإنّ الناسَ ينظرون ما تفعل، فدعا صلى الله عليه وآله بقدح من ماء بعد العصر فشرِب والناس ينظرون إليه، فأفطر بعضهم وصام بعضهم، فبلغه أنّ اناساً صاموا فقال صلى الله عليه وآله: «اولئك العصاة». وروى البيهقي في المعرفة والمتقي الهندي في كنز العمال عن النبيّ صلى الله عليه وآله كما روى الصدوق في الفقيه والكليني في الكافي عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «خياركم الذين إذا سافروا قصروا الصلاة وافطروا». وروى الكليني في الكافي عن الإمام زين العابدين عليه السلام أنه قال: «فأمّا صومُ السفر والمرض فإنّ العامّةَ قد اختلفت في ذلك فقال قومٌ: يصوم، وقال آخرون: لا يصوم، وقال قومٌ: إن شاء صام وإن شاء افطر. وأمّا نحن فنقول: يَفطُر في الحالَين جميعاً، فإنْ صام في السفر أو في حال المرض فعليه القضاء فإنّ الله عزّ وجل يقول: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾[1]. وروى العياشي في تفسيره عن محمد بن مسلم عن ابي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال: «لم يكن رسول الله صلى الله عليه وآله يصوم في السفر تطوّعاً ولا فريضة، يكذبون على رسول الله عليه السلام، نزلت هذه ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ بكراع الغميم عند صلاة العصر، فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله لإناءٍ فشرب وامر الناسَ ان يفطروا، فقال قوم: قد توجّه النهار ولو صُمنا يومَنا هذا، فسمّاهم رسول الله صلى الله عليه وآله العصاة، فلم يزالوا يُسَمَّوْن

---

(١) سورة البقرة، آية (١٨٤).

بذلك الاسم حتى قُبض رسولُ الله ﷺ، وروى العياشي في تفسيره عن الإمام الباقر عليه السلام، والكليني في الكافي عن الإمام الصادق عليه السلام انه قال: «فمنْ شَهِدَ مِنكُم الشَّهرَ فَلْيَصُمْه، ما ابينَها، من شهد فليصمه، ومن سافر فلا يصُمْه».

٧٨٩٢ـ من الأساليب البليغة في القرآن الكريم انه سبحانه وتعالى اذا كان في معرض إظهار القوّة والقدرة والعظمة يأتي ـ غالباً ـ بضمير الجمع لأنّه ابلغ في الكلام وانسب للمقام كقوله في سورة يس: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا﴾، وقوله في سورة الاحزاب: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ﴾، وقوله في سورة الدخان: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ﴾، وقوله في سورة الحجر: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾﴾، وقوله في سورة القمر: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾. واذا كان في معرض اللطف والعطف والامتنان يأتي ـ غالباً ـ بضمير المفرد لأنّه ـ ايضاً ـ الأبلغ في الكلام والأنسب للمقام كقوله في سورة البقرة: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾، وقوله في سورة طه: ﴿لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾، وقوله في نفس السورة: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾، وقوله في نفس السورة: ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ﴿١٣﴾ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿١٤﴾﴾.

٧٨٩٣ـ ورد في اسباب نزول قوله تعالى في سورة البقرة، الآية(١٨٦): ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ امورٌ ثلاثة:

الأوّل: إنّ اليهودَ قالوا لرسول الله ﷺ: «كيف يسمع ربُّنا دعاءَنا وانت تزعَمُ أنّ بيننا وبين السماء خمسمائة عام، وأنّ غُلظَ كلِّ سماءٍ كذلك؟» فأنزل الله هذه الآيةَ الكريمة.

الثاني: إنّ قوماً قالوا لرسول الله ﷺ: «أقريبٌ ربُّنا فنناجيه أم بعيدٌ فنناديه؟» فنزلت هذه الآيةُ المباركة.

الثالث: أنّ رسولَ الله ﷺ سمِع المسلمين في غزوة خيبر يدعون الله بأصواتٍ عالية فقال لهم ﷺ: «أيها الناس أربِعوا على انفسكم[1] فإنّكم لا تدعون اصمّاً ولا غائباً، إنّما تدعون سميعاً قريباً» فنزل قولُه تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى ...﴾. وربما كانت هذه الأمور مجتمعةً سبباً في نزول هذه الآية الشريفة، والله سبحانه وتعالى وهو العالم.

٧٨٩٤ـ قال الله تعالى في سورة غافر: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِى أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾، وقد قال الإمام زين العابدين عليه السلام في إحدى مناجاته لربّه عزّ وجل مشيراً إلى هذه الآية الكريمة: «فسمَّيتَ دعاءَك عبادةً وتركَه استكباراً وتوعَّدتَ على تركه دخولَ جهنّمَ داخرين»، وقال تعالى في سورة الفرقان، الآية (٧٧): ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ﴾. وقال رسول الله ﷺ: «الدعاءُ سلاحُ المؤمن، وعمودُ الدين، ونورُ السموات والأرض»، وقال ﷺ لأصحابه: «ألا ادلكم على سلاحٍ يُنجيكم من اعدائكم، ويَدِرُّ ارزاقَكم؟» قالوا: بلى يا رسول الله،

(١) أربعوا على أنفسكم: توقفوا.

فقال ﷺ: «تدعون ربّكم بالليل والنهار فإنّ سلاحَ المؤمن الدعاء»، وقال ﷺ: «ادفعوا امواجَ البلاء بالدعاء» وقال ﷺ: «افضلُ العبادة الدعاء، وإذا أذِن الله لعَبدٍ في الدعاء فتح له أبوابَ الرحمة، إنّه لن يهلِكَ مع الدعاء احد». وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «الدعاءُ مفاتيحُ النجاح ومقاليدُ الفلاح، وخيرُ الدعاء ما صدر عن صدرٍ نقيّ وقلبٍ تقيّ» وقال عليه السلام: «والدعاءُ مخُّ العبادة»، وقال عليه السلام: «الدعاءُ تِرْسُ المؤمن، ومتى تكثِرُ قرعَ الباب يُفتَحُ لك» وقال الإمام الباقر عليه السلام: «لا يَدفع القضاءَ إلا الدعاء». وقال الإمام الصادق عليه السلام: «إنّ الدعاءَ يرُدّ القضاء المبرم وقد أبرِم إبراماً، فأكثِر من الدعاء فإنّه مفتاحُ كلّ رحمة، ونجاحُ كلّ حاجة، ولا يُنال ما عند الله إلا بالدعاء، فإنّه ليس من بابٍ يُكثَرُ قَرْعُه إلا أوشك أن يُفتحَ لصاحبه». والآثارُ والنصوصُ في اهميّة الدعاء تجاوزت حدَّ الإحصاء.

٧٨٩٥ـ الفرق بين الفرضِ والواجب أنّ الفرضَ يختصّ بما أوجبه الله على عباده في كتابه فيقال: هذا ما فرضه الله. والواجب يُطلق على ما هو أعمّ من ذلك توجبه السّنةُ الشريفة أو العقلُ السليم أيضاً فيقال: هذا ما اوجبه الله أو ما اوجبته السُّنّة أو ما اوجبه العقل. ولا يُقال: هذا ما فرضته السُّنّة أو فرضه العقل.

٧٨٩٦ـ الفعل «شرى» يأتي بمعنى باع وبمعنى اشترى فهو من الأضداد، وقد استعمل في القرآن الكريم بكلا المعنيين، فمن الأوّل قولُه تعالى في سورة البقرة، الآية (٢٠٧): ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ أي من باع نفسه ابتغاء مرضاة الله. ومن الثاني قولُه في سورة يوسف، الآية (٢٠): ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾ أي واشتروه بثمن بخس.

٧٨٩٧- قال الشاعر:

ومن العجائب أن اكونَ مسائلاً عن حاضرٍ لا زلتُ اصحَبُه معي

٧٨٩٨- قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾﴾ فيه مطالبُ مهمّة:

الأوّل: قولُه: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ يشير إلى أنّ الناسَ كانوا في دورهم الأوّل - وبالتحديد ما قبل نوح عليه السلام - متفقين على أمور بسيطة تنسجم مع الفِطرة الإنسانيّة والطبيعية البشريّة، وعلى اكتساب وسائل العيش بالطرق الأوّليّة، ولم يقع بينهم اختلافٌ كبيرٌ في القضايا الدينيّة بحيثُ يجعل منهم أمماً ومِللاً متعدّدة، وقد روي عن الإمام الباقر عليه السلام في تفسير هذه الآية الكريمة أنّه قال: «كانوا قبل نوح امّةً واحدة لا مهتدين ولا ضُلالاً فبعث الله النبييّن»، فلم يكونوا مهتدين بشريعة الله ولا ضالّين عنها لعدم وجودها واضحةً بينهم. بل كانوا على الفطرة الأوّليّة التي فطر الله الناسَ عليها، وكانوا يؤمنون غريزيّاً بوجود الخالق العظيم، ويعملون بما يقتضيه هذا الإيمانُ الغريزيّ وبما تقتضيه هذه الفِطرة الأوّليّة دون المعرفة التفصيليّة بقوانين الدين ونواميس الشريعة، ويدلّ على ذلك كثيرٌ من النصوص الواردة عن الأئمة المعصومين عليهم السلام، من ذلك ما روي عن مسعدة بن زياد أنه سأل الإمامَ اباعبد الله الصادقَ عليه السلام عن الناس في ذلك الوقت أضُلّالاً كانوا أم على هدًى؟ فقال عليه السلام: «لم يكونوا على هدًى، كانوا على فِطرة الله التي

فطرهم عليها لا تبديل لخلق الله، ولم يكونوا ليهتدوا حتى يهديَهم الله، الم تسمع لقول إبراهيم: ﴿لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ﴾[1] أي ناسياً للميثاق».

الثاني: قولُه: ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ يدُلّ على أنّ الفِطرَة وحدها والعقلَ وحده لا يكفيان لتحقيق التكامل والارتقاء للإنسان، بل لا بدّ له في سبيل الحصول على هذه السعادة الكبرى من توجيهٍ إلهيٍّ كريم يأخذ بيد الناس إلى ما فيه خيرُ الدنيا والآخرة ويهديهم إلى صراطٍ مستقيم، ويزيل عن عقولهم ما تراكم عليها من ظلمات وشبهات واوهام. وقد صوّر لنا الإمام أميرُ المؤمنين عليه السلام هذه الحقيقةَ الناصعة ابلغَ تصوير في إحدى خطبه الشريفة حيثُ يقول بعد ذكر آدم عليه السلام: «واصطفى سبحانه من ولده أنبياء اخذ على الوحي ميثاقَهم وعلى تبليغ الرسالة امانتَهم، لَمّا بدّل اكثرُ خلقه عهدَ الله إليهم فجهِلوا حقَّه واتّخذوا الأندادَ معه، واجتالتهم الشياطينُ عن معرفته، واقتطعتهم عن عبادته، فبعث الله فيهم رسلَه وواتر إليهم انبياءَه ليستأدوهم ميثاقَ فِطرته، ويذكّروهم منسيَّ نعمته، ويحتجّوا عليهم بالتبليغ، ويثيروا لهم دفائنَ العقول».

وإنما قدّم سبحانه في هذه الآية ـ وفي كثير من الآيات ـ البشارةَ على الإنذار لأنّ رحمتَه سبقت غضبَه، وقد يقدّم الإنذارَ على البشارة في آياتٍ أخرى مراعاةً لحال المكلّفين فإنّ الإنذار يدفعهم إلى الطاعات أكثر من البشارة. فهذه الآيات الكريمة ـ على اختلافها في التقديم والتأخير ـ تجمع بين ما هو مقتضى شأنه عزّ وجل وبين ما هو مقتضى شأن العباد.

---

(١) سورة الانعام، آية (٧٧).

الثالث: قوله: ﴿وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾ اراد جنس الكتاب. ولا يلزم من قوله هذا أنّ كلَّ نبيّ أنزل معه كتاب، بل المراد أنّ الأنبياءَ جميعاً يحكمون بما أنزل الله في كتبه، فمنهم من نزل عليه الكتاب كنوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله عليهم، ومنهم من دعا إلى ما أنزل على غيره. وقوله: ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ يمكن أن يكون متعلّقاً بالكتاب، ويمكن أن يكون متعلّقاً بالنزول، ويمكن أن يكون متعلّقاً بالاثنين فهما متلازمان لا ينفكّ احدهما عن الآخر.

الرابع: قوله: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾ يدُلّ على أنّ الاختلافَ في الدين إنما حصل من الذين اوتوا الكتاب، وغيرُهم تبعٌ لهم وأنّ هذا الاختلاف حصل منهم بعد أن جاءتهم البيّنات و ظهرت لهم الآيات وقامت عليهم الحجج، وهذا هو عين البغي والانحراف والضلال. فالدينُ الإلهيّ والكتاب السماويّ لا يوجبان الخلافَ بين الناس ولكنّ بعضَ حمَلَة الكتاب والعالمين به يختلفون فيهب غياً بينهم فيكون ذلك سبباًلاختلاف الناس وانقسامِهم وابتعادِهم عن الدين القويم والصراط المستقيم.

الخامس: قوله: ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ يدُلّ على أنّ الله سبحانه لا يدَع دينَه بيد هؤلاء البُغاة يختلفون فيه ويصُدّون عنه بل إنّه جلّت قدرتُه يفيّض من عباده المؤمنين الأبرار مَن يمُدّهم برعايته وعنايته ويفيض عليهم من لطفه وهدايته، لعلمه بإيمانهم وإخلاصهم، فيحفظ بهم دينَه من الاختلاف والانحراف، والله يهدي من يشاء إلى صراطٍ مستقيم.

٧٨٩٩ـ الفعل المضارع «يَذَرُون» وكذلك: «يَدَعون» معناهما:

«يتركون» وليس لهما ماض من لفظهما، وماضيهما «ترك».

٧٩٠٠ـ الرجاء والأمل: من الصفات الأخلاقيّة العالية والملكات النفسيّة الرفيعة، وبهما ينال الإنسانُ السعادةَ في الدنيا والآخرة، ولولاهما لضاقت الدنيا بأهلها، ولأصبح العيشُ فيها جحيماً لا يُطاق، قال الشاعر:

اعلّل النفسَ بالآمال ارقُبُها ما اضيقَ العيشَ لولا فسحةُ الأملِ

وقال الآخر:

أمانيُ إن تحصلْ تكنِ غايةَ المنى وإلاّ فقد عِشنا بها زمناً رغَدا

والاعتماد على الأماني وحدها دون المثابرة والسعي والعمل يوجب الضَّياعَ والخسران، وقد ورد في الحديث الشريف: «الأماني بضائع النوكى» أي الحمقى، وقال الشاعر:

إنّ التمنّي رأسُ مال المُفلسِ

ولا بدّ للمؤمن من الموازنة بين الرجاء والخوف إذ الرجاء وحده قد يثبّطه عن العمل والإجتهاد أو يجرّه إلى الأمن من مكر الله ونقمته فيخسر الدنيا والآخرة وذلك هو الخسران المبين قال تعالى في سورة الاعراف، الآية (٩٩): ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾. كما أنّ الخوفَ وحده قد يوقع الإنسانَ في القُنوط والياس ويورده موارد الكفر والضلال قال تعالى في سورة الحِجر: ﴿فَلَا تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴿٥٦﴾﴾، وقال في سورة يوسف، الآية (٨٧): ﴿وَلَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾.

والمؤمن الحق هو الذي يتعادل عنده الرجاء والخوف ويكونان له بمنزلة الجناحين يحلّق بهما إلى الدرجات العُلى في الدنيا والآخرة، ويكون من الذين قال الله تعالى عنهم في سورة الإسراء، الآية (٥٧): ﴿يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ وذلك هو الفوز العظيم.

والرجاء والخوف لا يتحققان إلا بالعمل، ومع عدمه يكونان من الأماني الكاذبة والغرور الباطل قال الله تعالى في سورة البقرة، الآيــة(٢١٨): ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ﴾، وقال في سورة الكهف، الآية (١١٠): ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾، وقال الإمام الصادق عليه السلام: «لا يكون المؤمنُ مؤمناً حتى يكونَ خائفاً راجياً، ولا يكونُ خائفاً راجياً حتى يكونَ عاملاً لِما يخاف ويرجو»، وقال أيضاً: «مَن رجا شيئاً عمِل له، ومَن خاف شيئاً هرَب منه».

٧٩٠١- روي عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: «إذا زالت الشمس فُتحت أبوابُ السماء وابوابُ الجنان، واستُجيب الدعاء، فطوبى لِمن رُفع له عند ذلك عملٌ صالح». ولعلّ هذا الفضل لهذا الوقت هو الذي جعل لصلاة الظهر ميزةً على بقيّة الصلوات اليوميّة، وهي «الصلاةُ الوسطى» التي تأكّدت المحافظة عليها أكثر من غيرها بقوله تعالى في سورة البقرة، الآية (٢٣٨): ﴿حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾﴾ كما هو المشهور بل نُقل الاجماع عليه عند الإماميّة وهو المرويّ عن أهل البيت عليهم السلام، وهي التي سمّاها أميرُ المؤمنين عليه السلام بصلاة الأوّابين، وهي التي تقع في وسط النهار، وهي أوّلُ صلاةٍ

فرضها الله على المسلمين، وهي أوّلُ صلاةٍ ذكرها الله في القرآنِ الكريم بقوله في سورة الإسراء: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾﴾ ودلوكُ الشمس زوالُها.

وهناك أقوال أخرى في «الصلاة الوسطى» مرويّةٌ عن بعض الصحابة وعن مذاهب العامة، فقال بعضهم: إنّها «صلاةُ الصبح» لأنّها وسطٌ بين فرائض الليل «المغربِ والعشاء» وفرائض النهار «الظهرِ والعصر»، وتشهدها ملائكةُ الليل وملائكةُ النهار كما قال تعالى في سورة الإسراء: ﴿إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾، ولأنّ القيامَ إليها من النوم فيه مشقةٌ وعناء. وقال آخرون: إنّها «صلاةُ العصر» لأنّها وسطٌ بين صلاتيْن نهاريّتيْن وهما «الصبحُ والظهر» وبين صلاتين ليليتين وهما «المغربُ والعِشاء»، ورووا ذلك عن رسول الله ﷺ وعن أمير المؤمنين عليه السلام كما عن الترمذي ومسلم وابي داود. وقال غيرهم: إنّها «صلاةُ المغرب» لأنّ عددَ ركعاتها وسطٌ بين الركعتيْن في الصبح والأربع ركعات في الظهر والعصر والعِشاء، ولأنّها تقع وسطاً بين صلاتي جهر وهما «العِشاءُ والصبح» وصلاتي إخفات وهما «الظهرُ والعصر». وقيل: إنّها «صلاةُ العِشاء» لأنّها تقع بين صلاتيْن لا تُقصَران في السفر وهما «المغربُ والصبح».

٧٩٠٢ـ روى العياشي في تفسيره عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «لَمّا نزلت هذه الآية: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا﴾[1] قال رسول الله ﷺ: «ربِّ زِدني» فأنزل الله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾[2] فقال رسول الله ﷺ: «ربي زدني»، فأنزل الله: ﴿مَّن ذَا

(١) سورة النمل، آية (٨٩).
(٢) سورة الانعام، آية (١٦٠).

﴿ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافًا كَثِيرَةً﴾(١).

٧٩٠٣- روي عن نبيّنا الأعظم ﷺ أنه قال: «لا تتمنّوا لِقاءَ العدو، وسَلُوا الله العافية، فإذا لقيتموه فاثبتُوا».

٧٩٠٤- روي: أنّ بني اسرائيل سألوا موسى عليه السلام عن اسم الله الأعظم فقال لهم: «اياهيّا شراهيّا» يعني: «يا حيّ يا قيّوم».

٧٩٠٥- روى الشيخ المفيد رحمه الله في أماليه عن ابي بصير قال: سمعتُ أبا عبد الله عليه السلام يقول: «لم يزلِ الله جلّ اسْمُه عالماً بذاته ولا معلوم، ولم يزلْ قادراً بذاته ولا مقدور»، قلتُ: جُعلت فِداك فلم يزلْ متكلماً؟ فقال عليه السلام: «الكلام محدَث، كان الله عزّ وجل وليس بمتكلّم ثم احدث الكلام». ومن هذا الحديث وامثالِه يظهر أنّ الكلامَ من صفات الفعل وليس هو من صفات الذات. ومما يدُلّ على أنّه من صفات الفعل أنه يصحّ إطلاقه على الله تعالى - في حالتي الثبوت والسلب - قال الله تعالى في سورة النساء، الآية (١٦٤): ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا﴾، وقال في سورة آل عمران، الآية (٧٧): ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ﴾، فهو كالهداية والإرادة والمحبّة وغيرِها من صفات الفعل التي يصِحّ إطلاقها عليه عزّ شأنه إثباتاً وسلباً، وليس هو كالعلم والقدرة والحكمة وغيرِها من صفات الذات التي تثبت لله عزّ وجل ولا تُسلب عنه في ايّ حالٍ من الأحوال.

٧٩٠٦- روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أبيتُ عندِ ربّي يُطعمني ويسقيني لا يشاركني فيه ملكٌ مقرّب ولا نبيٌّ مرسَلٌ»، فما

---

(١) سورة البقرة، آية (٢٤٥).

اعظمَ هذا الحب، وما اكرمَ هذا القرب، إنّها واللهِ مرتبةٌ تتقاصر دونها المراتب، ومنزلةٌ تتضاءل أمامها المنازل، وهي تليق بحبيب الله ومُصطفاه سيّدِ الأنبياء والمرسلين واشرفِ الأوّلين والآخِرين صلى الله عليه وآله وسلم..

٧٩٠٧ـ يُقال عن صفات الله العليا إنّها صفاتُ جمالٍ وصفاتُ جلال، والمقصود من الصفات الجماليّة: الصفاتُ الثبوتيّة، والمقصود من الصفات الجلاليّة: الصفاتُ السلبيّة. ويظهر من روايات المعصومين عليهم السلام وكلماتِ العلماء قدّس الله اسرارهم أن الصفاتَ الثبوتيّة ترجِع إلى معنًى سلبيٍ أيضاً، فمعنى الحيّ: أنّه لا يموت، ومعنى القدير: أنّه لا يُعجزه شيء، ومعنى العليم: أنّه لا يخفى عليه شيء ولا يعزُب عن علمه مثقالُ ذرّةٍ في الأرض ولا في السماء، ومعنى القيّوم: أنّه لا تأخذه سِنةٌ ولا نوم، ومعنى السميع: أنّه لا تخفى عليه المسموعات، ومعنى البصير: أنّه لا تخفى عليه المرئيّات، ومعنى الواحد الأحد: أنّه لا شريك له، وهكذا...

٧٩٠٨ـ قولُه تعالى في سورة الانعام، الآية (١٥٣): ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ يشير إلى أن سبيل الهدى واحد، وهو الحق الذي من تمسّك به نجا ومن تخلف عنه هلك، وأمّا سبل الضلال فهي كثيرةٌ لا تكاد تُحصى. وإلى هذا المعنى أيضاً يشير قولُه تعالى في سورة البقرة، الآية (٢٥٧): ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ فالنور هو سبيل الحق والهدى ـ وهو واحد ـ، والظلمات هي سُبُل الباطل والضلال ـ وهي كثيرة ـ.

٧٩٠٩ـ يمكن حملُ قوله تعالى في سورة البقرة، الآية (٢٥٦): ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ على معنيين مهمّين يقوم على اساسهما الإسلام.

الأوّل: نفيُ الجبر والإكراه في أصل العقيدة، فلا يُقبل من الإنسان دينُه إلا إذا بُني على الاقتناع والاختيار دون إكراهٍ أو إجبار، وهو ـ على هذا المعنى ـ يَدحض مذهبَ الجبريّة الذي يمثله قولُهم المعروف: «قال الحائط للوتد: لِمَ تَسقّني؟ فقال الوتد: سلِ الذي يدُقّني». وليس معنى هذا أنّ الآية تُعطي للناس حريّةَ الكفر والإشراك بل إنها تقرّر حقيقةً مهمّة وهي: أنّ الإيمانَ الذي يحقّق لصاحبه السعادةَ الكبرى في هذه الحياة والحياة الأخرى يجب أن يرتكزَ على القناعة والاطمئنان لا على الجبر والإكراه كما قال تعالى في سورة النحل، الآية (١٠٦): ﴿وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾، ولعلّ قولَه تعالى بعد ذلك مباشرةً: ﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾ يؤيّد ويؤكّد هذا المعنى.

الثاني: إثبات قاعدة فقهيّة وهي: عدمُ صِحّة المعاملات والعقود والإيقاعات وعدمُ ترتّب الأثر عليها إذا وقعت على نحو الإكراه، وذلك كقوله ﷺ: «لا ضرر ولا ضِرار في الإسلام»، ويُحتمل أن يكون قولُه ﷺ: «رُفع عن امتي ما أكرِهوا عليه» مقتبَساً من هذه الآية الكريمة. والمعنى الأوّل هو الأظهر والأشهر بين المفسّرين.

٧٩١٠ـ إنما قدّم الكفرَ بالطاغوت على الإيمان بالله في قوله تعالى في سورة البقرة، الآية (٢٥٦): ﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ﴾ لِما تقرّر في علم الأخلاق من أنّ التخليةَ من الرذائل مقدّمةٌ على التحليةِ بالفضائل.

٧٩١١ـ استعمل القرآن الكريم جمعَ القِلّة وجمعَ الكثرة لكلمة

«سنبلة»، فالأوّل قوله تعالى في سورة يوسف، الآية (٤٣): ﴿وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ﴾، والثاني قوله تعالى في سورة البقرة، الآية (٢٦١): ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ﴾.

٧٩١٢ـ روي عن النبيّ ﷺ أنّه قال: «ما من بيتٍ ليس فيه شيءٌ من الحكمة إلا كان خراباً، ألا فتعلّموا وتفقّهوا ولا تموتوا جُهّالا».

٧٩١٣ـ يُستحب في الواجبات الإعلانُ والإظهار، ويُستحب في المندوبات الإخفاءُ والإسرار، قال الإمام الصادق عليه السلام: «كلّ ما فرض الله عليك فإعلانه أفضلُ من إسراره، وما كان تطوّعاً فإسراره افضلُ من إعلانه». وسئل الإمام الباقر عليه السلام عن قوله تعالى في سورة البقرة، الآيـة(٢٧١): ﴿إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ﴾ فـقـال: «هـي الـزكـاة المفروضة» ثم سُئل عن قوله بعدها: ﴿وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ فقال: «هي النافلة» أي الصدقات المستحبّة.

٧٩١٤ـ إنّ الله تعالى يحبّ من عباده الذي يُلِح في سؤاله منه، ويبغض منهم الذي يُلِح في سؤاله من الناس، جاء في الحديث الشريف: «أنّ الله يُحبّ الإلحاحَ في الدعاء»، وجاء في الذكر الحكيم في صفة الفقراء المؤمنين: ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾[1] أي: إلحاحاً. وقال الإمام الباقر عليه السلام: «إنّ الله يبغض الملحِف» وهو الذي يُلحّ في سؤاله من الناس، وقال أيضاً: «والله لا يُلحّ عبدٌ مؤمنٌ على الله عز وجل في حاجته إلا قضاها له»، وقال الإمام الصادق عليه السلام: «إن الله عزّ وجل كرِهِ إلحاحَ الناس بعضهم على بعض في المسألة، واحبّ

(١) سورة البقرة، الآية (٢٧٣).

ذلك لنفسه، إنّ الله عزّ وجل يحب أن يُسأل ويُطلبَ ما عنده».

٧٩١٥ـ قال أمير المؤمنين عليه السلام يصف ابناء عصره، وهي صفةٌ تنطبق على الناس في كلّ العصور: «اضربْ بطرْفك حيثُ شئتَ من الناس هل تُبصر إلا فقيراً يكابد فَقْراً، أو غنيّاً بدّل نعمةَ الله كُفراً، أو بخيلاً اتخذ البخلَ بحقّ الله وَفراً، أو متمرّداً كأنّ به عن سمع المواعظ وَقْراً».

٧٩١٦ـ للعلم خصائصُ كثيرةٌ تميّزه عن غيره من الأشياء نذكر منها هذه الأُمور:

الأوّل: كلُّ شيء إذا انفقتَ واعطيت منه فإنّه ينقص إلا العلم فإنّه كلّما انفقتَ واعطيتَ منه يَزيد ويتّسع، وفي هذا المعنى يقول أمير المؤمنين عليه السلام في المفاضلة بينه وبين المال: «المالُ تُنقصه النفقة والعلمُ يزكو على الإنفاق»، ويزكو: بمعنى يربو وينمو ويَزيد. وعلى: بمعنى مع.

الثاني: كلُّ الأشياء يحرُسها الإنسانُ ويحميها من التلف والضّياع إلا العلم فإنّه هو الذي يحمي الإنسانَ ويَقيه من المخاطر والضلال، ويرفعه إلى اوج العِزّة والكمال، وفي هذا المعنى يقول أمير المؤمنين عليه السلام في المقارنة بينه وبين المال: «العلمُ يحرُسك وانت تحرُس المال».

الثالث: كلُّ وِعاءٍ إذا امتلأ وزاد عن حدّه يضيق بما فيه إلا العلم فإنّ وِعاءَه يتّسع باتّساعه ويَزيد بزيادته، وفي هذا المعنى يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «كلُّ وِعاءٍ يضيق بما فيه إلا وعاءُ العلم فإنّه يتّسع».

الرابع: من السُّنن الطبيعية في المجتمع أنّ الشيءَ إذا زاد وكثُر انخفضتْ قيمتُه وقلّتْ اهميّتُه، وإذا قلّ غلتْ قيمتُه وعلتْ اهميّتُه إلا

العلم فإنّه كلّما زاد وكثُر عزّتْ مكانتُه وارتفعتْ منزلتُه، وفي هذا المعنى يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «كلُّ شيءٍ يعزّ إذا نزُر ما خلا العلمَ فانّه يعزّ اذا غَزُر» وقد اخذت هذا المعنى ونظمته ببيتٍ من الشعر وهو:

كـلُّ شـيءٍ إنْ قـلَّ عـزَّ سـوى العـلم فـإن زاد كـان أكـثرَ عِـزّاً

٧٩١٧ـ روي عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنه قال: «يأتي على الناس زمانٌ لا يبقى أحدٌ إلا أكل الربا، ومَن لم يأكلِ الربا اصابه غُبارُه».

٧٩١٨ـ إنّ المجتمعَ الذي يعتمد في معاملاته التجاريّة وشؤونه الاقتصادية على الربا يفقِد اهمَّ مقوّمات الحياة السعيدة التي تفيض بالخير والرحمة والطمأنينة والهناء، ويكون هدفُ الجميع فيها هو ابتزازُ الأموال واكتنازُها بعيداً عن الأخلاق الفاضلة والمُثُلِ العُليا، فتضطرب المقاييسُ وتختلّ الموازين، ويعيش الناسُ حياةَ الجشع والطمع والتكالبِ على الحُطام، وتتفشّى فيهم الرذيلةُ وحبُّ الانتقام، فلا يخرج الإنسانُ من مشكلةٍ إلا ويقع في أخرى، ولا ينجو من فادحةٍ إلا ويبتلي بما هو اشدُّ منها، فهو حليفُ القَلَق في النهار وقرينُ الأَرَق في الليل. وقد صوّر الله سبحانه هذه الحالةَ الاجتماعيّةَ المضطربةَ اروعَ تصوير وعبّر عنها بأبلغ تعبير حيثُ يقول في سورة البقرة، الآية (٢٧٥): ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾. والأموال التي تتكدّس عند الأفراد بواسطة الربا لا يبارك الله فيها ولا تعود على المجتمع إلا بالشرّ والوبال، ونحن نشاهد اليوم كيف أنّ هذه الأموال المتراكمة في خزائن الدول أو الأفراد لم تحقّق للناس الخيرَ والمحبّةَ والهناء بل جلبت لهم التناحرَ والتنافسَ والشقاء، وصدق الله حيثُ يقول في سورة البقرة، الآية (٢٧٦): ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ

ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ﴾. فليس العِبرةُ بكثرة المال إنّما العِبرةُ بما يترتّب على هذا المال من النفع العام ومن تحقيق المصالح الحقيقيّة للفرد والمجتمع، وإلى هذا المعنى يشير قولُه تعالى في سورة التوبة، الآية(٥٥): ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾. وأيُّ عذابٍ في الدنيا اشدُّ ممّا يلقاه الناسُ في عالمنا المعاصر ـ وفي ظلّ الأنظمة الاقتصادية الفاسدة ـ من بلاءٍ وعناءٍ وشقاءٍ يكاد يهوي بالبشرية كلِّها إلى هُوّة الفناء والدمار، ولا نجاةَ لها من هذه الكارثة الرهيبة إلا بالرجوع إلى الله، والسيرِ على نهجه وهُداه.

٧٩١٩ـ يُستفاد من قوله تعالى في سورة البقرة، الآية (٢٨٢): ﴿وَٱسْتَشْهِدُوا۟ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ﴾ شروطٌ ثلاثة يلزم أن تتوفّرَ في الشاهد، وهي مستفادة من كلمة ﴿رِّجَالِكُمْ﴾.

الأوّل: الذكور، فلا تصِحّ شهادة النساء إلا في حالاتٍ خاصّةٍ منصوصٍ عليها.

الثاني: البلوغ، فلا تصِحّ شهادة الصبيان.

الثالث: الإسلام، فلا تصِح شهادة الكافرين.

أمّا الشرط الرابع وهو «الوثاقة والعدالة» فيدُلّ عليه قولُه تعالى في نفس الآية الكريمة: ﴿مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ﴾.

٧٩٢٠ـ يُحتمل في قوله تعالى في سورة البقرة، الآية (٢٨٢): ﴿وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ معنيان:

الأوّل: لا يجوز للكاتب أن يوقعَ الضررَ بأحد الطرفيْن «الدائن أو المدين» بالتحريف، كما لا يجوز للشاهد أن يوقعَ الضررَ بأحدهما

بشهادة الزور.

الثاني: لا يجوز للطرفيْنِ أن يوقعا الضررَ بالكاتب أو الشاهد بسبب الكتابة أو الشهادة.

وربّما تنهى الآية الكريمة عن مطلق المُضارّة بين جميع الأطراف ـ بالمعنييْنِ المذكوريْن ـ إذْ «لا ضررَ ولا ضِرارَ في الإسلام».

٧٩٢١ـ مما قلته في موالاة أهل البيت عليهم السلام ومعاداةِ اعدائهم:

ضلالٌ ليس يعدِله ضلالٌ   موالاةُ الطغاةِ الجائرينا
واكثرُ منه معصيةً وذنباً   معاداةُ الهداةِ الطاهرينا

وإنما صار معاداةُ أهل البيت النبوّي الطاهر أكثرَ معصيةً وذنباً من موالاة اعدائهم لأنّ معاداتَهم نَصْبٌ، والنواصبُ صنفٌ من أصناف الكفرة، بل هم اسوؤُهم حالاً واتعسُهم مآلاً، ولن يتِمَّ ايمانُ العبد حتى يواليَ أولياءَ الله «الهداةَ الطاهرين»، ويعادي أعداءَ الله واعدائَهم «الطغاةَ الجائرين»، وصدق الشاعر حيثُ يخاطب أهل البيت عليهم السلام:

وابرأ ممّن يعاديكُمُ   فإنّ البراءةَ شرطُ الولا

٧٩٢٢ـ إذا زكتِ النفس وطهُر القلب وتجرّدا عن الشهوات والشبهات كان صاحبُ تلك النفس وصاحبُ ذلك القلب جديراً بالفيوضات الإلهيّة، واهلاً للعلوم الربّانيّة، ومحلاً قابلاً لإفاضة الأنوار القُدسيّة. وقد اشارت بل صرّحت الآياتُ الكريمة والأحاديثُ الشريفة بهذه الحقيقة فقال سبحانه في سورة البقرة، الآية (٢٨٢): ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ فجعل التقوى عِلّةً للعلم الذي يُفيضه الله على مَن يشاء من عباده الصالحين، وقال في سورة الحديد،

الآية (٢٨): ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾، وما هذا النور الذي يجعله الله لعباده المتقين إلا ذلك العلمُ الذي يضيء لهم الطريق ويَهديهم إلى سواء السبيل، كما جاء في الحديث الشريف: «العلمُ نورٌ يقذِفه الله في قلب مَن يشاء»، وجاء حديث آخر: «ليس العلمُ بكثرة التعليم والتعلّم وإنّما هو نورٌ يقذِفه الله في قلب من يشاء». وإلى هذا المعنى الجليل يشير الإمام الشافعي بقوله:

شكوتُ إلى وكيع سوءَ حفظي ... فأرشدني إلى ترك المعاصي
وأخبرني بأنّ العلمَ نورٌ ... من الرحمن لا يُؤتاه عاصي

وصدق الله تعالى حيثُ يقول في سورة النور، الآية (٣٥): ﴿يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾.

٧٩٢٣ـ كلمة «التوراة» عبرانيّة ومعناها: الشريعة، وتُطلق على العهد القديم المنزل على موسى ﷺ، والمتكوّن الآن من الأسفار الخمسة وهي: سِفر التكوين، وسِفر التثنية، وسِفر الخروج، وسِفر اللاويّين ـ أي الأحبار ـ، وسِفر العدد. وهي في اصلها ـ قبل التحريف ـ كتابُ حقٍ وهدى كما قال تعالى في سورة المائدة، الآية (٤٤): ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾.

أمّا كلمة «الإنجيل» فهي يونانيّة ومعناها: البُشرى بالخلاص، وتُطلق على العهد الجديد المنزل على عيسى ﷺ، والمتكوّن الآن من الأناجيل الأربعة وهي: انجيل لوقا، وإنجيل مرقس، وإنجيل متّى، وإنجيل يوحنا. وهو في اصله ـ قبل التحريف ـ كتابُ حقٍّ وهدى كالتوراة التي قبله والقرآنِ الذي بعده كما قال تعالى في سورة المائدة،

الآية (٤٦): ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾.

٧٩٢٤- يجب على من يَرجع إلى الأحاديث الواردة أن ينظرَ إليها نظرَ تحقيقٍ وتمحيصٍ وإحاطة حتى لا يقعَ في الفهم الخاطئ لمفاد تلك الأحاديث، كما حصل لكثيرٍ ممن نظر إليها نظراً عابراً بغير وعيٍ وتدبُّر فوقعوا في الفهم الخاطئ، ونذكر من ذلك مثالَيْن:

الأوّل: احتجَّ المجسِّمة على عقيدتهم الفاسدة بقول النبيّ ﷺ: «إنّ الله خلق آدمَ على صورته» وأرجعوا الضميرَ في «صورته» إلى الله عزّ وجل، مع أنّ التدبّرَ في تفصيل هذا الحديث ينفي هذا التصوّر حيثُ رويَ: أنّ رجلاً سب شخصاً بحضور النبيّ ﷺ وقال له: قبّح الله وقبّحك مَن على صورتك، فقال له النبيّ ﷺ: «لا تقل هكذا فإنّ الله خلق آدم على صورته» أي أنّ الله خلقَ آدمَ وذريّته على صورة هذا الشخصِ الذي تسُبّه، فيكون سَبُّه سبّاً لآدمَ وجميع ذريّته.

الثاني: قال بعض علماء العامة: إنّ الميّتَ يُعذَّب في قبره ببكاء اهله عليه، واحتجّوا على ذلك بقول النبيّ ﷺ: «الميّت يُعذّب في قبره واهلُه يبكون عليه»، مع أنّ التدبّرَ في تفصيل هذا الحديث ينفي هذا التصوّر حيثُ روي: أنّ النبيَّ ﷺ مرّ على قومٍ يبكون على قبر ميّتهم فقال ﷺ: «الميّتُ يُعذّب في قبره واهلُه يبكون عليه» أي أنّ الميّتَ كان من العُصاة وهو يُعذّب في قبره بسبب معاصيه واهلُه يبكون عليه، وليس المراد أنّه يُعذّب بسبب بكاء أهله عليه.

٧٩٢٥- روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الإنسانُ بُنيانُ الله ولعن الله من يهدم بنيانَ الله عزّ وجل».

٧٩٢٦- قال ابو الفتح البُستي:

سرورُكَ بالدنيا غرورٌ فلا تكنْ
بدنياك مسروراً فتُصبِحُ مغرورا
ولا تأمنِ الأحداثَ واخْشَ بياتَها[1]
فكم نسفتْ دوراً وكم كسفتْ نورا

٧٩٢٧- قال البستي:

عَفاءٌ على هذا الزمان فإنّه زمانُ عقوقٍ لا زمانُ حقوقِ
فكلُّ رفيقٍ فيه غيرُ موافقٍ وكلُّ صديقٍ فيه غيرُ صَدوقِ

٧٩٢٨- قال البُستي:

فَدَى الذي نادمني ليلةً راحاً وقد صُبّت اباريقُهُ
سألتُ ورداً فأبى خدُّه ورمتُ راحاً فأبى ريقُهُ

٧٩٢٩- قال البستي:

دعوني ونفسي في عَفافي فإنّني
جعلتُ عَفافي في حياتيَ ديدني
وأعظمُ من قطع اليديْن على الفتى
صنيعةُ بِرٍّ نالها من يدِيْ دني

٧٩٣٠- قال البُستي:

ما جهلَ الإنسانَ بالدنـ يا واعجبَ امرَهُ
أضحى يشيّد قصرَهُ والموتُ يهدِم عمرَهُ

---

(١) بياتها: مجيئها ليلاً على حين بغتة.

٧٩٣١ـ قال البستي:

يا محبَّ النجاة اصغِ لقولي تلقَ خيراً وتنجُ من كلّ مقْتِ
كلُّ وقتٍ لديك لله نُعمى فلتكن شاكراً له كلَّ وقْتِ

٧٩٣٢ـ قال البستي:

للمرء من شهوته آمرٌ مُغْرٍ ومن حكمته ناهي
والحرُّ من يهجُر ما يشتهي صيانةً للعِرض والجاهِ
ومن اراد الفوز فليعتقدْ حقّاً ويلبسْ ثوبَ أوّاهِ[1]
وليعرفِ الله بأفعالهِ وليعرفِ الأفعالَ بالله

٧٩٣٣ـ قال حُمَيْدُ بنُ ثور الجمّال الهلالي:

وفي الحقّ منجاةٌ وفي الناس راحةٌ وفي الأرض عن دار المذلّةِ مذهبُ

٧٩٣٤ـ قال عنترةُ بنُ شدّاد يصف أمّه السوداء:

وانّا ابنُ سوداء الجبين كأنّها ذئبٌ ترعرع في نواحي المنزلِ
الساقُ منها مثلُ ساق نَعامةٍ والشَّعرُ منها مثلُ حبّ الفُلْفُلِ

٧٩٣٥ـ كلمة «اللّهمّ» اصلها «يا الله» والميم المشدّدة عوض عن حرف النداء «يا»، ولا يجتمعان إلا في الاستعمالات الشاذة كقول احدهم:

إنّي إذا ما حدثٌ ألمّا اقول: يا اللهمّ يا اللهمّا

وقولِ الآخر:

وما عليكِ أن تقولي كلّما صلّيتِ أو سبّحتِ: يا اللهمَّ ما

---

(١) الأوّاه: الخاشع المتضرّع.

٧٩٣٦ـ صفة «الإحكام» في القرآن الكريم استُعملتْ في موردَيْن:

الأوّل: جاءت في وصف الكتاب الحكيم بصورةٍ عامّة، فهو- بجميع آياته ـ محكمُ الأسلوب والمضمون والإعجاز، متقنٌ في جميع أحكامه وتشريعاته ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾[1]. قال تعالى ـ في هذا المورد ـ في سورة هود: ﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾﴾.

الثاني: جاءت في وصف قسم من آيات الكتاب العزيز التي لا يشتبه على القارئ والسامع مُرادُها ومَفادُها، ولا يلتبس عليهما دلالتها، وهي في مقابل الآيات المتشابهات. قال تعالى ـ في هذا المورد ـ في سورة آل عمران، الآية (٧): ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾.

وصفة «التشابه» في القرآن الكريم استُعملتْ أيضاً في موردَيْن:

الأوّل: جاء في وصف الكتاب المجيد بصورةٍ عامّة، فهو ـ بجميع آياته ـ متشابهٌ في فصاحته وبلاغته وإعجازه، وفي روعة اسلوبه وجلالة معانيه وسمّو تعاليمه. قال تعالى ـ في هذا المورد ـ في سورة الزمر، آية:(٢٣): ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا﴾.

الثاني: جاءت في وصف قسم من آيات الكتاب الكريم التي تشتبه على القارئ والسامع معانيها ومَقاصدُها، وهي في مقابل الآيات المحكَمات. قال تعالى ـ في هذا المورد ـ في سورة آل عمران،

---

(١) سورة فصلت، الآية (٤٢).

الآيـــــة(٧): ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾.

٧٩٣٧ـ من المصطلحات القرآنيّة: إنّ مَن اعتقد بالله وآمن برسوله وبما جاء به من عند ربّه بقلبه ولسانه فهو «المؤمن»، ومَنْ تشهّد الشّهادتيْن بلسانه فهو «المسلم»، ومَن انكر وجود الله تعالى وانكر نبوة النبي ﷺ وانكر ضرورياً من ضروريات الإسلام فهو كافر»، ومَن اظهر الإيمان وابطن الكفرَ فهو «المنافق»، ومَن اظهر الكفرَ بعد الإيمان فهو «المرتد»، ومَن اشرك مع الله إلهاً آخرَ فهو «المشرك»، ومَن بقِيَ على أحد الأديان السابقة التي نسخها الإسلام فهو «الكتابيّ»، ومَن قال بقِدمِ الدهر واسند الحوادِثَ إليه فهو «الدهريّ»، ومَن لم يعتقدْ بالمبدأ والمعاد ولم يؤمنْ بربِّ العباد فهو «المعطّل» أو «الملحد».

٧٩٣٨ـ مادة «نزع» تأتي بمعنى إخراجِ الشيء وقلعِه عن محلّه كنزع الثوب عن البَدن ونزع الروح عن الجسد ونزع السهم عن الجسم. وتُستعمل في الماديات كقوله تعالى في سورة الاعراف، الآية (٢٧): ﴿يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا﴾، وفي المعنويّات كقوله تعالى في سورة الحجر: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ۝٤٧﴾.

٧٩٣٩ـ في قوله تعالى من سورة آل عمران، الآية (٢٧): ﴿وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾ معنيان:

أوّلُهما: خروجُ النباتات الحيّة من الأرض الميّتة، أو خروجُ البذرة الميّتة من النبتة الحيّة وخروجُ النبتة الحيّة من البذرة الميّتة. وكذلك خروج الحيوان الحيّ من البيضة الميّتة وخروجُ البيضة الميّتة من الحيوان الحيّ. وكذلك خروجُ الإنسان الحيّ من النطفة الميّتة وخروجُ

النطفة الميّتة من الإنسان الحيّ وهكذا...

ثانيهما: خروجُ المؤمن من صُلب الكافر وخروج الكافر في صلب المؤمن. وهذا المعنى الثاني هو تأويلُها الأعظم كما ورد في بعض الأخبار عن الأئمة الأطهارعليهم السلام. والقرآن الكريم يعتبر الإيمانَ بمنزلة الحياة والكفرَ بمنزلة الموت قال تعالى في سورة الانعام، الآيـــة(١٢٢): ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ﴾.

٧٩٤٠ـ قيل: إنّ ابا دلف لكثرة عطائه وسخائه ركِبَتْه ديونٌ كثيرة فدخل عليه رجلٌ فقال له:

ايا ربَّ المنائحِ[1] والعطايا ويا طلْقَ المُحَيّا واليديْنِ
لقد خُبِّرتُ أنّ عليك دَيناً فزِدْ في رقم دَينك واقضِ دَيني

فأعطاه ما يكفي لقضاء دَينه.

٧٩٤١ـ قال محمد بن علي الواسطي:

كنتُ امشي على اثنينِ قويّاً صرتُ أمشي على ثلاثٍ ضعيفا

يشير إلى أيام شيخوخته وضعفه واستعانته في مشيه بالعصا.

٧٩٤٢ـ معنى «المكر» في اللغة: هو التدبير الخفيّ الذي إذا صدر من طرفٍ لا يكاد يشعر به الطرفُ الآخر وهو على قسميْن:

الأوّل: المكر الحسن، وهو الذي يحصل لغرضٍ حسن كحفظ المؤمنين أو تقوية الدين أو تحقيق النصر على الكافرين، ومنه المكر

---

(١) المنائح: العطايا.

الذي يحصل من الله تعالى في مقابل مكرِ الأعداء وكيدِهم كما قال تعالى في سورة آل عمران: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ٥٤﴾، وقال في سورة الانفال، الآية (٣٠): ﴿وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ﴾، وقال في سورة النمل: ﴿وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا وَمَكَرۡنَا مَكۡرٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ٥٠﴾ . وهذه الآياتُ وامثالُها ذكرت المكرَ الحسن الحاصلَ من الله تعالى في مقابل المكرِ السَّيِّءِ الحاصلِ من الكافرين.

الثاني: المكرُ السَّيِّء، وهو الذي يحصل لغرضٍ سيّئ كالوقيعة بالمؤمنين والكيدِ بهم، قال تعالى في سورة فاطر، الآية (٤٣): ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦۚ﴾، وقال في سورة النحل، الآية (٤٥): ﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخۡسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ أَوۡ يَأۡتِيَهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ٤٥﴾.

٧٩٤٣ـ جاء في بعض الروايات: أن قاقود ـ وهو من صلحاء بني إسرائيل ـ كانت له بنتان صالحتان، احداهُما اسمها «حنّة» وقد تزوّجها عِمران بن ماتان ـ وهو من صلحاء بني إسرائيل أيضاً، بل من أنبيائهم على الأظهر وهو من ذرية يعقوب ـ فولدت له «مريمَ بنتَ عِمران». وثانيهما اسمها «إيشاع» وقد تزوّجها زكريّا ـ وهو من انبياء بني إسرائيل ومن ذرّية سليمان ـ فولدت له «يحيى بنَ زكريّا» ـ وهو من انبياء بني إسرائيل ايضاً ـ. ولمّا وُلدت مريم ـ وقد نذرت أمُّها حنّة أن يكونَ ما في بطنها محرّراً أي منصرفاً إلى عبادة الربّ وخدمة بيته المقدّس ـ تكفّل زكريّا ـ وهو زوج خالتها ـ برعايتها وتربيتها لأنّ اباها عِمران مات وهي جنينٌ في بطن أمّها. فكان زكريّا كلّما دخل عليها المحرابَ وجد عندها رزقاً عجيباً لا يمكن حصولُه بصورةٍ اعتياديّة حيثُ يجد عندها فاكهةَ

الصيف في الشتاء وفاكهةَ الشتاء في الصيف فيقول متعجّباً: من اين لكِ هذا يا مريم؟ فتقول: هو من عند الله إنّ الله يرزق من يشاء بغير حساب. فلمّا رأى زكريّا هذه الكرامةَ لمريم وكيف أنَّ الله يعطي ما يشاء كيف يشاء لمن يشاء زاد طمعُه ورجاؤه في أن يرزقَه ولداً من امرأته العاقر مع كبر سِنّه، وهو وإن كان امراً خارقاً للعادة فإنّه شبيهٌ برزق الله لمريم الذي كان امراً خارقاً للعادة أيضاً فقال: ربِّ هَبْ لي من لدُنك ذُريّةً طيّبة، فاستجاب الله دعاءَه وحقّق رجاءَه ورزقه «يحيى» كما رزق مريمَ «عيسى»، فكان يحيى أوّل من آمن به وصدّقه وايّده. وقد استعرض القرآنُ الكريم هذه الأمورَ بقوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِىَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِى عَاقِرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾﴾.

وشاء الله أن يكونَ بين هذيْن النبيّيْن الكريميْن «عيسى ويحيى» تشابهٌ كبيرٌ من جهاتٍ كثيرة:

الأولى: إنّ الله جعل ولادةَ عيسى من غير أبٍ آيةً خارقةً للعادة

فقال تعالى في سورة مريم، حكايةً عن امّه مريم: ﴿قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾﴾، وكذلك جعل ولادة يحيى من امّه العاقر وابيه الشيخ الكبير آيةً خارقةً للعادة فقال تعالى في نفس السورة حكايةً عن ابيه زكريا،: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ﴿٩﴾﴾.

الثانية: إنّ الله هو الذي سمّى عيسى بهذا الاسم فقال تعالى في سورة آل عمران، الآية (٤٥): ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾، وكذلك هو الذي سمى يحيى بهذا الاسم فقال في سورة مريم، الآية (٧): ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ﴾.

الثالثة: لقد آتى الله عيسى الحكمَ والنبوّةَ صبياً فقال عليه السلام وهو صبيّ كما حكى الله عنه في سورة مريم: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾﴾، وكذلك آتى الله يحيى الحكمَ والنبوّة صبيًا فقال تعالى في نفس السورة، الآية (١٢): ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾.

الرابعة: أنّ الله وصفَ عيسى بقوله في سورة مريم، آية: ﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾﴾، وكذلك وصف يحيى بقوله في نفس السورة، الآية (١٤): ﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾﴾.

الخامسة: لقد وقع السلامُ من الله على عيسى في المواطن الثلاثة الكبرى «الولادة والموت والبعث» فقال تعالى في سورة مريم: حاكياً عنه عليه السلام: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾﴾،

وكذلك وقع السلامُ على يحيى في هذه المواطن الثلاثة فقال تعالى في نفس السورة، الآية (١٥): ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ وَيَوۡمَ يَمُوتُ وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيّٗا ١٥﴾.

٧٩٤٤- قال الشيخ محمد علي الأعسم:

ملِكٌ يعاتب عالماً في تركه لزيارةٍ فأجابه العرفاءُ:
يخشى مقالَ الناس - حين يرونه -: «بئس الملوكُ وبئستِ العلماءُ»

وهو يشير إلى الحديث النبويّ المشهور: «إذا رأيتم الأُمراء على ابواب العلماء فقولوا: نعم العلماء ونعم الأُمراء، وإذا رأيتم العلماء على ابواب الأُمراء فقولوا: بئس العلماء وبئس الأمراء».

٧٩٤٥- روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «من سقى الماء في موضعٍ يوجد فيه الماء كان كمن اعتق رقبةً، ومن سقى الماء في موضعٍ لا يوجد فيه الماء كان كمن أحيا نفساً: ﴿وَمَنۡ أَحۡيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۚ﴾[1]».

٧٩٤٦- روي عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنه قال: «إذا دخل الرجلُ بلدةً فهو ضيفٌ على من بها من اخوانه وأهل دينه حتى يرحلَ عنهم». وفي ذلك يقول الشيخ الأعسم:

من جاء بلدةً فذا ضيفٌ على أخوانه فيها إلى أن يرحلا

٧٩٤٧- روي عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنه قال: «الضيف يجيء معه رزقُه، وإذا رحل رحل بذنوب أهلِ البيت». وروي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه

(١) سورة المائدة، الآية (٣٢).

قال: «إذا دخل الضيوف عليك دخلوا برزقٍ من الله كثير، وإذا خرجوا خرجوا بالمغفرة لك». وفي ذلك يقول الشيخ الأعسم:

والضيف يأتي معه برزقِهِ فلا يُقصِّرْ احدٌ في حقِّهِ

٧٩٤٨- روى الشيخ الصدوق(قدس) بإسناده عن جراح المدائني قال: كرِه ابو عبد الله عليه السلام أن يأكلَ الرجلُ بشِماله أو يشربَ بها أو يتناولَ بها، وقال عليه السلام: «لا تأكلْ باليُسرى وأنت تستطيع»، وقال عليه السلام: «شيئان يؤكلان باليديْن: الرمّان والعنب» والظاهر شمول ذلك لكلّ ما يصعُب أكلُه باليد الواحدة كبعض الفواكه الأُخرى مثلِ البُرتُقال والليمون ونحوِهما. وفي ذلك يقول الشيخ الأعسم:

والأكلُ والشرابُ باليسارِ يُكره إلا عند الاضطرارِ

واستثني الرُّمّانُ منها والعنبْ فالأكلُ باليديْنِ فيهما احبْ

٧٩٤٩- يظهر من الآيات الكريمة والروايات الشريفة أنّ لله كتابيْنِ أو لوْحيْن:

الأوّل: الكتابُ أو اللوحُ الحتميُّ المسمّى باللوح المحفوظ أو «امّ الكتاب»، وهو المطابقُ لعلم الله الأزليّ الأبديّ الذي لا يتبدّل ولا يتغيّر، فلا يقع فيه «البَداء».

الثاني: كتابُ أو لوحُ المحو والإثبات وهو القابل للتبديل والتغيير، وفيه يقع «البَداء». وإلى هذيْن الكتابيْنِ أو اللوحيْنِ أشار الله تعالى بقوله في سورة الرعد: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴿٣٩﴾﴾. فقولُه: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ﴾ يشير إلى الكتاب أو اللوح الثاني وهو «كتابُ المحو والإثبات»، وقولُه: ﴿وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ يشير إلى الكتاب أو اللوح الأوّل وهو «الكتاب الحتميُّ

المسمّى باللوح المحفوظ».

وإلى كتاب المحو والإثبات تشير بعض النصوص الواردة عن المعصومين عليهم السلام كما ورد عن الإمام الباقر عليه السلام في تصوير وتوضيح معنى هذا الكتاب قال: «إنّ الله تعالى لم يدعْ شيئاً كان أو يكون إلا كتبه في كتاب، فهو موضوعٌ بين يديْه ينظر إليْه، فما شاء منه قدّم وما شاء منه أخّر، وما شاء منه اثبت وما شاء منه محا، وما شاء منه كان وما شاء منه لم يكنْ».

والبَداء في الأُمور التكوينيّة كالفسخ في الأُمور التشريعيّة، ولا فرق بينهما سوى أنّ الأوّلَ في «افق التكوين» والثاني في «افق التشريع». قال الحكيم الشهير السيّدُ الداماد اعلى الله مقامه: «البَداء منزلتُه في التكوين منزلةُ النسخ في التشريع، فما في الأمر التشريعي والأحكام التكليفيّة نسخ فهو في الأمر التكويني والمكوّنات الزمانيّة بَداء، فالنّسخُ كأنّه بَداءٌ تشريعيّ، والبَداءُ كأنّه نسخٌ تكوينيّ».

أمّا البَداء بمعنى أنّ الله تعالى بدا له ما لم يكنْ عالماً به من قبل فهو كفرٌ نتبرّأ منه وممن يقول به كما تبرّأ منه الأئمّةُ الطاهرون صلوات الله عليهم قال الإمام الصادق عليه السلام: «مَن زعَم أنّ الله تعالى يبدو له في شيء لم يعلمْه امس فابرؤوا منه»، وقال عليه السلام: «مَن زعمَ أنّ الله بدا له في شيءٍ بَداءَ ندامةٍ فهو عندنا كافرٌ بالله العظيم»، وقال عليه السلام: «ما بدا لله في شيءٍ إلا كان في علمه قبل أن يبدوَ له»، وقال عليه السلام: «إنّ الله لم يبدُ له من جهل».

وقد وقع البَداء في امامَيْنِ من ائمّة الهدى عليهم السلام:

أوّلُهما: الإمام موسى بنُ جعفر الكاظم عليه السلام فقد كانت الشيعة

تعتقد أنّ الإمامةَ لاسماعيل بعد ابيه الإمام الصادق عليه السلام لأنّه أكبرُ أولاده ولوجود بعض مؤهِّلات الإمامة فيه، فلمّا مات في حياة ابيه ظهر للناس أنّه ليس بوصيّ ابيه وليس هو الإمامَ بعده، وإنّما الوصايةُ والإمامةُ لموسى الكاظم عليه السلام.

ثانيهما: الإمام الحسن بن علي العسكري عليه السلام فقد كانت الشيعة تعتقد أنّ الإمامةَ للسيّد محمّد بعد ابيه الإمام الهادي عليه السلام لأنّه اكبرُ أولاده ولوجود بعض مؤهِلات الإمامة فيه، فلمّا مات في حياة ابيه ظهر للناس أنه ليس بوصيّ ابيه وليس هو الإمامَ بعده، وإنّما الوِصايةُ والإمامةُ للحسن العسكري عليه السلام. والله سبحانه يعلم بما كان وما يكون، ولا يعزُب عن علمه مثقالُ ذرّةٍ في الأرض ولا في السماء، وهو يعلم من الأزل بما سيؤول إليه الأمر.

كذلك يقع البَداء في الأعمار وفي الأرزاق، وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام في تفسير قوله تعالى في سورة الأنعام، الآية (٢): ﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ﴾: «الأجلُ المقضيّ هو المحتوم الذي قضاه وحتمه، والأجل المسمّى هو الذي فيه البَداء، يقدّم ما يشاء ويؤخّر ما يشاء، والمحتوم ليس فيه تقديمٌ ولا تأخير».

٧٩٥٠ـ جاء في «أسباب النزول» للواحدي: كان بين هذيْنِ الحيّيْن من الأوس والخزرج قتالٌ في الجاهليّة فلمّا جاء الإسلام اصطلحوا، وألّف الله بين قلوبهم. فجلس يهوديٌّ في مجلس فيه نفرٌ من الأوس والخزرج فأنشد شعراً قاله أحد الحيّيْن في حربهم، فكأنّهم دخلهم من ذلك، فقال الحيّ الآخر: قد قال شاعرُنا في يوم كذا: كذا وكذا، فقال الآخرون: وقد قال شاعرُنا في يوم كذا: كذا وكذا،

فقالوا: تعالوا نردّ الحرب جَذَعاً كما كانت، فنادى هؤلاء: يا آل أوس، ونادى هؤلاء: يا آل خزرج، فاجتمعوا وأخذوا السّلاح واصطفّوا للقتال، فنزل قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾، فجاء النبيّ ﷺ حتى قام بين الصفَّيْن فقرأها ورفع صوتَه فلمّا سمعوا صوتَه أنصتوا له وجعلوا يستمعون إليه، فلمّا فرغ ألقَوا السّلاح وعانق بعضُهم بعضاً، وجثَوا يبكون.

وقد مرّ في فِقْرةٍ سابقة من هذا الكتاب شيءٌ حول هذه الآيات الكريمة وسبب نزولها، والله الحق بكلماتِه، وهو أعلم بمقاصد آياتِه.

٧٩٥١ـ تنقسم الحروب التي وقعت في زمن رسول الله ﷺ بين المسلمين والكافرين إلى قسمين:

الأوّل: الغزوات، وهي الحروب التي قادها رسول الله ﷺ بنفسه لأهميّتها وأثرِها البالغ في إعزاز الإسلام وإعلاء كلمة الله في الأرض. والمشهور أنّ عددَ هذه الغزوات ستٌ وعشرون غزوة.

الثاني: السرايا، وهي القُوى العسكريّة التي كان يتراوح عددُ افرادها غالباً بين الثلاثين إلى الخمسين يرسلها رسول الله ﷺ إلى المواقع المختلفة لمهمّةٍ قتاليّة أو مهمّةٍ استطلاعيّة بقيادة أحد اصحابه بعد أن يودّعهم بنفسه الكريمة، ويوصيهم بوصاياه الحكيمة. والمشهور أنّ عددَ هذه السّرايا ستٌّ وثلاثون سريّة.

٧٩٥٢ـ جاء في الأدعية المأثورة: «اللهمّ إني اسألك العفوَ والعافيةَ والمعافاةَ في الدنيا والآخرة»، وجاء في الحديث الشريف:

«سلوا الله العفوَ والعافيةَ والمعافاة»، ومعنى العفو: هو محوُ الذنوب وسَترُها، ومعنى العافية: هو الصِحّةُ والسلامةُ من الأمراض، ومعنى المعافاة: هو دفعُ البلاء والاستغناء عن شِرار الناس وكفُّ أذاهم.

٧٩٥٣- قال تعالى في سورة آل عمران: ﴿وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾ وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾، وقد قدّم القتلَ على الموت في الآية الأولى، وقدّم الموتَ على القتلِ في الآية الثانية، والسرّ في ذلك: أنّ الآيةَ الأولى جاءت لبيان ما يترتّب على قتلِ المؤمن أو موتِه من المغفرة والرحمة وهما أقربُ إلى مَن يُقتل في سبيل الله مِمّن يموت حتف انفه، فالشهداء هم السعداء يوم القيامة وهم الفائزون بالدرجات العالية والمنازل الرفيعة. أمّا الآية الثانية فقد جاءت لبيان ما يؤول إليه أمرُ الناس بعد موتهم أو قتلهم من الحشر والحساب فقدّم هنا الموتَ على القتلِ لأنّه السّببُ الأعمّ والأكثرُ في فَناء البشر.

٧٩٥٤- في قوله تعالى من سورة آل عمران، الآية (١٥٩): ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ خطابٌ للرسول الكريم ﷺ - وهو غنيٌ عن مشورتهم - لتعليم أمّته على أن يستشيرَ بعضُهم بعضاً في امورهم لأنّ ذلك هو طريقُ الرشاد والسداد وسبيلُ النجاح والفلاح كما ارشدهم إلى ذلك ربُّهم عزّ وجل بقوله في سورة الشُورى، الآية (٣٨): ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾، وارشدهم إلى ذلك نبيُّهم ﷺ بقوله: «ما تشاور قومٌ قط إلا هُدُوا لأرشد امرهم»، وارشدهم إلى ذلك امامُهم عليه السلام بقوله: «لا ظهيرَ كالمشاورة، وما ندم من استشار» وبقوله: «مَن استبدّ برأيه هلك، ومَن شاور الرجالَ شاركهم في عقولهم». كما أنّ في مشاورة النبيّ ﷺ لأصحابه تأليفاً لقلوبهم وتطييباً لنفوسهم، وإلاّ فهو ﷺ مؤيّدٌ بالله،

ومسدَّدٌ بالوحي، وغنيٌّ عن مشاورة أحد. وقد روى ابنُ عباس عنه ﷺ أنّه قال: «أما أنّ الله ورسولَه لغنيّانِ عنها ـ أي المشورة ـ، ولكن جعلها الله تعالى رحمةً لأمّتي، فمَن استشار منهم لم يُعدمْ رُشداً، ومَن تركها لم يُعدمْ غَيّاً».

وقال سبطُه الأكبر الحسنُ بنُ عليّ عليه السلام «قد علِم الله أنّه ما به إليهم حاجة، ولكن أراد أن يستنَّ به مَن بعدَه».

٧٩٥٥ـ روي عن محمّد بنِ مسلم أنّه قال: قلتُ لأبي جعفر عليه السلام: أخبرني عن الكافر الموت خيرٌ له أم الحياة؟ فقال عليه السلام: «الموت خيرٌ للمؤمن والكافر» قلتُ: ولِمَ؟ قال: «لأنّ الله تعالى يقول: ﴿وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ﴾[1] ويقول: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾﴾[2]».

٧٩٥٦ـ قال عبد الملك بنُ مروان يوماً لجلسائه: مَن منكم يستطيع أن يأتيَ باسماء اعضاءٍ في جسم الإنسان على حسب حروف الهجاء بحيثُ لا يُسقِط منها حرفاً واحداً، فقام سويد بن غفلة فقال: أنا لها، ثم بدأ يقول: «أنْف، بَطْن، تَرْقُوَة، ثَغر، جُمْجُمَة، حَلْق، خَد، دِماغ، ذقْن، رَقَبة، زَنْد، ساق، شَفَة، صَدْر، ضِلْع، طِحال، ظَهر، عَيْن، غَبَب ـ وهو اللحم المتدلّي تحت الحنك ـ، فَم، قَفا، كَف، لِسان، مَنْخَر، نُغْنُغَة ـ وهي الحَوْصَلة ـ، هامَة، وَجْه، يَد».

٧٩٥٧ـ قيل: إنّ الأميرَ العربيّ محمّدَ المنصور اعتلّ بعِلّةٍ اعيتِ الأطبّاءَ في زمانه، وقد وعدهم بالعطاء الجزيل إن استطاعوا إنقاذه من

---

(١) سورة آل عمران، الآية (١٩٨). (٢) نفس السورة، الآية (١٧٨).

هذه العِلّة. وكان من بين الأطبّاء الذين حضروا عنده طبيبٌ شاب تقدّم من بينهم لفحص الأمير ومعالجته. ودُهش الأميرُ ورجالُه واطباؤه عندما وجدوا الشفاءَ العاجلَ في الدواء الذي وصفه هذا الطبيبُ الشاب الذي لم يكن اسمه لامعاً بين الأطباء في ذلك الوقت وهو «ابن سينا». فقال له الأمير: اطلُبْ ما شئتَ من مالٍ أو مَنْصِبٍ أو أيِّ شيءٍ آخر تريده، فقال له الطبيب: إني لا أطلُب منك إلا أن تسمح لي بالدخول إلى مكتبة قصرك لأنهلَ من نميرها العذب واتزوّدَ من مطالعة كتبها الثمينة، فقال له الأمير: لك ما تريد. وهكذا بدأ ابن سينا يسطع نورُه ويلمع اسْمُه حتى اصبح بدراً يتلألأ في سماء الطب والفلسفة وغيرِهما من العلوم والفنون والآداب.

٧٩٥٨- قيل لشريح القاضي: أيهما أطيب عندك «اللوزنيق أم الجوزنيق»؟ - وهما نوعانِ لذيذانِ من الحلوى - ففكّر القاضي قليلاً ثمّ قال: «تريدون الحق، إني لا استطيع أن احكمَ بين غائبيْنِ حتى يحضُرا».

٧٩٥٩- قال أمير المؤمنين عليه السلام «ما أخذ الله على اهل الجهل أن يَتعلَّموا حتى أخذ على أهل العلم أن يُعلّموا».

وروي: «ما أخذ الله على العلماء أن يتعلّموا حتى أخذ عليهم أن يعلّموا».

٧٩٦٠- قال ايليا ابو ماضي:

كن بلسماً[١] إن صار دهرُك ارقما[٢] وحلاوةً إنْ صار غيرُك علقما[٣]

---

(١) البلسم: المرهم الشافي.

(٢) الأرقم: الحيّة الخبيثة.

(٣) العلقم: المر.

إنَّ الحياةَ حبتكَ[1] كلَّ كنوزها لا تبخلَنَّ على الحياة ببعض ما
أحسِنْ وإنْ لم تُجزَ حتى بالثَّنا أيَّ الجزاءِ الغيثُ[2] يبغي إنْ هَما[3]
من ذا يُكافىء زهرةً فوّاحةً أو من يُثيبُ البُلبُلَ المترنِّما
عُدَّ الكرامَ المحسنينَ وقِسْهُمُ بهما تجدْ هذَينِ منهم اكرما
يا صاح خُذْ علمَ المحبّة منهما إني وجدت الحبَّ علماً قيِّما
لو لم تَفُحْ هذي وهذا ما شدا عاشت مُذمَّمةً وعاش مُذمَّما
أيقِظْ شعورَكَ بالمحبّة ان غفا لولا شعورُ الناس كانوا كالدُّمى[4]
أحبِبْ فيغدو الكوخُ كوناً نيِّرا وابغَضْ فيُمسي الكَوْنُ سِجْناً مظلما
وَالْهُ بورد الروض عن اشواكِهِ وانسَ العقاربَ إنْ رأيتَ الأنجما

٧٩٦١ـ الصحيح في خلق حوّاء أمّ البشر أنّها خُلقت من فاضل طينة آدم، لا أنّها خُلقت من ضِلعه الأيسر كما يقول بعض المسلمين. وروايات أهل البيت عليهم السلام صريحةٌ في هذا الأمر فقد روي عن ابي مقدام أنه قال: سألتُ ابا جعفر عليه السلام: من أيّ شيء خلق الله حوّاء؟ فقال عليه السلام: «أيّ شيء يقولون عن هذا الخلق؟» قلتُ: يقولون: إنّ الله خلقها من ضِلعٍ من اضلاع آدم، فقال عليه السلام: «كذبوا أكان الله يُعجزه أن يخلقها من غير ضِلعه؟» قلتُ: جُعلتُ فداك يا ابن رسول الله من ايّ شيء خلقها؟ قال عليه السلام: «أخبرني أبي عن آبائه قال: قال رسول صلى الله عليه وآله: «إنّ الله تبارك وتعالى قبض قبضةً من طين فخلطها بيمينه ـ وكِلتا يديه يمين ـ فخلق منها آدم، وفضَلتْ فضلةٌ من الطين فخلق منها حواء»

---

(١) حبتك: اعطتك.
(٢) الغيث: المطر.
(٣) هما: نزل وهطل.
(٤) الدُّمى: التماثيل.

وسئل الإمام الصادق عليه السلام عن قول الناس إن حواء خلقت من ضلع آدم فقال عليه السلام: «تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً، هل عجز الله أن يخلقَ لآدمَ زوجة من غير ضِلعه، حتى ينكحَ بعضَه بعضاً؟!».

٧٩٦٢- الصحيح في كيفيّة حصول التناسلِ من آدمَ وحوّاء أنّ الله أمر آدمَ أن يزوِّج بعضَ أولاده من الحور العين، ويزوِّجَ البعضَ الآخر من الجن، ثم تزوّج اولادُهم بعضُهم من بعض، لا أنّ اولادَه تزوّج بعضُهم من بعض بحيثُ تزوّج الأخُ من اخته كما يقول بعض المسلمين. وروايات أهل البيت عليهم السلام صريحةٌ في هذا الأمر فقد روي عن ابي بكر الحضرميّ أنه قال: قال لي ابو جعفر عليه السلام: «ما يقول الناس في تزويج آدم ولدَه؟» قلت: يقولون: إنّ حوّاء كانت تلد لآدم في كلّ بطنٍ غلاماً وجارية فتزوّجُ الغلامُ الجاريةَ التي من البطن الآخر، وتُزوّجُ الجارية الغلامَ الذي من البطن الآخر حتى توالدوا، فقال ابو جعفر عليه السلام: «ليس هذا كذلك ولكنّه لما وُلد لآدم هبةُ الله وكبر سأل الله أن يزوّجَه فأنزل الله له حوراء من الجنّة فزوّجها إيّاه فولدت له اربعةَ بنين، ثم وُلد لآدم ابنٌ آخر فلمّا كبر أمره فتزوج إلى الجان فوُلد له اربعُ بنات، فتزوّج بنو هذا بنات هذا، فما كان من جمالٍ فمن الحور العين وما كان من حِلْمٍ فمن آدم، وما كان من حقدٍ فمن الجان. فلمّا توالدوا صعدتِ الحوارءُ إلى السّماء».

٧٩٦٣- روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «لعلّك ترى أنّ الله لم يخلق بشراً غيرَكم؟ بلى واللهِ لقد خلق الفَ آدم وانتم في آخر اولئك الآدميين». والظاهر أنّ الألفَ هنا ليست للتحديد ولكنّها كنايةٌ عن الكثرة.

٧٩٦٤ـ روي عن ابي بصير أنّه قال: قلتُ لأبي عبد الله عليه السلام: لأيِّ عِلّةٍ خلق الله عزّ وجل آدمَ من غير أبٍ وأُم، وخلق عيسى من غير أب، وخلق سائر الناس من الآباء والأُمهات؟ فقال عليه السلام: «ليعلمَ الناسُ تمام قدرته وكمالَها، وليعلموا أنّه قادرٌ على أن يخلقَ خلقاً من انثى من غير ذكر، كما هو قادرٌ على أن يخلقَ من غير ذكرٍ وانثى، وأنه عزّ وجل فعل ذلك ليُعلم انّه على كلّ شيءٍ قدير».

٧٩٦٥ـ من مأثورات الفلاسفة والحكماء قولُهم: «كلّ ما قرع سمعَك من العجائب والغرائب فذَرْه في بقعة الإمكان ما لم يمنعْكَ عنه قائمُ البرهان».

٧٩٦٦ـ قال الخليل بن احمد الفراهيدي: «إذا وجدتُ مَن هو فوقي فذلك يومُ استفادني، وإذا وجدتُ مَن هو دوني فذلك يومُ إفادتي، وإذا وجدتُ مَن هو مثلي فذلك يومُ مذاكرتي، وإذا لم اجدْ احداً من هؤلاء فذلك يومُ مصيبتي».

٧٩٦٧ـ قيل لأحد الحكماء: أيّ الرِّجال افضل؟ فقال: «الذي إذا جاورتَه وجدتَه عليماً، وإذا خيرتَه وجدتَه حكيماً، وإذا غَضِب كان حليماً، وإذا ظَفر كان كريماً، وإذا مَنَح منح جسيماً، وإذا وعد وفى وإن كان الوعد عظيماً، وإذا اشتُكي إليه كان رحيماً».

٧٩٦٨ـ كان المرحوم العلاّمة الشيخ اسد حيدر يحدّث عن والده الشيخ حيدر أنّه التقى في أيام الحج بأحد علماء تونس ودار بينهما نِقاشٌ حول إمامة أمير المؤمنين عليه السلام فذكر له خمسةَ ادلة على إمامته عليه السلام، فقال له العالمُ التونسي: أمسِكْ مِسبحتَك وابدأ بالعدّ، وصار يذكر له من الأدِلّة على امامته عليه السلام حتى بلغت مائةَ دليل.

٧٩٦٩ـ جاء في «مروج الذهب» للمسعودي: أنّ ثروةَ الزبير بنِ العوّام بلغت خمسينَ ألفَ دينار والفَ فرسٍ وألفَ عبدٍ وضِياعاً كثيرةً في البصرة وفي الكوفة وفي مصر وغيرها.

وبلغت غَلّةُ طلحة من العراق وحده كلَّ يومٍ ألفَ دينار وقيل أكثرَ من ذلك.

وكان لعبد الرحمن بن عوف الفُ بعيرٍ ومائةُ فرسٍ وعشرةُ آلاف شاة، وبلغ ربعُ ثمنِ ماله الذي قُسّم على زوجاته بعد وفاته أربعةً وثمانين ألفَ دينار.

وترك زيدُ بنُ ثابت من الذهب والفِضّة ما كان يكسّرَ بالفؤوس حتى مجلت ايدي الناس، ما عدا الأموال والضِياع التي تُقدّرَ قيمتُها بمائة ألفِ دينار.

وترك عثمانُ بنُ عفّان يوم مات مائةً وخمسينَ ألفَ دينار عدا المواشي والأراضي والضّياع مِمّا لا يُحصى. وصدق رسول الله ﷺ حيثُ يقول: «وإنّي واللهِ ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي، ولكن أخاف عليكم أن تتنافسوا في الدنيا».

٧٩٧٠ـ روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «اتّقوا النارَ ولو بشَقِ تمرة فمن لم يجدْ فبكلمةٍ طيّبة».

٧٩٧١ـ اخرج البخاري ومسلم في صحيحيْهما: أنّ رسولَ الله ﷺ صلّى بمنى ركعتيْن، وصلّى ابو بكر بعده كذلك، وصلّى عمر بعد ابي بكر كذلك، وصلّى عثمان في أوّل خِلافته كذلك، ثم إنّ عثمانَ صلّى بعدُ اربعاً. وأخرج مسلم في صحيحه عن الزهري أنه قال: قلتُ لعروة: ما بالُ عائشة تُتِمّ الصلاةَ في السفر؟ قال: إنّها

تأوّلتُ كما تأوّل عثمان.

٧٩٧٢ـ روي: أنّ ابا بكر قال في آخر أيّام حياته ـ وقد نظر إلى طائرٍ على شجرة ـ: «طوبى لكَ يا طائر تأكل الثمر، وتقع على الشجر، وما من حسابٍ ولا عقابٍ عليك، لوددت أنّي شجرةٌ على جانب الطريق مرّ عليَّ جملٌ فأكلني وأخرجني في بَعْرة ولم اكن من البشر»، وقال: «ليت أمّي لم تلِدْني، ليتني كنت تِبْنَةً في لَبنة».

وقال عمر بن الخطاب ـ بعد أن طعنه ابو لؤلؤة ـ: «يا ليتني كنتُ تراباً»، وقال: «واللهِ لو أنّ لي طِلاعَ[1] الأرض ذهباً لافتديتُ من عذاب الله عزّ وجل قبل أن اراه»، وقال: «ليتني كنْتُ كبشَ اهلي يسمّنونني ما بدا لهم... ثم اكلوني وأخرجوني عذْرَةً ولم اكن بشرا».

أمّا الإمام علي بن ابي طالب عليه السلام فقد قال ـ عندما ضربه عبد الرحمن بن ملجم ـ: «فزتُ وربِّ الكعبة». فشتّان بين هذا القول وبين ما قاله الذين مِن قبلِه.

٧٩٧٣ـ روى ابنُ قتيبةَ في كتابه «الإمامة والسياسة»: «أنّ فاطمةَ الزّهراء عليها السلام قالت لابي بكر وعمر: «نشدتُكما الله تعالى ألم تسمعا رسولَ الله صلى الله عليه وآله يقول: «رضا فاطمة من رضاي وسخَطُ فاطمةَ من سخَطي، فمَن احبَّ ابنتي فاطمة فقد احبّني ومَن ارضى ابنتي فاطمة فقد ارضاني، ومَن اسخطَ ابنتي فاطمة فقد اسخطني» قالا: نعم سمِعناه من رسول الله صلى الله عليه وآله، فقالت: «فإني أشهِد الله وملائكتَه أنكما اسخَطْتُماني وما ارضَيْتُماني ولَئِن لقيتُ النبيَّ صلى الله عليه وآله لأشكُوَنّكُما إليه». وروى البخاري في صحيحه عن النبيِّ صلى الله عليه وآله أنه قال: «فاطمة بضعةٌ مني مَن اغضبها فقد

(١) طِلاع الأرض: قدرها.

أعضبني». وروى أيضاً عن عائشة: أنّ فاطمةَ بنتَ النبيّ ﷺ أرسلت إلى ابي بكر تسأله ميراثَها من رسول الله فأبى ابو بكر أن يدفعَ إلى فاطمةَ منه شيئاً فوجدَتْ ـ أي غضِبت ـ على ابي بكر في ذلك فهجرَتْه فلم تكلِّمْه حتى توفيت. ويقول ابن قتيبة في «الإمامة والسياسية»: إنّ ابا بكر قال لها: انا عائذٌ بالله تعالى من سخطه وسخطكِ يا فاطمة، ثم انتحب باكياً حتى كادت نفسُه أن تزهق، وهي تقول: «واللهِ لأدعونَّ عليكَ في كلّ صلاةٍ اصلّيها» فخرج ابو بكر يبكي ويقول: «لا حاجةَ لي في بيعتكم، أقيلوني بيعتي».

والغريب: أنّ بعضَ علماء السنّة يمُرّ بمثل هذه الحقائق الدامغة فيقول ـ وكأنّه أتى بحُجّةٍ بالغة ـ: «حاشى لفاطمة مِن أن تدّعي ما ليس لها بحق، وحاشى لأبي بكر أن يمنعَها حقَّها!».

٧٩٧٤ـ روى ابن ابي الحديد المعتزلي في «شرح نهج البلاغة»: أنّ عائشة وحفصةَ دخلتا على عثمان أيّام خِلافته وطلَبَتا منه أن يقسمَ لهما إرثَهما من رسول الله ﷺ، وكان عثمان متّكِئاً فاستوى جالساً وقال لعائشة: انتِ وهذه الجالسة جئتما بأعرابيٍّ يتطهّر ببوله وشهِدْتما أنّ رسولَ الله ﷺ قال: «نحن معاشرَ الأنبياء لا نورِّث»، فإذا كان رسولُ الله ﷺ حقيقةً لا يورّث فماذا تطلُبانِ بعد هذا، وإذا كان رسولُ الله يورِّث فلماذا منعتم فاطمةَ حقَّها؟. فخرجت من عنده غاضبة وقالت: أقتلوا نعثلاً فقد كفر.

٧٩٧٥ـ قال الشاعر:

وربَّ قبيحةٍ ما حال بيني وبين ركوبِها إلاّ الحياءُ
فكان هو الدواءَ لها ولكنْ إذا ذهب الحياءُ فلا دواءُ

٧٩٧٦- روي عن النبيّ ﷺ أنّه قال: «لا ضَررَ ولا ضِرارَ في الإسلام» ومعنى الحديث الشريف: أنّه لا يجوز للإنسان أن يضُرَّ نفسَه أو يضُرَّ غيرَه. وقيل: إنّ الفرقَ بين الضَّرر والضّرار: أنّ الضررَ هو أن يضرَّ الإنسانُ نفسَه أو غيرَه غيرَ عامدٍ ولا قاصدٍ لهذا الضرر. والضّرارَ هو أن يكون الإنسانُ عامداً للإضرار وقاصداً له. والمعنى الأول هو الأظهر والأشهر.

٧٩٧٧- العقودُ اللازِمةُ تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

الأوّل: ما يكون اللزومُ فيها ذاتياً كما في لزوم الرّهن على الرّاهن، ومثلُ هذا العقد لا يجوز فيه اشتراطُ الخِيار، لأنّ اشتراطَه ينافي حقيقةَ الرّهن.

الثاني: ما يكون اللزومُ فيها حقيقياً كما في عقد البيع، ومثلُ هذا العقد يجوز فيه اشتراطُ الخِيار لأنّ اشتراطَه لا ينافي حقيقةَ البيع.

الثالث: ما يكون اللزومُ فيها حُكمياً وبجَعْلٍ من الشارع المقدّس في خصوص بعض العقود كما في عقد النّكاح الذي حكم الشارعُ بعدم جواز اشتراط الخِيار فيه.

٧٩٧٨- روي عن ابي الدرداء ﷺ أنّه قال: «لولا ثلاث ما احببت العيشَ يوماً واحداً: الظمأُ لله في الهواجر، والسّجودُ له في جوف الليل، ومجالسةُ اقوامٍ ينتقون اطايبَ الكلام كما يُنتقى اطايبُ الثمر».

٧٩٧٩- روي عن النبيّ ﷺ أنّه قال: «لعن الله الراشي والمرتشي والرائش» ومعنى الرائش: هو الوسيط بين الطرفيْنِ في عمليّة الارتشاء.

٧٩٨٠- روي عن النبيّ ﷺ أنّه قال حين خرج إلى تبوك: «إنّ

بالمدينة اقواماً ما قطَعْنا وادياً، ولا وطَأْنا موطِئاً يَغيظ الكفّار، ولا أنفقنا نفقةً، ولا اصابتنا مخمَصَةٌ[1] إلا شركونا في ذلك وهم بالمدينة» فقال له بعضُ اصحابه: كيف ذلك يا رسول الله؟ فقال ﷺ: «حبَسَهم العُذْرُ فشركونا بحسن النيّة»، ومثلُ ذلك ما روي عنه ﷺ أنه قال: «مَن أحبَّ عملَ قومٍ أُشرِكَ في عملهم».

٧٩٨١ـ هناك فرقٌ واسع وبونٌ شاسع بين «التَّمنّي» و «الغِبطة» فالتمنّي يجُرّ إلى الحسد ومعناه: أن يتمنّىَ لنفسه الشيءَ الذي أنعم الله به على غيره، وهو مذموم، قال تعالى في سورة النساء، الآية (٣٢): ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُواْ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ وَسْـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾. أمّا الغِبطة فمعناها: أن يرجوَ لنفسه من الله مثلَ ما لغيره، وهي ممدوحة، فقد روي عن عبد الرحمن بن ابي نجران قال: سألتُ ابا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزّ وجل: «ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض» فقال عليه السلام: «لا يتمَنّى الرجلُ امراةَ الرجل ولا ابنتَه ولكن يتمَنّى مثلَهما». وقال الشيخ الطبرسي في «مجمع البيان» في تفسير هذه الآية الكريمة: «أي لا يقلْ احدُكم: ليت ما أعطيَ فلانٌ من النعمة والمرأة الحسناء كان لي فإنّ ذلك يكون حسداً، ولكن يجوز أن يقول: اللهم اعطِني مثلَه، وهو المروي عن الصادق عليه السلام». وهذا هو الفرق بين التمَنّي والغِبطة.

٧٩٨٢ـ من الأخطاء التي يردّدها خصومُ الشيعة لغرض الوقيعة والتشهير قولُهم: إنّ التشيّعَ تأثرَ بالآراء والمعتقدات الفارسيّة. والحقيقة

(١) المخمصة: المجاعة.

أنّ التشيّعَ - كما سبق أن تعرّضنا إلى ذلك في غضون هذا الكتاب - نشأ في عهد الرسالة وبذر بذرتَه الأولى الرسولُ الأعظم ﷺ وترعرع في الحجاز وفي الجزيرة العربيّة، واعتنق مبادئه الإسلاميّة الأصيلة عددٌ كبيرٌ من الصحابة والتابعين، وقبل أن يدخلَ الإسلامُ إلى بلاد فارس. وأئمّةُ الشّيعة هم سادةُ العرب، وهم آلُ محمّد وعترتُه، وهم الصفوةُ من بني هاشم، وبنو هاشم هم الصفوةُ من قريش، وقريش هم الصفوةُ من العرب كما هو معلوم. وقد صرّح بهذه الحقيقة بعضُ الباحثين من المستشرقين وغيرهم.

قال المستشرق فلهوزن في كتابه «الشّيعة والخوارج»: «أمّا أنّ آراءَ الشيعة تلائم الإيرانيّين فهذا ممّا لا شكَّ فيه، وأمّا كون هذه الآراء انبعثت من الإيرانيين فليست الملاءمةُ دليلاً عليه، بل الرواياتُ التاريخيّةُ تقول عكس ذلك إذْ تقول: إنّ التشيّعَ الواضحَ الصريح كان قائماً أوّلاً في الدوائر العربيّة ثم انتقل منها إلى الموالي».

وقال المستشرق آدم متز في كتابه «الحضارة الإسلاميّة»: «إنّ مذهبَ الشيعة لا كما يعتقد البعض ردُّ فعلٍ من جانب الروح الإيرانيّة... فقد كانت جزيرةُ العرب شيعيّةً كلُّها عدا المدنَ الكبرى كمكة وتهامة وصنعاء، وكان للشيعة غلبةٌ في بعض المدن مثل عُمان وهجر وصعدة وفي بلاد خوزستان التي تلي العراق فكان نصفُ اهلها على مذهب الشيعة. أمّا إيران فكانت سُنّيةً عدا قم، وكان أهل اصفهان يُغالون في معاوية حتى اعتقد بعضهم أنّه نبيٌّ مرسل».

وقال المستشرق جولد تسيهر: «إنّ من الخطأ القولَ إنّ التشيّعَ في منشئه ومراحلِ نموّه يمثّل الأثرَ التعديليَّ الذي أحدثته افكارُ الأمم

الإيرانيّة في الإسلام بعد أن اعتنقته وخضعَتْ لسلطانه عن طريق الفتح والدعاية. وهذا الوهم الشّائع مبنيٌّ على سوء فهم الحوادث التاريخيّة، فالحركة العلويّة نشأت في ارض عربيّة بحتة».

والغريب: أنّ الذين يتّهمون الشيعةَ بأنّهم يتأثّرون بالفرس أو أنّهم منهم لو نظروا إلى انفسهم وتجرّدوا عن العصبيّة والهوى لرأوا أنّ ائمتّهم وقادتَهم وعلماءَهم وأهلَ الرأي فيهم اكثرُهم من الفرس، فهؤلاء ائمةُ المذاهب الأربعة نصّ ارباب السير والتراجم على أنّ ثلاثةً منهم هم من الفرس وهم: ابو حنيفة النُّعمانُ بنُ ثابت بنِ زوطي وهو مولًى لبني تيم الله. والشّافعي محمّدُ بنُ ادريس بنِ العبّاس بنِ عثمان بنِ شافع مولى ابي لهب، وقد جعله عثمان من موالي قريش. ومالكُ بنُ انس بنِ مالك وهو مولى بني تيم. أمّا احمدُ بنُ حنبل فهو عربيٌّ ينتمي إلى بكر بنِ وائل.

وأمّا أصحابُ الصِحاح السُّتّة فخمسةٌ منهم من الفرس وهم: البخاري والترمذي وابنُ ماجة والنّسائي وابو داود. وأمّا مسلم فهو عربيّ. أضِفْ إلى هؤلاء طبقاتٍ كبيرةً من الفقهاء والمفسّرين والمحدّثين كانوا من الفرس كمجاهد وعطاء وعكرمة والليثِ بنِ سعد وربيعةِ الرأي وطاووس البيهقي والرازي وابنِ سيرين والحسنِ البصري والحاكم والقندهاري والجامي والكرماني والسجستاني وابي نعيم والنيسابوري والثعلبي وابنِ خلكان وغيرِهم ممن لا يمكن إحصاؤهم.

٧٩٨٣ـ من الغرائب بل المهازل ما يقوله الرازي في كتابه «اعتقادات فرق المسلمين»: أنّ من فرق الشيعة فرقة الكامليّة وهم يزعُمون أنّ الصحابة كلّهم كفروا إذْ فوّضوا الأمرَ إلى ابي بكر، وكفر

عليٍّ حيثُ لم يحاربْ ابا بكر» فكيف يكون هؤلاء من الشيعة ـ والتشيّعُ هو الولاءُ والمتابعةُ لعليٍّعليه السلام ـ وهم يكفّرون عليّاً؟!!!.

٧٩٨٤ـ روى البخاري في صحيحه عن ابي هريرة عن النبيّصلى الله عليه وآله أنه قال: «لقد كان فيما قبلكم من بني إسرائيل رجالٌ يُكَلَّمون من غير أن يكونوا انبياء، فإن يكن في أمّتي منهم احدٌ فعمر»، وروى مسلم في صحيحه عن عائشة عن النبيّصلى الله عليه وآله أنّه قال: «قد كان في الأُمم قبلكم محدَّثون، فإن يكن في أمّتي منهم احد فعمرُ بنُ الخطّاب منهم». ولو نسبنا إلى عليٍّعليه السلام أو غيرِه من أهل بيت النبوّة مثلَ ذلك لرمَوْنا بالغلو.

٧٩٨٥ـ قال القوشجي ـ وهو من اكابر علماء اهل السُّنّة ـ في كتابه «شرح تجريد الاعتقاد»: «أنّ عمرَ قال وهو على المِنبر: أيّها الناس ثلاثٌ كنّ على عهد رسول الله وأنا انهى عنهُنَّ واحرّمِهُنَّ واعاقب عليهن: مُتعةُ النساء، ومُتعةُ الحج، وحيّ على خير العمل» ثم عقّب القوشجي على ذلك بقوله: إنّ ذلك ليس مِمّا يوجب قَدْحاً فيه فإنّ مخالفةَ المجتهد لغيره في المسائل الاجتهاديّة ليس ببدع!». فإذا كان لعمر أو غيره حقٌّ في أن يخالفوا أمرَ الله ورسولِه ويجتهدوا في مقابل النص فعلى الإسلام السلام.

٧٩٨٦ـ الشعوبيّة ـ التي هي نَزعةٌ عَدائيّةٌ للعرب ـ إنّما هي ردُّ فعلٍ لمواقف الدول والجماعات العربيّة التي حكمت باسم الإسلام وهي بعيدةٌ كلَّ البعد عن روحه ومبادئه وتعاليمه. فقد كان هؤلاء ينظرون إلى الموالي نظرة ازْدِراءٍ واحتِقار ولا يساوونهم بالعرب في كلّ شيء، وسَمَّوا مَن يولد من اب غيرِ عربيّ ـ ولو كانت امّه عربيّة ـ هجيناً.

وكانوا لا يبيعون الضيف شيئاً مما يحتاج إليه من الطعام ـ إنْ كان عربيّاً ـ وإنّما يقدمونه إكراماً له ويبيعونه إن كان من الموالي. ولمّا نزل بمالك بن طريف من بني العنبر ضيفٌ عربيّ وباعوه طعاماً عيّرهم الناس بذلك حتى قال جرير:

يا مالكَ بنَ طريفٍ إنّ بيعَكم رِفدَ القِرى مفسِدٌ للدين والحسبِ
قالوا: نبيعكُمُ بيعاً فقلت لهم: بيعوا الموالِيَ واستحيوا من العربِ

وكانوا يقولون: لا يقطع الصلاةَ إلا حمارٌ أو كلبٌ أو مولى. وكانوا لا يمشون معهم في صفٍ واحد بل يَدّعونهم يمشون خلفهم، ولا يأكلون معهم في خِوانٍ واحد بل يتركونهم واقفين على رؤوسهم. وكانوا في الحرب يركبون الخيول ويتركونهم مشاة. ولقد وسم الحجّاج ايدي الموالي عند هِجرتهم إلى المدن وردّهم إلى القُرى إلى غير ذلك من الممارسات غيرِ الإنسانيّة وغيرِ الإسلاميّة التي حفّزت الموالي إلى اثبات وجودهم وكِيانهم في بعض الفترات السّانحة وصاروا يحتقرون العربَ وينبزونهم ويشتمونهم. وقد استفحلت هذه الظاهرة عند الأتراك والفرس أيّام الدولة العبّاسيّة وبقيت رواسبُها في نفوسهم جيلاً بعد جيل. والشعوبيّون البارزون في تاريخنا الإسلاميّ جُلّهم بل كلُّهم من غير الشيعة، ومع ذلك كلّه ترى الكثيرَ من كُتاب العصر يتهمون الشيعة بالشعوبيّة، وقد صدق عليهم المثلُ المعروف: «رمتني بدائها وانسلّت».

٧٩٨٧ـ روى احمدُ بنُ حنبل في مسنده وابنُ حجر في صواعقه والسيوطي في الجامع الصغير والطبراني في المعجم الصغير وغيرُهم عن النبيّ ﷺ أنّه قال: «مَثَلُ اهل بيتي فيكم كسفينة نوح مَن ركِبها نجا، ومَن تخلّف عنها غرِق، لا تتقدّموهم فتهلكوا، ولا تتخلّفوا عنهم

فتهلكوا، ولا تعلّموهم فإنهم اعلمُ منكم»، وجاء مثلُ ذلك عن أمير المؤمنين عليه السلام في إحدى خطبه في «نهج البلاغة»: «انظروا أهلَ بيت نبيّكم فالزموا سَمتَهم[1]، واتبعوا اثرَهم، فلن يُخرجوكم عن هدى، ولن يُعيدوكم في ردى، فإن لَبَدوا[2] فَالْبُدوا، وإن نهضوا فانهضوا، ولا تسبِقوهم فتضِلّوا، ولا تتأخّروا عنهم فتهلكوا».

٧٩٨٨ـ روى ابو اسحاق الثعلبي في تفسيره الكبير بسنده عن ابي ذر رضي الله عنه قال: سَمِعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله بهاتَين وإلاّ صُمّتا، ورأيتُه بهاتين وإلا عميتا يقول: «عليٌّ قائدُ البرَرَة وقاتلُ الكفَرَة، منصورٌ مَن نصره، مخذولٌ من خذله» أما أني صلّيتُ مع رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم فسأل سائلٌ في المسجد فلم يعطِهِ احدٌ شيئاً، وكان عليٌّ راكعاً فأومأ بخُنْصره إليه وكان يتختّم بها، فأقبل السائل حتى أخذ الخاتم من خُنْصره، فتضرّع النبيّ صلى الله عليه وآله إلى الله عزّ وجل يدعوه فقال: «اللهمّ إنّ أخي موسى سألك: ﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِيٓ أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُواْ قَوْلِي ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾﴾[3] فأوحيتَ إليه: ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾﴾[4] اللهمّ وإني عبدُك ونبيُّك، فاشرح لي صدري، ويسّرْ لي امري، واجعل لي وزيراً من اهلي عليّاً اشدُدْ به ظهري» قال ابو ذر: فواللهِ ما استتمّ رسولُ الله صلى الله عليه وآله الكلمة حتى هبط الأمينُ جبرئيل بهذه الآية: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ

---

(١) سمتهم: طريقهم ومنهجهم.

(٢) لبدوا: اقاموا.

(٣) سورة طه: آية (٢٥-٣٥).

(٤) نفس السورة، آية (٣٦).

﴿حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾[1].

وقد روى نزولَ هذه الآية في عليٍّ عليه السلام اكثرُ المفسّرين كالزمخشري في تفسيره، والفخرِ الرازي في تفسيره، والطبريِ في تفسيره، والقرطبي في تفسيره، وابنِ كثير في تفسيره، والنسفي في تفسيره، والسيوطي في تفسيره وابنِ الجوزي في «زاد المسير في علم التفسير»، والواحدي في «اسباب النزول»، والجصّاص في «أحكام القرآن»، والكلبي في «التسهيل لعلوم التنزيل» وغيرِهم مِمّا لم يُمكنْ أحصاؤهم.

وهذه الآيةُ الكريمة والرواية الشريفة حُجّةٌ فاطمة على إمامة أمير المؤمنين عليه السلام وولايتِه العامة على الناس اجمعين بعد ولاية الله تعالى وولاية رسوله الأمين صلى الله عليه وآله.

٧٩٨٩ـ روى البخاري في صحيحه بسنده عن عبد الرحمن بنِ عبد القاريء أنه قال: خرجتُ مع عمر بنِ الخطّاب رضي الله عنه ليلةً في رمضان إلى المسجد فإذا الناسُ اوزاعٌ[2] متفرّقون، يصلّي الرجلُ لنفسه، ويصلّي الرجلُ فيصلي بصلاته الرهط، فقال عمر: إني ارى لو جمعتُ هؤلاءِ على قاريء واحدٍ لكان امثل، ثم عزم فجمَعَهم على أبَيٍّ بنِ كعب، ثم خرجتُ معه ليلةً أخرى والناسُ يصلّون بصلاة قارئهم فقال عمر: «نعمت البِدْعةُ هذه»، واتبع الناسُ سُنّةَ عمر وتركوا سُنّةَ رسول الله صلى الله عليه وآله. حتى إذا ولي الأمرَ أميرُ المؤمنين عليه السلام اراد أن يُرجعَهم إلى السُّنّة النبويّة فأبوا ذلك ونادوا: واسُنّةَ عمراه، ولم ينادِ احدُ منهم:

---

(١) سورة المائدة، الآية (٥٥-٥٦).

(٢) اوزاع: جماعات.

واسُنّة رسول الله!!. مع أنّ البخاريّ نفسَه يروي في صحيحه: أنّ بعضَ الصحابة رفعوا اصواتَهم وحصّبوا باب[1] بيت رسول الله ﷺ ليصلّيَ بهم نافلةَ رمضان فخرج إليهم مُغضَباً فقال لهم ﷺ: «ما زال بكم صنيعكم حتى ظننت أنّه سيُكتب عليكم، فعليكم بالصلاة في بيوتكم فإنّ خيرَ صلاة المرء في بيته إلا الصلاة المكتوبة»، فلماذا هذا الإصرارُ على مخالفةِ سُنّة رسول الله ﷺ ومتابعة سُنّة عمر؟!.

٧٩٩٠ـ قال بعض علماء اهل السُنّة: «إنّ لِبسَ الخاتِمَ في اليد اليمنى هو سُنّةُ نبويّة، ولكن يجب تركُها لأنّ الشيعةَ اتخذوا ذلك شعاراً لهم». والغريب أنهم تركوا سُنّة رسول الله ﷺ واتبعوا سُنّةَ معاوية!! قال الزمخشري في «ربيع الأبرار»: إنّ اوّلَ مَن تختّم باليسار خِلافَ السُنّة النبويّة هو معاوية بنُ ابي سفيان». ويكفي الشيعةَ فخراً أنّهم اتبعوا سُنّةَ رسول الله ﷺ ويكفي غيرَهم عاراً أنّهم اتبعوا سُنّةَ ابنِ ابي سفيان.

ومثلُ ذلك قولُ ابي حامد الغزالي في «إحياء العلوم»: «إنّ تسطِيحَ القبور هو المشروع في الدين، لكن لَمّا جعلَتْه الرافضةُ شِعاراً لهم عدلْنا عنه إلى التّسنيم». وقولُ ابنِ تيميّة في «منهاج السُنّة»: ومِن هنا ذهب من الفقهاء إلى ترك بعض المستحبّات إذا صارت شِعاراً لهم - أي الشيعة - فإنّه وإن لم يكن التركُ واجباً لذلك ولكن في إظهار ذلك تمييزَ السُنيّ عن الرافضي ومصلحةُ التمييز عنهم لأجل هُجرانهم ومخالفتهم أعظمُ من مصلحة هذا المستحب». وقولُ الحافظ العراقي حول كيفيّة إسدال حَنَك العِمامة: «لم ارَ ما يدُلّ على تعيين الأيمن إلا في حديثٍ ضعيفٍ عند الطبراني، وبتقدير ثبوته فلعلّه كان يُرخيها من

(١) حصبوا الباب: رموها بالحصباء.

الجانب الأيمن ثم يردّها إلى الجانب الأيسر كما يفعله بعضهم، إلا أنّه صار شِعاراً للإماميّة فينبغي تجنّبُه لترك التشبّه بهم». وقولُ بعضهم: «إنّ السُّنّةَ وردت في الصلاة على الآل بعد الصلاة على النبيّ ﷺ، ولكنّا معاشرَ الجُمهور تركناها لأنّ الشيعةَ اتّخذوها شِعاراً لهم».

فليت شعري إذا كان الشيعةُ يتّبعون سُنّة رسول الله ﷺ وهم يخالفونها فكيف جاز لهم أن يُطلقوا على انفسهم كلمة «اهل السُّنّة؟!» اللهم إلا من باب إطلاق «البصير» على «الأعمى» كما هو شائع في كلام العرب.

٧٩٩١ـ في قوله تعالى من سورة النساء: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾﴾ توصيةٌ من الله سبحانه بالإحسان إلى هؤلاء لأنهم أحقُّ به من كلّ أحد. فبعد أن أمر الله بعبادته وحده لا شريك له أمر بالإحسان إلى الوالدين، ثم الإحسان إلى الأقرباء، ثم إلى اليتامى، ثم إلى المساكين وهم الفقراءُ المعدمون، ثم الجارِ ذي القربى وهو القريبُ نسباً أو القريبُ مكاناً، ثم الجارِ الجُنُب وهو البعيدُ نسباً أو البعيدُ مكاناً، ثم الصاحبِ بالجَنْب وهو الرفيقُ الملازمُ لك الذي يقف إلى جَنْبك في كلّ الأحوال، وربّما يشمَل الزوجةَ التي تكون بجنبه كما روي ذلك عن أمير المؤمنين عليه السلام، ثم ابنِ السبيل وهو المسافرُ المنقطعُ عن اهله ووطنه وإنْ كان غنيّاً عندهما، ثم ما ملكَت أيمانكم وهم العبيد والإماء. ومَن لم يراع حقوقَ هؤلاء فهو المغرورُ بنفسه والمتكبّرُ على غيره، والله سبحانه لا يُحبّ

من كان مُختالاً فخوراً. كما أنّ من قام بهذه الحقوق قد يُصاب بالخُيَلاء والغرور، فدفعاً لهذه الصفةِ الذميمة ختم الله الآية الكريمة بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾.

وقد جاء في بعض الروايات: إنّ المرادَ من قوله تعالى: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ هو رسول الله ﷺ واميرُ المؤمنين عليه السلام، وقد روي عن النبيّ ﷺ أنهقال: «أنا وعليّ ابوا هذه الأمّة» وهذا من باب ذكر أشرف المصاديق.

٧٩٩٢ـ إنّ الله سبحانه وتعالى منزّهٌ عن الظلم صغيره وكبيرِه كما قال جلّ شأنه في سورة النساء، الآية (٤٠): ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾، وذلك لأنّ الظلمَ قبيح وهو سبحانه منزّهٌ عن القبيح ومتصفٌ بكل صفات الكمال والجمال والجلال. ولأنّ الظلم إنّما يصدر عن الجهل وهو سبحانه بكلّ شيءٍ عليم، أو يصدر بدافع الحاجة إليه وهو سبحانه الغنيُّ المطلق الذي يفتقر كلُّ شيء إليه. وليس معنى نفي الظلم عنه تبارك وتعالى أنه عاجزٌ عنه بل هو القادرُ على كلّ شيء ولكنه لكماله المطلق منزّهٌ عن هذا النقص، ولجماله المطلق منزّهٌ عن هذا القبح، ولحكمته المطلقة منزّه عن هذا الجهل، ولذا اشتهر على لسان المتكلّمين: «إنّ الله لا يظلم لحكمةٍ لا لقدرة».

٧٩٩٣ـ معنى «الطمس» هو المحو، وقد وردت هذه المادّة في القرآن الكريم في عِدّة مواضع إمّا بغير حرف جر كما في قوله تعالى في سورة النساء، الآية (٤٧): ﴿مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ﴾، وقوله في سورة القمر، الآية (٣٧): ﴿فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ﴾. وإمّا متعدّيةً بعلى نحو قوله تعالى في سورة يونس، الآية (٨٨): ﴿رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ﴾،

وقوله في سورة يس، الآية (٦٦): ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ﴾ وطمس الأعين هو محو اثر البصر فيها أي العمى كما قال الشاعر:

مَن يطمِس الله عينيْه فليس له نورٌ يبين به شمساً ولا قمرا

٧٩٩٤ـ كان الفرّاء يختلف إلى الكسائي ويستفيد منه، فقيل له يوماً: لِمَ تختلف إلى الكسائي وانتَ مثلُه في النحو؟ فأعجبَتْه نفسُه فدخل عليه ـ وهو يشعر أنّه نِدٌّ له ـ فصار يذاكره مذاكرةَ النِدّ للنِدّ، فخرج من عنده وهو يقول: «كنتُ معه كطيرٍ يغترف من البحر بمنقاره».

٧٩٩٥ـ ذكر بعض الباحثين: أنّ أوّلَ من سمّى ابا حنيفة «الإمامَ الأعظم» هم الأتراك وذلك لأنه كان يقول بجواز الخِلافة للموالي ـ أي غير العرب ـ استناداً إلى قول عمر بن الخطاب قُبيلَ وفاته: «لو كان سالم مولى ابي حُذيفة حيّاً لولّيتُه عليكم». مع أنّ الثابتَ عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «الخلفاءُ من بعدي اثنا عشر كلّهم من قريش»، وفي رواية أخرى: «كلهم من بني هاشم».

٧٩٩٦ـ جاء في صحيح مسلم عن زيد بنِ ارقم عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ألا وإني تاركٌ فيكم الثقلَيْن احدهما كتاب الله عزّ وجل هو حبلُ الله مَن اتبعه كان على هدى ومَن تركه كان على ضلالة» ثم قال: «وأهل بيتي، أذكّركم الله في اهل بيتي، أذكّركُم الله في أهل بيتي، أذكّركم الله في أهل بيتي»، فقلنا: مِن أهل بيته نساؤه؟ فقال زيد: لا، وايم الله، إنّ المرأةَ تكون مع الرجلَ العصر من الدّهر ثم يطلّقها فترجع إلى ابيها وَقومها، اهلُ بيته اصلُه وعصَبَتُه الذين حُرِموا الصدقة بعده.

٧٩٩٧ـ جاء في صحيح البخاري وصحيح مسلم عن رسول

الله ﷺ أنه قال: «سيؤخذ بكم يوم القيامة إلى ذات الشمال فأقول: إلى اين؟» فيُقال: إلى النار والله، فأقول: يا رب هؤلاء اصحابي، فيُقال: إنك لا تدري ما احدثوا من بعدك، إنهم لا يزالون مرتدِّين منذ فارقتَهم، فأقول: سُحقاً سُحْقاً لمن بدّل بعدي»، وجاء في صحيح البخاري أيضاً بسنده عن العلاء بن المسيب عن ابيه قال: لقيت البراء بن عازب فقلت له: طوبى لك صحِبت النبيَّ ﷺ وبايعتَ، تحت الشجرة، فقال: «يا ابن اخي انك لا تدري ما احدثناه بعده». وصدق الله حيث يقول في سورة آل عمران: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَـٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى اللَّهُ الشَّـٰكِرِينَ (١٤٤)﴾.

٧٩٩٨ـ روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مَن بدأ بالكلام قبل السلام فلا تجيبوه»، وقال أيضاً: «ابدؤوا بالسلام قبل الكلام، فمن بدأ بالكلام قبل السلام فلا تجيبوه».

٧٩٩٩ـ روي: أنّ رجلاً قال لرسول الله ﷺ: «السلام عليك» فقال ﷺ: «وعليك السلام ورحمة الله»، وقال آخر: «السلام عليك ورحمة الله» فقال ﷺ: «وعليك السلام ورحمة الله وبركاته»، وقال آخر: «السلام عليك ورحمة الله وبركاته» فقال ﷺ «وعليك السلام ورحمة الله وبركاته» فقال الرجل: فأين ما قال الله: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَآ﴾[١] فقال ﷺ: «إنك لم تترك لي فضلاً ورددتُ عليك بمثله».

(١) سورة النساء، الآية (٨٦).

٨٠٠٠ـ روي عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال: «مَن لقيَ فقيراً مسلماً فسلّم عليه خِلافَ سلامه على الغنيّ لقي الله عزّ وجل يوم القيامة وهو عليه غضبان».

٨٠٠١ـ جاء في صحيحة زرارة ومحمد بن مسلم قالا: قلنا لأبي جعفر عليه السلام: ما تقول في الصلاة في السفر كيف هي؟ وكم هي؟ فقال عليه السلام: «إنّ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَوٰةِ﴾[1] فصار التقصيرُ في السفر واجباً كوجوب التمام في الحضر»، قلنا: إنّما قال الله تعالى: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ ولم يقلْ: افعلوا، فكيف أوجب ذلك كما أوجب التمامَ في الحضر؟ فقال عليه السلام: «اوليس قد قال: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾[2] ألا ترون أنّ الطُواف بهما واجبٌ مفروض لأنّ الله عزّ وجل ذكره في كتابه وصنعه نبيّه صلى الله عليه وآله، وكذا التقصير في السفر ذكره الله في كتابه وصنعه النبيّ صلى الله عليه وآله» قلنا: فمن صلى من الصلاة اربعاً أيعيد أم لا؟ قال عليه السلام: «إن كان قد قُرئت عليه آيةُ التقصير وفُسّرت له فصلّى اربعاً أعاد، وإن لم يكن قُرِئت عليه ولم يعلمْها فلا إعادةَ عليه، والصلاةُ كلُّها في السفر الفريضة ركعتان إلا المغرب فإنّها ثلاث ليس فيها تقصير تركها صلى الله عليه وآله في السفر والحضر ثلاث ركعات إلى آخر الحديث». أمّا الصبح فهي على حالها في السفر والحضر ركعتان.

٨٠٠٢ ـ روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «اذا إستولى الفساد على أهل الزمان فمن أحسن الظنّ بهم فقد غرّر نفسه» أي

---

(١) سورة النساء، الآية (١٠١).　　(٢) سورة البقرة، آية (١٥٨).

أوقعها في الضرر والهلاك.

٨٠٠٣ ـ روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «طوبى للمخلصين، أولئك مصابيح الهدى، تنجلي بهم كلُّ فتنةٍ ظلماء».

٨٠٠٤ ـ روي عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «لهو المؤمن في ثلاثة أشياء: التمتّع بالنساء، ومفاكهة الإخوان، والصلاة بالليل».

٨٠٠٥ ـ قال تعالى في سورة النساء: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾﴾، وفي الآية الكريمة أمور مهمّة يجدر التنبيه عليها:

الأوّل: في قوله تعالى: ﴿كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ﴾ تأكيد على وجوب مراعاة الحق والعدل في جميع الأحوال والأفعال والأقوال، فبالعدل يستقيم نظام الحياة، وبالعدل تُصان الحقوق وتُحفظ النفوس، وبالعدل قامت السموات والأرض كما في الحديث الشريف.

الثاني: في قول تعالى: ﴿شُهَدَآءَ لِلَّهِ﴾ توضيح على أنّ من يتصدّى للشهادة أمام الحاكم الشرعيّ يجب أن تكون شهادته خالصةً لوجه الله تعالى بعيدة عن المطامع والمنافع الشخصيّة.

الثالث: في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ حثّ للمؤمن أن يلتزم جانبَ الحق والعدل ولو كان ذلك مخالفاً لمصلحة نفسه ففي الحديث الشريف: «قل الحقّ ولو على نفسك».

الرابع: في قوله تعالى: ﴿أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾ تأكيد على التزام

جانب الحق ولو كان ذلك مخالفاً لمصلحة والديْه أو أقربائه. وظاهر الآية الكريمة هو جواز شهادة الولد على والديه مع أنّ بعض الروايات الواردة عن المعصومين عليهم السلام تمنع من ذلك وهو المشهور عند الفقهاء. ويمكن حمل الآية على جواز الشهادة على الوالدين ـ إن كانا كافريْن ـ، وحمل الروايات على عدم جواز الشهادة عليهما ـ إن كانا مؤمنين ـ لأنّ ذلك ينافي وجوب احترامهما والبرّ بهما والإحسان إليهما.

الخامس: في قوله تعالى: ﴿إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا﴾ تحذير من الميل عن الحق والعدل بسبب بعض المؤثرات الخارجيّة كالغنى والفقر، فلا يجوز أن يكون الغنى في الإنسان داعياً للشهادة له أو عليه، أو يكون الفقر فيه داعياً لعدم الشهادة له أو داعياً للشهادة عليه أو له ولو بالباطل.

السادس: في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا﴾ تحذير آخر من مخالفة الحق والعدل بسبب الأهواء والمطامع، لأنّ متابعة الهوى توقع الإنسان في حبائل الشيطان وتصدّه عن الصراط المستقيم. وفي قوله تعالى: ﴿أَن تَعْدِلُوا﴾ معنيان وحذف وتقدير. فإذا كان قوله ﴿أَن تَعْدِلُوا﴾ من العدول أي الميل عن الحق كان المعنى والتقدير: ولا تتبعوا الهوى مخافةَ أن تعدلوا أي تميلوا من الحق إلى الباطل بسبب اتباعكم للهوى.

وإذا كان قوله ﴿أَن تَعْدِلُوا﴾ من العدل الذي هو مقابل الجور كان المعنى والتقدير: ولا تتّبعوا الهوى لأجل أن تعدلوا لأنّ ملازمة الحق والعدل متوقفة علي مخالفة الهوى، فمن خالف هواه كان قريباً منهما ومن تابع هواه كان بعيداً عنهما.

السابع: في قوله تعالى: ﴿وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ تهديد من الله سبحانه لمن يحرّف الشهادة أو يغيّرها أو يأتي بها على غير وجهها الصحيح، وكذلك لمن يتركها أو يعرض عنها مع أهميّتها وتوقّف إثبات الحق عليها. فإنّ الله خبير بأعمالكم وأقوالكم ونواياكم، وهو الذي يجازيكم عليها إن خيراً فخير، وإن شرّاً فشر.

٨٠٠٦ ـ يحرم مخالطة ومجالسة أهل الكفر والبدع والضلال ولا سيما إذا كانوا خائضين في حديث باطلٍ أو متلبّسين بعمل محرّم إلا في حالات خاصة كالاضطرار إلى ذلك أو لغرض هدايتهم وإرشادهم قال تعالى في سورة النساء، الآية (١٤٠): ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ﴾، وقال سبحانه في سورة الأنعام: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾. وروى الشيخ الكليني في «الكافي» بسنده عن شعيب العقرقوفي قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قوله عزّ وجل: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ . . .﴾ فقال عليه السلام: «إنما عنى بها الرجل يجحد الحق ويكذّب به، ويقع في الأئمة فقم من عنده ولا تقاعده كائناً من كان» والرواية من باب التطبيق وذكر أظهر المصاديق.

وقال عليه السلام في حديث آخر: «لا تصحبوا أهل البدع ولا تجالسوهم فتصيروا عند الناس كواحدٍ منهم»، وفي حديثٍ آخر: «إيّاك وقرين السوء فإنّك به تعرف».

٨٠٠٧ ـ كلُّ عملٍ لم يكن خالصاً لوجه الله فإنّه باطل عاطل ولا

يترتّب عليه ثواب في الآخرة إلا الخمر فقد ورد في الحديث الشريف «من ترك الخمر لا لله أثابه الله»، وروي عن النبي ﷺ أنه قال لعليّ عليه السلام: «يا علي من ترك الخمر لغير الله سقاه الله من الرحيق المختوم» فقال عليّ عليه السلام: «لغير الله؟» فقال ﷺ: «نعم والله صيانةً لنفسه فيشكره الله تعالى على ذلك».

٨٠٠٨ ـ روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «من أضاف قوماً فأساء ضيافتهم فهو ممن ظلم فلا جناح عليهم فيما قالوا فيه» يشير عليه السلام إلى قوله تعالى في سورة النساء: ﴿لَّا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾﴾.

٨٠٠٩ ـ روى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لا يدخل الجنّة من كان في قلبه مثقال ذرّةٍ من كِبْرٍ» فقال رجل: يا رسول الله إنّ الرجل يحبّ أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة فقال ﷺ: «أنّ الله جميل يحبّ الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس» أي إنّ الكبر بطر المذموم هو التعالي على الحق وعدمُ الانقياد له من ناحية، والاستهانة بغيره من الناس من ناحية أخرى.

٨٠١٠ ـ جاء في أدعية رسول الله ﷺ قوله: «اللّهم أحيني مسكيناً، وأمتني مسكيناً، واحشرني في زمرة المساكين» فإنه ﷺ يطلب من ربّه أن يجعله من المتواضعين والمخبتين ولا يجعله من المتجبّرين والمتكبرين. ولله درُّ الشاعر حيثُ يقول:

ما لذّة العيش إلا صحبةُ الفقرا ... همُ السلاطين بين الناس والأُمرا

٨٠١١ ـ روي عن رجل من الصحابة اسمه «وابصة» أنّه قال: أتيتُ رسول الله ﷺ وأنا أريد أن لا أدع شيئاً من البرّ والإثم إلا سألتهُ

عنه، فقال لي: «يا وابصة أخبرك عمّا جئتَ تسأل عنه أم تسأل؟» فقلت: يا رسول الله أخبرني، فقال ﷺ: «جئتَ لتسأل عن البرّ والإثم» ثم جمع أصابعه الثلاث فجعل ينكث بها صدري ويقول: «يا وابصة استفت قلبك، استفت نفسك، البرّ ما اطمئن إليه القلب واطمأنّت إليه النفس، والإثم ما حاك في القلب وتردّد في الصدر، وإن أفتاك الناس وأفتوك».

٨٠١٢ ـ إنّ الأوامر الواردة في القرآن الكريم تأتي على أنواعٍ كثيرة:

منها: للوجوب والإلزام، كقوله تعالى في سورة النور، الآية (٥٦): ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝٥٦﴾ وقوله في سورة الجمعة، الآية (٩): ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ﴾.

ومنها: للندب والإرشاد، كقوله تعالى في سورة الأعراف، الآية(٣١): ﴿يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾، وقوله في سورة لقمان، الآية (١٩): ﴿وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ﴾.

ومنها: للإباحة، كقوله تعالى في سورة البقرة، الآية (١٨٧): ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾. وقوله سبحانه في سورة الأعراف، الآية (٣١): ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟﴾ وقوله في سورة المائدة، الآية (٨٨): ﴿وَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَـٰلًا طَيِّبًا﴾.

ومنها: للرخصة بعد الحضر، كقوله تعالى في سورة المائدة، الآية (٢): ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟﴾، وقوله في سورة الجمعة، الآية(١٠): ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾.

٨٠١٣ ـ ورد النهي عن الزواج بالنساء الكافرات في قوله تعالى في سورة الممتحنة، الآية (١٠): ﴿وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ﴾ فهي وإن وردت في النساء اللّواتي أسلم أزواجهنّ ولكنّ سببَ النزول لا يقيّد إطلاقَ الحكم. ولفظ «الكوافر» يشمِلُ المشركات والكتابيّات. للمسلم أن يتزوجَ يهوديّةً ولا نصرانيّة وهو يجد مسلمةً حرّة أو أمة. والمسألة في غاية الإشكال، وهي محرّرة في كتب الاستدلال، والله أعلمُ بحقيقة الحال.

٨٠١٤ ـ الصحيح أن تقول: «فلانة عضو في مجلس الأمّة» ومن الخطأ أن تقول: فلانة عضوة. والصحيح أن تقول: «أكدّ الشيء» ومن الخطأ أن تقول: أكدّ على الشيء. والصحيح أن تقول: «مَلْءُ الشواغر» ومن الخطأ أن تقول: إملاء الشواغر.

والصحيح أن تقول: «الأفعال الشائنة» ومن الخطأ أن تقول: الأفعال المشينة. والصحيح أن تقول في جمع رُبّان: «رَبابنة ورَبابين» ومن الخطأ أن تقول: ربّابين. والصحيح أن تقول في جمع سائح «سيّاح» ومن الخطأ أن تقول: سُوّاح.

٨٠١٥ ـ من الأمثلة الطريفة على التلاعب بتطبيق القانون ما قيل: إنّ أحدَ المحامين طالب ببراءة موكّله بائع الحليب الذي أدين بجريمة الغش بُحجة أنّه لا يغشّ الحليبَ بالماء ـ كما جاء في نصّ القانون ـ وإنّما يغشّ الماء بالحليب، بمعنى أنّه يضع الماء أوّلاً ثم يصبّ الحليب.

٨٠١٦ ـ روي عن النبيّ ﷺ في سبب تسمية عيسى عليه السلام بالمسيح بأنّه مسموحُ البدن من الأدناس والآثام. وقيل: إنّما سُمي

بالمسيح لأنّه كان يسيح في الأرض لإبلاغ دعوته. وقيل: إنّما سُميّ بذلك لأنّه كان إذا مسح على الميت أحياه وإذا مسح على المريض شفاه بإذن الله تعالى. وكلمة «المسيح» في العبرانيّة «المشيح» كما أنّ «موسى» في تلك اللغة «موشي».

٨٠١٧ ـ قال ابن طباطبا في ذمّ من يحلق لحيته:

يا من يُزيل خِلْقة الـ ... ـرحمن عمّا خُلِقتْ
تُبْ وخَفِ الله على ... كفّك مِمّا اجترحتْ
هل لك عذرٌ عنده ... إذا الوحوشُ حُشِرتْ
باللحيةِ إنْ سئِلتْ ... بأيّ ذنبٍ نُتِفتْ

٨٠١٨ ـ لا يُشترط في مَن يحيط معرفةً بأوزان الشعر وبحوره وبكلّ ما له صِلةٌ بعلم العَروض أن يكون شاعراً، ولا يُشترط في مَن يجيد نظمَ الشعر أن يكون ملِمّاً بالعروض، فإنّ بعض الأعلام من نُقّاد الأدب والشعر لا يُحسنون قولَ الشعر مع إحاطتهم بعلم العروض، فهذا أبو علي الفارسي ـ وهو مَن هو في ميدان الأدب واللغة ـ يقول عن نفسه وهو يخاطب الشعراء:

«إنّي لأغبِطُكم على قول الشعر، فإنّ خاطري لا يوافقني على قوله مع تحقُّقي بالعلوم التي هي من موادّه»، وكذلك بعضُ الشعراء المجيدين لا يكاد يعرف من العروض شيئاً ولكن تستقيم له أوزانه وبحورهُ سليقةً. كما أنّ بعضَ الشعراء لم يدرس النحوَ ولكنّه يجري في شعره مع قواعده سليقةً أيضاً حتى قال أحدهم:

ولستُ بنحويّ يلوك لسانه ... ولكن سليقيّ يقول فيُعربُ

٨٠١٩ ـ روي: إنّ أبا الهول الحميري كان له صديقٌ فقير، ثم انساقت له الدنيا وأقبلت عليه بخيراتها وبركاتها فاحتاج إليه صديقُه أبو الهول فلم يكن عند حسن ظنّه به فكتب إليه هذين البيتين:

لئن كانت الدنيا أنالتك ثروةً
فأصبحتَ فيها بعد عُسْرٍ أخا يُسْرِ
لقد كشف الإثراءُ منك خلائقاً
من اللؤم كانت تحت ثوبٍ من الفقرِ

فما أثرّ ذلك في طبيعته ولا غيّر من خليقته.

٨٠٢٠ ـ قال ابن الرومي:

لو كنت يوم الوداع شاهدَنا وهُنَّ يُطفينَ لوعةَ الوجْدِ[1]
لم تر إلا دموعَ باكيةٍ تَسفح[2] من مُقلةٍ[3] على خَدِّ
كأنّ تلك الدموعَ قَطْرُ ندًى يَقطُرْنَ من نرجسٍ على وَرْدِ

٨٠٢١ ـ أكثرُ القارات سُكاناً «آسيا» وأقلُّها سكاناً «أستراليا». وأكثرُ الدول سُكّاناً «الصين»، وأقلُّها سُكّاناً «الفاتيكان».

٨٠٢٢ ـ روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «ترى الرجلَ لا يكاد يخطئ بلام ولا واو خطيباً[4] مِصقَعاً وإنّ قلبَه لأظلمُ من الليل المظلم، وترى الرجلَ لا يكادُ يُبين عمّا في نفسه وإنّ قلبَه كالمصباح».

٨٠٢٣ ـ مما سنح لي قولُه وقد أخذتُ معناه من بعض الشعراء

---

(١) الوجد: الحزن.
(٢) تسفح: تسيل.
(٣) المقلة: العين.
(٤) الخطيب المِصقَع: البليغ.

المتقدّمين وتصرّفت فيه:

تُلجي الضروراتُ إلى ما لا يليقُ بالأدبْ
حكمٌ به العقلُ قضىً وليس في هذا عجبْ

٨٠٢٤ ـ قال أبو هلال العسكري:

إذا خالف القولُ الفِعالَ فإنّه لعمري هباءٌ لا يفيد ولا يُجدي
فلا مرحباً بالخلّ يُبدي لي الهوى وأفعالُه تُومي إلى غير ما يُبدي

٨٠٢٥ ـ قال أبو هلال:

يا لئيمَ النجار[1] عِشْ في نعيمٍ ودع البؤسَ[2] للكريم النجارِ
عِشْ كما شئتَ فالزمان حِمارٌ ليس يصفو إلا لكلّ حمار

٨٠٢٦ ـ قال أبو هلال في وصف بخيل:

قد كان للمال ربّاً فصار في البخل عبدَهْ
وصحّف الصيفَ ضيفاً فقام يلطم خدَّهْ

٨٠٢٧ ـ قال أبو هلال في «ديوان المعاني»: «وقد ذكروا أنّ كلّ معنًى للأوائل أخذه المتأخرون وتصرّفوا فيه إلا قول عنترة في الذُّباب فإنّه لم يُتعرَّضْ له، ولو رامه مَن رامه لافتضح، وهو قوله:

وترى الذُّبابَ بها يغنّي وحده زَجلاً[3] كفعل الشارب المترنّم
هزجاً[4] يحك ذِراعَه بذِراعه فعلَ المكبّ على الزناد الأجذمِ[5]

---

(١) النجار: الأصل.

(٢) البؤس: الفقر.

(٣) زجلاً: رافعاً صوته بالغناء.

(٤) هزجاً: مترنماً.

(٥) الأجذم: المقطوع.

٨٠٢٨ ـ قال أبو هلال في «ديوان المعاني»: «أخبرني بعض أصحابنا قال: ناطقت فتًى من بعض أهل القرى فوجدتُه ذليقَ اللسان، فقلت له: من أين لك هذه الذلاقة؟[1] قال: كنت أعمد كلَّ يومٍ إلى خمسينَ ورقةٍ من كتب الجاحظ فأقرؤها برفعِ صوت، فلم أجْرِ على ذلك مدّةً حتى صرتُ إلى ما ترى».

٨٠٢٩ ـ من أحسن ما قيل في وصف الشعر قول الأعشى:

فأفضيتُ فيها إلى جنّةٍ تدلّتْ عليَّ عنا قيدُها

حتى إنّ بشاراً كان يتعجّب من حسن هذا البيت، ويقدّمه على جميع ما قيل في الشعرَ كما جاء ذلك في كتاب «ديوان المعاني» لأبي هلال العسكري.

٨٠٣٠ ـ سُئل بعضُ الأدباء عن قول القطامي:

قد يدرك المتأنّي بعضَ حاجتهِ وقد يكون مع المستعجل الزلّلُ

فقيل له: لِمَ لم يقلْ: «كلَّ حاجته» فيكون أبلغ؟ فقال: ليس «كل» من كلام الشعر، ولو قال: «كلّ حاجته» لكان متكلّفاً مردوداً.

ولكنّ هذا القول لم يكن صحيحاً على نحو الإطلاق فقد تأتي «كل» في موقعها المناسب من الشعر فتكون مقبولةً محبّبة كقول أبي العتاهية:

أعلَمْتُ عُتبةَ أنّني منها على أجلٍ مُطِلُّ
وشكوتُ ما ألقى إليـ ـها والمدافعُ تستهِلُّ

---

(١) ذليق اللسان: فصيح اللسان، والذلاقة: الفصاحة.

حتى إذا برِمتُ[١] بما أشكو كما يشكو الأذلُّ
قالت: فأيُّ الناس تعرف ما تقول؟ فقلتُ: كلُّ
ومن الذي يهوى فلا يُزهى عليه ولا يُذلّ

كقول أبي تمام:

معتدلٌ لم يعتدل عدلُه في عاشقٍ طال به خَبْلُه[٢]
أطرْفُه أحسن أم ظرْفُه وحسنهُ أكمل أم عقلُه؟
انظُرْ فما عاينتُ من غيره من حسنٍ فهو له كلُّه
لو قيل للحُسْن تمنَّ المنى إذاً تمنّى أنّه مثلُه

وكقول ديك الجن في رثاء ولده:

مات حبيبٌ فمات ليثٌ وغاض بحرٌ وباخ[٣] نجمُ
سمَتْ عيونُ الردى إليه وهي إلى المكرمات تسمو
ما أمّك اجتاحت المنايا كلُّ فؤادٍ عليك أمُّ

وكقول بعضهم:

شكوتُ فقالت: كلُّ هذا تبرّماً[٤]
بحبّي؟ أراح الله قلبك من حبّي
فلمّا كتمتُ الحبَّ قالت: لشرَّ ما
صبرتَ وما هذا بفعل الشجي[٥] الصَّب[٦]

---

(١) برمت: سئمت.
(٢) خبله: ذهوله.
(٣) باخ: خمد وانطفأ.
(٤) تبرماً: تضجراً.
(٥) الشجي: الحزين.
(٦) الصب: المحب.

وأدنو فتقْصيني فأبعدُ طالباً
رضاها فتعتدّ التباعدَ من ذنبي
فشكواي تؤذيها وصبري يسوؤها
وتجزع من بُعدي وتنفر من قُربي

ومثل كلمة «كل» قالوا في كلمة «أيضاً» واعتبروها كلمةً غيرَ مستحسنةٍ وغيرَ جميلةٍ في الشعر، ولكن جاءت في شعر بعضهم غايةً في الحسن والجمال كقول أبي بكر الشبلي:

رُبَّ ورقاءَ[1] هتوفٍ في الضُّحى ... ذاتِ شجوٍ صدَحتْ[2] في فَنَنِ[3]
ذكرتْ إلفاً وعهداً سالفاً ... فبكت حزناً فهاجت حَزَني
فبكائي ربّما أرّقها ... وبكاها ربّما أرّقني
ولقد تشكو فما أفهمُها ... ولقد أشكو فما تفهمُني
غير أنّي بالجوى أعرِفُها ... وهي أيضاً بالجوى[4] تعرِفني

وكقول بعضهم:

جاء الشتاء وما عندي له وَرِقٌ[5] ... مما وهبتُ وما عندي له خِلَعُ
كانت فأودى بها[6] جودٌ ولِعْتُ به ... وللمساكين أيضاً بالندى[7] ولَعُ

٨٠٣١ ـ قال الشاعر:

وما أنا إلا قطرةٌ من سحابه ... ولو أنّني صنّفتُ ألف كتابِ

---

(١) ورقاء: حمامة.
(٢) صدحت: غنّت.
(٣) فنن: غصن.
(٤) الجوى: شدة العشق.
(٥) ورق: دراهم.
(٦) أودى بها: ذهب بها.
(٧) الندى: الكرم.

٨٠٣٢ ـ قال ابن منظور في كتابه «لسان العرب» في تعريف الشيعة: «والشيعة هم قومٌ يَهوَوْن هوى عترة النبيّ ﷺ ويوالونهم» ويعلّق الدكتور سعيد عبد الفتّاح عاشور على هذا التعريف بقوله: «وإذا كان الشيعةُ هم الذين يهوَوْن هوى عترة النبيّ ﷺ ويوالونهم فمَن من المسلمين يرفض أن يكون شيعيّاً؟!».

وصدق الشاعر المسيحي بولس سلامة حيثُ يقول:

لا تقلْ شيعةُ هُواةُ عليٍّ إنّ في كلِّ منصفٍ شيعيّا

٨٠٣٣ ـ روى الخطيب البغدادي في كتابه «تاريخ بغداد» عن الوليد بن عبد الملك أنّه خطب يوم الجمعة فقال: إنّ الحديث الذي روي عن رسول الله ﷺ أنّه قال لعليّ: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى» صحيح ولكنّه محرّف لأنّ رسولَ الله قال لعليّ: أنت مني بمنزلة قارون من موسى، فاشتبه الأمر على السامع!!. فانظر كيف يبلغ الحقدُ على أمير المؤمنين عليه السلام إلى حدٍّ يستبيحون معه الكذبَ على الله ورسوله ﷺ وهم يدّعون أنّهم خلفاءُ الله في أرضه وخلفاءُ رسوله على أمته!!.

٨٠٣٤ ـ روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «عجباً للناس يقولون بأنّهم أخذوا علمَهم كلَّه عن رسول الله ﷺ فعمِلوا به واهتدَوْا، ويرون أنّا أهل البيت لم نأخذ علمَه ولم نهتدِ به ونحن أهلُه وذريّتهُ، في منازلنا نزل الوحي، ومن عندنا خرج العلم إلى الناس، أفتراهم علِموا واهتدَوْا، وجهِلنا وضلَلْنا؟!!».

٨٠٣٥ ـ لقد حرّف الوضّاعون الحديثَ النبويّ المشهور وهو قوله ﷺ: «إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن

تمسكتم بهما لن تضلّوا بعدي أبداً» بقولهم: «إنّي تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلّوا كتاب الله وسنّتي». ونحن نسألهم ونقول: لو أنّ النبيّ ﷺ حقاً أوصى بذلك فكيف يقول أبو بكر من بعده: «لا تحدّثوا عن رسول الله شيئاً، فمن سألكم فقولوا: بيننا وبينكم كتابُ الله»؟ وكيف يقول عمر في محضر رسول الله ﷺ: «حسبنا كتاب الله»؟ وكيف يخالف عثمانُ سُنّة النبيّ ﷺ حتى ثار عليه المسلمون، وحتى قالت عائشة ـ وقد أخرجت قميصَ رسول الله ـ: «لقد أبلى عثمان سنّةَ رسول الله وهذا قميصُه بعدُ لم يَبْلَ»؟ وكيف يأمر هؤلاء ـ وهم يدّعون أنّهم خلفاء النبيّ ـ بحرق السُنّة النبويّة ويمنعون الناس من كتابتها والرجوع إليها والاحتفاظ بها؟!. لقد بلغَ الأمر حدّاً لا يكاد يتصوّره العقل وحسبك ما رواه البخاري في صحيحه: إن أنس بن مالك كان يبكي ويقول: «والله ما أجد شيئاً مما أدركت عليه رسولَ الله» قالوا: وهذه الصلاة؟ قال: «لقد غيّرتم فيها ما غيّرتم». فأين إذاً كتابُ الله، وأين سنّةُ رسول الله؟!!.

٨٠٣٦ ـ قال الشاعر في وصف كرم ممدوحه

تـراه ـ إذا مـا جـئـتَـه ـ مـتـهـلّـلاً   كـأنّـك تُـعـطـيـه الـذي أنـت سـائِـلُـهْ

٨٠٣٧ ـ جاء في كتاب «التطوّر النحوي» قولُه: «الضادُ الضيّقة حرفٌ غريبٌ جدّاً غيرُ موجودٍ حسبما أعرف في لغةٍ من اللغات إلا العربيّة، ولذلك كانوا يكنّون عن العرب بالناطقين بالضاد». وجاء في كتاب «الأصوات اللغويّة» قولُه: «ولذلك كانت ـ الضاد ـ عصِيّةَ النطق على أهالي الأقطار التي فتحها العرب أو حتى على بعض القبائل العربيّة في شبه الجزيرة، ممّا يفسّر تسمية اللغة العربيّة بلغة الضاد، ويبدو أنّ

النطقَ القديمَ بالضاد كان أحدَ خصائص لهجة قريش».

ولقد اشتهر عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أنا أفصح مَن نطق بالضاد».

٨٠٣٨ ـ الغريب أنّ عبد الله بنَ عمر ـ كما جاء في صحيح البخاري ـ كان يقول: كنّا في زمن النبيّ ﷺ لا نعدل بأبي بكر أحداً، ثم عمر، ثم عثمان، ثم نترك أصحابَ النبيّ ﷺ لا نفاضل بينهم.

ولمّا بويع أمير المؤمنين عليه السلام بالخلافة بعد مقتل عثمان امتنع عبدُ الله عن بيعته، ثم بايع من بعده معاوية، وبايع بعده ابنه يزيد، وكان يردّد مقولتَه المشهورة: «نحن مع مَن غلب». وما مضت الأيّام حتى سارع إلى الحجّاج بن يوسف الثقفي ـ عدوّ الله وعدوّ رسولِهِ ـ يبايعه أو يبايع عبدَ الملك بن مروان على يده. ولمّا سئل عن حديث النبيّ ﷺ: «الأئمةُ من بعدي اثنا عشر كلُّهم من قريش» قال عبد الله ـ والويل له، ممّا قال ـ: «يكون على هذه الأمة اثنا عشر خليفة وهم: أبو بكر، وعمر، وعثمان، ومعاوية، وابنه ملكا الأرض المقدّسة، والسفّاح، وسلام، ومنصور، وجابر، والمهدي، والأمين، وأمير العصب، كلّهم من بني كعب بن لؤي، كلّهم صالحون لا يوجد مثلُهم». أرأيت كيف افترى على الله وعلى رسوله ﷺ؟ وكيف فسّر حديثَه الشريف بما لا يرضى به الله ورسولُه؟ وحشر في خلفاء النبيّ معاوية الطليق وابنه يزيد الزنديق وترك عليّاً عليه السلام ولم يجعلْه واحداً منهم وهو وحده نفسُه وأخوه وصفيّه ووصيُّه وسيّدُ عترته وخليفته في أمّته. وصدق رسولُ الله ﷺ حيثُ قال لعليّ عليه السلام: «يا عليّ لا يُحبّك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق». وقد ذُكر تفسير عبد الله للحديث

الشريف في كثيرٍ من المصادر كتاريخ السيوطي وتاريخ ابن عساكر وكنز العمّال وغيرها.

٨٠٣٩ ـ من غريب فتاوى عائشة: إنها جوّزت رِضاعةَ الرجال من النساء وقالت: إنّ الرجال إذا رضعوا من النساء أصبحوا بذلك من محارمهن! كما ذكر ذلك أحمد بن حنبل في المسند.

وكانت تبعث بالرجال إلى أختها أمّ كُلثوم وإلى بنات أخيها ليَرْضَعوا منهنّ فإذا فعلوا ذلك عمَدت إلى مقابلتهم والاجتماع بهم بدون حجاب!! كما ذكر ذلك مالك في الموطأ.

٨٠٤٠ ـ قال ابن قتيبة في «تأويل مختلف الحديث» ـ وهو من أكابر فقهاء أهل السُّنّة ـ: «السُّنّة قاضيةٌ على الكتاب، وليس الكتاب بقاضٍ على السُّنّة»، وقال الأشعري ـ وهو إمام أهل السُّنّة ـ كما جاء في كتاب «مقالات الإسلاميّين»: «إنّ السُّنّة تنسخ القرآن وتقضي عليه، وإنّ القرآن لا ينسخ السُّنّة ولا يقضي عليها»، وقال الأوزاعي ـ وهو من أعاظم علمائهم ـ كما جاء في كتاب «جامع بيان العلم»: «إنّ القرآن أحوجُ إلى السُّنّة من السُّنّة إلى القرآن». ولمّا كانت هذه أقوالهم وآراؤهم في كتاب الله العزيز اضطرّوا إلى تكذيب ما ورد عن النبيّ وأهل بيته عليهم السلام بوجوب عرض الأحاديث التي تُروى عنهم على كتاب الله فما وافق كتابَ الله أخذوا به، وما خالف كتابَ الله تركوه، فقد ذكر البيهقي في كتاب «دلائل النبوّة» أنّ هذه الأحاديث باطلةٌ ولا تصح، وقال غيره: إنّ هذه الأحاديث وضعها الزنادقةُ والخوارج!!.

﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾[١]

---

(١) سورة الكهف، الآية (٥).

٨٠٤١ ـ قال أمير المؤمنين عليه السلام : «كفى بالعلم شرفاً أنّه يدّعيه من لا يُحسنه ويفرح إذا نُسب إليه من ليس من أهله، وكفى بالجهل خمولاً أنّه يتبرّأ منه مَن هو فيه ويغضب إذا نُسب إليه»، وقد أخذ هذا المعنى بعضُ الشعراء فقال:

كفى شرفاً للعلم دعواه جاهلٌ ويفرحُ إنْ يدعى إليه ويُنسبُ
ويكفي خمولاً بالجهالة أنّني أُراع[1] متى أُنسَبْ إليها وأغضبُ

وقال عليه السلام : «قيمةُ كلّ امرئ ما يُحسنه»، وقد أخذ هذا المعنى الخليلُ بنُ أحمد الفراهيدي.

فقال:

لا يكون الفصيحُ مثلَ العَييّ لا ولا ذو الذكاء مثلَ الغَبيّ
قيمةُ المرءِ قدْرُ ما يُحسن المرءُ قضاءٌ من الإمام عليّ

وقال عليه السلام : «كلُّ شيءٍ يعزّ إذا نزُر ما خلا العلمَ فإنّه يعزّ إذا غزُر»[2]، وقد قلتُ في هذا المعنى:

كلُّ شيءٍ إنْ قلّ عزّ سوى العلم فإنْ زاد كان أكثر عزّا

وقال عليه السلام : «العلمُ أكثرُ من أن يحصى فخذوا من كلّ شيءٍ أحسنَه»، وقد قلتُ في هذا المعنى:

يعجزُ الانسانُ أنْ يُحصي ما في علوم الناس أو أن يُتقِنَهْ
فخذوا من كلّ علمٍ خيره وخذوا من كلّ شيءٍ أحسَنَهْ

---

(١) أراع: أفزع.

(٢) نزرُ: قلّ. غزُر: كثُر.

٨٠٤٢ ـ قيل: استأذن رجلُ على أبي عمران إبراهيم النخعي فقال: أبا عمران في الدار؟ فلم يجبْه لأنّه لحن في كلامه، فقال: أبي عمران في الدار؟ فقال له: قل الثالثة ـ أي أبو عمران ـ وادْخلْ.

وقيل: قرع رجل البابَ على أبي سعيد الحسن البصري ونادى: يا أبو سعيد؟ فلم يجبْه لأنّه لحن في كلامه، فقال: يا أبي سعيد؟ فقال له: قلِ الثالثة ـ أي يا أبا سعيد ـ وادْخُلْ.

٨٠٤٣ ـ قال الشاعر:

ومَن كان ذا عقلٍ ولم يكُ ذا غِنًى
يكونُ كذي رجْلٍ وليس له نَعْلُ
ومَن كان ذا مالٍ ولم يكُ ذا حِجًى[1]
يكونُ كذي نَعْلٍ وليس له رِجْلُ

٨٠٤٤ ـ قال الأصمعي: قلت لأعرابي: ما بال المراثي أشرفُ أشعاركم؟ قال: لأنّا نقولها وقلوبنا محترقة.

٨٠٤٥ ـ من روائع الرثاء قولُ ليلى بنت طريف ترثي أخاها الوليد:

أيا شجرَ الخابور ما لك مورقًا ... كأنّك لم تجزعْ على ابنِ طريفِ
فتًى لا يريد العزَّ إلا من التقى ... ولا المال إلا من قنًا وسيوفِ
فقدناه فُقدان الربيع فليتنا ... فديناه من ساداتنا بألوفِ
خفيفٌ على ظهر الجواد إذا عدا ... وليس على أعدائه بخفيفِ

(١) الحِجى: العقل.

٨٠٤٦ ـ قال الشاعر:

غابوا فصار الجسمُ من بعدهمْ ... ما تنظر العينُ له فيّا

بأيّ وجهٍ أتلقّاهُمْ ... إذا رأوني بعدهم حيّا

يا خجلتيْ منهم ومن قولهم: ... ما ضرّك الفقدُ لنا شيّا

٨٠٤٧ ـ قال المتنبي مفتخراً بنفسه:

ودعْ عنك تشبيهي بما وكأنّه ... فما أحدٌ فوقي وما أحدٌ مثلي

والمعنى: دعْ عنك تشبيهي بأحدٍ من الناس بأنْ تقول: ما أشبهه بفلان، أو كأنّه فلان.

٨٠٤٨ ـ قال أبو العلاء المعري في ذم المتصوّفة:

أرى جيلَ التصوّف شرَّ جيلٍ ... فقلْ لهُمُ وأهونْ بالحلولِ:

آقال الله حين عبدتموهُ: ... كلوا أكلَ البهائم وارقصوا لي؟

ومثله قول أبي النجيب الطاهر الجرزي:

آيا جيلَ التصوف شرَّ جيلٍ ... لقد جئتم بأمرٍ مستحيلِ

أفي القرآن قال لكم إلٰهي: ... كلوا مثلَ البهائم وارقصوا لي

٨٠٤٩ ـ قال أبو عامر المختارُ:

وما ألان قناتي غمْزُ حادثةٍ ... ولا استخفّ بحلمي قطُّ إنسانُ

ما ألان قناتي غمز حادثة: ما نالت مني الحوادث.

وقال الآخر:

كانت قناتي لا تلين لغامزٍ ... فألانها الإصباحُ والإمساءُ

٨٠٥٠ ـ قال الشاعر:

فَسَقْياً ورَعْياً للشباب الذي مضى[1] وأهلاً وسهلاً بالمشيبِ ومرحبا

٨٠٥١ ـ قال أبو إسحاق الصابي:

مرِضتُ من الهوى حتى إذا ما بدا ما بي لإخواني الحضورِ
تكنّفني[2] ذوو الإشفاق منهم ولاذوا بالدعاءِ وبالنُّذورِ
وقالوا للطبيب: أشرْ فإنّا نُعِدّك للعظيم من الأُمورِ
فقال: شفاؤه الرّمانُ مِمّا تضمّنه حشاه من السعيرِ
فقلتُ لهمْ: أصاب بغير قصدٍ ولكنْ ذاك رمّانُ الصدورِ

٨٠٥٢ ـ قال أحمد بن أعثم الكوفي:

إذا اعتذر الصديقُ إليك يوماً من التقصير عذرَ أخٍ مُقِرْ
فصُنْه عن جفائك وارضَ عنه فإنّ الصفحَ شيمةُ كلّ حرْ

٨٠٥٣ ـ قال أبو العباس الضَّبّي:

لا تركننْ إلى الفراق فإنّه مُرُّ المَذاقِ
والشمسُ عند غروبها تصفرُّ من ألم الفراقِ

٨٠٥٤ ـ قال أحمد بن جعفر البرمكي الملّقب بجحظة:

قد نادتِ الدنيا على نفسها لو كان في العالم مَن يسمَعُ
كم واثقٍ بالعُمْرِ أوثَقْتُه[3] وجامعٍ بدّدتُ ما يجمعُ

---

(١) سقياً ورعياً: مصدران يُستعملان في الدعاء.

(٢) تكنّفني: أحاطوا بي وجعلوني في كنفهم.

(٣) أوثقته: قيّدته.

٨٠٥٥ ـ روى ابن أبي الحديد المعتزلي في «شرح النهج» عن ابن عرفة المعروف بنفطويه أنه قال: «إنّ أكثرَ الأحاديث في فضائل الصحابة قد افتُعِلتْ في أيام بني أميّة تقرّباً إليهم بما يظنّون أنهم يُرغمون به أنوفَ بني هاشم».

٨٠٥٦ ـ روى المسعودي في «مروج الذهب»: إنّ حذيفةَ بنَ اليمان كان عليلاً بالكوفة سنة ٣٦هـ فبلغه قتلُ عثمانُ وبيعةُ الناس لعليّ عليه السلام فقال: أخرجوني وادعوا الصلاةَ جامعة فصعد المِنبر وحمد الله وأثنى عليه وصلّى على النبيّ وآله ثم قال: «أيّها الناس إنّ النّاسَ قد بايعوا عليّاً فعليكم بتقوى الله وانصروا عليّاً وآزروه، فوالله إنّه لعلى الحق آخراً وأوّلاً، وإنّه لخيرُ من مضى بعد نبيّكم ومَن بقيَ إلى يوم القيامة» ثم أطبق بيمينه على يساره وقال: «اللّهمّ اشهدْ أنّي قد بايعتُ عليّاً»، ثم أوصى ولديه صفوانَ وسعداً وقال لهما: «كونا مع عليّ فستكون له حروبٌ كثيرةٌ يهلك فيها خلقٌ من الناس فاجتهدا أنْ تُستَشهدا معه فإنّه والله على الحق ومن خالفه على الباطل». وبعد أيّام مات حذيفة رضي الله عنه ونفّذ ولداه وصيّته والتحقا بأمير المؤمنين عليه السلام وقاتلا معه حتى استشهدا بصفّين.

٨٠٥٧ ـ قيل للقثم بن العباس: كيف ورث عليّ رسولَ الله صلى الله عليه وآله دونكم؟ فقال: «كان أوّلَنا به لحوقاً، وأشدَّنا به لصوقاً».

٨٠٥٨ ـ روى ابن عساكر في تاريخه وغيرُه من أرباب التاريخ والسِيَر عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: «أُوصي مَن آمن بي وصدّقني بولاية عليّ ابن أبي طالب، فمن تولاّه فقد تولاّني، ومن تولاّني فقد تولّى الله، ومن أحبّه فقد أحبّني، ومن أحبّني فقد أحبَّ الله، ومن أبغضه فقد

أبغضني، ومن أبغضني فقد أبغض الله عزّ وجل». إنّه الترابط الوثيق بين ولاية الله ورسوله ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام وهذا ما نصّ عليه القرآن الكريم بقوله في سورة المائدة: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (٥٥) وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ (٥٦)﴾.

٨٠٥٩ ـ روى أبو نعيم في «حلية الأولياء» وابنُ عساكر في «تاريخ دمشق» والطبري في «الرياض النضرة» وغيرُهم: إنّ رسول الله ﷺ قال لعليّ عليه السلام: «يا عليّ أخصِمك بالنبوّة فلا نبوّة بعدي، وتخصِم الناس بسبع ولا يحاجّك فيها أحدٌ من قريش: أنت أوّلهم إيماناً بالله، وأوفاهم بعهد الله، وأقومُهم بأمر الله، وأقسمُهم بالسويّة، وأعدلُهم بالرعيّة، وأبصرُهم بالقضيّة، وأعظمُهم عند الله مزيّة».

٨٠٦٠ ـ روى السيوطي في «الجامع الصغير» والخوارزمي في «المناقب» والطبراني في «المعجم الصغير» والشبلنجي في «نور الأبصار»، وغيرُهم: إنّ رسول الله ﷺ قال لأصحابه: «علي مع القرآن والقرآنُ مع عليّ لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض».

وروى الخطيبُ البغدادي في «تاريخ بغداد» وابنُ عساكر في «تاريخ دمشق» وابنُ قتيبة في «الإمامة والسياسة» وغيرُهم: إنّ رسولَ الله ﷺ قال لأصحابه: «عليٌّ مع الحق والحقُّ مع عليّ ولن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض يوم القيامة».

٨٠٦١ ـ روى ابنُ عساكر في «تاريخ دمشق» وابنُ المغازلي في «المناقب» والخوارزمي في «المناقب» والطبري في «ذخائر العُقبى» والذهبي في «الميزان» وغيرُهم: إنّ رسول الله ﷺ قال: «لكلّ نبيٍّ

وصيٌّ ووارث، وإنّ علياً وصيّي ووارثي».

وروى الهيثمي الشافعي في «مجمع الزوائد» وأحمدُ بنُ حنبل في «المسند» والمتقي الهندي في «كنز العمّال» وغيرُهم: إنّ رسولَ اللهﷺ قال: «إنّ وصيّي وموضعَ سرّي وخير من أترك بعدي يُنجز عِدَتي ويقضي ديْني عليُّ ابنُ أبي طالب».

٨٠٦٢ ـ روى المسعودي في «مروج الذهب» وغيرُه عن عبد الله بنِ عمر أنّه قال لأبيه عند موته: «يا أمير المؤمنين استخلِفْ على أمّة محمّد فإنّه لو جاءك راعي إبلك أو غنمك وترك إبلَه وغنمَه لا راعي لها للُمتَه وقلتَ له: كيف تركتَ أمانتك ضائعة؟ فكيف يا أميرَ المؤمنين بأمّة محمّد؟».

وروى ابنُ قتيبة في «الإمامة والسياسة» وغيرُه عن عائشة أنّها قالت لعبد الله بن عمر: «يا بنيّ أبلغ عمرَ سلامي وقلْ له: لا تذع أمّةَ محمّدٍ بلا راعٍ استخلِفْ عليهم ولا تَدعْهم بعدك هملاً، فإني أخشى عليهم الفتنة».

وهكذا أدرك ابنُ عمر مصلحةَ الأمّة، وأدركت عائشة ذلك أيضاً، وهكذا أوصى أبو بكر لعمر، وأوصى عمر لستة رجال بصورةٍ توصل ـ تلقائياً ـ إلى تنصيب عثمان من بعده، وهكذا عمِل كلُّ خليفةٍ وكلُّ حاكم من ذلك اليوم وإلى يومنا هذا على تعيين وليّ العهدِ من بعده لئلا تَبقى الأمّةُ همَلاً يقاتل بعضُهم بعضاً. ولم يُنكرْ ولم يعترضْ أحدٌ من الناس على هذا الإجراءِ المستمر مع الزمن. نعم حصل الإنكار والاعتراض على رسول اللهﷺ وحده حينما أوصى إلى عليّ بن أبي طالبعليه السلام من بعده وقالوا: إنّه مات من غير وصيّة، وإنّه لم يعيّنْ

خليفته من بعده، وإنّه ترك الأمر شورى بين الناس حتى بلغ الحال أنّه لمّا أراد أن يؤكّدَ هذا الأمر بكتابٍ يكتبه قبل وفاته يعيّن فيه خليفته ووصيّه من بعده حتى يأمنوا من الضلال تصدّى له من يقول بمحضرٍ منه ـ بأبي هو وأمي ـ: «إنّ النبيّ يهجر حسبنا كتابُ الله». وقد اعترف عمر ـ كما ذكر ابنُ أبي الحديد المعتزلي في «شرح النهج» ـ أنّه إنّما منع النبيّ ﷺ من كتابة الكتاب حتى لا يجعلَ الأمرَ لعليّ من بعده.

وليت شعري لماذا لم يُمنعْ أبو بكر من كتابة وصيّته بوليّ عهده عمر عند مرضه مع أنّه قد أغمي عليه من شدّة الوجع وأتمّ عثمانُ الكتابَ بقوله: «فإنّي مستخلفُ عليكم عمرَ بن الخطّاب ولم آلكم خيراً» فلمّا أفاق من إغمائه قال لعثمان: اقرأ عليّ، فقرأ عليه ما كتب، فقال أبو بكر: جزاك الله خيراً عن الإسلام وأهله. ونفّذ المسلمون ما كتب وما أراد ولم يقلْ أحدُ منهم أنّه يهجر.

ولماذا لم يُمنع عمر من كتابة وصيّته بالستة ـ أهلِ الشورى ـ وقد اشتدّ به الوجع وأخبره طبيبُه بأنّه لا يمسي. وقد نفّذ المسلمون ما كتب وما أراد ولم يقلْ أحدُ منهم أنّه يهجر. وصدق الشاعر حيث يقول:

أوصى النبيُّ فقال قائلهم: قد كان يهجر سيّدُ البشرِ
لكن أبو بكرٍ أصاب ولم يهجرْ وقد أوصى إلى عمر

٨٠٦٣ ـ روى ابن الأثير في «الكامل» وابن أبي الحديد في «شرح النهج» والطبري في تاريخه: إنّ عمر بن الخطاب قال يوماً لعبد الله بن عباس في حديثٍ طويل: يا ابن عباس أتدري ما منع قومَكم منكم بعد محمّدﷺ؟ قال ابن عباس: فكرِهتُ أن أجيبَه فقلتُ: إن لم أكن أدري فإنّ أميرَ المؤمنين يدري، فقال عمر: كرهوا أن يجمعوا لكم

النبوّة والخِلافة فتجحفوا على قومكم بجحاً بجحاً، فاختارت قريش لأنفسها فأصابت ووفّقت. فقال ابن عباس: يا أمير المؤمنين إنْ تأذنْ لي في الكلام وتُمِطْ عني الغضبَ تكلمت، فقال عمر: تكلّمْ، قال ابن عباس: أمّا قولك: اختارت قريش لأنفسها فأصابت ووفّقت فلو أنّ قريشاً اختارت لأنفسها من حيثُ اختار الله لها لكان الصوابُ بيدها غيرَ مردودٍ ولا محسود. وأمّا قولُك: إنهم كرهوا أن تكونَ لنا النبوّة والخِلافة فإنّ الله عزّ وجل وصف قوماً بالكراهة فقال: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ۝٩﴾[1]. فقال عمر: هيهات يا ابن عباس قد كانت تبلغني عنك أشياءُ أكره أن أقِرّك عليها فتُزيل منزلتك مني، فقال ابن عباس: يا أميرَ المؤمنين فإنْ كانت حقاً فما ينبغي أن تزيلَ منزلتي منك، وإن كانت باطلاً فمثلي من أماط الباطلَ عن نفسه، فقال عمر: بلغني أنك تقول: حرّفوها عنّا حسداً وبغياً وظلماً، قال ابن عباس: أمّا قولك ظلماً فقد تبيّن ذلك للجاهل والعالم، وأمّا قولك حسداً فإنّ آدم حُسِد ونحن ولده المحسودون، فقال عمر: هيهات هيهات أبتْ والله قلوبُكم يا بني هاشم إلا حسداً لا يزول، فقال ابن عباس: مهلاً يا أمير المؤمنين لا تصف بهذا قلوبَ قومٍ أذهبَ الله عنهم الرجسَ وطهّرهم تطهيراً.

٨٠٦٤ ـ قال أبو الفتح العسقلاني:

علمي بعاقبة الأيام يكفيني
وما قضى الله لي لا بدّ يأتيني

---

(١) سورة محمد، الآية (٩).

٨٠٦٥ ـ قال الشاعر يهجو قاضياً حكم بهلال العيد قبل أوانه:

إنّ قاضينا لأعمى أو على عمدٍ تعامى

سرق العيدَ كأنّ العيدَ من مال اليتامى

٨٠٦٦ ـ في الحرب العالميّة الثانية استطاع الألمان أن يحطّموا «خط ماجينو» في فرنسا بسرعةٍ مذهلة، مع أنّه كان من القوّة والمنعة بحيثُ لا يمكن تحطيمُه إلا بصعوبةٍ بالغةٍ ووقتٍ طويلٍ كما كانوا يتصوّرون، والسببُ في ذلك هو ما صرّح به الرئيس الفرنسي آنذاك «بيتان» بقوله: «إنّ الذي هزم فرنسا أنها تسلّحت بالحديد والنار ولم تتسلّحْ بالأخلاق الفاضلة، ولقد جاءت الهزيمة من الانحلال بعد أن هدمت الشهوات ما شيّدته روح التضحية». ولقد صدق الرجل في تقديره للأمورُ ففي الوقت الذي كان الجيشُ الألماني يدُكّ حصونَ فرنسا كان رئيسُ وزرائها في ذلك الوقت يقضي وطرَه مع إحدى عشيقاته!!. وصدق الله حيث يقول في سورة الإسراء، الآية (١٦): ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾﴾.

٨٠٦٧ ـ قال الشاعر:

لكلِّ شيءٍ إذا فارقْتَه عِوَضٌ وليس لله إنْ فارقته عِوَضُ

٨٠٦٨ ـ لغة «أكلوني البراغيث» لغةٌ شاذة استعملها بعض العرب في الجاهليّة وهي مخالفة للفصيح من الكلام العربي.

وما جاء في القرآن الكريم من الآيات التي حملها بعضهم على هذه اللغة غيرُ صحيح لأنّ لها إعراباً آخرَ هو ألْيَقُ بكتاب الله. من ذلك قولُه تعالى في سورة الأنبياء، الآية (٣): ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾، وقولُه في سورة المائدة، الآية (٧١): ﴿ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِّنْهُمْ﴾،

فإعراب الآية الأولى: إنّ الواو في كلمة ﴿وَأَسَرُّواْ﴾ ضميرُ عائدُ على الناس في قوله قبلها: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ۝١ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝٢ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَى﴾[1] و ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ بدل من واو ﴿أَسَرُّوا﴾.

وإعراب الآية الثانية: إنّ الواو في كلمتيْ ﴿عَمُوا وَصَمُّوا﴾ ضميرٌ عائد على بني إسرائيل في قول قبلها: ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلاً كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى أَنفُسُهُمْ فَرِيقاً كَذَّبُوا وَفَرِيقاً يَقْتُلُونَ * وَحَسِبُوا أَلاَّ تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَصَمُّوا ثُمَّ تَابَ الله عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا﴾[2] و﴿كَثِيرٌ مِّنْهُمْ﴾ بدل من الواو ﴿عَمُوا وَصَمُّوا﴾.

٨٠٦٩ ـ قال الشاعر:

وقد يُذبح الإنسانُ من أجل مالِه ... كما يُذبح الطاووسُ من أجل ريشِهِ

٨٠٧٠ ـ قال الشاعر:

إذا عقد القضاءُ عليك أمراً ... فليس يحُلُّه إلا القضاءُ

٨٠٧١ ـ قال ابن مسكويْه:

لا يُعجِبَنَّكَ حسنُ القَصْر تنزِلُه ... فضيلةُ الشمس ليست في منازِلها

لو زيدت الشمسُ في أبراجها مائةً ... ما زاد ذلك شيئاً من فضائِلِها

٨٠٧٢ ـ قال أبو الفضل الصَّخْري يخاطب رجلاً ويهجوه:

أيا ذا الفضائلِ واللامُ حاءُ ... ويا ذا المكارم والميمُ هاءُ

ويا أنجبَ الناسِ والباء سينٌ ... ويا ذا الصيانةِ والصادُ خاءُ

---

(١) الأنبياء آية: (١ ـ ٣)

(٢) المائدة آية: (٧٠)

ويا أكتبَ الناسِ والتاءُ ذالُ ... ويا أعلمَ الناسِ والعينُ ظاءُ
تجود على الكُلّ والدالُ راءُ ... وأنت السخيُّ ويتلوه فاءُ

٨٠٧٣ ـ قال الصَّخري:

لأجتهدَنَّ في طلب المعالي ... بسعيٍ ما عليه مُستزادُ
فإنْ أدركتُ آمالي وإلا ... فليس عليّ إلا الاجتهادُ

٨٠٧٤ ـ للهداية الإلهيّة أقسامٌ تحدّث عنها القرآن الكريم في كثيرٍ من آياته البيّنات.

منها: الهدايةُ التكوينيّةُ العامة لجميع مخلوقاته، وبها يهتدي كلُّ شيءٍ إلى ما فيه بقاؤه وكمالُه. وإلى هذه الهداية التكوينيّة أشار قولُه تعالى في سورة طه: ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾﴾، وقولُه سبحانه في سورة الأعلى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾﴾.

ومنها: الهدايةُ التشريعيّةُ العامة للإنسان حيثُ بيّن له طريقَ الخير وطريقَ الشر، وأمره بسلوك الطريق الأوّل والابتعادِ عن الطريق الثاني على لسان رُسُله وأنبيائه وحُججه على خلقه. وإلى هذه الهداية التشريعيّة أشار قولُه تعالى في سورة الدهر: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾﴾، وقولُه في سورة البلد: (٨): ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾﴾ أي بيّنا له الطريقَيْن طريقَ الخير وطريقَ الشر، وقولُه في سورة فصلت، الآية (١٧): ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾.

ومنها: الهداية الاختياريّة من الإنسان التي يحصل عليها بواسطة الهدايتَيْنِ التكوينيّة والتشريعيّة، فيسلك باختياره طريقَ الهدى والإيمان.

وإلى هذه الهداية الاختياريّة أشار قولُه تعالى في سورة الإسراء: ﴿مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾، وقولُه في سورة آل عمران، الآية (٢٠): ﴿فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟﴾، وقولُه في سورة البقرة، الآية (١٣٧): ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟﴾.

ومنها: الهدايةُ التفضّليّة الخاصة التي يمُنّ الله سبحانه بها على عباده الذين اختاروا لأنفسهم طريقَ الهدى والإيمان، وبعبارةٍ أخرى: إنها هدايةٌ ثانيةٌ يفيض الله بها على المؤمنين بعد أن تتحقّق منهم الهدايةُ الأولى التي اختاروها لأنفسهم، وهذه الهداية هي لطفٌ من الله سبحانه يخصّ بها من يشاء من عباده المتقين، ويسلُبها عمّن يشاء من عباده الفاسقين حسبما تقتضي حكمتُه البالغة ورحمتُه السابغة. وإلى هذه الهداية الخاصة أشار قوله تعالى في سورة الأنعام، الآية (٨٨): ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾، وقولُه في سورة الرعد، الآية(٢٧): ﴿وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾، وقولُه في سورة البقرة، الآية(٢١٣): ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾، وقولُه في سورة الزمر: ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾، وقولُه في سورة النحل، الآية (٣٦): ﴿فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾، وقولُه في سورة الأعراف: ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ ۗ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾، وقولُه في سورة إبراهيم، الآية (٤): ﴿فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

فمن أخذ بالهداية الإختياريّة الأولى فاز بالهداية التفضليّة الثانية، قال تعالى في سورة محمد: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴿١٧﴾﴾، وقال سبحانه في سورة مريم، الآية (٧٦): ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾ وقال في سورة الكهف، الآية (١٣): ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾، وقال في سورة العنكبوت: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾.

ومن لم يأخذ بالهداية الأولى ولم يختز بنفسه طريقَ الإيمان والهدى خسِر خسراناً مبيناً وضلّ ضلالاً بعيداً، وحرم نفسه ذلك اللطفَ الإلهي وقطع الله عنه تلك الصلةَ التي بها ينجو المؤمنون، لأنّ المؤمنين هم الذين يستحقّون هذه الهدايةَ التفضليّة قال تعالى في سورة يونس، الآية (٩): ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَانِهِمْ﴾ - أي بسبب إيمانهم -، وأمّا غيرُ المؤمنين فلا يستحقّونها قال تعالى في سورة النحل، الآية (١٠٤): ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ﴾، وهؤلاء هم الذين يضلّهم الله - أي يقطع عنهم هدايته ولُطفَه - قال تعالى في سورة إبراهيم، الآية (٢٧): ﴿وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾، وقال سبحانه في سورة البقرة: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾ الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾، وقال في سورة الصف، الآية (٥): ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾، وقال في سورة البقرة، الآية (١٠): ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾. وقال الإمام الجواد عليه السلام: «وإنّما يُضِلّ - أي الله - مَن لم يقبلْ منه هُداه».

وهذه الهداية التفضليّة الخاصة لا ينالها الكافرون والظالمون والفاسقون والمسرفون والكذّابون بل هي لُطف من الله جلّ شأنه يخُصّ

به عبادَه الصالحين قال تعالى في سورة البقرة، الآية (٢٦٤): ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾، وقال في نفس السورة، الآية (٢٥٨): ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، وقال في سورة الصف، الآية (٥): ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾، وقال في سورة المؤمن، الآية (٢٨): ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾، وقال في سورة الزمر، الآية (٣): ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾. وما شابه ذلك من الآيات البيّنات، والله سبحانه الهادي إلى سواء السبيل.

٨٠٧٥ ـ قال أبو الفضل الصخري مادحاً بعضَ من كان يتشرّف بخدمته:

جمعتَ إلى العلى شرفَ الأبوّة ... وحزتَ إلى الندى فضل المروّة

أتيتُكَ خادماً فرفعتَ قدري ... إلى حال الصداقة والأخوّة

فما شبّهتني إلا بموسى ... رأى ناراً فشُرّف بالنبوّة

٨٠٧٦ ـ قال الصخري واصفاً حاله بعد فراق ممدوحه:

أسمعتَ يا مولاي دهـ ... ـري بعد بُعدك ما صنعْ

أخنى[1] عليّ بصرفه[2] ... فرأيتُ هولَ المُطّلعْ

٨٠٧٧ ـ قال الشاعر:

اضمُمْ مصابيحَ آراء الرجال إلى ... مصباح رأيك تزدَدْ ضوءَ مصباحِ

٨٠٧٨ ـ لمّا قال أبو العلاء المعري:

هفت الحنيفة والنصارى ما اهتدتْ ... ويهود حارت والمجوس مُضَلَّلَة

---

(١) أخنى: جار.

(٢) بصرفه: بأذاه وغدره.

اثنانِ أهلُ الأرض ذو عقلٍ بلا ... دينٍ وآخرُ دَيِّنٌ لا عقلَ لَهْ

ردّ عليه أحمد بن محمد الأخسيكثي بقوله:

الدينُ آخذهُ وتاركُهُ ... لم يخفَ رشدُهُما وغيُّهما

اثنانِ أهلُ الأرض قلتَ فقلْ ... يا شيخَ سوءٍ أنت أيُّهما

٨٠٧٩ ـ قال أبو علي الواسطي:

كم جاهلٍ متواضعٍ ... ستر التواضعُ جهلَهُ

ومميِّزٍ في فضله ... هدم التكبُّرُ فضلَهُ

فدع التكبّرَ ما حييتَ ولا تصاحبْ أهلَهُ

فالكِبْرُ عيبٌ للفتى ... أبداً يقبّحُ فعلَهُ

٨٠٨٠ ـ قال أحمد بن يحيى البلاذري:

استعدّي يا نفسُ للموت واسعَيْ ... لنجاةٍ فالحازمُ المستعِدُّ

قد تثبَّتِّ أنه ليس للحيّ ... خلودٌ ولا من الموت بُدُّ

إنما أنتِ مستعيرةُ ما سو ... ف تردّينَ والعواري تُرَدُّ

أنتِ تسهين والحوادث لا تسـ ... ـهو وتلهين والمنايا تَجِدُّ

كيف يهوى امرؤٌ لذاذةَ أيّا ... مٍ عليه الأنفاس فيها تُعَدُّ

٨٠٨١ ـ قال أسامة بن منقذ:

وما أشكو تلوّنَ أهلِ ودّي ... ولو أجدتْ شكيّتُهم شكوْتُ

مللتُ عِتابَهم ويئستُ منهم ... فما أرجوهمُ فيمن رجوْتُ

إذا أدمتْ قوارضُهم فؤادي ... كظمْتُ على أذاهم وانطويتُ

ورُحتُ عليهمُ طلْقَ المحيّا ... كأنّي ما سمعتُ ولا رأيتُ

تجنَّوا لي ذنوباً ما جنتْها يداي ولا أمرتُ ولا نهيتُ
ولا والله ما أضمرتُ غدراً كما قد أضمروه ولا نويتُ
ويومُ الحشر موعُدنا وتبدو صحيفةُ ما جنَوْهُ وما جنيتُ

٨٠٨٢ ـ قال أسامة بن منقذ:

لا تحسُدنَّ على البقاء معمّراً فالموتُ أيسرُ ما يؤول إليهِ
وإذا دعوتَ بطولِ عُمْرٍ لامرئٍ فاعلمْ بأنّك قد دعوتَ عليهِ

٨٠٨٣ ـ قال أسامة بن منقذ:

انظرْ إلى لاعب الشطرنج يجمعها مغالباً ثم بعد الجمع يرميها
كالمرء يكدح للدنيا ويجمعها حتى إذا مات خلّاها وما فيها

٨٠٨٤ ـ قال أبو القاسم جعفر الموصلي:

رُبَّ ليلٍ كالبحرِ هولاً وكالـ ـدهرِ امتداداً وكالمِدادِ سوادا
خضتُه والنجومُ توقدْنَ حتى أطفأ الفجرُ ذلك الإيقادا

٨٠٨٥ ـ قال إسحاق بن إبراهيم الموصلي:

يا راكبَ العيس[1] لا تعجلْ بنا وقِفِ
نحيِّ داراً لسُعدى ثم ننصرفِ
لم ينزلِ الناس في سهلٍ ولا جبلٍ
أصفى هواءً ولا أنقى من النجفِ
حُفّتْ ببَرٍّ وبحرٍ في جوانبها
فالبَرُّ في طرفٍ والبحرُ في طرفِ

(١) العيس: الإبل.

٨٠٨٦ ـ قال إسحاق الموصلي:

ما كنتُ أعرِف ما في البيْن[١] من حزَنٍ
حتى تنادَوْا بأن قد جيء بالسُّفُنِ

لمّا افترقنا على كُرهٍ لفُرقتنا
أيقنتُ أنّي قتيلُ الهمّ والحزَنِ

قامت تودّعني والدمعُ يغلبُها
فجمجمتْ[٢] بعضَ ما قالت ولم تُبِنِ

مالت عليّ تفدّيني[٣] وترشُفُني
كما يميل نسيمُ الريح بالغُصُنِ

وأعرضتْ ثم قالتْ وهي باكيةٌ:
يا ليتَ معرفتي إيّاكَ لم تكُنِ

٨٠٨٧ ـ قال الصاحب بن عبّاد:

وقائلةٍ: لِمْ عرتْك الهموم وأمرُك ممتثَلٌ في الأمَمْ
فقلت: دعيني وما قد عرا فإنّ الهموم بقدر الهِمَمْ

٨٠٨٨ ـ قال الصاحب في وصف كاتبٍ حسن الوجه وحسَن الخط:

وخطٌ كأنّ الله قال لحُسنه: تشبَّه بمن قد خطّك اليومَ فائتمرْ
وهيهات أين الخطُّ من حسن وجهه وأين ظلامُ الليل من صفحة القمرْ

(١) البين: الفراق.
(٢) جمجمت: أخفت.
(٣) تفدّيني: تقول لي: جُعلت فِداك.

٨٠٨٩ ـ قال الصاحب في غلامٍ جميلٍ يلثغ في كلامه:

وشادنٍ[١] قلتُ له: ما اسمُكا؟ فقال لي بالغنج:[٢] عبّاثُ[٣]
فصرتُ من لثغته ألثغاً فقلت: أين الكاثُ والطاثُ؟[٤]

٨٠٩٠ ـ دخل أبو القاسم الزعفراني على الصاحب بن عبّاد فمدحه بقصيدةٍ يقول فيها:

سواكَ يعُدّ الغنى ما اقتنى ويأمره الحِرصُ أن يخزِنا
وأنت ابنُ عبّادِ المرتجى تعُدّ نوالك نيلَ المُنى
غمرتَ الورى بصنوف الندى فأصغرُ ما ملكوه الغِنى
كسوتَ المقيمين والزائرين كُساً لم نخلْ مثلَها ممكنا
وحاشيةُ الدار يمشون في ضروبٍ من الخزِّ إلا أنا

فقال الصاحب: قرأتُ في أخبار معن بن زائدة أنّ رجلاً قال له: احملني، فأمر له بفرسٍ وبغلةٍ وحمارٍ وناقةٍ وجارية، ثم قال له: «لو علمتُ أنّ الله خلق مركوباً غيرَها لحملتُك عليه». وقد أمرنا لك بجبّةٍ وقميصٍ وسِروالٍ وعِمامةٍ ومِنديلٍ ومُطرفٍ[٥] ورِداءٍ وجورب، ولو علمنا لباساً آخرَ لأعطيناكه.

٨٠٩١ ـ كان للصاحب بن عبّاد بنت عزيزةٌ عليه حيثُ لم يُرزق

---

(١) الشادن: ولد الظبي ويكنّى به عن الغلام الوسيم.

(٢) الغنج: الدلال.

(٣) عباث: عباس.

(٤) الكاث والطاث: الكاس والطاس.

(٥) المطرف: رداء خاص يتخذ من الخز.

من الذريّة غيرُها فزوّجها من رجل علويٍّ اسمه علي بنُ الحسين الحسني الهمداني فولدت له ولداً ذكراً أسموه «عبّاداً» على اسم جدّه لأمّه، ولمّا بُشّر بهذا المولود المبارك قال على البديهة:

أحمَدُ الله لبشرى أقبلتْ عند العَشِيّ
إذْ حباني الله سِبْطاً هو سِبط للنبيّ

وقال أيضاً على البديهة:

الحمدُ للهِ حمداً دائماً أبدا إذ صار سبطُ رسول الله لي ولدا

وعلي بن الحسين هذا كان أديباً شاعراً، ومن شعره في وصف دارِ لبعض الملوك قولُه:

دارٌ علتْ دارَ الملوك بهمّةٍ كعلوّ صاحبها على الأملاكِ
فكأنّها من حسنها وبهائها بُنيتْ قواعدُها على الأفلاكِ

٨٠٩٢ ـ قيل: تأخّر أبو الفضل بن شعيب عن زيارة الصاحب ـ وكان من أعزّ أصدقائه ـ فكتب إليه الصاحبُ هذه الأبيات:

يا أبا الفضل لِمَ تأخرتَ عنّا فأسأنا بحسن عهدك ظنّا
كم تمنّتْ نفسي صديقاً صَدوقاً فإذا أنتَ ذلك المُتمنّى
فبِغضّ الشباب لمّا تثنّى وبعهد الصِّبا وإنْ بان منّا
كن جوابي إذا قرأت كتابي لا تقلْ للرسول: كان وكنّا

٨٠٩٣ ـ مرّ أبو العباس بن الضّبّي بباب دار الصاحب بن عبّاد بعد موته فقال:

أيها الباب لِمْ علاكَ اكتئابٌ أين ذاك الحِجابُ والحُجّابُ
أين من كان يفزع الدهرُ منه فهو الآن في الترابِ ترابُ

ورثاه أبو القاسم بن العلاء الأصفهاني بقوله:

ما مُتَّ وحدكَ لكن مات مَن ولدتْ
حوّاءُ طرّاً بل الدنيا بل الدينُ
هذي نواعي العُلا مُذ مُتَّ نادبةٌ
مِن بعد ما ندبتك الخُرّدُ[1] العِينُ[2]
تبكي عليك العطايا والصلات كما
تبكي عليك الرعايا والسلاطينُ

وقد مرّت في غضون هذا الكتاب فقراتٌ كثيرة عن الصاحب بن عبّاد وفضائله ومزاياه.

٨٠٩٤ ـ روي: إنّ امرأةً جاءت إلى أحد العلماء الصالحين فقالت له: يا شيخ إنّ ابني قد أسره الروم ولا أقدر على مالٍ أكثر من دويرةٍ[3] ولا أقدِرَ على بيعها، فلو أشرتَ إلى من يَفديه بشيءٍ فإنّه ليس لي ليلٌ ولا نهار، ولا نومٌ ولا قرار. فقال لها الشيخ: انصرفي حتى أنظر في أمره إن شاء الله.

وأطرق الشيخ وحرّك شفتيْه ودعا ربّه بدعواتٍ صادقات. وبعد فترةٍ من الزمن جاءت المرأة ومعها ابنها الأسير فأخذت تشكر الشيخ وتدعو له وتقول: قد رجع ابني سالماً وله حديثٌ يريد أن يحدّثك به، فقال الشاب: كنتُ في قبضة بعض ملوك الروم مع جماعةٍ من أسارى المسلمين، فوكلّ بنا رجلاً يخرجنا إلى الصحراء للخدمة ثم يردّنا وعلينا

---

(١) الخرّد: جمع خريدة وهي البنت البكر.

(٢) العين: جمع عيناء وهي الواسعة العين.

(٣) دويرة: تصغير دار.

قيودُنا، فبينما نحن في طريق رجوعنا إذ انفتح القيد من رجلي ووقع على الأرض ـ وذكر اليوم والساعة فوافق الوقت الذي دعا فيه الشيخ بإطلاق سراحه ـ فجاء الرجل الموكّلُ بنا وصاح في وجهي: أكسرتَ القيد؟ قلتُ: لا إلا أنّه سقط من رجلي. فأعاد الرجل القيدَ في رجلي فانكسر مرّةً أخرى، فأخبر الملكَ بذلك فتحيّروا في أمري، فدَعَوْا رهبانهم فقالوا لي: ألك والدة؟ قلت لهم: نعم، فقالوا: وافق دعاؤها الإجابة، ثم قالوا: لقد أطلقك الله ولا يمكننا تقييدُك، ثم زوّدوني[1] وأصحبوني[2] وأرسلوني إلى ناحية المسلمين.

٨٠٩٥ ـ قال أبو نصر الفارقي:

تيّم قلبي[3] شادِنٌ[4] أغيَدٌ[5] مُلّكَ فالناسُ له أعبُدُ[6]
لو جاز أن يُعْبَدَ في حسنِهِ وظَرْفِهِ كنتُ له أعبُدُ[7]

٨٠٩٦ ـ قال أبو قلابة حُبَيْش بن منقذ يهجو الأصمعي بعد وفاته:

أقول لمّا جاءني نعيُه: بُعْداً وسُحْقاً لكَ من هالكِ
يا شرَّ مَيْتٍ خرجت نفسُهُ وشرَّ مدفوعٍ إلى مالكِ

---

(١) زوّدوني: أعطوني زاداً.

(٢) أصحبوني: بعثوا معي من يصحبني.

(٣) تيم قلبي: ملأه حباً.

(٤) الشادن: ولد الظبي ويكنّى به عن الغلام الوسيم.

(٥) الأغيد: الناعم.

(٦) أعبدُ: جمع عبد وهو مقابل الحر.

(٧) أعبدُ الثانية: فعل مضارع مشتق من العبادة.

وقال يهجوه أيضاً:

لعن الله أعظُماً حملوها نحو دارِ البلى على خشباتِ
أعظُماً تبغض النبيَّ وأهلَ البيتِ والطيّبين والطيّباتِ

٨٠٩٧ ـ قال الحسن بن إسحاق اليمني النحوي:

لعمركَ ما اللَّحْنُ من شيمتي ولا أنا من خطأٍ ألْحَنُ
ولكنّني قد عرفتُ الأنام فخاطبتُ كلاًّ بما يُحسِنُ

٨٠٩٨ ـ قال أبو حازم القاضي:

أدلَّ فأكرِمْ به من مُدِلّْ ومن ظالمٍ لدمي مُستحِلّْ
إذا ما تعزّز قابلتُه بذُلٍّ وذلك جَهْدُ المُقِلّْ
وأسلمتُ خدّي له خاضعاً ولولا ملاحتُه لم أذِلّْ

٨٠٩٩ ـ قال الحسن بن رشيق القيرواني:

في الناس من لا يرتجى نفعُه إلا إذا مُسَّ بإضرارِ
كالعود لا يُطمع في طيبه إنْ أنتَ لم تمَسْه بالنارِ

٨١٠٠ ـ روي: إنّ أبا سعيد المرزباني النحوي كان جالساً عند ابن دُرَيْد فجرى ذكر الإقواء في الشعر ـ وهو مخالفة القوافي في الحركات ـ فقال ابن درَيْد: أول من أقوى في الشعر أبونا آدم عليه‌السلام في قوله:

تغيّرت البلادُ ومَن عليها فوجه الأرض مغبَرٌّ قبيح
تغيّر كلُّ ذي لونٍ وطعمٍ وقلّ بشاشة الوجهِ المليح

فقال المرزباني: يمكن إنشاد البيت على وجهٍ لا يكون فيه

إقواء. فقال ابن درَيْد: وكيف ذلك؟ قال: تنصب كلمة «بشاشة» على التمييز، وترفع كلمة «الوجه المليح» بفعل «قلّ» وإنّما حُذف التنوين لالتقاء الساكنين كما حُذِف في قول الشاعر:

فألفيتُه غيرَ مستعتبٍ ولا ذاكرِ الله إلا قليلا

٨١٠١ ـ قال أبو سعيد المرزباني النحوي: «إذا قلتَ: زيد أفضلُ إخوته لم يجُزْ، وإذا قلتَ: زيدٌ أفضلُ الإخوة جاز.

والفصل بينهما: إنّ إخوةَ زيد هم غيرُ زيد، وزيد خارجٌ من جملتهم، دليل ذلك أنّه لو سأل سائل فقال: مَن إخوة زيد؟ لم يجزْ أن تقول: زيد وعمرو وبكر وخالد، وإنّما تقول: عمرو وبكر وخالد، ولا يدخل زيد في جملتهم.

فإذا قلت: زيد أفضلُ الإخوة جاز لأنّه أحد الإخوة، والاسم يقع عليه وعلى غيره فهو بعض الأخوة، ألا ترى أنّه لو قيل: مَن الإخوة؟ عددتَه فيهم فقلتَ: زيد وعمرو وبكر وخالد. نعم لو قلت: زيدٌ أفضلُ من إخوته جاز».

٨١٠٢ ـ قيل: إنّ أحدَ الخلفاء رأى في منامه أنّ واحداً من ندمائه وثب عليه ليقتله، فلمّا أصبح استدعى ذلك النديم وأمر بقتله، فقال له النديم: ماذا فعلتُ من الذنب حتى استوجبْتُ هذه العقوبة؟ قال الخليفة: ما فعلتَ شيئاً ولكنّي رأيتُ في المنام أنك وثبتَ عليّ لتقتلني، فقال له النديم: إنّ يوسفَ بن يعقوب عليه السلام مع كونه صدّيقاً نبيّاً احتاجت رؤياه إلى تعبير، وافتقرت أحاديثُه إلى تأويلٍ وتفسير، أفتستغني رؤياك عن مثل ذلك؟ فضحك الخليفةُ من حسن جوابه وخلّى سبيله.

٨١٠٣ ـ قال الحسن بن محمد المهلّبي يصف حُجرته الضيّقة والمظلمة أيّام فقره وفاقته:

أنا في حُجرةٍ تجلّ عن الوصف ويعمى البصيرُ فيها نهارا
هي في الصبح كالظلام وفي الليل يولّي الأنامُ عنها فِرارا
أنا فيها كأنّني وسْط بئرٍ اتقي عقرباً وأحذَرُ فارا
وإذا ما الرياحُ هبّتْ رُخاءً[1] خِلتُ حيطانها تميد انهيارا
ربِّ عَجّلْ خرابها وأرِحْني من جِذارٍ فقد مللْتُ الجذارا

وقيل: إنّ أحد الشعراء كان يسكن في حُجرة عتيقة تسرح فيها أنواع كثيرة من الحشرات، فعاتبه أصحابُه على إقامته فيها فقال وهو يخاطب حُجرته:

يا حُجرةً عابوا عليَّ إقامتي فيها وقالوا: أردأ الحُجراتِ
فرددتُ لومَ اللائمين لأنّني أتممتُ فيكِ دِراسةَ الحشراتِ

٨١٠٤ ـ قيل: دخل شاعرٌ على المهلّبي أيّام وزارته فدفع إليه رُقعةً صغيرةً يقول فيها:

يا من إليه النفعُ والضَّرُ قد مسّ حالَ عُبيْدِكَ الضُّرُ
لا تتركَنَّ الدهرَ يظلِمُني ما دام يقبل قولكَ الدهرُ

فضحِك المهلّبي وأمر له بألف درهم.

---

(١) رُخاءً: ليّنة.

٨١٠٥ ـ قال الحسن بن محمد العسقلاني يصف كتاباً كتبه إليه أحدُ إخوانه:

وقرأتُهُ متنزّهاً في روضِهِ وغديرِهِ
جمع البلاغة كلُّها تختال بين سطورِهِ
فالدُّرُّ في منظومِهِ والسِّحرُ في منثورِهِ

٨١٠٦ ـ قال العسقلاني:

يا غائباً عن ناظري وحاضراً في خاطري
لا تخشَ مني جفوةً فباطني كظاهري

٨١٠٧ ـ قال الحسن بن المظفّر النيسابوري: رأيتُ ابنَ هودار الكافر في المنام بعد موته فقلت له:

لقد تحوّلت من دارٍ إلى دارٍ فهل رأيتَ قراراً يا بن هودارِ؟

فأجابني:

لا بل وجدتُ عذاباً لا انقطاعَ له مدى الليالي وربّاً غيرَ غفّارِ
ومنزلاً مظلماً في قعرِ هاويةٍ قُرنتُ فيها بكُفّارٍ وفُجّارِ
فقل لأهليَ: موتوا مسلمين فما للكافرين لدى الباري سوى النارِ

٨١٠٨ ـ قال ابن بطّويْه الحسين بن أحمد النحوي:

وماذا عليهم لو أقاموا فسلّموا وقد علموا أني مشوقٌ[1] متيّمُ[2]
سرَوْا ونجومُ الليل زُهْرٌ طوالِعٌ على أنّهم في الليل للناس أنجُمُ
وأخفَوْا على تلك المطايا مسيرَهمْ فنمَّ عليهم[3] في الظلام التبسُّمُ

---

(١) مشوق: مشتاق.

(٢) متيم: شديد الحب.

(٣) نمّ عليهم: دلّ عليهم.

٨١٠٩ ـ قال ابن بطّوَيْه:

وإذا الدُّرُّ زان حسنَ وجوهٍ كان للدرِّ حسنُ وجهكِ زينا
وتزيدين أطيبَ الطيبِ طيباً إنْ تمسّيه، أين مثلُكِ أينا؟

٨١١٠ ـ قيل: دخل الحسين بن أحمد بن خالوَيْه ـ العالمُ اللُغويُّ النحوي ـ على سيف الدولة الحمداني فلمّا حضر بين يديْه قال له: اقعُدْ ولم يقلْ له: اجلسْ، فتعجّب ابن خالويْه من تعلّق سيف الدولة بأهداب الأدب، واطّلاعِه على أسرار كلام العرب، لأنّه لا يُقال للقائم: اجلِسْ بل اقعُدْ، ولا يُقال للنائم والساجد: اقعُدْ بل اجلِسْ.

٨١١١ ـ قال ابن خالويْه في أماليه: إنّ سيفَ الدولة سأل جماعةً من العلماء ذات ليلة: هل تعرفون اسماً ممدوداً وجمعُه مقصور؟ فقالوا: لا، فقال لي: ما تقول أنت؟ قلتُ: أنا أعرف اسميْن، قال: ما هما؟ قلتُ: هما صحراء وجمعُها صَحارى، وعَذراء وجمعُها عذارى.

٨١١٢ ـ قال خميس بن علي الواسطي:

من كان يرجو أن يرى من ساقطٍ أمراً سنيّا
فلقد رجا أن يجتني من عوسجٍ[1] رُطباً جنيّا

٨١١٣ ـ قال الحسين بن أحمد بن الحجّاج:

قد قلتُ لمّا غدا مدحي فما شكروا وراح ذمي فما بالَوْا ولا شَعَروا:
«عليَّ نحتُ القوافي من معادنها وما عليَّ إذا لم يفهم البقرُ»

والبيت الثاني للبحتري.

---

(١) العوسج: شجر شائك عديم الثمر.

٨١١٤ ـ قال الحسين بن الضحّاك:

أصبحتُ من إسراء الله محتسباً

في الأرض نحو قضاء الله والقدرِ

إنّ الثمانين إذْ وُفّيتُ عِدّتَها

لم تُبْقِ باقيةً منّي ولم تذَرِ

يشير بذلك إلى ما روي عن النبي ﷺ أنّه قال: «إذا بلغ العبدُ ثمانينَ سنة فإنّه أسيرُ الله في الأرض تُكتب له الحسنات وتُمحى عنه السّيئات».

٨١١٥ ـ قال الحسين بن الضحّاك:

أتاني منك ما ليس على مكروهه صبرُ

فأغضَيْتُ على عمدٍ وقد يُغضي الفتى الحرُّ

وأدّبتُك بالهجر فما أدّبك الهجرُ

ولا ردّك عمّا كان منك النصحُ والزجرُ

فلمّا اضطرّني المكروه واشتدّ بي الأمرُ

تناولتُك من ضُرّي بما ليس له قدْرُ

فحرّكت جناحَ الذُلّ لمّا مسّك الضُرُّ

إذا لم يُصلح الخيرُ امرءاً أصلحه الشرُّ

٨١١٦ ـ قال الحسين بن عبد الله البغدادي:

تلَقَّ بالصبر ضيفَ الهمِّ حيثُ أتى إنّ الهمومَ ضيوفٌ أكلُها المُهَجُ

فالخطْبُ إنْ زاد يوماً فهو منتقِصٌ والأمرُ إنْ ضاق يوماً فهو منفرِجُ

فروِّحِ النفسَ بالتعليل ترضَ به واعلَمْ إلى ساعةٍ من ساعةٍ فرَجُ

٨١١٧ ـ قال الحسين بن عبد الله البغدادي:

كم صديقٍ بالعَتْبِ صار عدوّاً وعدوٌّ بالحِلْمِ صار صديقا

٨١١٨ ـ قال الحسين بن عبد الله البغدادي:

تسَلَّ عن كلّ شيءٍ في الحياة فقد
يهون بعد بقاء الجوهرِ العرَضُ
يعوّض الله مالاً أنت متلِفُه
وما عن النفس إنْ أتلفتها عوَضُ

٨١١٩ ـ قال ابن أبي حصينة المعري:

أشدُّ من فاقة الزمانِ مقامُ حُرٍّ على هوانِ
فاسترزقِ الله واستعِنْهُ فإنّه خيرُ مُستعانِ
وإنْ نبا منزلٌ بحُرٍّ[1] فمن مكانٍ إلى مكانِ

٨١٢٠ ـ قال الحسين بن هبة الله الموصلي:

وإنّي وإنْ أخرتُ عنكم زيارتي لعذرٍ فإنّي في المودّة أوّلُ
فما الودُّ تكريرُ الزيارة دائماً ولكن على ما في القلوب المعوّلُ

٨١٢١ ـ قال أبو يعلى حمزة بن علي:

تناسيتمُ عهدَ الوَفا بعد تَذكارِ فأجرى حديثي فيكمُ مدمعي الجاري
وأنكرتموني بعد عِرفان صَبْوتي[2] فهيّجتمُ وجدي[3] وأضرمتمُ ناري

---

(١) نبا منزل بحر: لم يوافقه ولم يجد به راحةً.

(٢) صبوتي: حبي.

(٣) وجدي: حزني

وهل دام في الأيام وصلٌ لهاجرٍ ووِدٌّ لخَوّانٍ وعهدٌ لغدّارِ
ألا حاكمٌ لي في الغَرام يُقيلني ألا آخذٌ لي بعد سفك دمي ثاري
وإنّي لصبّارٌ على ما ينوبُني[١] ولكن على هُجرانكم غيرُ صبّارِ

٨١٢٢ ـ قال الخليل بن أحمد الفراهيدي:

وقبلك داوى الطبيبُ المريض فعاشَ المريضُ ومات الطبيبُ
فكنْ مستعِداً لدار الفناء فإنّ الذي هو آتٍ قريبُ

٨١٢٣ ـ قال السَّرِيّ الرفاء:

بنفسي من أجود له بنفسي ويبخل بالتحيّة والسلامِ
وحتْفي كامنٌ في مقلتيه كمونَ الموتَ في حدّ الحسامِ

٨١٢٤ ـ قال أبو عثمان الخالدي في ذمّ بغداد:

بغدادُ قد صار خيرُها شرّاً صيّرها الله مثلَ سامَرّا
اطلبْ وفتّشْ واخرِصْ فلستَ ترى في أهلها حُرّةً ولا حُرّا

٨١٢٥ ـ قال أبو حاتم السجستاني:

أبرزوا وجهكِ الجميلَ ولاموا مَنِ افتتَنْ
ولو أرادوا صِيانتي ستروا وجهكِ الحسَنْ

٨١٢٦ ـ قال أبو النجيب الطاهر الجَزَري وفيه جناس جميل:

بلادُ الله واسعةٌ فضاها ورزق الله في الدنيا فسيحُ
فقل للقاعدين على هوانٍ: إذا ضاقت بكم أرضٌ فسيحوا

---

(١) ينوبني: يصيبني.

٨١٢٧ ـ قال أبو الأزهر الضحاك بن سليمان الأوسي:

ما أنعم الله على عبده ... بنعمةٍ أوفى من العافيةْ
وكل مَن عوفي في جسمه ... فإنّه في عيشةٍ راضيةْ
والمالُ حلوٌ حسنٌ جيّدٌ ... على الفتى لكنّهُ عاريةْ
وأسعدُ العالم بالمال مَن ... أعطاه للآخرة الباقيةْ
ما أحسنَ الدنيا ولكنّها ... مع حسنها غدّارةٌ فانيةْ

٨١٢٨ ـ قال أبو فراس طرّادُ بنُ علي السُّلمي المعروف بالبديع:

قيل لي: لِمَ جلستَ في آخر القوم ... وأنتَ البديعُ ربُّ القوافي
قلتُ: آثرتُه لأنّ المناديلَ يُرى طرزُها على الأطرافِ

٨١٢٩ ـ قال طلحة بن محمد النعماني:

إذا نالك الدهرُ بالحادثات ... فكنْ رابطَ الجأش[1] صعبَ الشكيمَةْ[2]
ولا تُهِنِ النفسَ عند الخطوب ... إذا كان عندك للنفس قيمَةْ
فوالله ما لُقّيَ الشامِتون ... بأحسنَ من صبر نفسٍ كريمَةْ

٨١٣٠ ـ قال الشاعر:

ولقد خلوتُ مع الحبيب وبيننا ... سِترٌ أرقُّ من النسيم إذا سرى

(١) رابط الجأش: قوي القلب.
(٢) الشكيمة: الأنفة والحميّة.

٨١٣١ ـ قال أبو الأسود الدُؤلي:

العلمُ زينٌ وتشريفٌ لصاحبه فاطلُبْ ـ هُديتَ ـ فنونَ العلمِ والأدبا
يا جامعَ العلم نِعم الذخرُ تجمعه لا تعدِلَنَّ به دُرّاً ولا ذهبا

٨١٣٢ ـ قال الدؤلي:

تعودت مسَّ الضُرِّ حتى أَلِفْتُه وأسلمني طولُ البلاء إلى الصبرِ
ووسّع صدري للأذى كثرةُ الأذى وكان قديماً قد يضيق به صدري
إذا أنا لم أقبلْ من الدهر كلَّ ما أُلاقيه منه طال عَتْبي على الدهرِ

٨١٣٣ ـ قال الدؤلي:

ذهب الرجالُ المقتدى بفعالهم والمنكرون لكلِّ أمرِ منكَرِ
وبقيتُ في خَلْفٍ يزكّي بعضهم بعضاً ليدفعَ مُعْوِرٌ(١) عن مُعْوِرِ
فطِنٍ لكلِّ مصيبةٍ في مالهِ وإذا أُصيب بعِرضه لم يشعُرِ

٨١٣٤ ـ قيل: ركب أبو علقمة النميري بغلاً فوقف على أبي عبد الرحمن القرشي فقال له: يا أبا علقمة إنّ لبغلك هذا منظراً فهل مع هذا المنظر من مخبر؟

قال أبو علقمة: سبحان الله أوما بلغك مخبرُه؟ قال: لا، قال: خرجتُ عليه مرّةً من مصرَ فقفز بي قفزةً إلى فِلسطين، وقفز ثانيةً إلى الأردن، وقفز ثالثةً إلى دِمشق. فقال أبو عبد الرحمن: تقدّم إلى أهلك أن يدفنوه معك في قبرك فلعلّه يقفز بك الصراط يومَ القيامة.

٨١٣٥ ـ قيل: كان لأبي علقمة النميري غلامٌ يخدمه فقال له

---

(١) المعوِر: القبيح السيرة.

يوماً: يا غلام أَصَقَعَتِ العتاريف؟ فقال له الغلام: زَقْفَيْلم، قال أبو علقمة: وما معنى زَقْفَيْلَمَ؟ فقال الغلام: وما معنى صَقَعَتِ العتاريف؟ قال: قلتُ لك: أصاحت الديوك؟

فقال الغلام: وأنا قلتُ لك: لم يَصِحْ منها شيء.

٨١٣٦ ـ قيل: دخل أبو علقمة النميري على طبيبٍ فقال له: «أمتع الله بك، إنّي أكلتُ من لحوم هذه الجوازل فطأتُ طأةً فأصابني وجعٌ بين الوابلة إلى دَأية العُنق، فلم يزل يشتدّ حتى خالط الخِلْب، وألمتْ له الشراسيف، فهل عندك لهذا الداء دواء؟».

فقال له الطبيب: «خُذ خَرْقَفاً وتَلْقَفاً وشَرْقَفاً فَزَهْزِقْه ورقْرِقه واغْسِله بماء روث، واشْرَبْه بماء الماء». فقال له أبو علقمة: أعِدْ ويحك عليّ فإني لم أفهمْ من كلامك شيئاً، فقال له الطبيب: لعن الله أقلّنا إفهاماً لصاحبه، ويحك وهل فهمتُ شيئاً مِمّا قلت؟.

فقال أبو علقمة: الجوازل: جمع جوزل وهو فرخ الحَمام، وطَأْتُ: أي أصابتني تُخمةٌ من كثرة الأكل، والوابلة: طرف رأس العضُد أو الفخِذ، والدَّأية: فِقَر الظهر، والخِلْبُ: لحمةٌ رقيقة تصل بين الأضلاع، والشراسيف: جمع شُرسوف وهو غُضروف معلّقٌ بكلّ ضلع.

٨١٣٧ ـ قال أبو الفضل أحمد بن طاهر: كنتُ في مجلس بعض أصدقائي يوماً وكان معي أبو الحسن علي بن عُبَيْدة الريحاني، وفي المجلس جارية جميلة كان عليٌّ يحبّها، فجاء وقت الظهر فقمنا إلى الصلاة وعليٌّ والجارية في الحديث فأطال حتى كادت الصلاة تفوت، فقلت له: يا أبا الحسن قمْ إلى الصلاة فأومأ بيده إلى الجارية وقال:

حتى تغربَ الشمس أي حتى تقومَ الجارية.

فعجِبتُ من حسن جوابه وسرعته.

وأجمل من ذلك قولُ أحد الشعراء:

عجِبتُ في رمضان من مسخرةٍ
قالتْ ولكنها في قولها ابتدعتْ:
تسحّروا يا عبادَ الله قلتُ لها:
كيف السحور وهذي الشمسُ قد طلعتْ

٨١٣٨ ـ قيل: دخل جماعةٌ من الناس إلى مجلس أبي عبيدة في البصرة، فقام إليه أحدُهم فقال: يا أبا عبيدة ما معنى «العَنْجيد»؟ قال: ما أعرف لهذه الكلمة معنى، فقال الرجل: سبحان الله أين أنت عن قول الأعشى:

يوم تُبدي لنا قُتَيْلةُ عن جيدِ تليعٍ تَزينه الأطواقُ

فقال أبو عبيدة: يا هذا، عن: حرف جر، وجيد: اسم مجرور بعن ومعناه العنق، وتليع: بمعنى طويل.

ثم قام إليه رجل آخرَ فقال: يا أبا عبيدة ما معنى «الأوْدَع»؟ فقال: ما أعرفه، قال الرجل: سبحان الله أين أنت عن قول العرب: «زاجِمْ بعودٍ أو دَعْ»، فقال: ويحك هاتان كلمتان معناهما: أو اترك.

ثم قام إليه رجلٌ آخرَ فقال: يا أبا عبيدة أخبرني عن «كوفا» أهو من المهاجرين أم من الأنصار؟ قال أبو عبيدة: رويتُ أنسابَهم وأسماءَهم فما وجدتُ فيهم رجلاً اسمه «كوفا»، قال الرجل: فأين أنت

عن قوله تعالى: ﴿وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا﴾[1] فأخذ أبو عبيدة نعليْه وخرج يغُذّ السيرَ إلى مسجد البصرة وهو يصيح بأعلى صوته: «من أين حُشِرت البهائم عليّ اليوم؟!».

٨١٣٩ ـ مدح أبو الحسن علي بن عبد الغني الحُصري أحد ملوك الأندلس فتغافل عنه إلى أن حان وقتُ رحيله فأنشده هذه الأبيات:

محبّتي تقتضي بقائي ... وحالتي تقتضي الرحيلا
هذان خصمانِ لستُ أقضي ... بينهما خوفَ أنْ أميلا
ولا يزالانِ في اختصام ... حتى ترى رأيَك الجميلا

فعند ذلك أكرمه وأجزل له العطاء.

٨١٤٠ ـ قال أبو الحسن عليُّ بنُ فَضّال المُجاشِعي:

ما زادني صدُّكَ إلا هوًى ... وسوءُ أفعالكَ إلا وِدادْ
وإنّني منك لفي لوعةٍ ... أقلُّ ما فيها يُذيب الجَمادْ
فكنْ كما شئتَ فأنتَ المنى ... واحكمْ بما شئتَ فأنت المرادْ

٨١٤١ ـ قيل: إنّ أبا غانم القاضي ذهب إلى المسجد ليصلي بالناس وقد لبِس نعليْه الجديديْن، وبعد الصلاة جاء إلى نعليْه ليلبسَهما فوجد مكانهما نعليْه القديميْن، فلمّا ذهب إلى بيته قال لغلامه: ألم ألبسِ النعليْنِ الجديديْنِ عند خروجي إلى المسجد فأين هما؟ فقال الغلام: جاءنا رجلٌ أثناء وجودك في المسجد وطرق البابَ وقال:

---
(١) سورة الفتح آية: (٢٥)

القاضي أبو غانم بعثني إليكم ويقول لكم: أرسِلوا إليَّ النعلَيْنِ القديمَيْنِ فقد سُرِق منّي النعلانِ الجديدان.

فضحكَ القاضي وقال: هذا والله لِصٌّ شفيق جزاه الله عنّي خيراً، وهو في حِلٍّ منّي.

٨١٤٢ ـ قال مالك بن اسماء الفَزاري:

وحديثٌ ألَذُّه هو مِمّا ينعَت الناعتون يوزَن وَزْنا

منطقٌ صائبٌ وتَلحن أحياناً وخير الحديثِ ما كان لحنا

وتَلحن هنا لها وجهان:

الوجه الأوّل: إنّه ليس من اللحن في الإعراب وإنّما هو التوريةُ في الكلام وعدمُ الإفصاح به، ومنه قوله تعالى عن المنافقين في سورة محمد، الآية (٣٠): ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ أي في أساليبهم الخفيّة الملتوية.

والوجه الثاني: إنّه من اللحن في الإعراب، ولعلّ في قوله: «منِطق صائب» قبل قوله: «وتَلحن أحياناً» قرينةً على صِحّة هذا الوجه، لأنّ مقابلَ المنطقِ الصائب المنطقَ الملحون.

٨١٤٣ ـ قيل إنّ أبا محمد القاسمَ بنَ علي الحريري ـ صاحب المقامات ـ بلغه أنّ صاحبه أبا زيد المطّهرَ بنَ سلام البصري قد شرِب الخمر فكتب إليه هذه الأبيات:

أبا زيدِ اعلَمْ أنّ مَن شرِب الطلا[1]

تدنّس[2] فافهمْ سرَّ قولي المهذّبِ

---

(١) الطّلا: الخمر.

(٢) تدنّس: تنجّس.

ومن قبلُ سُميّتَ المطَهّرَ والفتى
يُصدِق بالأفعال تسميةَ الأبِ
فلا تحسها[١] كيما تكون مطهّراً
وإلاّ فغيّرْ ذلك الاسمَ واشرَبِ

فلمّا قرأ الأبياتَ أثّرتْ في نفسه أثراً بالغاً وأقبل حافياً إلى الحريري وبيده مِصحف فأقسم به أن لا يعود إلى شُرب الخمر، فقال له الحريري:

ولا تجالسْ مَن يشربها

٨١٤٤ ـ قال الحريري وفيه جناس لطيف:

اخمِدْ بحلمك ما يُذكيه[٢] ذو سفهٍ
من نارِ غيظك واصفَحْ إنْ جنى جاني[٣]
فالحِلْم أفضلُ ما ازدان اللبيبُ بهِ
والأخذُ بالعفو أحلى ما جنى جاني[٤]

٨١٤٥ ـ قال كلثوم بن عمرو العتابي:

ولو كان يستغني عن الشكر ماجدٌ
لعِزّة مُلْكٍ أو عُلوّ مكانِ
لمّا أمر الله العبادَ بشكره
فقال اشكروا لي أيّها الثقلانِ

---

(١) لا تحسها: لا تشربُها.

(٢) يُذكيه: يُشعله.

(٣) إن جنى جاني: إن أثم آثم وهو مأخوذ من الجناية.

(٤) ما جنى جاني: ما قطف قاطف وهو مأخوذ من الجني.

٨١٤٦ ـ قال الحسين بن عبد الله المصري:

إذا أظمأتك أكفُّ اللئام كفتك القناعةُ شبْعاً وريّا

فكنْ رجلاً رِجْلُه في الثرى وهامةُ هِمّته في الثُّريّا

فإنّ إراقةَ ماء الحياة دون إراقةِ ماء المُحيّا[١]

٨١٤٧ ـ قال أبو الفتح البستي وفيه جناس جميل:

نزهتُ نفسي عن الدنيا وزخرفها

لا فِضّةً أبتغي فيها ولا ذهبا

نفسي التي تملك الأشياءَ ذاهبةٌ

فكيف آسي[٢] على شيءٍ إذا ذهبا

٨١٤٨ ـ قال ابن الدهان المبارك المعروف بالوجيه وفيه جناس رائق:

ولو وقعت في لُجّة البحر قطرةٌ من المزْن[٣] يوماً ثم شاء لمازها[٤]

ولو ملك الدنيا فأضحى ملوكُها عبيداً له في الشرق والغرب مازها[٥]

٨١٤٩ ـ قال ابن الدهان المبارك وفيه جناس رائع:

أطلتُ ملامي في اجتنابي لمعشرٍ

طغامٍ[٦] لِئامٍ جودُهم غير مُرتجى[٧]

---

(١) المحيا: الوجه.

(٢) آسي: آسف.

(٣) المزن: المطر.

(٤) لمازها: لميّزها عن البحر.

(٥) مازها: ما تكبّر

(٦) طغام: أوغاد.

(٧) غير مرتجي: غير مأمول.

ترى بابَهم - لا بارك اللهُ فيهُمُ -
على طالب المعروف إنْ جاء مُرتجا[١]
حموا مالَهم والدينُ والعرضُ منهمُ
مباحٌ فما يخشوْنَ مِن هجو من هجا
إذا شرع الأجواد في الجود منهجاً
لهم شرعوا في البخل سبعينَ منهجا

٨١٥٠ - قال ابن الدهان المبارك:

أرفعُ الصوتَ إنْ مررتُ بدارٍ أنتِ فيها إذْ ما إليك وصولُ
وأحَيِّي مَن ليس عندي بأهلٍ أن يُحيّا كي تسمعي ما أقولُ

٨١٥١ - قال محمد بن أحمد الهاشمي:

بأبي مَن زارني مكتتِماً خائفاً من كلِ حِسٍّ جَزِعا
رصد الخلوة[٢] حتى أمكنتْ ورعى السامرَ[٣] حتى هجعا
قمرٌ نمّ[٤] عليه حُسنه كيف يُخفي الليلُ بدراً طلعا؟
ركِب الأهوالَ في زَوْرته[٥] ثم ما سلّمَ حتى ودَّعا

٨١٥٢ - قال محمد بن عبد الله المُرْسي:

قالوا: محمدُ قد كبرت وقد أتى داعي المنون وما اهتمتَ بزادِ
قلتُ: الكريم من القبيح لضيفه عند القدوم مجيئُه بالزادِ

(١) مرتجا: مغلق.
(٢) رصد الخلوة: ترقبها.
(٣) رعى السامر: راقبه.
(٤) نمّ: دلّ.
(٥) زورته: زيارته.

وقد أخذ هذا المعنى من البيتيْنِ المشهوريْنِ المنسوبيْنِ إلى أمير المؤمنين عليه السلام وهما قولُه:

وفدتُ على الكريم بغير زادٍ من الحسنات والقلبِ السليمِ
وحملُ الزاد أقبحُ كلّ شيءٍ إذا كان الوفودُ على الكريمِ

٨١٥٣ ـ قال محمد بن عبد الملك بن زُهر الأندلسي:

إني نظرتُ إلى المرآة إذْ جُليتْ[1] فأنكرتْ مقلتايَ[2] كلَّ ما رأتا
رأيتُ فيها شُيَيْخاً[3] لستُ أعرِفُه وكنتُ أعهَدُه من قبلِ ذاكَ فتى
فقلت: أين الذي بالأمس كان هنا متى ترحّل عن هذا المكانِ متى؟
فاستجهلَتْني وقالت لي وما نطقتْ: قد كان ذاك وهذا بعدَ ذاك أتى
كانت سُلَيْمى تنادي: يا أخي ولقد صارت تنادي عليّ اليوم: يا أبتا

٨١٥٤ ـ قال محمد بن عبد الملك الأندلسي معلّقاً على كتاب «حيلة البُرء» للطبيب اليوناني «جالينوس»:

«حيلة البُرء» صُنِّفتْ لعليلٍ يترجّى الحياةَ أو لعليلَهْ
فإذا جاءت المنيّةُ قالتْ حيلةُ البُرء: ليس في البُرء حيلَهْ

٨١٥٥ ـ كان أبو علي الحاتمي يحضر مجلس أبي عمر المطرّز الباروديّ فتأخرّ أيّاماً عن الحُضور فسأل عنه فقيل له: إنّه مريض، فجاءه يعوده فاتّفق أنّه كان قد خرج إلى الحّمام، فكتب على باب داره هذا البيت:

وأعجبُ شيءٍ سمِعنا به عليلٌ يُعاد ولا يوجَدُ

(١) جُليت: صُقلت.

(٢) مقلتاي: عيناي.

(٣) شييخ: تصغير شيخ.

٨١٥٦ ـ قال ابن لَنْكَك محمد بن محمد البصري:

نحن والله في زمانٍ غَشومِ لو رأيناه في المنام فزِعنا
يُصبح الناسُ فيه من سوء حالٍ حقٌّ مَن مات منهُمُ أن يُهَنّا

٨١٥٧ ـ قال ابن لَنْكَك محمد البصري:

الدهرُ جار علينا في تصرّفِه وأيُّ دهرٍ على الأحرار لم يَجُرِ
عندي من الدهر ما لو أنّ أيسَرَه يُلقى على الفَلَك الدوّار لم يَدُرِ

٨١٥٨ ـ قال ابن لَنْكَك البصري:

يعيبُ الناسُ كلُّهم الزمانا وما لزمانِنا عيبٌ سِوانا
نَعيب زمانَنا والعيبُ فينا ولو نطق الزمانُ إذاً هجانا
يعاف الذئبُ يأكل لحمَ ذئبٍ ويأكل بعضُنا بعضاً عِيانا

٨١٥٩ ـ قال ابن لَنْكَك البصري وقد أشار إلى الحديث الذي يقول:

«امرؤ القيس قائد الشعراء إلى النار»:

إذا خفق اللواءُ عليَّ يوماً وقد حمل امرؤ القيسِ اللّواءَ
رجوتُ الله لا أرجو سواه لعلَّ الله يرحم مَن أساءَ

٨١٦٠ ـ قال ابن ماري يحيى بن يحيى المسيحي:

نعم المعينُ على المروءة للفتى مالٌ يصون عن التبذُّلِ نفسَهُ
لا شيءَ أنفعُ للفتى من ماله يقضي حوائجَه ويجلُب أُنسَهُ
وإذا رمته يدُ الزمان بسهمه غدتِ الدراهمُ دون ذلك تُرسَهُ[1]

---

(١) الترس: الدرع.

٨١٦١ ـ قال ابن ماري المسيحي:

لاموا على صبِّ الدموع كأنهم
لا يعرفون صبابتي[1] وولوعي
كُفُّوا فقد وعد الحبيبُ بزورةٍ[2]
ولذا غسلتُ طريقَه بدموعي

٨١٦٢ ـ قال محمد بن محمد المعروف بالوَطواط:

إذا ما شئت أن تحيا سعيدا وتنجو في الحساب من الخصومِ
فلا تصحب سوى الأخيار واصرِفْ حياتَك في مُدارسة العلومِ

٨١٦٣ ـ قال محمد بن محمد المعروف بالوَطواط:

ستٌّ بُليتُ بها والمستَعاذُ به من شرّها مَن إليه الخلقُ يبتهلُ
نفسي وإبليسُ والدنيا التي فتنتْ مَن قبلَنا والهوى والحِرصُ والأملُ

٨١٦٤ ـ قال ابن الخرساني ابو العز محمد بن محمد:

قد قلتُ إذْ لحظَته عيني مرّةً فاحمرّ من خجلٍ وفرطِ تصلُّفِ:

يا سافكاً دميَ الحرامَ بطرْفه أو ما تخاف الله يوم الموقفِ
أرويتَه عن عالم؟ أوجدتَه في مُسندٍ؟ أقرأتَه في مصحفِ؟

٨١٦٥ ـ قال يحيى بن سعيد الشيباني:

باضطراب الزمان ترتفع الأنـ ـذالُ فيه حتى يعمُّ البلاء
وكذا الماءُ ساكناً فإذا حُرّ ك ثارت من قَعره الأقذاءُ

---

(١) صبابتي: محبتي.

(٢) بزورة: بزيارة.

٨١٦٦ ـ قال يحيى بن سعيد الشيباني:

ان كـنـتَ تـسـعـى لـلـسـعـادة فـاسـتـقـمْ
تَـنَـلِ المرادَ وتـغـدُ أوّلَ مَـن سَـمـا
ألِـفُ الـكـتـابـةِ وهَـوْ بـعـضُ حـروفـهـا
لمّا اسـتـقـام عـلى الجـمـيـع تـقـدّمـا

٨١٦٧ ـ روي: إنّ رجلاً كان يملك نخلةً في دار رجلٍ آخر، وكان يؤذيه إذا دخل إلى نخلته بغير استئذان، فشكا ذلك إلى رسول الله ﷺ، فقال النبيّ ﷺ للرجل صاحب النخلة: «بِعْني نخلتك هذه بنخلةٍ في الجنّة» فقال الرجل: لا أفعل، قال ﷺ: «فبِعْنيها بحديقةٍ في الجنّة» فقال الرجل: لا أفعل وانصرف. فعلِم بذلك أبو الدحداح رضي الله عنه فذهب إلى الرجل ودفع له مالاً كثيراً واشترى منه النخلة وأتى النبيّ ﷺ وقال له: يا رسولَ الله خُذها واجعلْ لي ما جعلتَ للرجل في الجنّة، قال رسول الله ﷺ: «لك في الجنّة حدائقُ وحدائق» فأنزل الله تعالى قولَه في سورة الليل: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥﴾ ـ أي أعطى النخلة ـ واتّقى ـ أي اتقى مخالفةَ الله ورسولهِ ـ. وَصَدَّقَ بِالْحُسنى ـ أي بوعد النبيّ ﷺ وقوله في آية: ـ. ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧﴾ أي للجنّة ـ. آية: (٨)﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ﴾ ـ أي بخل بالنخلة ـ ﴿واستغنى﴾ ـ أي عن الأجر والثواب ـ. آية: و﴿وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩﴾ ـ أي بوعد النبيّ ﷺ وقوله ـ. آية: (١٠)﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠﴾ ـ أي للنار ـ.

٨١٦٨ ـ الحفظ للعلوم بوعي وتفهُّم وإدراك هو الذي ينفع صاحبَه ويرفعُه إلى الدرجات السامية والمنازل العالية، أمّا جمعُ الكتب وادّخارُها دون حفظٍ ووعيٍ فإنّه لا ينفع ولا يرفع.

وفي هذا المعنى قال محمد بن محمود البغدادي وقيل: محمد بن يسير الرياشي:

إذا لم تكن حافظاً واعياً   فجمعك للكُتب لا ينفعُ
أتنطق بالجهل في مجلسٍ   وعلمُك في البيت مستودَعُ؟

٨١٦٩ ـ من الأمور التي يمتاز بها الإنسان عن الحيوان والنبات: إنّ الإنسانَ هو الكائن الحيّ الذي يستطيع أن يغيّرَ مكانَه ويغيّرَ نفسَه معاً.

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الحقيقة بقوله تعالى في سورة النساء، الآية (٩٧): ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا﴾. وبقوله تعالى في سورة الرعد، الآية (١١): ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾. فالآية الأولى تؤكد قدرة الإنسان على تغييرِ مكانه إذا اقتضت الحاجةُ أو الضرورة إلى ذلك، فمن لم يفعلْ فقد ظلم نفسه واستحقّ من الله العذابَ الأليم. والآية الثانية تؤكّد قدرةَ الإنسان على تغيير نفسه إلى الأفضل والأكمل، فمن لم يفعل فإنّ الله لا يغيّر ما به من سوء.

أمّا الحيوان فإنّه يستطيع أن يغيّرَ مكانَه فقط فإذا أحسّ بالخطر أو الجوع أو العطش انتقل إلى مكانٍ آخر يأمن فيه من الخطر ويحصل فيه على ما يحتاج إليه من الطعام أو الشراب، ولكنّه لا يستطيع أن يغيّر نفسَه، فهو بهذا أقلُّ درجةً من الإنسان.

وأما النبات فإنّه لا يستطيع أن يغيّرَ مكانَه ولا يستطيع أن يغيّرَ

نفسَه، فهو بهذا أقلُّ درجةً من الحيوان.

٨١٧٠ ـ من الأمور التي يختلف فيها الإنسان عن النبات والحيوان: إنّ الإنسان وحده هو الذي يمتلك القدرةَ على التطوّر والإبداع كما يمتلك القَدرةَ على التقليد والاتّباع.

أمّا النبات فإنّه لا يمتلك القدرةَ على الإبداع ولا يمتلك القدرةَ على التقليد، وإنّما يخضع بصورةٍ غير إراديّة لقوانين طبيعيّةٍ أودعها الله فيه وفيما يحيط ويتّصل به من تربة الأرض وهواء الجوّ ونور الشمس.

وأمّا الحيوان فإنّه لا يمتلك القدرةَ على التطوّر والإبداع وانّما يخضع لقانون الغرائز التي أودعها الله فيه، وقد يمتلك القدرةَ على التقليد ولا سيما في بعض الحيوانات كالقرود والببغاوات، وخيرُ مثال على ذلك هذه القصّة التي أوردها أحدُ الكتّاب المعاصرين حيثُ يقول: «كان لي به عَلاقةٌ عائليّةٌ قديمةٌ، وكانَ شغلُه بيعَ القُبّعات بالجملة والمفرد، وذات يوم خرجتُ معه في نزهةٍ عصريّةٍ قصيرة في إحدى الغابات الراقدةِ على الساحل في إفريقيا، وكنّا ـ أنا وهو ـ نلبَس القبّعاتِ توقّياً من حرارة الشمس، وكان يحمل معه حُزمةً من القبّعات، فتركناها في مكانٍ معيّنٍ من الغابة وذهبنا الى الشاطئ على أمل أن نعودَ فنأخذ القبعاتِ معنا.. وكم كانت المفاجأة مضحكةً عندما رجعنا لنجدَ انّ القبّعاتِ قد سُرقت بالكامل؛ وتحيّرنا مَن سرقها؟ ورُحنا ندير طرفَنا هنا وهناك بحثاً عن حُزمة القبّعات. ولا تسأل عن حالنا حين رفعنا رؤوسَنا نتطلّع في الأشجار فإذا بنا نرى مجموعةً من القرَدة وقد لبس كلُّ واحدٍ منها قبّعة فوق رأسه ثم جلس فوق غصنٍ من الشجرة يتطلّع علينا!..

بشهادة الزور.

الثاني: لا يجوز للطرفيْنِ أن يوقعا الضررَ بالكاتب أو الشاهد بسبب الكتابة أو الشهادة.

وربّما تنهى الآية الكريمة عن مطلق المُضارّة بين جميع الأطراف ـ بالمعنييْنِ المذكورين ـ إذْ «لا ضررَ ولا ضِرارَ في الإسلام».

٧٩٢١ـ مما قلته في موالاة أهل البيت عليهم السلام ومعاداةِ اعدائهم:

ضلالٌ ليس يعدِله ضلالٌ موالاةُ الطغاةِ الجائرينا
واكثرُ منه معصيةً وذنباً معاداةُ الهداةِ الطاهرينا

وإنما صار معاداةُ أهل البيت النبوي الطاهر أكثرَ معصيةً وذنباً من موالاة اعدائهم لأنّ معاداتَهم نَصْبٌ، والنواصبُ صنفٌ من أصناف الكفرة، بل هم اسوؤهم حالاً واتعسُهم مآلاً. ولن يتِمّ ايمانُ العبد حتى يواليَ أولياءَ الله «الهداةَ الطاهرين»، ويعادي أعداءَ الله واعدائَهم «الطغاةَ الجائرين»، وصدق الشاعر حيثُ يخاطب أهل البيت عليهم السلام:

وابرأ ممّن يعاديكُمُ فإنّ البراةَ شرطُ الولا

٧٩٢٢ـ إذا زكتِ النفس وطهُر القلب وتجرّدا عن الشهوات والشبهات كان صاحبُ تلك النفس وصاحبُ ذلك القلب جديراً بالفيوضات الإلهيّة، واهلاً للعلوم الربّانيّة، ومحلاً قابلاً لإفاضة الأنوار القُدسيّة. وقد اشارت بل صرّحت الآياتُ الكريمة والأحاديثُ الشريفة بهذه الحقيقة فقال سبحانه في سورة البقرة، الآية (٢٨٢): ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ فجعل التقوى عِلّةً للعلم الذي يُفيضه الله على مَن يشاء من عباده الصالحين، وقال في سورة الحديد،

ومضت على ذلك أيّام وهو يجلس في الحانوت الخالي من كلّ شيء ويردّد بكلّ ضراعةٍ وخشوع: «يا غياث المستغيثينَ أغثني» فحفِظت الببغاءُ البارعةُ في التقليد هذه الكلمة وصارت تردّدها باستمرار وبكلّ طلاقةٍ ووضوح. وفي ذات يوم مرّ صدفةً أحدُ أبناء الملك على حانوتَ الرجل فسمِع الببغاء تردّد: «يا غياث المستغيثين أغثني» فلفتتْ نظرَه وأثارتْ دهشتَه، فوقف يستمع إليها بلهفةٍ وشوق، فقال للرجل: أتبيع هذه الببغاء؟ قال: نعم بألف دينار ـ وهو مبلغ ضخم في ذلك الزمان ـ فوافق ابن الملك على ذلك وتمّتْ صفقةُ البيع وتسلّم الببغاء ودفع إلى الرجل ألفَ دينار. فكانت هذه الصفقةُ المباركةُ سبباً في انفراج الأزمة، وفتح الله بها عليه باب الرزق الواسع، وجعل له من بعد عسْرٍ يُسْراً.

٨١٧١ ـ جاء في كتاب «الايديولوجيّة الإسلاميّة» للشيخ عبد الحميد المهاجر ما نصّه: «نقل لي أحدُ التجّار في الكويت أنّه كان في الغرب، ولّما زار ألمانيا الغربيّة شاهد منظراً عجيباً وما زال محفوراً في ذهنه.

يقول التاجر: كنتُ ماشياً في الشارع العام مع ثُلّة من الأصدقاء في الساعة العاشرة ليلاً فرأيتُ مجموعةً من الشُبّان يدُقّون على الطبول، ويردّدونَ كلماتِ الدعاء الخاصّة بهم. كانوا مجتمعين في وسط الساحة العامة، وكانت رؤوسهم محلوقةً بشكلٍ مثير فقد تركوا حُزمةً من الشَّعر وسط الرأس مشدودة، وارتدوا ملابسَ صارخةَ الألوان، وهم سادرون في الضرب على الطبول وترديد الأناشيد بصوتٍ عالٍ، وبين الحين والآخر كانوا يردّدون هذه الجملة: أيها القائد المنتظر تعال و خلّصنا من العذاب!! ولمّا عرَفتُ كلامَهم وسألتُ من الناس المتفرّجين

الواقعين حولهم: مَن هؤلاء؟ قالوا: هؤلاء يشكلّون طائفةً كبيرةً في ألمانيا الغربية والولايات المتّحدة تُسمى «طائفة الخلاص» وهم ينتظرون رجلاً مصلحاً سيخرج في آخر الزمان ليطهّرَ الأرض من الفساد والظلم، ولما سألتُ الناسَ: من هو هذا المصلح؟ أجابوني بأنّهم يرفُضون تعريف الناس باسْمه وإنّما فقط يكتفون بإثارة الناس لأجله وتذكير الناس به.

وعندما فرغ التاجر الكويتي من نقل القِصّة قلتُ له: يبدو أنّ الاعتقادَ بفكرة الإمام المنتظر أصبح مقبولاً دولياً وليس فقط محلياً. وهذا دليلٌ آخر على عمق العقيدة الإسلاميّة في النفوس البشريّة».

٨١٧٢ ـ لقد ثبت علمياً: إنّ حاسةَ البصر هي وحدها التي تتوقّف عن العمل في حالة النوم، أمّا حاسة السمع فلا تتوقف كلياً عن العمل، لذلك ينتبه النائم عند حدوث الأصوات العالية.

وهنا يمكن أن نتساءل: كيف استطاع أهل الكهف أن يناموا فيه ثلاثمائة سنة وإزدادوا تسعاً؟ كيف لم ينتبهوا لأصوات الرعود والعواصف والحيوانات طيلة هذه السنين؟ مع أنّ حاسة السمع ـ كما قلنا ـ تعمل ليلَ نهار ولا تتعطّل عن العمل في حالة النوم كما تتعطّل حاسة البصر، فماذا حدث إذاً لهؤلاء الفِتية؟ الجواب يقرّره القرآن الكريم وهو أنّ الله سبحانه عطّل بقدرته هذه الحاسة عن العمل طيلة تلك المدّة لتتِمَّ بذلك مشيئةُ الله عزّ وجل. انظر إلى قوله تعالى في سورة الكهف: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾﴾ إنّه يقرّر هذه الحقيقة العلميّة الكبرى بكلّ إيجازٍ وإعجاز، إنّه لم يقل: فضربنا على أجسامهم أو أرواحهم أو عقولهم، وإنّما قال: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾.

وفي القرآن الكريم إشارةٌ أخرى إلى هذه الحقيقة العلميّة وهي قوله تعالى في سورة القصص: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ فإنّه تعالى عندما ذكر الليلَ قال بعده: ﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾، وعندما ذكر النهار قال بعده: ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ وذلك للتأكيد على أنّ حاسة السمع لا تتوقّف عن العمل في الليل أثناء النوم، وإنّما تظلّ تلتقط الأصوات ترسلها إلى الدماغ، بخلاف حاسة البصر فإنّها تتعطّل تماماً في أثنائه عن الإبصار. فسبحان الله الذي جعل الليلَ والنهار آيتين تدلاّن على قدرته وحكمته.

٨١٧٣ ـ قال الشاعر على لسان أهل البيت عليهم السلام:

قُل لِمن حجّنا بقول سِوانا حيثُ فيه لم يأتِنا بدليلِ
نحن قومٌ إذا روينا حديثاً بعد آيات محكم التنزيلِ
عن أبينا عن جدّنا ذي المعالي سيّد المرسلينَ عن جبرائيلِ
وكذا قال جبرائيل عن الله بلا شبهةٍ ولا تأويلِ

٨١٧٤ ـ جاء في الحديث الشريف: «مَن ساء خُلقُه ضاق رزقُه» وحياةُ الناس بكلّ تفاصيلها ومفرداتها دلائلُ ومصاديقُ تؤيّد وتؤكّد ما جاء به هذا الحديثُ الشريف. فالتاجر الذي يتمتّع بأخلاقٍ فاضلة يكون ناجحاً في عمله التجاري، بينما التاجر الذي يتّصف بسوء الأخلاق يكون فاشلاً في عمله. والطبيب الذي يمتاز بحسن الأخلاق يكون أقدرَ على تحقيق النجاح من الطبيب الذي يُعرف بسوء الأخلاق.. وهكذا بالنسبة إلى جميع طبقات الناس وأصنافهم. فالناسُ بطبعهم ينفِرون من

الإنسان الذي يتعامل معهم بالغِلظة والفضاضة. وصدق الله حيثُ يقول في سورة آل عمران، الآية (١٥٩)، مخاطباً نبيَّه الكريمﷺ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾.

وهناك صفةٌ أخرى تلازم سيِّء الأخلاق وهي أنه يكون شقيّاً في حياته لا يشعُر بالراحة والسعادة بل تلازمه الكَئابةُ والمَرارة، وهذا ما نصّ عليه الحديثُ الشريفُ الآخر حيثُ يقول: «من ساء خلقه عذّب نفسه».

٨١٧٥ ـ قال أينشتاين: «إنّ ساعتي اليدويّة هذه أكبرُ دليلٍ على وجود الله، وذلك لأنّها تسير ضِمْنَ أبعادٍ مجزّءةٍ وموزّعةٍ على الزمن، مَثَلُها في ذلك مَثَلُ الطبيعة التي لا تجري إلا ضِمْنَ أبعادٍ مجزّءةٍ على الزمان والمكان.

وكما أنّ الساعةَ اليدويّة لا بدّ لها من صانعٍ صنعها أو مخترعٍ اخترعها كذلك الطبيعة لا بدّ لها من مبدعٍ قدير ابتدعها بقدرته، وأنشأها بحكمته، وهو الخالقُ العظيم».

٨١٧٦ ـ قد تُطلق ـ في الكتاب والسُّنّة ـ كلمةُ العبادةُ ويُراد منها الطاعة، قال الله تعالى في سورة يس: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾﴾ أي ألم أعهد إليكم أن لا تطيعوا الشيطان ولكن أطيعوني. وقال رسول اللهﷺ: «من أطاع مخلوقاً في غير طاعة الله عزّ وجل فقد كفر واتّخذ إلهاً من دون الله».

وقال الإمام الباقر عليه السلام في تفسير قوله تعالى في سورة يوسف: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾: «ذلك شركُ الطاعة

وليس شركَ العبادة». وقال الإمام الصادق عليه السلام في تفسير قوله تعالى في سورة التوبة، الآية (٣١): ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾: «وأما والله ما دعوهم لعبادة أنفسهم، ولو دعوهم لعبادة أنفسهم لما أجابوا لهم، ولكن أحلّوا لهم حراماً وحرّموا عليهم حلالاً فعبدوهم من حيثُ لا يشعرون، وقالوا لهم: اعملوا فعمِلوا». وقال عليه السلام أيضاً: «من أطاع رجلاً في معصية الله فقد عبده».

وقال الإمام الجواد عليه السلام: «مَن أصغى إلى ناطقٍ فقد عبده، فإن كان الناطقُ عن الله فقد عبد الله، وإن كان الناطقُ عن إبليس فقد عبد إبليس».

٨١٧٧ ـ إنّ المكانَ المنسوبَ إلى الشيخ بشّار في بغداد هو ـ على الظاهر ـ منسوبٌ إلى بشر الحافي الرجل الذي كان معاصراً للإمام موسى ابن جعفر عليه السلام وكان معروفاً بالفسق والفجور، وكان بيتُه مقصداً للمغنّين والمغنّيات حتى ضجّ الناس منه ومن الحافّين به في بيته فشكوه إلى الإمام موسى بن جعفر عليه السلام. فجاء الإمام يوماً إلى الطريق الذي يقع فيه بيت الرجل فلمّا اقترب منه سمع أصواتَ الغِناء ودقَّ الطبول، وإذا بالباب يُفتح وتخرج من البيت جاريةٌ حسناء وبيدها طبقٌ من بقيّة الطعام الذي كانوا يأكلونه تريد أن ترميّه في مواضع القُمامة فسألها الإمام عليه السلام: «لِمن هذا البيت؟» قالت: لسيدي بِشر، قال: «سيدك حرٌّ أم عبد؟» قالت: بل حر، قال: «صدقتِ لو كان عبداً لله لاستحى من الله»، فأثّرت كلمةُ الإمام في قلب الجارية أعظمَ الأثر واهتزّ لها كيانُها، ودخلتْ إلى الدار وهي ترتجف من الخوف، فقال لها بِشر: ما بالُك وماذا أصابكِ؟ فأجابته: إنّ رجلاً عليه سيماء الصالحين قال لي كذا وكذا. فلمّا ذكرت له أوصاف الرجل عرفه بِشر ـ وقد أثّر كلام الإمام

في قلبه أيضاً ـ فخرج مسرعاً حتى أدرك الإمام عليه السلام فقال له: سيدي كيف تقول إنني لست عبداً لله؟ فقال الإمام: «نعم لو كنتَ عبداً لله لاستحييتَ منه وخِفتَ عذابَه ورجوتَ ثوابَه، ولكنّك عبدٌ لشهواتك وأهوائك».

فما كان من بِشر إلا أن يقعَ على قدمي الإمام عليه السلام يقبّلهما ويعلن توبتَه الصادقة من ذنوبه ومعاصيه ويقول: سيدي أنا تائبٌ إلى الله.. أنا تائبٌ إلى الله فهل لي من توبة. فيقول له الإمام عليه السلام: «نعم تُبْ يتبِ الله عليك» فأشرق نورُ الإيمان في قلبه ورجع إلى بيته خاشعاً خاضعاً لله عزّ وجل، وأخرج من فيه من المغنّين والمغنّيات وحطّم كؤوسَ الخمر وآلات الطرب، وتحوّل على الفور من رجلٍ فاسقٍ فاجر إلى رجلٍ عابدٍ زاهد يتردّدُ على بيوت الله ويجتهدُ في أعمال الخير والبِر حتى صار محترَماً ومعظّماً عند الناس وصاروا يدعونه «الشيخ بشّار».

٨١٧٨ ـ روي: إنّ رجلاً سأل الإمامَ الصادق عليه السلام عن الصّراط فقال له عليه السلام: «هو الطريق إلى معرفة الله عزّ وجل، وهما صِراطان، صِراطٌ في الدنيا وصِراطٌ في الآخرة.

أمّا الصّراط الذي في الدنيا فهو الإمام من عرفه في الدنيا واهتدى بهداه مرّ على الصّراط الذي هو جسرُ جهنّم في الآخرة، ومن لم يعرفْه في الدنيا زلّت قدمُه عن الصراط في الآخرة فتردّى في جهنّم».

٨١٧٩ ـ روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «كما تنامون تموتون، وكما تستيقظون تُبعثون».

وروي عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «قال لقمان لابنه: يا بني

إن تك في شكٍّ من الموت فادفعْ عن نفسك النوم، وإن تك في شكٍّ من البعث فادفعْ عن نفسك الانتباه».

٨١٨٠ ـ اللسان يؤدّي ثلاث وظائف مهمّة، اثنان منها خارجتان عن إرادة الإنسان، والثالثة واقعةٌ تحت إرادته وهو مسؤول عنها وهذه الوظائف هي:

١ ـ الدورة الدمويّة في عروق اللسان، وهذه تعمل بمشيئة الله وحده، ولا علاقة لها أبداً بمشيئة الإنسان.

٢ ـ خلايا الإحساس في طرف اللسان، وقد أثبت العلم أنّ هناك أكثرَ من مائة مليون خَلِيّة أودعها الله سبحانه في طرف اللسان تعمل بمشيئته وحده على تذوّق المطعومات والمشروبات، ولا علاقة لها أبداً بمشيئة الإنسان.

٣ ـ النطق والكلام، وهذه هي الوظيفة الوحيدة التي جعلها الله سبحانه منوطةً بإرادة الإنسان ومشيئته، فإن شاء تكلّم وإنْ شاء سكت، وإنْ شاء جعل كلامه مطابقاً للصدق والحق، وإنْ شاء جعله موافقاً للكذب والباطل، وإنْ شاء جعل كلامه عاملاً للإصلاح والهداية والبناء، وإنْ شاء جعله عاملاً للإفساد والضلالة والهدم. وهو مسؤولٌ عن هذه الوظيفة ومحاسَبُ عليها: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾[1].

٨١٨١ ـ قال الشيخ عبد الحميد المهاجر في كتابه «الاديولوجيّة الإسلاميّة»: «في الصور التي التُقطت للأرض خلال الرحلات الفضائيّة ظهرت صورةُ الليل والنهار واضحةً بشكلٍ يبعث على الخشوع والرهبة

---

(١) سورة ق، الآية (١٨).

من الله العزيز العليم. فقد شاهد الناس في الأفلام العلميّة حركةَ الليل والنهار، وقد ظهر واضحاً أنّ النهارَ يلاحق الليل والليلَ يطارد النهار نتيجة حركة الأرض حول الشمس، ولكن دون أن يذوبَ أحدهما في الآخر. والملفت للنظر هو: إنّ القرآن ينقل لنا هذه الصورةَ العلميّة في دِقّةٍ ونظام حينما يقول: ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾[1] وتأمّلوا كلمة «يطلبهُ حثيثاً» فإنّ فيها يكمُن السرُّ الخفي، إنها نفس الصورة التي رآها روّاد الفضاء يوم صعدوا إلى القمر، فقد شاهدوا مسرحيّة الليل والنهار وكأنّهما في ساحة السباق، غير أنّه لا يستطيع أيٌّ منهما أن يسجّلَ رقماً ضدَّ الآخر. وصدق الله سبحانه حيثُ يقول: ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾[2].

٨١٨٢ ـ قال الشاعر:

إذا أنتَ فضّلتَ امرءاً ذا براعةٍ ... على ناقصٍ كان المديحُ من النقصِ

وهذا شبيهٌ بقول الآخر:

يقولون لي: فضّلْ عليّاً عليهُمُ ... وكيف أقول الدرُّ خيرٌ من الحصى

ألَم ترَ إنّ السيفَ ينقصُ قدرُه ... إذا قيل هذا السيف خيرٌ من العصا

٨١٨٣ ـ توفيت زوجتي العزيزة المغفور لها العلويّة بتول كريمة سيدنا العم آية الله السيد طاهر الحيدري (قُدّس سرّه) في عصر يوم الخميس الأول من شوال «يوم عيد الفطر» سنة ١٤١٥هـ المصادف لليوم الثاني من آذار سنة ١٩٩٥م. وقد فُجع الأقرباء والأصدقاء بوفاة هذه العلويّة الجليلة، وكان تشييعُها المَهيب من منطقتنا ـ في الكسرة ـ

---

(١) سورة الأعراف، الآية (٥٤). (٢) سورة يس، الآية (٤٠).

إلى الكاظمية وإلى كربلاء ثم إلى مثواها الأخير في النجف الأشرف وفاتحتُها الكبيرة في جامع التميمي موضع الإعجاب والاستغراب من مختلف الطبقات. ومِمّا زاد في هذا الإعجاب والاستغراب ما وقع لها من الكرامات الباهرة في وقت وفاتها وفي أثناء تشييعها وفاتحتها.

ومن أهمّ ذلك أنها في لحظة وفاتها ـ وقد كانت طيلة ذلك اليوم لا تقدر على الكلام ـ نطقت بصوتٍ واضحٍ وفصيح: «سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر» ثلاث مرات، ثم قالت «لا إله إلا الله» مرتين ولفظت أنفاسَها الأخيرة. ثم ما وقع لها من رفع جنازتها من أيدي حامليها مرتين عند مدخل الصحن الكاظميّ الشريف في باب المراد، وفي داخل الروضة المقدسة، وما فاح منها من رائحةٍ طيّبةٍ عطرةٍ ساعة دفنها كأنّها رائحةُ المسك والعنبر، وما جعل الله من البركة في الطعام الذي أُعِدّ للناس في اليوم الثالث من فاتحتها بحيثُ كان مهيّئًا لألف نسمة على أكثر تقديرٍ بينما أكل منه أكثرُ من ثلاثة آلاف نسمة ووُزِّع الباقي منه على بيوت الجيران، وحصل مثله ذلك في رأس سنتها.

وفي اليوم الثالث من فاتحة النساء ـ حيثُ كان البيتُ بكامله غاصّاً بالنساء ـ جاءت امرأةٌ من جيراننا ومعها سَلّة فيها خبزٌ وحلوى ووزعتْها على النساء الموجودات في الحديقة، وأعادت السلّةَ الفارغةَ إلى بيتها، وهناك وجدوا فيها كيساً من زُبْد ولم يعرفوا مصدَره، فلمّا سألونا عنه دُهِشنا وسببُ ذلك: إنّ المرحومة قبل وفاتها بيومٍ واحد قالت لابنتها وبحضوري: افتحي المجمّدة فستجدين فيها كيسَيْنِ من زُبْد أهدِيا لنا فاستخرجي واحداً منهما واذهبي به إلى عائلة فلان ـ وهي نفسُها العائلةُ

التي جاءت بعد ذلك بسلّة الخبز والحلوى ـ فبينما أرادت ابنتُها تنفيذَ الطلب جاءنا ضيوف من نساء أسرتنا لعيادتها فشُغلت ابنتُها بهم عن ذلك، ثم ساءت حالتُها الصحيّة وتوفيت ـ رحمة الله عليها ـ في اليوم الثاني، هذا هو سرّ دهشتِنا، وقد تأكدّنا من الكيسيْنِ في المجمّدة فما رأينا إلا كيساً واحداً.

وأخيراً سافرتُ أنا وبناتي مع أحدِ أصحابنا المخلصين الأبرار ونزلتُ معه إلى المقبرة وقرأنا ما تيسّر من قِصار السور، وقرأنا الدعاءَ الموجود والزيارةَ الموجودة، وصلّينا ركعتيْن وأهدينا ثوابَهما لروحها الطاهرة، ثم تناول صاحبُنا القرآن الكريم وجلس إلى جنب القبر وصار يقرأ سورة يس بصوتٍ ظاهر وأنا أقرأ معه، فبينما هو كذلك إذْ رأيتُه يتطلّع إلى الأعلى تارةً وإلى الوراء تارةً أخرى، فلمّا انتهى من قِراءة السورة قلتُ له: أراك تتطلّع إلى الأعلى وإلى الوراء فلماذا؟ قال ـ وقد تغيّر لونُه وبدا عليه الاضطراب ـ: هل إنّ إحدى العلويات تقرأ معنا السورة؟ فخرجتُ إلى السرداب المجاور للمقبرة فلم أرَ أحداً، وصعدتُ إلى الدار فسألتُ من البنات: هل كانت إحداكُنّ تقرأ معنا؟ قلن: نحن لم نسمعْ من هنا قِراءتكم فكيف نقرأ معكم. فقال صاحبي وهو يُقسم بالله العظيم: إنّ المرحومة العلويّة كانت تقرأ معي السورة آيةً آية، ثم انكبّ على القبر يقبّله وهو يبكي ويشكرُ الله الذي خصّه بهذه الكرامة العجيبة. إلى غير ذلك من الكرامات الباهرة، ولا عجب في ذلك فهي من النساء الفريدات في صفاتها وأخلاقها وإيمانها وصبرها وكرمها وتفقّدها للمحتاجين من الأرحام والجيران وحسنِ رعايتها لزوجها وبناتها، تغمدها الله بواسع رحمته، وأسكنها فسيحَ جنّته، وحشرها مع أجدادها الطاهرين(صلوات الله عليهم أجمعين).

وقد رثاها وأرّخ عام وفاتها عددٌ من الشعراء، منهم العلامة الخطيب السيد عبد الرسول الكفائي بأبياتٍ قال فيها:

حَوْرا بتولٌ من بنات الرسولْ
وَيْحَ الردى كيف عراها الأفولْ؟
وا حَزَني لغصن مجدٍ ذوى
من دوحة الزهرا دَهاه الذُبولْ
محمّدٌ لها بكى حسرةً
أصابه وقعُ الأسى في ذُهولْ
ينظر أيتاماً لها بعدها
ثاكلةً هذي وذي في ثُكولْ
رزيّةٌ عاد بها ذو البيان
عَيّاً[1] فلم يدر بها ما يقولْ
رزيّةٌ طغتْ بعظْم الأسى
تجري مع الدهر بذكرى تطولْ
فمن وعاها ظلّ مستفهماً
قل لي وأرِّخْ: أهي ذكرى البتولْ؟ ١٤١٥هـ

ومنهم الأديب الفاضل عبد الكريم الحاج غانم الدبّاغ المرحوم الشيخ كاظم آل نوح - خطيب الكاظميّة - بأبياتٍ قال فيها:

يا بني حيدرةٍ منّا العزا
قد رُزينا يوم عيدٍ برزيّة

(١) العييّ والعيّ: الذي لا يقدر على الكلام.

ابنـةُ الطـاهـر مـن سُـقْـم قـضـتْ
ومضـتْ والنفسُ بـالـعُـقبى رضـيّـهْ
جـمـعـتْ خـيـرَ السـجـايـا إنّـهـا
مـن قـريـشٍ جـدُّهـا خـيـرُ الـبـريّـهْ
سـادةُ الـنـاس هـمُ الـقـربـى ومَـن
عُـصِـمـوا مـن كـلّ رجـسٍ ودَنِـيّهْ
حـورُعـيـنٍ سـعِـدَتْ أرِّخْ : بـهـا
لجنان الخلد زُفّت عَلَويّة ١٤١٥هـ

ورثيتُها أنا بمقطوعةٍ شِعريّة صوّرتُ فيها لوعةَ المصيبة وعظيمَ الحزن ومرارةَ الفِراق قلتُ فيها:

كلَّ[1] لساني وهَمَتْ[2] أدْمُعي ... لفقد مَن كان لنا مُؤنِسا[3]
قد سكنتْ قلبي فمُذْ ودّعتْ ... أصبح قلبي موحِشاً مُبْلِسا
لم أرَ منها أيَّ سوءٍ وقد ... كانت بحقٍّ من خيارِ النِسا
تقيّةٌ نقيّةٌ بَرّةٌ ... طابتْ نِجاراً[4] وزكتْ مَغْرِسا[5]
إلى جنان الخلد زُفّتْ وقد ... ألبسها الله بها سُندسا[6]
لو يُدْفعُ الموتُ بشيءٍ وإنْ ... عَزَّ بذلْنا دونَها الأنفُسا
عِشْنا سعيدَيْنِ فلمّا مضتْ ... أمستْ حياتي بعدها حِنْدِسا[7]
كانت سرورَ القلب حتى قضتْ ... فامتلأ القلبُ عليها أسى[8]

---

(١) كلّ: عجز.
(٢) هِمتْ: تصبّبت.
(٣) المبلس: الآيس الحزين.
(٤) النِجار: الأصل.
(٥) المغرِس: المنبت.
(٦) السُّندسُ: الديباج أو الحرير الرقيق.
(٧) الحندس: الليل المظلم.
(٨) الأسى: الحزن.

٨١٨٤ - مما قلتُه في مدح أهل البيت عليهم السلام وفيه جناس لطيف:

حبُّ أهل البيت ديني واعتقادي ويَقيني
وهو في الحشر مَلاذي ومن النار يَقيني

ومثله قولي في مدحهم أيضاً:

سادتي إنّني بكم مستجيرُ من ذنوبي ومن عظيمَ وثاقي
ويقيني بكم يَقيني من النا ر بنفسي وأسرتي ورِفاقي

٨١٨٥ - قيل لسقراط الحكيم: إنك قليلُ الأكل فقال: «الأكلُ للحياة وليست الحياةُ للأكل». وقيل له: إنك قليل الكلام فقال: «لأنَّ الله خلق للإنسان لساناً واحداً وأذنينِ اثنيْن حتى يسمعَ ضعفَ ما يقول».

٨١٨٦ - قال الإمام الصادق عليه السلام للمفضل بن عمر وهو يشرح له مدارات النجوم ومساراتها: «فكّرْ يا مفضل في النجوم واختلاف مسيرها، فبعضها لا تفارق مراكزها من الفلك ولا تسير إلا مجتمعة، وبعضها مطلقة تنتقل في البروج وتتفرّق في مسيرها، فكلّ واحدٍ منها يسير بسيْريْنِ مختلفيْن أحدهما عامٌ مع الفلك نحو المغرب، والآخر خاصٌ لنفسه نحو المشرق. كالنملة التي تدور على الرحى، فالرحى تدور ذات الشمال والنملة في ذلك تتحرّك حركتيْنِ مختلفتيْن أحدهما بنفسها فتتوجّه أمامها والأخرى مكرهة إلى الرحى تجذبها إلى خلفها».

٨١٨٧ - من الأمور التي تدُلّ على أفضليّة نبيّنا الأعظم صلى الله عليه وآله وتقدُمِه على جميع الأنبياء والمرسلين هو ما يُلاحظ في القرآن الكريم من أسلوب مخاطبة الله سبحانه لأنبيائه ورسله عليهم السلام وأسلوب مخاطبته

لنبيّنا الأكرم ﷺ، فإنّه ـ عزّ شأنه ـ عندما يخاطب أنبياءه ورسلَه فإنّما يخاطبهم بأسمائهم مجرّدةً عن الألقاب والصفات.

فيقول في سورة البقرة، الآية (٣٥): ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾، ويقول في سورة الأعراف، الآية (١٩): ﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا﴾.

ويقول في سورة هود، الآية (٤٨): ﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ﴾، ويقول في نفس السورة، الآية (٤٦): ﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾.

ويقول في سورة ص، الآية (٢٦): ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ﴾.

ويقول في سورة هود، الآية (٧٦): ﴿يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ﴾، ويقول في سورة الصافات: ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾﴾.

ويقول في سورة مريم، الآية (٧): ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ﴾. ويقول في سورة مريم، الآية (١٢): ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ﴾.

ويقول في سورة النمل، الآية (١٠): ﴿يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾.

ويقول في سورة القصص، الآية (٣٠): ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، ويقول في نفس السورة، الآية (٣١): ﴿يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ﴾.

ويقول في سورة المائدة، الآية (١١٦): ﴿يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾، ويقول في نفس السورة، الآية (١١٠): ﴿يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ﴾.

ولكنّه سبحانه وتعالى عندما يخاطب خاتِمَ النبيّين ﷺ فإنّما يخاطبه بأسلوبٍ يقترن بالتكريم والتعظيم وليس باسْمه المجرّد فيقول في سورة الأحزاب: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾﴾، ويقول في سورة المائدة، الآية (٦٧): ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾.

٨١٨٨ ـ النجوم والكواكب مفهومان مختلفان في اصطلاح القرآن وفي اصطلاح العلم. فالنجوم هي الأجرام السماويّة الملتهِبة التي تمُدّ غيرها بالنور والطاقة.

وأمّا الكواكب فهي الأجرام السماويّة التي تدور حول النجوم وترتبط بنطاق جاذبيّتها، وتستمدّ منها النور والطاقة.

فإذا انطفأت النجوم يوم القيامة وذهبتْ جاذبيّتها انفلتتِ الكواكب من هذا النّطاق وارتطم بعضُها ببعض وتبعثرتْ في الفضاء. وعلى ضوء هذه الحقيقة نُدرك دِقّةَ التعبير القرآني المعجز حيثُ يقول عن النجوم في سورة التكوير: ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴿٢﴾﴾ أي انطفأتْ وأظلمتْ. ويقول عن الكواكب في سورة الانفطار: ﴿وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ﴿٢﴾﴾ أي تبعثرت وارتطم بعضُها ببعض.

٨١٨٩ ـ جاء في حديث شريف: «تقوم الساعة والرجلان قد نشرا ثوباً يتبايَعانِه، فما يطويانه حتى تقومَ الساعة».

وجاء في حديثٍ آخر: «إنّ المرءَ يرفع لقمتَه إلى فيه فما تصل إلى فيه حتى تقوم الساعة». وصدق الله حيثُ يقول في سورة النحل، الآيـة (٧٧): ﴿وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾، ويقول في سورة يس: ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾﴾، ويقول في سورة يونس، الآية (٢٤): ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ﴾. وفي هذه الآية الكريمة إشارةٌ علميّةٌ في غاية الدِقّة والإعجاز إلى كرويّة الأرض فعندما تقوم الساعة يكون أهلُ الأرض ـ بحكم كُرويّتها ـ نصفُهم في ليلٍ ونصفُهم في نهار.

٨١٩٠ ـ جاء في العلم الحديث وفي علم الفيزياء ـ على وجه التحديد ـ: إنّ الحدَّ الأدنى لحجم الصوت هو ١٦ موجة في الثانية الواحدة، فما كان أقلَّ من هذا الحد لا يمكن سماعُه عن طريق الأُذن، وإنّ الحدَّ الأعلى لحجم الصوت هو ١٦ ألف موجة في الثانية الواحدة.

فما كان أكثرَ من هذا الحد فإنّ الأُذن لا تستطيع تحمُّله بل قد تُصاب بالصَّمَم وتُؤدّي إلى تمزّقُ طبلة الأُذن. وقد أشار إلى هذه الحقيقة العلميّة أميرُ المؤمنين عليُّ بن أبي طالب عليه السلام في إحدى خطبه حيثُ يقول: «وكلُّ سميع غيرِه ـ أي غير الله تعالى ـ يُصَمُّ عن لطيف الأصوات، ويُصِمُّه كبيرُها».

٨١٩١ ـ قال علماء الحيوان: إنّ هناك حيواناً اسمه «أبو النطيط»

يستطيع أن يتّصل بأبناء على بُعد عشرات الكيلومترات فيدعوها إليه فتستجيب له دون أن يسمعَ أحدٌ صوتَه. وقد اكتشف العلماء في داخل هذا الحيوان جهازاً آليّاً دقيقاً يُشبه جِهازَ الرادار، ولا يزيد حجمُه عن حجم الحُمّصة فتبارك الله أحسنُ الخالقين.

٨١٩٢ ـ روي عن الإمام زين العابدين عليه السلام أنه قال: «ثلاثُ ساعات من أصعب الساعات على ابن آدم: الساعةُ التي يعاين فيها ملكَ الموت، والساعةُ التي يقوم فيها من قبره، والساعةُ التي يقف فيها بين يدي الله عزّ وجل، فإمّا إلى الجنّة وإمّا إلى النار». وروي عن الإمام الرضا عليه السلام أنّه قال: «أوحشُ ما يكون هذا الخلق في ثلاثة مواطن: يوم يولد ويخرج من بطن أمّه فيرى الدنيا، ويوم يموت فيعاين الآخرة، ويوم يُبعث فيرى أحكاماً لم يرها في دار الدنيا»، ولذلك قال الله تعالى في سورة مريم عن نبيّه يحيى عليه السلام: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ۝١٥﴾، وقال في نفس السورة، الآية (٣٣) على لسان نبيّه عيسى عليه السلام: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾.

٨١٩٣ ـ روي: إنّ رسولَ الله صلى الله عليه وآله كان يخطُب على المنبر ويُذكّر أصحابَه بأهوال يوم القيامة فقام إليه أعرابيّ فقال: يا رسولَ الله أخبرنا هلِ الله سبحانه هو الذي يحاسبنا بنفسه، أم أنّ الملائكةَ هم الذين يحاسبوننا؟ فقال له النبيّ صلى الله عليه وآله: «لا بل الله هو الذي يحاسبنا بنفسه» ففرح الأعرابيّ وقال: إذاً نجونا وربُّ الكعبة لأنّ الكريمَ إذا ملك صفح.

فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: «لقد فقِه الرجل» يعني أنّه علِم وأدرك عظيمَ سعة رحمة الله سبحانه بعباده المؤمنين، وأنّه فقِه معنى قوله تعالى في

سورة الزمر: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾.

وقد ورد في بعض الأحاديث الشريفة أنّ الله سبحانه هو الذي يتوَلّى حسابَ المؤمنين، وأنّ الملائكةَ هم الذين يتولّوْن حسابَ الكافرين والمنافقين.

٨١٩٤ ـ الإنسان مهما طغى وتجبّر فإنّه لا يستطيع أن يفلِتَ من قبضة محكمة الضمير في الدنيا، كما لا يستطيع أن يفلِتَ من قبضة محكمة الله في الآخرة، والشواهد على ذلك كثيرة نذكر منها هاتين الحادثتين:

الأولى: طارد معاوية جماعة من خيرة أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام فلمّا قبض عليهم نكّل بهم وقتلهم وهم حجرُ بن عدي وأصحابُه البررة.

فلمّا تمّت فصولُ الجريمة لم يستطعْ معاوية أن يفلِتَ من محكمة الضمير بل جعلته يعيش في جحيمٍ وعذاب حتى إذا جنّ عليه الليل نادى في فزعٍ رهيب: «ليلي منك يا حجر طويل».

الثانية: لقد اختار الأمريكيون أحد كبار الضباط ليُنيطوا به مهمّة إلقاء القنبلة الذريّة على مدينة «هيروشيما» اليابانيّة ووعدوه إن فعل هو ذلك بأكبر الجوائز والمكافآت، فاستجاب الضابط لهذا الأمر وارتكب الجريمة المروّعة وألقى قنبلته على المدينة حتى بلغ ضحاياها أكثر من مليون قتيل وجريح. فلمّا عاد الضابط إلى قاعدته العسكريّة استقبلوه بالأوسمة والنياشين الرفيعة. وفي صبيحة اليوم التالي خرجت الصحفُ

تسجّل بالأرقام والصور حجمَ المأساة الإنسانيّة التي أصابت هذه المدينة المنكوبة.

فلمّا اطّلع عليها الضابط الذي تولّى الجريمة انتفض لها ضميرُه وصار يركُض في الشوارع ـ وبيده الصحف ـ ويصيح بأعلى صوته: أنا مجرم.. أنا خائن.. أنا الّذي سفكتُ كل هذه الدماء.. اقتلوني فأنا لا أستحقّ الحياة.. وأخيراً نقل إلى مستشفى الأمراض العصبيّة وهناك لاقى مصيره المحتوم ليدخل في نطاق محكمة الله في الآخرة بعد أن دخل في نِطاق محكمة الضمير في الدنيا.

ولقد أشار القرآن الكريم في أسلوبٍ دقيقٍ رائع إلى هذا الترابط العجيب بين هاتيْن المحكمتيْن بقوله تعالى في سورة القيامة: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢﴾.

٨١٩٥ ـ نصّ القرآن الكريم في آيتيْن مباركتيْن على أنّ مشيئةَ الإنسان مرتبطةٌ بمشيئة الله عزّ وجل.

الأُولى: قولُه تعالى في سورة الدهر: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝٣٠﴾.

الثانية: قولُه تعالى في سورة التكوير: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢٩﴾.

والتدبُّر في هاتيْنِ الآيتيْنِ الكريمتيْن يدُلُّ على أنّ للإنسان مشيئةً واختياراً في أفعاله وأقواله ولكنّ هذه المشيئة مرتبطةٌ بمشيئة الله تعالى، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكنْ، ولا حولَ ولا قوّةَ إلا بالله العليّ العظيم.

ومشيئةُ الله سبحانه هي إرادتُه وليست هي علمَه إذْ إنّ العلم من صفات الذات والمشيئةَ من صفات الأفعال، وقد صرّح بذلك أئمّةُ الهدى(صلوات الله عليهم) فقد سُئل الإمام الصادق عليه السلام عن علم الله ومشيئته أهما مختلفان أم متفقان؟ فقال عليه السلام: «العلم ليس هو المشيئة ألا ترى أنك تقول: سأفعل كذا إنْ شاء الله، ولا تقول: إنْ علم الله فقولك: إنْ شاء الله دليلٌ على أنّه لم يشأ، فإنْ شاء كان الذي شاء كما شاء. وعلمُ الله سابقٌ على المشيئة».

وإنّما جعل الله الإنسان مختاراً بحيثُ يستطيع أن يفعل ما يشاء ويتركَ ما يشاء لينال بذلك أعلى الدرجات وأرفعَ المنازل في الدنيا والآخرة إن سلك ـ باختياره ومشيئته ـ طريق الخير الذي أرشده إليه ودلّه عليه بواسطة العقل الذي أودعه عليه وبواسطة الأنبياء الذين أرسلهم إليه ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾(١).

فإذا فعل الإنسانُ الخيرَ فهو باختياره وبتوفيق الله له، وإذا فعل الشرَّ فهو باختياره وبإقدار الله له وهو وحده المسؤول عن فعله. نعم لو شاء الله أن يمنعَه من ذلك لفعل ولكن شاءت حكمتُه أن يدَعه وما يختار لأنّه سبحانه لو أجبره على فعل الطاعة أو ترك المعصية لبطل الثوابُ والعقاب والوعدُ والوعيد ولكان خلقُ الجنّة والنار عبثاً ﴿ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾(٢)، فهو إذاً منزلةٌ بيْن المنزلتيْن، وأمرٌ بيْن الأمرين كما قال الإمام الصادق عليه السلام: «لا جبر ولا تفويض ولكن أمرٌ بين أمرين».

---

(١) سورة الأنفال، الآية (٤٢).
(٢) سورة ص، الآية (٢٧).

وروي أنّ رجلاً سأل الإمام الصادق عليه السلام فقال: جُعلتُ فِداك أجبر الله العبادَ على المعاصي؟ فقال عليه السلام: «الله أعدلُ من أن يجبرَهم على المعاصي ثم يعذّبهم عليها» فقال الرجل: جُعلتُ فِداك ففوّض الله إلى العباد؟ فقال عليه السلام: «لو فوّض إليهم لم يحصِرْهم بالأمر والنهي» فقال الرجل: جُعلتُ فِداك فبينهما منزلة؟ فقال عليه السلام: «نعم أوسعُ ما بين السماء والأرض». وسأله رجلٌ آخر فقال: أجبر الله العبادَ على المعاصي؟ قال: «لا»، فقال: ففوّض إليهم؟ قال: «لا»، فقال: فماذا؟ قال عليه السلام: «لطفٌ من ربّك بين ذلك».

وروي: إنّ رجلاً دخل على الإمام الرضا عليه السلام فقال له: يا ابن رسول الله روي لنا عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام أنه قال: «لا جبر ولا تفويض ولكن أمرٌ بين أمرين» فما معناه؟ فقال عليه السلام: «مَن زعَم أنّ الله يفعل أفعالَنا ثم يعذّبنا عليها فقد قال بالجبر، ومَن زعَم أنّ الله فوّض أمرَ الخلق والرزق إلى حُججه فقد قال بالتفويض، والقائل بالجبر كافر، والقائل بالتفويض مشرك»، فقال الرجل: يا ابن رسول الله فما أمرٌ بين أمرين؟ قال عليه السلام: «وجودُ السبيلِ إلى إتيان ما أمروا به وتركِ ما نهوا عنه» فقال الرجل: فهل لله عزّ وجل مشيئةٌ وإرادةٌ في ذلك؟ قال عليه السلام: «فأمّا الطاعات فإرادةُ الله ومشيئتُه فيها الأمرُ بها والرضا لها والمعاونةُ عليها، وإرادتُه ومشيئتُه في المعاصي النهي عنها والسخط لها والخذلانُ عليها». وروي عنه عليه السلام أنه قال لأصحابه ـ وقد ذكروا عنده الجبرَ والتفويض ـ: «ألا أعطيكم في هذا أصلاً لا تختلفون فيه، ولا يخاصمكم عليه أحدٌ إلا كسرتموه؟» قالوا: إنْ رأيتَ ذلك، فقال عليه السلام: «إنّ الله تعالى لم يُطَعْ بإكراه، ولم يُعصَ بغلَبة، ولم يُهملِ العبادَ في مُلكه. وهو المالكُ لِما ملّكهم، والقادرُ على ما أقدرهم، فإن ائتمر

العبادُ بطاعته لم يكن الله عنها صاداً ولا منها مانعاً، وإنْ ائتمروا بمعصيته فشاء أن يحول بينهم وبين ذلك فعل، وإن لم يحُلْ فَفعلوا فليس هو الذي أدخلهم فيه»، ثمَّ قالعليه السلام: «مَن يضبِط حُدودَ هذا الكلام فقد خصم من خالفه». وجُماعُ ذلك كلِّه ما روي عن رسول اللهصلى الله عليه وآله أنّه قال: «مَن زعَم أنّ الله يأمر بالسوء والفحشاء فقد كذِب على الله، ومَن زعَم أنّ الخيرَ والشرَّ بغير مشيئة الله فقد أخرج الله من سلطانه، ومَن زعَم أنّ المعاصي بغير قوّة الله فقد كذِب على الله، ومَن كذب على الله أدخله الله النار».

وقد جاء في الحديث القدسي المروي عن طريق أهل البيتعليهم السلام: «يا ابن آدم بمشيئتي كنتَ أنت الذي تشاء لنفسك ما تشاء، وبإرادتي تريد لنفسك ما تريد، وبفضل نعمتي عليك قويتَ على معصيتي، وبعصمتي وعوني وعافيتي أديت إليّ فرائضي، فأنا أولى بحسناتك منك، وأنتَ أولى بسيّئاتك مني.. فلِي الحمدُ والحُجّة عليك بالبيان، وليَ السبيلُ عليك بالعصيان، ولك الجزاءُ الحسنُ عندي بالإحسان...».

وقد شاء الله أن لا يكون شيءٌ إلا بعلمه وإرادته، فإن كان ذلك الشيءُ طاعةً وخيراً أحبّه ورضيَه، وإن كان معصيةً وشرّاً كرِهه ولم يرضه كما قال تعالى في سورة الزمر، الآية (٧): ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾.

وهذا هو معنى قوله تعالى في سورة الدهر: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾﴾. وقد نصّت أحاديث أهل البيتعليهم السلام على هذا المعنى فقد روي عن أبي بصير أنه قال: قلتُ

لأبي عبد الله عليه السلام: شاء الله لهم الكفرَ وأراده؟ قال عليه السلام: «نعم» قلتُ: فأحبَّ ذلك ورضيَه؟ قال عليه السلام: «لا»، قلت: شاء وأراد ولم يحب ولم يرض؟ قال عليه السلام: «نعم هكذا أخرج إلينا». وروي عن أبي بصير أيضاً أنه قال: قلتُ لأبي عبد الله عليه السلام: شاء الله وأراد وقدّر وقضى؟ قال عليه السلام: «نعم» قلتُ: وأحب؟ قال عليه السلام: «لا»، قلتُ: وكيف شاء وأراد وقدّر وقضى ولم يحب؟ قال عليه السلام: «هكذا خرج إلينا». وروي عن فضيل بن يسار قال: سمعتُ أبا عبد الله عليه السلام يقول: شاء الله وأراد ولم يحب ولم يرض، شاء أن لا يكون شيءٌ إلا بعلمه، وأراد مثلَ ذلك ـ أي أراد أن لا يكون شيءٌ إلا بعلمه ـ، ولم يحب أن يُقال: ثالثُ ثلاثة، ولم يرض لعباده الكفر».

وعلى ضوء هذه الحقيقة وعلى هُدى هذه النصوص الشريفة تُدرك بوضوح معنى ومغزى قول سيّد الشهداء عليه السلام: «شاء الله أن يراني قتيلاً... وشاء الله أن يراهُنّ سبايا».

٨١٩٦ ـ روي عن محمد بن عمر أنه قال: سألتُ أبا الحسن موسى بنَ جعفر عليه السلام عن معنى قول رسول الله صلى الله عليه وآله: «الشقيُّ مَن شقِي في بطن أمّه، والسعيدُ مَن سعِد في بطن أمّه»؟ فقال عليه السلام: «الشقي مَن علمه الله ـ وهو في بطن أمّه ـ أنه سيعمل أعمالَ الأشقياء، والسعيدُ مَن علمه الله ـ وهو في بطن أمّه ـ أنّه سيعمل أعمالَ السعداء»، قلتُ: فما معنى قوله صلى الله عليه وآله: «اعملوا فكلٌّ مُيَسّر لِما خُلق له»؟ فقال عليه السلام: «إنّ الله خلق الجنَّ والإنسَ ليعبدوه ولم يخلقْهم ليعصوه وذلك قولُه عزّ من قائل: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾[1] فيسّر كلاً لِما خُلق

---

(١) سورة الذاريات، الآية (٥٦).

له، فالويل لِمَن استحبَّ العَمى على الهُدى».

وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «حقيقةُ السعادة أن يختِمَ المرءُ عملَه بالسعادة، وحقيقةُ الشقاء أن يختِم المرءُ عملَه بالشقاء».

٨١٩٧ ـ روي: إنّ الحجّاج بنَ يوسف الثقفي كتب إلى الحسن البصري وإلى عمرو بن عُبيْد وإلى واصل بن عطاء وإلى عامر الشعبي أن يذكروا ما عندهم وما وصل إليهم في القضاء والقدر.

فكتب إليه الحسن البصري يقول: أحسنُ ما سمِعتُ في القضاء والقدر قولُ أمير المؤمنين عليٍّ بن أبي طالب عليه السلام: «أتظنّ أنّ الذي نهاك دهاك؟ وإنّما دهاك أسفَلك وأعلاك، والله بريءٌ مِن ذاك».

وكتب إليه عمرو بنُ عبيْد يقول: أحسنُ ما سمِعتُ في القضاء والقدر قولُ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام: «لو كان الوِزْرُ في الأصل محتوماً، لكان المأزورُ في القِصاص مظلوماً».

وكتب إليه واصل بنُ عطاء يقول: أحسنُ ما سمِعتُ في القضاء والقدر قولُ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام: «أيدُلّكَ على الطريق، ويأخذ عليك المضيق؟».

وكتب إليه عامر الشعبي يقول: أحسنُ ما سمِعتُ في القضاء والقدر قولُ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام: «كلّ ما استغفرتَ الله منه فهو منك، وكل ما حمدتَ الله عليه فهو منه».

فلمّا وصلت كتبُهم إلى الحجّاج ووقف عليها قال: «لقد أخذوها مِن عينٍ صافية».

٨١٩٨ ـ روي عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: «ما عُبد الله بشيءٍ

من التمجيد أفضلُ من تسبيح فاطمةعليها السلام، ولو كان شيء أفضلَ منه لنحله رسولُ اللهصلى الله عليه وآله فاطمة».

وروي عن الإمام الصادقعليه السلام أنه قال: «تسبيحُ فاطمة الزهراءعليها السلام في كلّ يوم دُبُرَ كلّ صلاة أحبُّ إليّ من صلاة ألف ركعةٍ في كلّ يوم».

٨١٩٩ ـ روي عن محمد بن عيسى بن زيد بن علي قال: سمعت أبا عبد اللهعليه السلام يقول: إنّما سُمّيت فاطمة محدَّثة لأنّ الملائكة كانت تهبُط من السماء فتناديها كما كانت تنادي مريمَ ابنةَ عمران وتقول لها: «يا فاطمةُ إنّ الله اصطفاكِ وطهّركِ واصطفاكِ على نساء العالمين. يا فاطمةُ اقنتي لربّكِ واسجُدي واركَعي مع الراكعين»، فتحدّثهم ويحدّثونها. فقالت ذات ليلة: «أليست المفضَّلةُ على نساء العالمين مريمَ ابنةَ عِمران؟» فقالوا: إنّ مريمَ كانت سيّدةَ نساء عالَمِها، وإنّ الله جعلكِ سيّدةَ نساء عالَمِكِ وعالمها وسيّدَة نساء الأوّلين والآخِرين».

٨٢٠٠ ـ لقد أطلق القرآن الكريم على الكتاب الذي أثبت الله فيه كلّ ما كان وما يكون من أوّل الخلق إلى آخره، ومن مبدأ الكون إلى منتهاه عِدّةَ أسماء.

فتارةً يُطلق عليه اسمَ «اللوح المحفوظ» كما في قوله تعالى في سورة البروج: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾﴾.

وتارةً يُطلق عليه اسمَ «أمّ الكتاب» كما في قوله تعالى في سورة الزخرف: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾﴾. ﴿وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾﴾، وفي قوله في سورة الرعد:

﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴿٣٩﴾﴾.

وتارةً يُطلق عليه اسمَ «الكتاب المبين» كما في قوله تعالى سورة الأنعام: ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾، وفي قوله في سورة يونس: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾﴾، وفي قوله في سورة سبأ، الآية (٣): ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾، وفي قوله في سورة النمل: ﴿وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾﴾، وفي قوله في سورة هود: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾﴾.

٨٢٠١ ـ لكلّ إنسانٍ أجلان، الأجل الأوّل هو «الأجل المخروم» ويُسمّى أيضاً «الأجل المقضيّ» أو «الأجل الموقوف». والأجل الثاني هو «الأجل المحتوم» ويُسمّى أيضاً «الأجل المُسمّى».

والأجل الأوّل هو الذي سُجّل في «لوح المحو والإثبات» وهو الذي يستند إلى الأسباب الناقصة التي قد تتخلّف بمشيئة الله وإرادته فيتخلّف الأجل.

والأجلُ الثاني هو الذي سُجّل في «أمّ الكتاب» الذي لا يتبدّل ولا يتغيّر، وهو الذي يستند إلى الأسباب التامة التي لا تتخلّف بمشيئة الله وإرادته فلا يتخلّف الأجل.

وقد نصّ الله سبحانه على هذين الأجليْن في آيتيْن كريمتيْن من كتابه المجيد، الأولى: قولُه تعالى في سورة الأنعام، الآية (٢): ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُ﴾. والثانية: قوله تعالى في سورة الرعد: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴿٣٩﴾﴾.

كما نصّت على الأجل المحتوم آياتٌ كثيرة كقوله تعالى في سورتي الأعراف الآية(٣٤)، والنحل، الآية: (٦١): ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ وقولِه في سورة المنافقون: ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا ۚ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾﴾، وقوله في سورة نوح، الآية (٤): ﴿إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

وقد نصّت أحاديث أهل البيت عليهم السلام أيضاً على هذيْن الأجلين «الموقوف والمحتوم» عند تفسيرهم للآية الكريمة: ﴿ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُ﴾(1).

منها: ما روي عن حمران أنّه قال: سألتُ أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عزّ وجل: ﴿ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُ﴾ فقال عليه السلام: «هما أجلان، أجل محتوم، وأجل موقوف».

ومنها: ما روي عن حمران أيضاً أنّه قال: سألتُ أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله: ﴿ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُ﴾ فقال عليه السلام: «هما أجلان، أجل موقوف يصنع الله فيه ما يشاء، وأجل محتوم».

---

(١) سورة الأنعام آية: (٢)

ومنها: ما روي عن حمران أيضاً أنّه قال: سألتُ أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله: ﴿ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُ﴾ فقال عليه السلام: «المسمّى ما سُمّيَ لملك الموت في تلك الليلة وهو الذي قال الله: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ وهو الذي سُمي لملك الموت في ليلة القدر، والآخر له فيه المشيئة إن شاء قدّمه وإن شاء أخّره».

ومنها: ما روي عن مسعدة بن صدقة أنّه قال: سألتُ أبا عبد الله عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُ﴾[1] فقال عليه السلام: «الأجل الذي غير مُسمّى موقوف يقدّم منه ما يشاء ويؤخّر منه ما يشاء، وأمّا الأجل المُسمّى فهو الذي يُنزّل مِمّا يريد أن يكونَ في ليلة القدر إلى مثلها مِن قابل، فذلك قولُ الله: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[2]».

٨٢٠٢ ـ روي عن ميسرة بن عبد العزيز أنّه قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: «يا ميسرة ادعُ ولا تقلْ: إنّ الأمرَ قد فُرغ منه، إنّ عند الله عزّ وجل منزلةً لا تُنال إلا بمسألته، ولو أنّ عبداً سدّ فاه ولم يسألْ لم يُعطَ شيئاً فسَل تُعط، يا ميسرة إنّه ليس من بابٍ يُقرع إلا ويوشك أن يُفتحَ لصاحبه».

٨٢٠٣ ـ روي عن زيد بن أرطاة أنّه قال: لقيتُ كُميلَ بنَ زياد النخعي وسألتُه عن فضل أمير المؤمنين عليه السلام فقال: ألا أخبرك بوصيّةٍ أوصاني بها خيرٌ لك من الدنيا وما فيها؟ فقلتُ: بلى، قال: أوصاني

---

(١) سورة الأنعام آية: (٢)

(٢) سورة الأعراف آية: (٣٤)

يوماً فقال عليه السلام: «يا كُميل سمِّ كلَّ يومٍ باسم الله، وتوكّلْ على الله، واذكُرْنا وسمِّ بأسمائنا وصلِّ علينا، واستعِذ باللهِ وبنا، وادرأ بذلك عن نفسك وما تحوطه عنايتُك تُكفَ شرَّ ذلك اليوم إن شاء الله».

٨٢٠٤ ـ روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال للنساء: «أما ترضى إحداكنّ إن كانت حاملاً من زوجها وهو راضٍ عنها أنّ لها مثلَ أجر الصائم القائم المجاهد في سبيل الله، وإنْ أصابها الطلْقُ لم يعلمْ أهلُ السماء والأرض ما أخفيَ لها مِن قُرّة أعيُن، فإذا وَضعتْ لم يخرجْ من لبنَها جُرْعةٌ ولم يمصّ الطفلُ من ثديها مصّةً إلا كان لها بكلّ جرْعةٍ وكلّ مَصّةٍ حسنة». وقال أيضاً: «المرأة في حَمْلها إلى وَضْعها إلى فِصالها ـ أي فِطامها ـ كالمرابط في سبيل الله».

٨٢٠٥ ـ رأيتُ في مَنامي أنّي نظمتُ بيتيْنِ من الشعر ثم انتبهتُ وأنا أحفظُهُما وهما:

مواهبُ الله عندي كثيرةٌ لا تُضاهى
وطاعةُ الله تُغني عن كلّ شيءٍ سِواها

٨٢٠٦ ـ إنّ منزلةَ الأخ للإنسان كبيرةٌ جِدّاً بحيثُ لا تعدلها منزلة حتى روي أنّ لقمانَ الحكيم لمّا عاد من سفره وأخبر بموت أبيه قال:

«ملكتُ أمري»، ولمّا أخبر بموت زوجته قال: «غيّرتُ فِراشي»، فلمّا أُخبر بموت أخيه قال: «انكسر ظهري». وبمثل هذه الكلمة المعبِّرة قال سيد الشهداء عليه السلام عند فقده لأخيه أبي الفضل العباس عليه السلام: «الآن انكسر ظهري». وقد صوّر الشاعر العربيّ مسكين الدارمي ربيعة بنُ عامر هذه المنزلة الفريدة للأخ، ثم زاد عليها صورة أخرى لابن العم

بقوله:

أخاك أخاك إنَّ مَن لا أخاً له كساعٍ إلى الهيجا بغير سِلاحِ
وإنَّ ابْنَ عمّ المرء - فاعلَم - جناحُه وهل ينهض البازي بغير جَناحِ؟

قال الآخر:

أخاك أخاك فهو أجل دهرٍ إذا نابتك نائبةُ الزمانِ

٨٢٠٧ - المتكلّمُ بالباطل والسامعُ له دون أن يردَّ عليه شريكانِ في الذنب، وقد أبدع أحدُ شعرائنا القدماء وهو الحسين بنُ محمّد السهواجي في تصويره هذه الحقيقة بقوله:

وسمعَك صُنْ عن سَماع القبيح كصون اللسان عن النُّطقِ بِهْ
فإنّك عند سَماع القبيح شريكٌ لقائلِه فانْتبِهْ

٨٢٠٨ - الاعتدال بين طرفي الإفراط والتفريط هو الأُفق الأعلى الذي يطمح إليه كلُّ مَن يريد السيرَ في طريق الكمال، وهي السِّمة البارزة في حياة الأنبياء والأوصياء والصِّدّيقين، وقديماً قال أحدُ الشعراء وهو أبو سليمان حَمْدُ بنُ محمد الخطّابي في هذا المعنى وأجاد:

تسامحْ ولا تستوفِ حقَّكَ كلَّه وابقِ فلم يستوفِ قطُّ كريمُ
ولا تغلُ في شيءٍ من الأمر واقتصِدْ[1] كِلا طرفَيْ قصد الأمور ذميمُ

٨٢٠٩ - روى الشيخ المجلسي في «البِحار» عن عبد الله بن أبي

---

(١) إقتصد: إعتدل.

يعفور قال: سمِعتُ أبا عبد الله عليه السلام يقول: «ويلٌ لطغاة العرب من شرٍّ قد اقترب» فقلتُ: جُعلتُ فِداكَ كم من القائم من العرب؟ قال: «شيء يسير» فقلتُ: والله إنّ من يصف هذا الأمر منهم لكثير، فقال عليه السلام: «لا بدّ للناس أن يُمَحّصوا ويُميّزوا ويُغَرْبَلوا، ويخرج من الغِربال خلقٌ كثير».

٨٢١٠ ـ روى الشيخ المجلسي في «البحار» عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: «لا يقوم القائم إلا على خوفٍ شديد وفتنةٍ وبلاءٍ يصيب الناس، وطاعونٍ قبل ذلك، وثم سيفٌ قاطعٌ بين العرب واختلافٌ بين الناس وتشتّتٌ في دينهم وتغيّرٌ في حالهم، حتى يتمنّى المتمنّي الموتَ صباحاً ومساءً من عظيم ما يرى من كَلَب الناس وأكلِ بعضهم بعضاً».

٨٢١١ ـ روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «إنّ لله حرَماً وهو «مكّة»، وإنّ للرسول صلى الله عليه وآله حرَماً وهو «المدينة»، وإنّ لأمير المؤمنين عليه السلام حرَماً وهو «الكوفة»، وإنّ لنا حرَماً وهو «قم». وستُدفن فيها امرأةٌ من أولادي تُسمّى «فاطمة» فمن زارها وجبت له الجنّة. والجدير بالذكر أنّ كلامَه هذا كان قبل أن يولد ولدُه موسى بن جعفر عليه السلام أبو فاطمة المذكورة.

٨٢١٢ ـ روى الشيخ المجلسي في «البحار» عن عبد الله بن المفضّل قال: سمعتُ جعفر بنَ محمد عليه السلام يقول: «إنّ لصاحب هذا الأمر غيبةً لا بدّ منها، يرتاب فيها كلُّ مبطل» فقلتُ له: لِمَ جُعلتُ فِداكَ؟ قال: «لأمرٍ لم يُؤذَنْ لنا في كشفه لكم» قلتُ: فما وجهُ الحكمة في غيبته؟ فقال: «وجهُ الحكمة في غيبته هو وجهُ الحكمة في غيبات

من تقدّمه من حُجج الله تعالى ذكرُه، إنّ وجه الحكمة في ذلك لا ينكشف إلا بعد ظهوره، كما لم ينكشفْ وجهُ الحكمة لما أتاه الخضر مِن خرق السفينة وقتل الغلام وإقامة الجِدار لموسى إلا وقتَ افتراقهما، يا ابن المفضّل إنّ هذا أمرٌ مِن أمر الله، وسرٌّ مِن سرِّ الله، وغيبٌ من غيب الله، ومتى علِمنا أنّه عزّ وجل حكيم صدّقنا بأنّ أفعاله كلّها حكمة، وإن كان وجهُها غيرَ منكشفٍ لنا».

٨٢١٣ ـ روي عن غالب بن الهذيل قال: سألتُ أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عزّ وجل: ﴿وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾[1] على الخفض أم على النصب؟ فقال عليه السلام: «بل هي على الخفض».

وروى البيهقي في سُننه بإسناده عن رفاعة بن رافع عن رسولَ الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «لا تتِمّ صلاةُ أحدكم حتى يُسبغَ الوضوءَ كما أمره الله، يغسل وجهَه ويديه إلى المرفقين، ويمسح رأسه ورِجلَه إلى الكعبيْن».

وروي أيضاً عن جابر بن عبد الله الأنصاري أنه قال: «كان رسولُ الله صلى الله عليه وآله إذا توضأ أدار الماء على مَرفقيْه». وهذه الرواية تدلّ على أنّ الرسولَ صلى الله عليه وآله كان يبدأ بغَسل يديْه من المرفقيْن.

ووردت روايات كثيرة عن أئمة الهدى عليهم السلام وعن ابن عباس رضي الله عنه تقول: «الوضوء غسلتانِ ومسحتان».

٨٢١٤ ـ روي عن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال: سمِعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «ينبغي للعاقل أن يكون له أربعُ ساعات: ساعةٌ يناجي فيها ربّه،

---

(١) سورة المائدة، الآية (٦).

وساعةٌ يحاسب فيها نفسَه، وساعةٌ يتفكّر فيها بصنع الله عزّ وجل، وساعةٌ يخلو فيها لحاجته من المطعم والمشرب».

٨٢١٥ ـ روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «عليكم بالشفاءين: القرآن والعسل». ويشير هنا ﷺ إلى قول الله سبحانه عن القرآن في سورة الإسراء: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾.

وإلى قول الله تعالى عن العسل في سورة النحل، الآية (٦٩): ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾.

ويُلاحظ هنا أنّ الشفاءَ في الأمور الروحيّة والمعنويّة كالقرآن خاصّ بالمؤمنين لذلك قال جلّت قدرته: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾[1] ولم يقلْ: «للناس»، وإنّ الشفاءَ في الأمور الحِسّيّة والماديّة كالعسل عامٌّ لجميعِ الناس لذلك قال عزّ شأنه: ﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾[2] ولم يقل: «للمؤمنين».

٨٢١٦ ـ قال الشاعر:

تأمّلْ في الوجود بعين فكرٍ ... تر الدنيا الدنيّة كالخيالِ

ومَن فيها جميعاً سوف يفنى ... ويبقى وجهُ ربّك ذو الجلالِ

٨٢١٧ ـ قال الشاعر:

يا أيّها المعدود أنفاسُه ... لا بدّ يوماً أن يتمّ العدَدْ

لا بدّ من يومٍ بلا ليلةٍ ... وليلةٍ تأتي بلا يوم غَدْ

---

(١) سورة الإسراء آية: (٨٢)

(٢) سورة النحل آية: (٦٩)

٨٢١٨ ـ قال الشاعر:

تأهبْ للذي لا بدّ منه فإنّ الموتَ ميقاتُ العباد
أترضى أن تكونَ رفيقَ قومٍ لهم زادٌ وأنت بغير زادِ؟

٨٢١٩ ـ كان العالم النحوي المعروف بنفطويه إبراهيم بنُ محمد بن عرفة دميمَ الوجه فيه كُلُومٌ من أثر الجُدري فعابوا عليه ذلك فقال في الردّ عليهم:

وقالوا: شأنه الجُدَريُّ فانظرْ إلى وجه به أثرُ الكُلومِ(١)
فقلت: ملاحةٌ نُثرتْ عليه وما حسنُ السماءِ بلا نجومِ

٨٢٢٠ ـ قال أسامة بن منقذ:

ألقَ الخطوبَ إذا طرقْـنَ بقلب محتسِبٍ صَبورِ
فسينقضي زمن الهموم كما انقضى زمنُ السرورِ
فمن المُحال دوامُ حالٍ في مدى العمر القصيرِ

٨٢٢١ ـ قال أسامة بن منقذ:

انظر بعينك هل ترى أحداً يدوم على المودّة
لترى أخلاء الرخاء عدًى(٢) إذا نابتك شدّة

٨٢٢٢ ـ قال أسامة بن منقذ:

وقد ساءني أنّ الليالِيَ غيّرتْ أخلايَ حتى ما يدوم خليلُ

٨٢٢٣ ـ قال الشاعر:

آمين آمين لا أرضى بواحدةٍ حتى أضيفَ إليها ألف آمينا

---

(١) الكُلوم: جمع كلْم وهو الخدش والجُرح.

(٢) عِدى: أعداء.

٨٢٢٤ ـ قال العباس بن الأحنف متغزّلاً:

وحدّثْتني يا سعدُ عنها فزِدْتني جنوناً فزِدْني من حديثك يا سعدُ
هواها هوًى لم يعرِف القلبُ غيره فليس له قبلٌ وليس له بعدُ

٨٢٢٥ ـ قال عبد العزيز بن محمد الزمزمي في مليح اسمه «عيسى»:

وشادنٍ من بني ثقيفِ بسهم ألحاظه رُميتُ
خالف في المعجزات عيسى فذاك يُحيي وذا يُميتُ

٨٢٢٦ ـ قال الشيخ نجيب الدين علي بنُ محمد العاملي:

جُبتُ البلادَ فما وجدتُ بها صديقاً صادقا
يا قلبُ فاحذر لا تكنْ فيها بخِلٍّ واثقا

٨٢٢٧ ـ قال الشيخ نجيب الدين:

عِلّةُ شيبي قبل إبّانه هجرُ حبيبي في المقال الصحيح
ويجعل العِلّةَ في هجره شيبي وفي ذلك دَوْرٌ صريحْ

ومثله في المعنى قولُ بعض الشعراء:

مسألةُ الدور جرتْ بيني وبين مَن أحِبْ
لولا مشيبي ما جفا لولا جفاه لم أشِبْ

٨٢٢٨ ـ قال الشيخ نجيب الدين:

ليَ نفسٌ أشكو إلى الله منها هي أصلٌ لكلّ ما أنا فيهِ
فجميلُ الخِلالِ لا يرتضيني وقبيحُ الخِلال لا أرتضيهِ
فالبرايا لذا وذاك جميعاً لي خصومٌ من عاقلٍ وسفيهِ

٨٢٢٩ ـ قال الشيخ نجيب الدين:

المرءُ لا يسلم مِن حاسدٍ أو شامتٍ في اليُسْرِ والعُسْرِ
فهْو على الحالَيْنِ لا بدّ أنْ يلحقَه نوعٌ من الشرّ

٨٢٣٠ ـ قال الشيخ نجيب الدين:

واعجباً منّا ومن حبّنا
للمال ما ذاك إلا بَوارْ[1]
فآخرُ الدّرهم همٌّ يُرى
وآخرُ الدينار لا شكَّ نارْ

وقال شاعرٌ آخرُ في نفس هذا المعنى:

النارُ آخرُ دينارٍ نطقتَ بهِ والهمُّ آخرُ هذا الدّرهم الجاري
والمرءُ ما دام مشغوفاً بحبّهما معذّبُ القلبِ بين الهمّ والنّارِ

وقلتُ أنا في هذا المعنى أيضاً:

آخرُ الدينار نارٌ وكذا آخرُ الدّرهم همٌّ فاعْتَبِرْ
وحياةُ المرء ما بينهما في عَناءٍ وشقاءٍ مستَمِرْ
وهما ما وُجدا إلا لكي يهلكا الناسَ فهل من مُدّكر؟[2]
كم كنوز جمعوا وادّخروا ثم أضحت كهشيم المحتظرْ[3]

٨٢٣١ ـ قال أحمد بن محمّد علي الجوهري:

---

(١) بوار: هلاك.

(٢) مدّكر: متذكر.

(٣) هشيم المحتظر: الشجر اليابس المتفتت لصاحب الحظيرة «وهي مربض المواشي».

كيف أسلو[1] مَن مُهجتي في يديْهِ وفـؤادي - وإنْ رحـلـتُ - لـديْـهِ

كلّما رُمتُ سلوةً قال قلبي: لا تلُمْني على العكوف عليْهِ

لستُ وحدي متيَّماً في هواهُ كلُّ أهل الغرام تصبو[2] إليْهِ

٨٢٣٢ - قال الجوهري:

لـمّـا بـدا الـبـدرُ يـجـلـو دُجـى الـظـلام وأسـفَـرْ

ذكـرتُ وجـهَ حـبـيـبـي والـشـيءُ بـالـشـيءِ يُـذكَـرْ

٨٢٣٣ - قيل لأحد الفضلاء: إنّ العالمَ الفلاني الذي اسمه «أحمد» سيزورك ثم ينبغي لك أن تزورَه ردّاً لزيارته فقال:

قـالـوا: يـزورك «أحـمـدٌ» وتـزورُه قلتُ: الفضائلُ لا تفارق منزلَهْ

إنْ زارنـي فـبـفـضـلـه أو زرتُـه فلفضله فالفضلُ في الحاليْن لهْ

٨٢٣٤ - قال السيد حسن بن شدقم الحسيني المدني:

لا بـدّ لـلإنـسـان مـن صـاحـبٍ يُـبـدي لـه الـمـكـنـونَ مـن سـرِّهِ

فاصحَبْ كريمَ الأصل ذا عِفّةٍ تـأمـنْ - وإنْ عـاداك - مـن شـرِّهِ

وقد مرّ ذكر هذين البيتيْنِ في هذا الكتاب غير منسوبين إلى قائلهما.

٨٢٣٥ - قال الشاعر مضمّناً ومشيراً إلى قوله تعالى في سورة النمل، الآية (٣٤): ﴿إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا﴾:

مليكةَ الحسْنِ جودي بالوِصال على متيَّم قلبُه قد ذاب منكِ أذى

أفسدْتِ قلبي فقالت: تلك عادتُنا قد قال سبحانه: إنّ الملوكَ إذا

---

(١) أسلو: أنسى.

(٢) تصبو: تشتاق.

٨٢٣٦ ـ قال فتح الله بن النحاس:

لا يدّعي بدرٌ لوجهكَ نسبةً فأخاف أن يسوَدَّ وجهُ المدَّعي

والشمسُ لو علِمتْ بأنك دونها هبطتْ إليكَ من المحلِّ الأرفعِ

يشير هنا إلى قول ابن سينا في مطلع قصيدته الشهيرة في النفس:

هبطتْ إليكَ من المحلِّ الأرفع ورقاءُ ذاتُ تعزُّزٍ وتمنُّعِ

٨٢٣٧ ـ ذكر الشيخ البهائي طيّب الله ثراه في بعض كتبه: إنّ الملك في زمانه خرج للصيد مع حاشيته فرأى خنزيراً كبيراً قد برزتْ وظهرتْ سِنٌّ من أسنانه فضربه بالسيف فقتله، وأمر بقلع سِنّه الظاهرة فلمّا نظر إليها وجد عليها لفظ الجلالة بخطٍّ بيّن، فتعجّب الملكُ وحاشيتهُ من ذلك، وصار يسأل العلماء كيف يمكن هذا مع نجاسة الخِنزير العينيّة؟ فقلتُ أنا في جواب سؤاله: إنّ السيّد المرتضى(قُدس سرّه) كان يُفتي بطهارة الأجزاء التي لا تُحلّها الحياة من نجس العيْن، ووجود هذا الخط في سِنّ الخِنزير ربّما يكون مؤيّداً لفتواه طاب ثراه لأنّ السِنّ من الأجزاء التي لا تُحلّها الحياة.

٨٢٣٨ ـ قال الشاعر:

إذا بذل الإنسانُ غايةَ جَهْده فليس عليه بعد ذاك مَلامُ

٨٢٣٩ ـ حُكي: إنّ قيسَ بنَ ذريح الذي كان مُغرَماً بحبّ «لُبنى» ثم تزوّجها، وفي حالةٍ من حالات الغضب طلّقها فتزوّجت غيرَه، فندِم قيس أشدّ الندم على طلاقها وفراقها وصار ينشد الأشعارَ في حبّها والهيام بها والشوقِ إليها، فسعى صديقُه ابنُ أبي عتيق في إقناع زوجها الثاني بطلاقها فطلّقها، فتزوّجها قيس فقال يمدح صديقَه على عمله هذا

الذي أعاد إليه حبيبته:

جزى الرحمنُ أحسنَ ما يجازي على الإحسان خيراً من صديقِ
وقد جرّبتُ إخواني جميعاً فما ألفيتُ كابْن أبي عتيقِ
سعى في جمع شملي بعد صَدْعٍ ورأي حِدْتُ فيه عن الطريقِ
وأطفأ لوعةً كانت بقلبي أغصّتني حرارتُها بريقي

٨٢٤٠ ـ روي عن رسول اللهﷺ أنّه قال: «إنّ القلوبَ تصدأ كما يصدأ الحديد» فقيل: يا رسول الله وما جلاؤها؟ فقالﷺ: «تِلاوةُ القرآن وذكرُ الموت».

٨٢٤١ ـ روي عن رسول اللهﷺ أنه قال: «أفضلُ الناس مَن عشِق العبادَة فعانقها وأحبّها بقلبه، وباشرها بجسده، وتفرّغ لها، فهو لا يبالي على ما أصبح من الدنيا على عُسْر أم على يُسْر».

٨٢٤٢ ـ روي عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «إنّ إبليسَ يبثُّ جنودَه في النهار من طلوع الفجر إلى مطلع الشمس، ويبثُّ جنوده في الليل من غروب الشمس إلى ذَهاب الحمرة المغربيّة، فاذكروا الله تعالى في هاتيْن الساعتيْن ذكراً كثيراً، فإنّ إبليس يبذل جُهْدَه في هاتيْنِ الساعتيْن حتى يجعل المرء غافلاً عن ذكر الله».

٨٢٤٣ ـ روي عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال: «مَن لم يقدرْ على ما يكفّر به ذنوبَه فلْيُكثرْ من الصلاة على محمّدٍ وآل محمّد فإنّها تهدم الذنوبَ هَدْماً».

٨٢٤٤ ـ روي عن رسول اللهﷺ أنه قال: «خلق الله هذه النجومَ زينةً للسماء، ورجوماً للشياطين، وعلاماتٍ يُهتدى بها».

وفي قوله ﷺ: «زينةً للسماء» يشير إلى قوله تعالى في سورة الصافات: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ۝٦﴾، وقوله في سورة المُلك، الآية (٥): ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾.

وفي قوله ﷺ: «ورجوماً للشياطين» يشير إلى قوله تعالى في سورة المُلْك: ﴿وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾، وقوله في سورة الصافات: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ۝٦ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ۝٧ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ۝٨﴾.

وفي قوله ﷺ: «وعلاماتٍ يُهتدى بها» يشير إلى قوله تعالى في سورة النحل: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ۝١٦﴾ وقوله في سورة الأنعام، الآية (٩٧): ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾.

٨٢٤٥ ـ من الحِكم المأثورة: «إنْ يكن الشُغلُ مجهَدة فالفراغُ مفسَدَة»، وفي هذا المعنى يقول الشاعر:

إنّ الفراغَ والشبابَ والجِدَهْ   مفسَدَةٌ للمرء أيُّ مفسَدَهْ

٨٢٤٦ ـ ذكر ابن حجر في «الصواعق» والنبهاني في «الشرف المؤبّد» وأبو بكر بن شهاب الدين في «رشفة الصادي» وغيرُهم أنّ الشافعي كان يقول:

يا آل بيت رسول الله حبُّكمُ
فرضٌ من الله في القرآن أنزلَهُ
كفاكمُ من عظيم الشأن أنّكمُ
من لم يصلِّ عليكم لا صلاةَ لهُ

وقال الفرزدق في مدح الإمام زين العابدين عليه السلام:

مـن مـعـشـرٍ حـبُّـهـم ديـنٌ وبـغـضـهُـمُ
كـفـرٌ وقـربُـهُـمُ مـنـجًـى ومـعـتـصـمُ
إنْ عُـدّ أهـلُ الـتـقـى كـانـوا أئـمـتـهـمْ
أو قـيـل: مَـن خـيـر أهـل الأرض؟ قـيـل: هُـمُ

٨٢٤٧ ـ روى الثعلبي في تفسيره الكبير والزمخشري في الكشّاف عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: «ألا ومَن مات على حبّ آل محمّد مات مغفوراً له، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد مات تائباً، ألا ومَن مات على حبّ آل محمّد مات مؤمناً مستكملَ الإيمان، ألا ومَن مات على حبّ آل محمّد بشّره ملك الموت بالجنّة ثم منكر ونكير، ألا ومَن مات على حبّ آل محمّد يُزَفّ إلى الجنّة كما تُزَفّ العروس إلى بيت زوجها، ألا ومَن مات على حبّ آل محمّد فُتح له في قبره بابانِ إلى الجنّة، ألا ومَن مات على حبّ آل محمّد جعل الله قبرَه مزارَ ملائكة الرحمة، ألا ومَن مات على حبّ آل محمّد مات على السنّة والجماعة، ألا ومن مات على بغض آل محمّد جاء يوم القيامة مكتوباً بين عينيه: آيسٌ من رحمة الله».

وروى القاضي عياض في كتابه «الشفا» عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: «معرفةُ آل محمّد براءةٌ من النار، وحبُّ آل محمّد جوازٌ على الصراط، والولايةُ لآل محمّد أمانٌ من العذاب».

وروى ابن حجر في صواعقه عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: «لا يُحبّنا إلا مؤمنٌ تقيّ، ولا يبغضنا إلا منافقٌ شقيّ».

٨٢٤٨ ـ في قول النبيّ صلى الله عليه وآله المشهور: «ستفترق أمتي ثلاثاً

وسبعين فِرقة، فِرقةٌ ناجية والباقي في النار» مصادفةٌ غريبة قد تبعث على التفاؤل، وهي أنّ كلمة «فِرقة» وكلمة «شيعة» لفظان متطابِقان في - حساب الجُمل - لأنّ كُلاً منهما يبلغ عدد أرقام حروفه «٣٨٥».

٨٢٤٩ - قال الله تعالى لنبيّه ﷺ في سورة النحل، الآية (٦٤): ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ وقال النبيّ ﷺ لأمير المؤمنين عليه السلام كما رواه عنه الحاكم في «المستدرك»: «أنت تبيّن لأمتي ما اختلفوا فيه من بعدي» وصدق رسول الله ﷺ حيثُ يقول كما روى عنه ابن حجر في صواعقه: «عليٌّ منّي بمنزلتي من ربّي».

٨٢٥٠ - قال الحلبي في سيرته: إنّ الخليفةَ المهدي لمّا دخل البصرة رأى إياس بن معاوية الذي يُضرب به المثلَ في الذكاء، وهو صبيّ ووراءه أربعمائة من العلماء وأصحاب الطيالسة[1]، فقال المهدي: أفٍّ لهذه العثانين - أي اللحى - أما كان فيهم شيخٌ يتقدّمهم غيرُ هذا الحَدث؟ ثم التفت إليه المهدي وقال: كم سِنُّكَ يا فتى؟ فقال: سِنّي أطال الله بقاءَ أمير المؤمنين سِنّ أسامة بن زيد بن حارثة لمّا ولاه رسولُ الله ﷺ جيشاً فيه أبو بكر وعمر، فقال المهدي: تقدّمْ بارك الله فيك: وكان سِنّه سبعَ عشْرةَ سنة.

٨٢٥١ - الإِصر والأَصر والأُصر لها معنيان في اللغة وفي القرآن الكريم:

الأول: بمعنى المشقّة أو التكاليف الشاقة، ومنه قوله تعالى في سورة البقرة، الآية (٢٨٦): ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ

---

(١) الطيالسة: جمع طيلسان وهو كساء أخضر يلبسه المشايخ. الحدثَ: الشاب.

عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ﴾، وقوله في سورة الأعراف، الآية (١٥٧): ﴿وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ﴾.

الثاني: بمعنى العهد، ومنه قوله تعالى في سورة آل عمران، الآية (٨١): ﴿قَالَ ءَأَقۡرَرۡتُمۡ وَأَخَذۡتُمۡ عَلَىٰ ذَٰلِكُمۡ إِصۡرِيۖ قَالُوٓاْ أَقۡرَرۡنَاۚ﴾.

٨٢٥٢ ـ مادة «فَتَن» استعملت في القرآن الكريم بمعانٍ كثيرة.

منها: العذاب والهلاك، نحو قوله تعالى في سورة الذاريات: ﴿ذُوقُواْ فِتۡنَتَكُمۡ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تَسۡتَعۡجِلُونَ ١٤﴾.

أي: ذوقوا عذابكم، وقوله في سورة الحديد، الآية (١٤): ﴿وَلَٰكِنَّكُمۡ فَتَنتُمۡ أَنفُسَكُمۡ﴾، أي: أهلكتموها وعرضتموها للعذاب، وقوله في سورة النساء، الآية (١٠١): ﴿فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَقۡصُرُواْ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنۡ خِفۡتُمۡ أَن يَفۡتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْۚ﴾ أي: إن خفتم أن يؤذوكم أو يهلكوكم، وقوله في سورة البروج: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَتُوبُواْ فَلَهُمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمۡ عَذَابُ ٱلۡحَرِيقِ ١٠﴾ أي: إن الذين عذّبوا المؤمنين والمؤمنات، وقوله في سورة يونس، الآية (٨٣): ﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٞ مِّن قَوۡمِهِۦ عَلَىٰ خَوۡفٖ مِّن فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيۡهِمۡ أَن يَفۡتِنَهُمۡۚ﴾ أي: أن يعذّبهم ويهلكهم، وقوله في سورة الصافات: ﴿أَذَٰلِكَ خَيۡرٞ نُّزُلًا أَمۡ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ٦٢ إِنَّا جَعَلۡنَٰهَا فِتۡنَةٗ لِّلظَّٰلِمِينَ ٦٣﴾ أي جعلناها عذاباً للظالمين.

ومنها: الخلاص، نحو قوله تعالى في سورة طه، الآية (٤٠): ﴿فَنَجَّيۡنَٰكَ مِنَ ٱلۡغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونٗاۚ﴾ أي: خلّصناك من المحن خلاصاً.

ومنها: الجنون، نحو قوله تعالى في سورة القلم: ﴿فَسَتُبۡصِرُ وَيُبۡصِرُونَ ٥ بِأَييِّكُمُ ٱلۡمَفۡتُونُ ٦﴾ أي: في أيّ الفريقين منكم يكون المجنون بقرينة قوله تعالى قبل ذلك: ﴿مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ٢﴾.

ومنها: العذر، نحو قوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾﴾.

أي: لم يكن عذرهم إلا أن قالوا...

ومنها: الابتلاء والاختبار والامتحان، نحو قوله تعالى في سورة البقرة، الآية (١٠٢): ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ أي: إنما نحن ابتلاء وامتحان، وقوله في سورة الأعراف، الآية(١٥٥): ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ﴾ أي: إن هي إلا إبتلاؤك وإختبارك وإمتحانك، وقوله في سورة العنكبوت: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي: إختبرناهم وإمتحناهم، وقوله في سورة ص، الآية(٢٤): ﴿وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ﴾ أي: اختبرناه وامتحناه، وقوله في نفس السورة، الآية (٣٤): ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ﴾ أي: اختبرناه وامتحناه، وقوله في سورة الأنفال، الآية (٢٨): ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ أي: ابتلاء وامتحان، وقوله في سورة الحج، الآية (١١): ﴿وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ﴾ أي: وإن أصابه ابتلاء وامتحان.

ومنها: الوقيعة وإفساد الأمور، نحو قوله تعالى في سورة التوبة، الآية (٤٧): ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾ أي: فساداً لأموركم ﴿وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ﴾ أي: لسعوا بالنميمة والفرقة بينكم ﴿يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ﴾ أي الوقيعة والإفساد ﴿وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾. ﴿لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ﴾ أي الوقيعة والفساد ﴿وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ﴾[1]، وقوله في سورة آل

(١) سورة التوبة آية: (٤٨)

عمران، الآية (٧): ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ﴾ أي: يطلبون بذلك إفساد الأمور وتضليل العقول.

ومنها: الشرك والكفر، نحو قوله تعالى في سورة البقرة، الآية(١٩١): ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾، وقوله في نفس السورة: ﴿والفتنة أكبر من القتل﴾ أي: إنّ الكفر والشرك بالله أشدّ وأكبر من القتل، وقوله في سورة الأنفال، الآية (٧٣): ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ أي: يكن كفرٌ وضلالٌ في الأرض.

ومنها: الإضلال والخديعة، نحو قوله تعالى في سورة الأعراف، الآية (٢٧): ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ﴾ أي: لا يضلنّكم ولا يخدعنّكم، وقوله في سورة الإسراء، الآية(٧٣): ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ﴾ أي: ليخدعوك ويصرفونك عن الحق الذي أنزل إليك، وقوله في سورة المائدة، الآية (٤٩): ﴿وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ أي: احذرهم أن يخدعوك ويصرفوك عن بعض ما أنزل الله إليك، وقوله في سورة الصافات، الآية (١٦٢): ﴿مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ١٦٢﴾ أي: بمضلّين.

٨٢٥٣ ـ في القرآن الكريم ثمانية مواضع من نظائر الظاء والضاد وهي:

١ـ حظ و حض

٢ـ غيظ وغيض.

٣ـ ظن وضن

٤ـ نظر و نضر

٥ـ ظل و ضل

٦ـ العظة والعضة

٧ـ فظ و فض

٨ـ حظر وحضر

فكلُّ لفظة من هذه الألفاظ إذا جاءت بالظاء يكون لها معنى، وإذ جاءت بالضاد يكون لها معنى آخر، وهذا ما يسمّى بالنظائر. وقد ألّف ابن مالك الطائي كتاباً خاصاً في هذا الموضوع أسماه «الاعتماد في نظائر الظاء والضاد».

وقد جاءت مادة «حظظ» في عدّة مواضع من القرآن الكريم كقوله تعالى في سورة النساء، الآية (١١): ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾، وقوله في سورة فصلت،: ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾. كما جاءت مادة «حض» في عدّة مواضع أيضاً كقوله تعالى في سورة الحاقة: ﴿إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾﴾، وقوله في سورة الفجر: ﴿كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾﴾.

وقد جاءت مادة «غيظ» في عدّة مواضع من القرآن الكريم كقوله تعالى في سورة الملك، الآية (٨): ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾، وقوله في سورة آل عمران: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾. كما جاءت مادة «غيض» في موضعين وهي قوله تعالى في سورة هود: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ

وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾، وقوله في سورة الرعد: ﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾﴾.

وقد جاءت مادة «ظن» في عدّة مواضع من القرآن الكريم كقوله تعالى في سورة الأحزاب، الآية (١٠): ﴿وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠﴾، وقوله في سورة يونس، الآية (٣٦): ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾.

كما جاءت مادة «ضن» في موضع واحد وهو قوله تعالى في سورة التكوير: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾﴾ أي ببخيل.

وقد جاءت مادة «نظر» في عدّة مواضع من القرآن الكريم كقوله تعالى في سورة الأعراف، الآية (١٤٣): ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ﴾، وقوله في سورة الغاشية: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾﴾.

كما جاءت مادة «نضر» في عدّة مواضع أيضاً كقوله تعالى في سورة القيامة: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾، وقوله في سورة الإنسان: ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾﴾.

وقد جاءت مادة «ظل» في عدّة مواضع من القرآن الكريم كقوله تعالى في سورة النحل: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾﴾، وقوله في سورة الحجر: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾﴾. كما جاءت مادة «ضل» في عدّة مواضع أيضاً كقوله تعالى في سورة الضحى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾﴾، وقوله في سورة الفاتحة، الآية (٧): ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾.

وقد جاءت مادة «وعظ» في عدّة مواضع من القرآن الكريم كقوله تعالى في سورة البقرة، الآية(٢٣٢): ﴿ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾، وقوله في سورة النحل، الآية (١٢٥): ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾. كما جاءت مادة «وعض» في موضع واحد وهو قوله تعالى في سورة الحجر: ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾﴾ أي إنهم جعلوه قطعاً يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض.

وقد جاءت مادة «فظظ» في موضع واحد من القرآن الكريم وهو قوله تعالى في سورة آل عمران، الآية (١٥٩): ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾. كما جاءت مادة «فض» في عدّة مواضع كقوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾، وقوله في سورة الجمعة، الآية (١١): ﴿وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا﴾.

وقد جاءت مادة «حظر» في موضعين من القرآن الكريم وهي قوله تعالى في سورة الإسراء، الآية (٢٠): ﴿وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ أي ممنوعاً، وقوله في سورة القمر: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾﴾ أي صانع الحظيرة وهي «زريبة المواشي».

كما جاءت مادة «حضر» في عدّة مواضع كقوله تعالى في سورة النساء، الآية (١٨): ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ﴾، وقوله في سورة الأحقاف، الآية (٢٩): ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾﴾.

٨٢٥٤ ـ قيل: لما توفي حاتم الطائي حاول أخوه أن يحلّ مكانه في الكرم والسخاء وأن يتشبّه به، فقالت له أمّه: يا بني لا تتعب نفسك

فإنك لن تقدر على ذلك، فقال لها: لماذا يا أمّاه؟ قالت: لمّا كان أخوك حاتم رضيعاً كان لا يقبل أن يرضع من ثديي حتى آتي له بطفلٍ يرضع من الثدي الآخر. وأمّا أنت فقد كنت تبكي عند الرضاعة إذ رأيت طفلاً آخر يريد أن يرضع معك ولن تهدأ حتى يبعدوا الطفل عنك، فأين أنت منه؟.

٨٢٥٥ ـ قرأ رجل مبتدئ بدراسة الفقه هذا النص في بعض الكتب الفقهيّة: «ويستحب في المؤذن أن يكون صبيّاً» فقيل له: ما العلّة في ذلك؟ فقال: ليكون أقدر على الصعود في درج المئذنة، وقد أخطأ في قراءة كلمة «صبيّاً» والصحيح «صيّتاً» أي رفيع الصوت.

٨٢٥٦ ـ قال الشاعر:

النحو يبسط من لسان الألكن[1] ... والمرء تكرمه إذا لم يلحن

وإذا طلبت من العلوم أجلّها ... فأجلّها عندي مقيم الألسن[2]

٨٢٥٧ ـ قال الشاعر:

اقتبس النحو فنعم المقتبس ... والنحو زينٌ وجمالٌ يُلتمس

صاحبه مكرّم حيث جلسْ ... شتّان ما بين الحمار والفرس

٨٢٥٨ ـ قال الكسائي:

إنّما النحو قياس يُتبّع ... وبه من كل أمرٍ يُنتفعْ

وإذا لم يعرف النحو الفتى ... خاف أن ينطق جبناً فانقمع[3]

---

(١) الألكن: الذي لا يفصح في كلامه.

(٢) مقيم الألسن: علم النحو.

(٣) انقمع: انقهر وذل.

٨٢٥٩ ـ قال محمود سامي البارودي:

أما في هذه الدنيا كريم   تزول به عن القلب الهموم

٨٢٦٠ ـ صرّح الزمخشري في «الكشّاف»، وابن كثير في «تفسير القرآن العظيم»، والقرطبي في «الجامع لأحكام القرآن»، والحاكم الحسكاني في «شواهد التنزيل»، والحاكم النيسابوري في «أسباب النزول»، والسيوطي في «الدر المنثور»، والفخر الرازي في «التفسير الكبير»، وابن المغازلي في «المناقب»، والمحب الطبري في «الرياض النضرة»، وسبط بن الجوزي في «تذكرة الخواص»، والشيخ سليمان الحنفي في «ينابيع المودة»، وغيرهم: إنّ أمير المؤمنين عليه السلام تصدّق بخاتمه في أثناء ركوعه فأنزل الله تعالى في حقّه قوله في سورة المائدة: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٥﴾﴾. وهي تفيد حصر الولاية بالله سبحانه، ثم برسوله صلى الله عليه وآله، ثم بأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. وقد سجلّ هذه المنقبة الكبرى شاعر النبي صلى الله عليه وآله حسّان بن ثابت حيثُ يقول:

أبا حسن تفديك روحي ومهجتي   وكلُّ بطيءٍ في الهوى ومسارع

فأنت الذي أعطيت إذ كنت راكعاً   فدتك نفوس الخلق يا خير راكع

بخاتمك الميمون يا خير سيّدٍ   ويا خير شارٍ ثم يا خير بائع

فأنزل فيك الله خير ولايةٍ   وبيّنها في محكمات الشرائع

٨٢٦١ ـ صرّح الزمخشري في «الكشاف»، والحاكم النيسابوري في «شواهد التنزيل»، والقرطبي في «الجامع لأحكام القرآن»، والبيضاوي في «أنوار التنزيل»، والنسفي في تفسيره بهامش تفسير الخازن، والفخرالرازي في «التفسير الكبير»، والطبري في «جامع

البيان»، وابن كثير في «تفسير القرآن الكريم»، والسيوطي في «الدر المنثور»، وابن المغازلي في «المناقب»، والمحب الطبري في «ذخائر العقبى»، وابن حجر الهيثمي في «الصواعق المحرقة»، وأبو نعيم في «حلية الأولياء»، والحمويني في «فرائد السمطين» وغيرهم: إنّه لمّا نزل قوله تعالى في سورة الشورى، الآية (٢٣): ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ قالوا: يا رسول الله من هؤلاء الذين وجبت علينا مودّتهم لقرابتك؟ فقال ﷺ: «هم عليّ وفاطمة وابناهما».

٨٢٦٢ ـ روى مسلم في صحيحه، والقرطبي في «الجامع لأحكام القرآن»، وابن كثير في «تفسير القرآن العظيم»، وابن حجر الهيثمي في «الصواعق المحرقة»، والواحدي في «أسباب النزول» والشيخ سليمان الحنفي في «ينابيع المودّة» والحاكم في «المستدرك»، والنسائي في «الخصائص»، والزمخشري في «الكشّاف» وأحمد بن حنبل في «المسند»، والبلاذري في «أنساب الأشراف»، والبيهقي في «الاعتقاد»، وابن المغازلي في «المناقب»، والمحب الطبري في «ذخائر العقبى» وغيرهم: إنّ رسول الله ﷺ دعا عليّاً وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام وجللهم بكساء ثم قال: «اللّهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً» فأنزل الله سبحانه قوله في سورة الأحزاب، الآية ٣٣: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾، وكانت أم سلمة رضي الله عنها حاضرة فقالت: وأنا معهم يا رسول الله، فقال: «إنك إلى خير أو على خير».

٨٢٦٣ ـ حديث الثقلين متواتر عند الفريقين والذي يقول فيه الرسول الأعظم ﷺ: «إني تارك ـ أو مخلّف ـ فيكم الثقلين كتاب الله

وعترتي أهل البيت ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدي أبداً، وقد أنبأني اللطيف الخبير بأنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما». وقد نصّ الشيخ محمود شكري الآلوسي في كتابه «التحفة الاثني عشرية» على ثبوت هذا الحديث عند السنة والشيعة حيث يقول معلّقاً على حديث الثقلين: «وهذا الحديث ثابت عند الفريقين أهل السنة والشيعة، وقد علم منه أنّ رسول الله ﷺ أمرنا في المعتقدات الدينيّة والمسائل الشرعيّة بالتمسّك بهذين العظيمين القدر والرجوع إليهما في كلّ أمر، فمن كان مذهبه مخالفاً لهما في الأمور الشرعيّة اعتقاداً وعملاً فهو ضال». وقد روى مسلم في صحيحه أربع روايات لحديث الثقلين وبطرقٍ مختلفة، وروى الترمذي في صحيحه روايتين لهذا الحديث، وروى أحمد بن حنبل في مسنده سبع روايات لهذا الحديث، وروى ابن المغازلي في «المناقب» أربع روايات لهذا الحديث، ورواه الحاكم في «المستدرك»، والنسائي في «الخصائص»، ورواه السيوطي في «الدر المنثور» بطرقٍ مختلفة، ورواه ابن حجر في «الصواعق» بطرقٍ مختلفة أيضاً، والشيخ سليمان الحنفي في «ينابيع المودة» بطرقٍ كثيرة، ورواه المحبُ الطبري في «ذخائر العُقبى»، والمتّقي الهندي في «كنز العمال»، وابن عبد ربّه في «العقد الفريد» وابن الأثير في «النهاية»، والفخر الرازي في «التفسير الكبير»، وابن كثير في «تفسير القرآن العظيم»، وأبو نعيم في «حلية الأولياء»، والبلاذري في «أنساب الأشراف»، والدارمي في «السنن»، وسبط ابن الجوزي في «تذكرة الخواص»، وابن منظور في «لسان العرب» وغيرهم، وقد نصّ الكثير منهم على صحّة هذا الحديث ووثاقة رواته. نعم روى واحدٌ من متقدّمي أئمة أهل السنة ـ لظروف سياسيّة ومذهبيّة معلومة ـ وهو الإمام مالك بن

أنس في «الموطأ» حديثاً مرسلاً بغير إسناد عن النبيّ ﷺ أنّه قال: «تركت فيكم أمرين لن تضلّوا ما تمسّكتم بهما كتاب الله وسنّة نبيّه».

والملفت للنظر أنّ أهل السنّة في العصور المتأخرة أعرضوا إعراضاً تاماً عن «حديث الثقلين» كتاب الله وعترتي ولا يكاد يذكر في كتبهم أو خطبهم، وصاروا يردّدون ليل نهار «حديث الأمرين» كتاب الله وسنّتي أو سنّة نبيّه، حتى ليخيّل للقارئ والسامع أنّ حديث «كتاب الله وعترتي» لم يكن له وجود أصلاً أو أنّه من مختصات الشيعة وحدهم.

ألا يدلّ هذا على انحراف متعمّد عن أهل بيت النبوّة، أو تعتيم مقصودٍ على فضائلهم ومناقبهم صلوات الله وسلامه عليهم؟!

٨٢٦٤ ـ روى البخاري في صحيحه عن عمر بن الخطاب أنه قال في حديث له مع ابن عباس: «فوالله إنّ أزواج النبيّ ﷺ ليراجعنه وإنّ إحداهنّ لتهجره اليوم حتى الليل، فأفزعني ذلك وقلت: قد خاب من فعل ذلك منهن. ثم جمعت عليّ ثيابي فدخلتُ على حفصة فقلتُ لها: أي حفصة أتغاضب إحداكنّ النبيّ ﷺ اليوم حتى الليل؟ قالت: نعم، فقلتُ: قد خبتِ وخسرت، أفتأمنين أن يغضب الله لغضب رسوله فتهلكي».

وقد سأل ابن عباس عمر بن الخطاب في هذا اللقاء: من المرأتان من أزواج النبيّ ﷺ اللتان قال الله عنهما: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ۝٤﴾[1]؟ قال عمر: وا عجباً لك يا

---

(١) سورة التحريم، الآية (٤).

ابن عباس هما عائشة وحفصة.

وقد روى البخاري أيضاً: إنّ النبي ﷺ هجر عائشة وحفصة شهراً كاملاً وذلك بسبب إفشاء حفصة الحديث الذي أسرّه لها إلى عائشة.

٨٢٦٥ ـ روى عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الفقهاء أمناء الرسل ما لم يدخلوا في الدنيا» قيل: يا رسول الله وما دخولهم في الدنيا؟ قال ﷺ: «اتباع السلطان، فإذا فعلوا ذلك فاحذروهم على دينكم».

وروي عن الإمام المهديّ المنتظر (عج) أنّه قال: «وأمّا الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة أحاديثنا فإنّهم حجّتي عليكم وأنا حجّة الله».

٨٢٦٦ ـ روى الطبري في تفسيره عن أبي نضرة قال: سألتُ ابن عباس عن متعة النساء فقال: أما تقرأ سورة النساء؟ قلت: بلى، قال: فما تقرأ فيها: ﴿فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾[1]؟ قلت: لا، لو قرأتُها هكذا ما سألتُك، قال: فإنّها هكذا.

ويقول الفخر الرازي في تفسيره الكبير: «روي أنّ أبيّ بن كعب كان يقرأ: ﴿فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ وهذا أيضاً هو قراءة ابن عباس، والأمّة ما أنكرت عليهما في هذه القراءة فكان ذلك إجماعاً من الأمّة على صحّة هذه القراءة».

وروى عن سعيد بن جبير وسعيد بن المسيّب أنّهما كانا يقرءان

---

(١) سورة النساء آية: (٢٤)

هذه الآية كذلك.

٨٢٦٧ ـ مما سنح لي قوله في ولاية أمير المؤمنين عليه السلام:

فاز من والى عليّ المرتضى برضا مولاهُ في يوم القضا
والذي عاداه يلقى ربّه وهو غضبان ومأواه لظى

٨٢٦٨ ـ قال سليمان بن الضحّاك:

ما أنعم الله على عبده بنعمةٍ أوفى من العافيهْ
وكلُّ من عوفي في جسمه فإنّه في عيشةٍ راضيهْ

٨٢٦٩ ـ جاء في كتاب «القصص العجيبة» للمرحوم السيد عبد الحسين دستغيب قصّة عجيبة عن رجل معروفٍ بالتقوى والصلاح واستجابة الدعاء اسمه «عباس علي» ويُعرف باسم «الحاج مؤمن» خلاصتها: إنّ السلطة في إيران ـ في زمن الشاه ـ ألقت القبض على ابن خاله وكانت بحوزته قطع من السلاح يدافع بها عن الإسلام فحُكم عليه بالإعدام. فجاء أبواه إلى «الحاج مؤمن» يطلبانِ منه الدعاء لخلاص ولدهما فقال لهما: لا تيأسا من رحمة الله تعالى وتوسّلا بالإمام الحجة «عج» فإنّه واسطة الفيض الإلهي وبيده جميع أمورنا. ثم اجتمعوا في ليلة الجمعة في مكانٍ واحد يدعون ويتضرّعون إلى الله عزّ وجل ويتوسلون بوليّه وحجّته في أرضه صاحب الزمان «أرواحنا فداه» في خلاص ولدهم، ويُكثرون من قراءة الآية الكريمة من سورة النمل، الآية(٦٢) ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ ويخاطبون الحجة (عج) بقولهم: «يا سيّدنا ويا مولانا إنّ هذا الشاب إنما هيّأ هذه الأسلحة لنصرة شيعتك والدفاع عنهم ولإعلاء كلمة الله في هذه البلاد فتوسط عند الله تعالى ـ وأنت وليُّه وصفيّه ـ في نجاته وخلاصه من كيد

الظالمين» فما كاد يطلع الفجر من تلك الليلة حتى فوجئوا بالحضور المقدّس لوليّ الله الأعظم «أرواحنا الفداء» وهو يقول لهم: «لقد استجيبتْ دعوتكم، ونجّى الله ولدكم، وسيقدم غداً عليكم».

وفي الصباح مضوا إلى السجن لغرض السؤال والاستفسار عن ولدهم فقال لهم الموظف المسؤول: لقد تبدّل الحكم فجأة وألغي قرار التنفيذ، فعادوا إلى الدار وهم في غاية الفرح والسرور. وعند الظهر قدم ولدهم فابتهلوا جميعاً إلى الله تعالى يشكرونه على ما أنعم عليهم ببركة الإمام المهدي المنتظر عجّل الله تعالى فرجه الشريف.

٨٢٧٠ ـ قال الله تعالى في سورة لقمان، الآية (٣٤): ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ فكلُّ إنسانٍ ـ مهما علت منزلته ـ لا يعلم بذاته متى يموت وكيف يموت وبأيّ أرضٍ يموت، ولكن لا مانع من أن يطلع الله بعض أوليائه على ذلك وهو أحد مصاديق العلم بالغيب، فليس هناك أحد ـ مهما سمت مرتبته ـ يستطيع أن يعلم الغيب بذاته، ولكنّ الله سبحانه قد يطلع أحداً من أنبيائه وأوليائه على بعض الأمور الغيبيّة كما نصّ القرآن الكريم على ذلك بقوله تعالى في سورة الجن: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾.

وقد وقعت حوادث كثيرة تدلّ على أنّ بعض الناس قد يطّلعون ـ عن طريق الرؤيا أو الإلهام ـ على وقت آجالهم. من ذلك ما حدّث به العلاّمة السيد حسن الأبطحي في كتابه «الكمالات الروحيّة» قال: «أعرف عالماً كان يصعد المنبر في مسجد «كوهر شاد» في خراسان اسمه «الشيخ إسماعيل الترك»، وفي أحد الأيام سمعته يقول على

المنبر: سأموت بعد شهر في يوم الخميس، وسجلّت عندي هذا التاريخ. ثم إني نسيتُ هذا الموضوع، وبعد شهر قيل لي: إنّ الشيخ إسماعيل قد توفي. وهرعتُ إلى التاريخ الذي كنتُ قد سجّلته فإذا هو قد توفي في نفس اليوم الذي قد ذكره قبل شهر من الزمان» ثم يقول السيد حسن الأبطحي: «والأمر مماثل لما حدث للمرحوم والدي فإنّه أخبرني بموعد وفاته قبل أسبوعين من تاريخ الوفاة».

وينقل أيضاً عن الحاج مؤمن في شيراز ـ المعروف بالمكاشفات والكرامات واستجابة الدعوات ـ أنه قال: «كان يسكن في إحدى غرف مسجد «سردزك» سيّد جليل اسمه «السيد علي الخراساني» وكان كثير العبادة والمناجاة، وقبل أسبوع من وفاته قال لي: سأفارق الدنيا ليلة الجمعة الآتية في وقت السحر فتعال إليّ في تلك الليلة فإنّ لي معك شغلاً، فأتيت إليه في الليلة المذكورة فرأيته قد وضع على النار إناءً فيه مقدارٌ من اللبن «الحليب»، ثم صار يشرب منه قدر فنجانين وناولني الباقي وقال لي: اشربه فإني قد شربتُ ما أحتاج إليه. ثم قال لي: هذه الليلة هي ليلة وفاتي، وأرجو من « السيد هاشم إمام المسجد» أن يتولىّ أمر تجهيزي والصلاة عليّ. ثم أخبرني بمن سيتبرع بمصاريف التجهيز وأوصاني ببعض وصاياه، ثم طفق يقرأ القرآن حتى دنا وقت السحر فصار يردد كلمة «لا إله إلا الله» ثم قال بكلّ أدبٍ واحترام: «السلام عليك يا جدّاه»، ثم أغمض عينيه وفاضت روحه الطاهرة، «رحمه الله عليه». وشبيه بهذه الحوادث ما وقع لي مع المرحوم آية الله الوالد ـ قدس سرّه ـ فإنّه في آخر أيّام حياته حدّثني بأمرٍ كان يُزعجه ويؤلمه فصرتُ أهون عليه ذلك لئلاّ يؤثر على صحته وراحته فقال لي: «هوّن عليك يا بني فإنّ الأمر سينتهي بعد خمسة أيّام» ولم أفهم ما كان يعنيه

بهذا القول وكيف سينتهي الأمر في هذه الأيّام القليلة مع أنّه شديدُ التعقيد ويحتاج إلى زمنٍ طويل. فما مضت الخمسة أيام حتى فارق الدنيا في غروب اليوم الخامس، عندئذٍ فهمت ما كان يقصده بكلامه رضوان الله عليه وأسكنه فسيح جنّاته.

٨٢٧١ ـ جاء في كتاب«الكمالات الروحيّة» ما ملخّصه: إنّ أحد السادة العلماء خرج من سامرّاء ماشياً على قدميه لزيارة مرقد السيد محمد ابن الإمام عليّ الهادي عليه السلام الذي يبعد مقدار ثمانية فراسخ عن سامراء، فضلّ الطريق وأعياه المشي واشتدّ به العطش حتى وقع على الأرض وهو في حالة شديدة من الإغماء والإعياء. ثم فتح عينيه فجأةً فرأى رأسه في حُجر رجلٍ وهو يسقيه ماءً لم يشرب مثله قط في حلاوته ولذّته. ثم قدّم له خبزاً فأكل منه، ثم قال له: يا سيد قم واغسل بدنك في هذا الماء، فقال له: لا يوجد هنا ماء ولذلك أغمي عليّ من شدة العطش، فقال له الرجل: انظر هذا نهر يجري بجوارك، فنظر فإذا بالنهر يجري رقراقاً على بعد مترين أو ثلاثة أمتار منه، فقال في نفسه: كدتُ أموت من العطش والماء يجري من حولي. ثم قال له الرجل: إلى أين تريد؟ قال: أريد زيارة قبر السيد محمد عليه السلام، فقال له: هذا حرم السيد محمد، فتطلّع إلى الجهة التي أشار إليها فإذا بالقبّة الشريفة! فتعجب من ذلك حيثُ كان المرقد الطاهر يبعد عن الموضع الذي كان فيه عدّة فراسخ. ثم قام ومشى مع الرجل باتّجاه الحرم الشريف. وفي خلال هذه المسيرة صار يوصيه بوصايا كثيرة، ومن أهمّها هذه الوصايا العشر:

١ ـ اقرأ القرآن ما استطعت، ولا تلتفت إلى القائلين بتحريف القرآن.

٢ ـ أحسن إلى أمّك وأبيك، وإذا كان ميّتين فصلهما بالخيرات والمبرّات.

٣ ـ اقصد العتبات المقدّسة للأئمة الطاهرين عليهم السلام، وكذلك قبور أبنائهم والصالحين من شيعتهم.

٤ ـ عليك باحترام الذريّة العلويّة الطاهرة ما وسعك الاحترام، وعليك أن تعرف قدر انتسابك إلى هذه الشجرة النبويّة الطيّبة، واشكر الله كثيراً على هذه النعمة العظيمة فإنّ هذا النسب مبعث السعادة والعزّة في الدنيا والآخرة.

٥ ـ لا تدع التهجّد في الليل.

٦ ـ لا تترك تسبيح الزهراء عليها السلام في جميع الصلوات والأوقات.

٧ ـ واظب على زيارة سيد الشهداء عليه السلام من القرب أو من البعد.

٨ ـ تفقّد المحتاجين من شيعتنا وأحسن إليهم.

٩ ـ اقرأ الخطبة الشقشقيّة لأمير المؤمنين عليه السلام وخطبة الصدّيقة الكبرى فاطمة الزهراء عليها السلام التي خطبتها في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله، وخطبة الصدّيقة الصغرى زينب الكبرى عليها السلام التي خطبتها في مجلس يزيد بن معاوية.

١٠ ـ اجعلوا تحت لسان ميّتكم عقيقةً كتب عليها أسماء المعصومين عليهم السلام.

وعند وصوله قريباً من الحرم الشريف افتقد الرجل فجأةً فعلم أنّه

الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف. وقد حدّثني بهذه القصة بعض الثقات من المؤمنين.

٨٢٧٢ ـ قيل: إنّ أحد علماء مدينة «الري» المجاورة لطهران واسمه «الشيخ محمد تقي البافقي» ـ وكان على جانبٍ عظيمٍ من الورع والتقوى والفضل ـ قال ذات ليلة لخادمه «الحاج عباس اليزدي»: في هذه الليلة اترك بابَ الدار مفتوحاً أثناء الليل ولا ترّد أحداً يريد الدخول إلى الدار. فنفّذ الخادم أمر سيّده الشيخ وترك الباب مفتوحاً ونام.

وفي أثناء الليل انتبه من نومه على وقع أقدام إنسانٍ يدخل إلى ساحة الدار. فقام إليه وسأله عن حاجته، وقبل أن يجيبه الرجل سمع صوت الشيخ البافقي ينادي من غرفته: يا حاج عباس هذا يونس الأرمني جاءني لحاجةٍ مهمّة فدلّه على مكاني.

فامتثل الحاج عباس الأمر وأوصل الرجل إلى مكان الشيخ فرحّب به غاية الترحيب ثم قال له: يا يونس جئتَ لتُسلم على يدي؟ فأجابه بغير تردّد: نعم جئتُ لأدخل في الإسلام. فصار الشيخ يشرح له مبادئ الإسلام وشرائط الدخول فيه، فأعلن الرجل إسلامه.

فلما خرج الرجل من عند الشيخ أوقفه الحاج عباس وسأله: كيف جئتَ إلى دار الشيخ في هذا الوقت من الليل؟ وكيف أسلمت بهذه السرعة؟ ومن الذي دلّك على هذه الدار؟ ومن الذي عرّفك بالشيخ البافقي؟ فقال الرجل: أنا مسيحيّ أرمني من أهل بغداد لديّ سيارة شحن أنقل بها البضائع من بلدٍ إلى بلد. وفي يوم من الأيام بينما كنتُ أسير بسيّارتي من بغداد إلى كربلاء رأيت في أثناء الطريق رجلاً كبير السن يلهث من العطش فأوقفت سيّارتي ونزلت إليه وسقيتُه الماء

وأركبته معي في السيارة وأوصلته إلى مكانه في كربلاء وهو لا يدري أنّي أرمني. فلمّا نزل قال لي: اذهبْ أيّها الرجل وأجرك على أبي الفضل العباس عليه السلام.

وبعد أيّام صادف أن شحنتُ سيّارتي إلى طهران فلمّا وصلتها ليلاً شعرتُ بالتعب فخلدتُ إلى النوم، وفي عالم الرؤيا رأيتُ كأني في بيت وسمعتُ طارقاً يطرقُ الباب، فلمّا فتحتُه رأيتُ رجلاً جليلاً راكباً على فرس فقال لي: أنا أبو الفضل العباس جئتُ أعطيك حقّك الذي عليّ، فقلتُ له: وأيّ حقّ لي عليك؟ قال: حقّ تعبك مع الرجل المسن الذي سقيتهُ الماء وحملته بسيّارتك إلى كربلاء، ثم قال لي: إذا استيقظت من النوم اذهب إلى مدينة الري فسيصحبكَ رجل يوصلك إلى دار الشيخ محمد تقي البافقي فأسلم هناك على يديه، ثم ودّعني وانصرف.

فلمّا استيقظت من النوم توجهت بسيّارتي إلى مدينة الري، وفي الطريق استوقفني رجل عليه آثار المهابة والجلالة فصعد في السيّارة ودلّني على دار الشيخ وأسلمتُ ـ والحمد لله ـ على يديه.

فلمّا انصرف الرجل سأل الحاج عباس سيّده الشيخ: كيف عرفت هذا الرجل باسمه، وكيف عرفت حاجته قبل أن يخبرك بها، وكيف علمت أنّه يريد أن يُسلم؟ فقال له الشيخ: أنّ الذي أوصله إلي ودلّه عليّ هو الذي أخبرني بذلك كلّه وذكرني اسمه وحاجته. وقد أيقن الشيخ أنّ ذلك الرجل الجليل الذي صعد مع يونس في السيّارة وأوصله إليه وأخبره بخبره هو الإمام الحجّة المنتظر أرواحنا له الفداء.

٨٢٧٣ ـ روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «إنّ المؤمن إذا كان مخلصاً أخاف الله منه كلّ شيء حتى هوام الأرض وسباعها، وطير

السماء، وحيتان البحر».

٨٢٧٤ ـ ذكر الشيخ إبراهيم الكفعمي العاملي في كتابه «المصباح»: إنّ مَن يريد أن يرى في منامه أحد المعصومين عليهم السلام فإنّه ينوي رؤيةَ مَن يريد رؤيتَه، ثم يقرأ سورة «الشمس» وسورة «الليل» وسورة «القدر» وسورة «الجحد» وسورة «التوحيد» وسورة «الفلق» وسورة «الناس» ثم يقرأ بعدها مائة مرّة سورة «التوحيد»، ثم يصلّي على النبيّ وآله «صلوات الله عليهم»، ثم ينام على جانبه الأيمن وهو على وضوء فإنّه ينال بُغيتَه بإذن الله تعالى.

٨٢٧٥ ـ جاء في كتاب «الكمالات الروحيّة» للسيد حسن الأبطحي ما نصُّه: «يقول صديقٌ لي يُؤثر أن لا أذكرَ اسمَه: تشرفتُ بأداء الحج وكان العالمُ المرافق للقافلة كمرشدٍ ديني رجلاً من الصالحين، وقد رأى في المنام ـ قبل ثلاث ليالٍ من ذَهابنا الى عرفات ـ إنّ الإمامَ وليّ العصر عليه السلام قال له: اقرأ يوم عرفات مراثي أبي الفضل العباس عليه السلام وسأكون معكم.

في ضمن قافلتنا امرأة مصابة بالشلل اعتمرت عمرة التمتع بمشقّةٍ ومعاناة، أي إنّها كانت تسعى بين الصفا والمروة بعربة المقعدين، واضطر الآخرون إلى إعانتها في إنجاز بقيّة أعمالها.

من جهة أخرى كانت في القافلة أيضاً زوجة خالي، وكان ابنها «سعيد» قد استشهد في الجبهة. وفي إحدى ليالي الحج رأته أمّه في الرؤيا قد جاء إليها يقول: أنا بخير، أنا لم أقتل. استيقظت هذه المرأة من النوم، وأخرجت صورة ولدها التي كانت بحوزتها وراحت تقبّلها وتبكي كثيراً.

المرأة المشلولة سألت زوجة خالي عمّا جرى، كما سألتها عن صاحب الصورة، فحكت لها كيف استشهد ولدها «سعيد» وأرتها صورته.

تناولت المرأة صورة «سعيد» وأخذت تخاطبه كأنها تخاطب إنساناً حيّاً وتبكي قائلةً: عليك اليوم - يوم عرفة - أن تطلب من الله ليرسل إمام الزمان عليه السلام إلى قافلتنا ويشفيني.

حان يوم عرفة، والوقت بعد الظهر، وخلال قراءة دعاء يوم عرفة أمسك مرشد القافلة من مواصلة الدعاء، وشرع يقرأ تعزية أبي الفضل العباس عليه السلام. في خلال هذه القراءة لاحظ كافة أهل القافلة - وبدون سابقة - رجلاً وضيء النورانية عليه ثياب الإحرام جالساً بين الحاضرين يبكي بكاءً شديداً على مصاب أبي الفضل العباس عليه السلام. بدأ أفراد القافلة يتنبّهون له خاصة بعد أن أخبرهم عالم القافلة أنّه قبل ليالٍ رأى الإمام صاحب الأمر عليه السلام في المنام وقال له: اقرأ يوم عرفات مراثي أبي الفضل العباس عليه السلام وسأكون معكم.

عرف الرجل النورانيُّ الغريب أنّ بعضهم ينظر إليه، واعتقد بعض الحاضرين - ومنهم المرأة المشلولة - أنّه هو الإمام بقيّة الله «أروحنا فداه».

في هذه الأثناء نهض الرجل من مكانه وهمّ بالخروج، فصاحت المرأة المشلولة: مولاي، فرجع إلى موضعه ونظر إليها، فأشارت المرأة إلى رجليها - تريد أن تقول إني مشلولة - فأشار إشارة فهمتْ منها أنها ستصحُّ من دائها. ثم إنّ الرجل خرج من الخيمة.

يقول صديقنا: إنّ هذه المرأة برئت في لحظتها من علّتها. ثم

أدّت مناسكها من طواف الحج والسعي وطواف النساء بدون مساعدة من أحد، ولم يبق للشلل في بدنها من أثر.

هذا الصديق نفسه روى واقعةً أخرى حصلت في سفر الحج فقال: «كان في قافلتنا رجلٌ مسنٌّ في الثمانين من عمره اسمه «الحاج حسن حسين زادة»، وما كان هذا الرجل ـ بما يثقله من عجز الشيخوخة ـ بقادرٍ على الطواف والسعي بيسر، الصعود والهبوط ممّا يشقّ عليه، فكان لا بدّ أن يتخذ له مكاناً في غرفةٍ من غرف الطابق الأرضي في الفندق الذي نزلنا فيه. وكنّا نعنى به ونرعاه لتذليل مشكلاته.

وقد جرت العادة أن تمدَّ سفرةُ طعام العشاء ليلاً على سطح الفُندق في مكّة المكرّمة، وبعد العشاء يجلس مرشد القافلة ساعة لتوضيح المسائل الفقهية وللموعظة.

ومن المعلوم أنّ هذا الرجل الشيخ لم يكن يستطيع الصعود إلى السطح لتناول الطعام، فكنّا نحضر له عشاءه في غرفته.

في إحدى الليالي ـ إذ كنا منهمكين بترتيب شؤون القافلة ـ كان هو على ما يبدو وحيداً في الغرفة فأصابه في تلك الليلة مغصٌ شديد.

قال الرجل الشيخ: كدتُ من شدّة الألم أن أموت، وفجأة تذكرتُ التوسلَ بإمام الزمان عليه السلام فتوجهتُ بالسلام عليه وقلتُ له: مولاي تركني الجميع ونسيتني أنت أيضاً، ثم أجهشتُ بالبكاء . وعلى حين غرّة أحسستُ أنّ باب الغرفة قد أنفتح ودخل رجلٌ شديد النورانيّة والبهاء وأيقنتُ أنّه الإمام وليّ العصر «أرواحنا فداه»، وطلعتهُ المقدّسة رائعة الجمال، وعلى خدّه الأيمن خال يذهل العقل. سلّم عليّ وقال: حاج حسن بطنك تؤذيك؟ خذ «سكر النبات» هذا وكلْ منه فإنك

تعافى. حدّقتُ فرأيتُ قطعة من «سكر النبات» في إحدى يديه، ثم راح يمسح على هذه القطعة بيده الأخرى ليباركها. أخذتُ منه «سكر النبات» وأكلت شيئاً منه فهدأتْ آلامي على الفور، ودبّ في بدني نشاطاً كنشاط الشباب.

يقول صديقنا راوي هذه الواقعة: «ممّا يبعث على الدهشة أنّ هذا الرجل العجوز ابن الثمانين سنة أنجز كلّ أعماله ومناسكه ـ بعد ليلته تلك ـ على أحسن ما يكون. وحتى أنّه مضى بنفسه إلى السوق لشراء الهدايا إلى أهله ومعارفه، واشترى فعلاً ما أراد. أمّا ما بقي من «سكر النبات» فكان لا يُعطي منه مريضاً إلا شُفيَ».

٨٢٧٦ ـ جاء في كتاب «الكمالات الروحيّة» نقلاً عن كتاب «مسجد جمكران»: إنّ رجلاً اسمه «حسين السائق» تحدّث عن نفسه فقال:

توفيت أمي وأنا صبي، فتزوّج أبي بامرأة أخرى، فأوذيت من هذا الزواج كثيراً، وما كان منّي بعدئذٍ إلا الفرار من مسقط رأسي «مدينة آراك» وفي مفري اشتغلت سائق سيّارة. ثم إني بدأت أتعلّم مهنة «الميكانيك» حتى أتقنتُها، واشتغلتُ ميكانيكيّاً في مصنع يملكه يهود.

وفي هذه المدّة أصبتُ بآلام شديدة في ظهري برّحتْ بي وشقّت عليّ. راجعتُ كثيراً من الأطباء للمعالجة، وصوّرتُ ظهري عدّة مرّات بالتصوير الشعاعي، ثم سافرتُ إلى الخارج حيثُ أُجريتْ لي عملية جراحيّة، بيد أنّ آلآم الظهر ظلّت شديدةً مبرّحة، وما جنيتُ من أنواع العلاج فائدة. وقال لي الأطباء: لقد ضعف العصب الذي في موضع الألم ولا علاج له.

لم أجدْ سبيلاً ـ والحالة هذه ـ إلا أن أقصد مسجد جمكران[١] وأتوسل بالإمام بقيّة الله «روحي فداه» وهناكَ مكثتُ عدّة أيّام في مقهى بجوار المسجد، لكنّي لم أظفر بشيء، فرجعتُ عائداً إلى «قم».

وفي إحدى الليالي رأيتُ في الرؤيا قائلاً يقول لي: لن تجني شيئاً من المكوث في المقهى، وعليكَ أن تبيتَ داخل المسجد لتحصل على ما تريد.

عدتُ مرّةً أخرى إلى «جمكران» وعزمتُ أن أقوم بالأعمال العباديّة المعروفة بعمل أم داود في الليالي البيض[٢] من شهر رجب في هذا المسجد. وفي ليلة منها كنت بمفردي ما معي من أحد لمّا أدّيتَ أعمال المسجد، وفي لحظة من اللحظات شدّ انتباهي سيّد جليلُ القدر يجلس في وسط المسجد إلى جواري، ثيابه خضر، وهالةٌ من النور كانت تحيط بخضرة ثيابه. وفي تلك الأثناء كانت آلام ظهري على أشدّها، وأنا في غاية الأذى. نظر السيّد إليّ وقال لي: ما يؤلمك؟ قلت: منذ مدّة وظهري يؤلمني بشدّة. عندها دنا السيّد مني وأمرّ يده على فقرات ظهري، أخذ يتحسّس بيده الفقرات واحدةً واحدة حتى إذا وصلتْ كفّه إلى فقرة الألم مرسها ودعكها وقرأ آخر سورة الحشر: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۚ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ۖ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا

---

(١) جمكران: قرية خارج مدينة «قم» في جوارها مسجد قديم مبارك يقصده الناس لغرض التوسل بإمام العصر«عج» لقضاء حوائجهم.

(٢) الليالي البيض: هي ليلة ١٣ و ١٤ و ١٥ من كلّ شهر قمري.

هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾. ثم قال لي: «لقد شفيت».

حرّكتُ بدني فلم أشعر بألم في ظهري، ثم ميّلت جسمي ذاتَ اليمين وذات الشمال فما ثَمّة من ألم، نهضتُ من مكاني فكان نهوضي بسهولةٍ ويسرٍ، في حين لم يكن في وسعي قبل هذا أن أتحرّك إلا بصعوبة، ثم مشيتُ خطوات وهرولتُ قليلاً في ساحة المسجد فما كان للألم في ظهري أيُّ أثر.

وفي خارج المسجد انحنيتُ على حجرٍ ثقيلٍ ورفعتهُ بيدي دون أدنى معاناة. وهكذا جرّبتُ كلَّ وسيلةٍ فأيقنتُ بالشفاء الكامل.

عندئذٍ رجعتُ إلى داخل المسجد لأقدّم شكري وامتناني إلى السيّد الجليل فلم أجده في أيّ موضعٍ من المسجد حتى خرجتُ أبحثُ عنه في الصحراء المحيطة بالمسجد فلم أجد له أيّ أثر، فعلمتُ أنّه الإمام الحجّة المنتظر(عجّل الله تعالى فرجه الشريف).

٨٢٧٧ ـ لمّا برزَ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام إلى عمرو بن عبد ودّ العامري قال النبي صلى الله عليه وآله ـ كما روى ابن أبي الحديد المعتزلي في «شرح النهج» وغيره ـ: «برز الإيمانُ كلُّه إلى الشرك كلّه»، وقال أيضاً ـ كما روى الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد»، والحاكم في «المستدرك»، والخوارزمي في «المناقب»، والرازي في «التفسير الكبير» وغيرهم ـ: «المبارزة علي بن أبي طالب لعمرو بن عبد ودّ يوم الخندق أفضل من أعمال أمّتي إلى يوم القيامة».

ولمّا قتل عليٌّ عمرو قال ﷺ ـ كما روى الحلبي في سيرته وغيره ـ: «قتل عليّ لعمرو بن عبد ود أفضل من عبادة الثقلين»، وفي بعض الروايات: «ضربةُ عليّ لعمرو بن عبد ودّ يوم الخندق تعدل عبادة الثقلين إلى يوم القيامة».

٨٢٧٨ ـ روى ابن عبد ربّه في «العقد الفريد»: إنّ رسول الله ﷺ رأى معاوية وعمرو بن العاص مجتمعين فقال لأصحابه: «إذا رأيتموهما اجتمعا ففرّقوا بينهما فإنّهما لا يجتمعانِ على خير أبداً».

وروى أحمد بن حنبل في «المسند»: إنّ رسول الله ﷺ رفع يديه فقال: «اللّهمّ أركسهما في الفتنة ركساً، ودعّهما إلى النار دعّاً».

٨٢٧٩ ـ روي عن الإمام الصادق عليه السلام إنه قال: «إنّا على بيّنة من ربّنا بيّنها لنبيّه ﷺ فبيّنها نبيّه لنا، فلولا ذلك كنّا كهؤلاء النّاس».

وقال أيضاً: «إنّا لو كنّا نفتي الناس برأينا وهوانا لكنّا من الهالكين، ولكنّها آثارٌ من رسول الله ﷺ، وأصل علمٍ نتوارثها كابر عن كابر، نكنزها كما يكنز الناس ذهبهم وفضّتهم».

وسأله رجل عن مسألة فأجابه فيها، فقال الرجل: أرأيت إن كان كذا وكذا ما يكون القولُ فيها؟ فقال عليه السلام للرجل: «صه، ما أجبتُك فيه من شيء فهو عن رسول الله ﷺ لسنا من «أرأيتَ» في شيء».

٨٢٨٠ ـ روى الحمويني الشافعي في «فرائد السمطين» والخوارزمي الحنفي في «مقتل الحسين» بسندهما عن رسول الله ﷺ أنه قال: «فاطمة مهجة قلبي، وابناها ثمرة فؤادي، وبعلها نور بصري، والأئمة من ولدها أمناء ربّي وحبل ممدود بينه وبين خلقه، ومن اعتصم

بهم نجا، ومن تخلّف عنهم هوى».

٨٢٨١ ـ روى الفخر الرازي في «التفسير الكبير» والحاكم النيسابوري في «شواهد التنزيل»، والسيوطي في «الدر المنثور» والحمويني الشافعي في «فرائد السمطين»، والكنجي الشافعي في «كفاية الطالب»، والمتقي الهندي في «كنز العمال» وغيرهم: لمّا نزل قوله تعالى في سورة الرعد، الآية (٧): ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ﴾ قال رسول الله ﷺ: «أنا المنذر وعليّ الهادي، وبك يا عليّ يهتدي المهتدون من بعدي».

وروى الشيخ الكليني في «الكافي» بسنده عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام عن معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ﴾ فقال: قال رسول الله ﷺ: أنا المنذر وعليٌّ الهادي. يا أبا محمد هل من هادٍ اليوم؟ فقلت: جعلتُ فداك ما زال منكم هادٍ من بعد هادٍ حتى رفعت إليك، فقال: «رحمك الله يا أبا محمد وكانت إذا نزلت آية على رجل ثم مات ذلك الرجل ماتت الآية ومات الكتاب، ولكنّه يجري فيمن بقي كما جرى فيما مضى».

٨٢٨٢ ـ روى الحمويني الشافعي في «فرائد السمطين» بسنده عن ابن عبّاس رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «أنا سيّد النبيّين، وعليٌّ سيّد الوصيّين، وإنّ أوصيائي بعدي اثنا عشر أوّلهم عليٌّ بن أبي طالب وآخرهم المهدي».

٨٢٨٣ ـ روى ابن أبي الحديد المعتزلي في «شرح النهج» عن براء بن عازب أنه قال: «لم أزل لبني هاشم محبّاً، فلمّا قُبض رسول الله ﷺ خفتُ أن تتمالأ قريش على إخراج هذا الأمر عنهم، فأخذني

ما يأخذ الوالهة العجول مع ما في نفسي من الحزن لوفاة رسول الله ﷺ، فكنتُ أتردّد إلى بني هاشم وهم عند النبيّ ﷺ في الحجرة، وأتفقّدُ وجوه قريش. وإني كذلك إذ فقدتُ أبا بكر وعمر وإذ قائل يقول: القوم في سقيفة بني ساعدة، وإذ قائل يقول: قد بويع أبو بكر، فلم ألبث وإذا بأبي بكر قد أقبل ومعه عمر وأبو عبيدة وجماعة من أصحاب السقيفة وهم لا يمرّون بأحد إلا خبطوه وقدّموه فمدّوا يده ومسحوها على يد أبي بكر يبايعه شاء ذلك أو أبى».

أهذه هي «الشورى» التي يتشدّق بها المتشدّقون؟! وصدق عمر حين قال: «إنّ بيعة أبي بكر فلتة وقى الله المسلمين شرّها، ومن عاد إلى مثلها فاقتلوه».

٨٢٨٤ ـ قال الشاعر:

خيرُ البضائع للإنسان مكرمةٌ تسمو وتزكو إذا بارت بضائعهُ

٨٢٨٥ ـ روى الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» بسنده عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «عليٌّ خير البشر، فمن افترى فقد كفر». وروى المناوي في «كنوز الحقائق» بسنده عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «عليٌّ خيرُ البشر، من شكّ فيه كفر». وفي بعض الروايات قوله ﷺ: «عليٌّ خير البشر، ومن أبى فقد كفر».

٨٢٨٦ ـ روى المحب الطبري في «الرياض النضرة» والمناوي في «كنوز الحقائق» عن رسول الله ﷺ أنه قال: «حقُّ عليّ على هذه الأمّة كحقّ الوالد على الولد».

وروى المحب الطبري في «الرياض النضرة» بسنده عن عمّار بن ياسر وأبي أيوب الأنصاري قالا: قال رسول الله ﷺ: «حقُّ عليّ على

المسلمين حقُّ الوالد على الولد».

٨٢٨٧ ـ روى المناوي في «كنوز الحقائق»، والخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» والمحب الطبري في «الرياض النضرة» عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «أنا وعليّ حجّة الله على العباد».

٨٢٨٨ ـ الترابط العجيب بين ولاية الله تعالى وطاعته ومحبّته وبين ولاية رسول الله ﷺ وطاعته ومحبّته وبين ولاية أمير المؤمنين عليه السلام وطاعته ومحبّته ظاهرٌ في النصوص القرآنيّة وفي الأحاديث النبويّة كقوله تعالى في سورة المائدة: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٥﴾﴾، وقوله في سورة النساء، الآية (٥٩): ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾. وكقول رسول الله ﷺ: «يا علي من لم يؤمن بك لم يؤمن بي، ومن لم يؤمن بي لم يؤمن بالله»، وقوله: «مَن كفر بك فقد كفر بي، ومن كفر بي فقد كفر بالله»، وقوله: «مَن أطاعك فقد أطاعني، ومن أطاعني فقد أطاع الله»، وقوله: «من أحبّك فقد أحبّني، ومَن أحبّني فقد أحبّ الله»، وقوله: «مَن حاربك فقد حاربني، ومَن حاربني فقد حارب الله»، وقوله: «مَن سبّك فقد سبّني، ومن سبّني فقد سبّ الله» إلى غير ذلك مما مرّ عليك في غضون هذا الكتاب.

٨٢٨٩ ـ روى البخاري في صحيحه: إنّ رسول الله ﷺ كان مستلقياً في بيته وعنده نساء يضربن الدفوف، فدخل أبو بكر وصاح: مزمار للشيطان في بيت رسول الله؟ فقال له رسول الله ﷺ: «دعهن يا أبا بكر»، ثم دخل عمر فإبتدرت النساء إلى الحجاب، وأخفين الدفوف تحت أزرهن، فقال لهنّ عمر: يا عدوّات أنفسهن، يا صويحبات

يوسف أتهبنني ولا تهبنَ رسول اللهﷺ؟ فقلن له: أنت أفظ وأغلظ، فضحك رسول اللهﷺ وقال: «يا عمر ما رآك الشيطان سالكاً وادياً إلا وسلك وادياً غير واديك، إنّ الشيطان ليهرب من عمر».

ولنقف عند هذه الرواية قليلاً لنرى ما فيها من أمورٍ لا تتّفق بأيّ حالٍ من الأحوال مع المنطق والعقل والدين.

أوّلها: كيف يسوغ لمثل الرسول الأعظمﷺ أن يستلقيَ في بيته وعنده نساءٌ أجنبيّات غير محجّبات وهنّ يضربنَ الدفوف؟!.

ثانيها: كيف يستنكر أبو بكر هذا المشهد ويصيح: مزمار للشيطان في بيت رسول اللهﷺ ولا يستنكر ذلك الرسولﷺ بل يقول له: «دعهنّ يا أبا بكر»؟!

ثالثها: كيف تحتجب النسوة عند دخول عمر ولم يحتجبْن من رسول اللهﷺ؟!.

رابعها: كيف أخفيْن الدفوف تحت أزرهنّ حياءً من عمر ولم يخفين ذلك حياءً من رسول اللهﷺ؟!.

خامسها: كيف يقلن لعمر ـ حين قال لهنّ: أتهبنني ولا تهبْن رسول الله ـ: «أنت أفظ وأغلظ» ومن المعلوم أنّ اسماء التفضيل تدلّ على المشاركة في الصفة، فمعنى ذلك أنهنّ أثبتْنَ للنبيّ «والعياذ بالله» صفة الفظاظة والغلظة غير أنّ عمر أفظ منه وأغلظ، مع أنّ الله سبحانه يقول مخاطباً لنبيّه الكريم في سورة آل عمران، الآية (١٥٩): ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾.

سادسها: كيف يقابل رسول اللهﷺ هذه الإهانة بالضحك ولم

يعبأ بما فيها من حطٍّ لمقام الرسالة والرسول؟!.

سابعها: كيف يقول النبيّ ﷺ لعمر: «ما رآك الشيطان سالكاً وادياً إلا وسلك وادياً غير واديك، إنّ الشيطان ليهرب من عمر» فكأنّ الشيطان كان مع رسول الله «والعياذ بالله» في بيته يسرح ويمرح، فلمّا جاء عمر هرب منه؟!.

اللّهمّ إنّ هذا بهتان وإفك مبين لا يليق بمقام الرسول الكريم الذي خاطبه ربُّه بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾[1].

٨٢٩٠ ـ قال شاعر الباكستان الدكتور محمد إقبال في مدح فاطمة الزهراء عليها السلام:

المجدُ يشرق من ثلاث مطالع
من مهد فاطمة فما أعلاها
هي بنتُ من؟ هي زوجُ من؟ هي أمُّ من؟
من ذا يداني في الفخار أباها
هي ومضةٌ من نور عين المصطفى
هادي الشعوب إذا تروم هُداها
هو رحمةٌ للعالمين وكعبة الآمـ ـال في الدنيا وفي أخراها
ولزوج فاطمة بسورة هل أتى
تاج يفوق الشمس عند ضحاها
في روض فاطمة نما غصنان لم
ينجبهما في النيّرات سواها

(١) سورة القلم: آية: (٤).

هـي أسـوةٌ لـلأمّـهـات وقـدوةٌ
يـتـرسّـم الـقـمـرُ المنيـرُ خُـطـاهـا
فـمُـهـا يـرتّـل أي ربّـك بـيـنـمـا
يـدهـا تـديـر عـلى الـشـعـيـر رحـاهـا
بـلّـت وِسـادتَـهـا لآلـئُ دمـعـهـا
مـن طـول خـشـيـتـهـا ومـن تـقـواهـا
جـبـريـل نـحـو الـعـرش يـرفـع دمـعـهـا
كـالـطـلّ[1] يـروي فـي الجـنـان رُبـاهـا

٨٢٩١ ـ قال الشاعر في مدح النسب العلويّ الطاهر:

نـسـبٌ كـشـمـسٍ أشـرقـت أنـوارهـا فـأضـاءت الأرجـاء بـالـنـور الجـلـي
مـن حـيـث جـدُّهـم الـنـبـيُّ مـحـمّـدٌ وأبـوهـم الـكـرّارُ حـيـدرةُ عـلـي

٨٢٩٢ ـ قال الله سبحانه في سورة مريم، الآية (٢٨): ﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا ﴿٢٨﴾﴾.

وقد إختلف المفسرون في تعيين هارون هذا على عدّة أقوال:

منها: إنّه أخو موسى عليه السلام، ولأنها بضعةٌ من نسله وشبيهةٌ بهديه فقد نسبوها إليه.

ومنها: إنّه رجل صالح من بني إسرائيل عُرف بالتقوى والعبادة فشبّهوها به.

ومنها: إنّه رجلٌ فاسق من بني إسرائيل كان يضرب به المثل في الفسق والفجور فأضافوها إليه.

---

(١) الطل: المطر القليل.

ومنها: إنّه أخو مريم من أبيها عمران.

ولعلّ القول الأوّل هو الأرجح، وقد أضافوها إليه إضافة أخوّةٍ لا بنوّة لغرض التشبيه، كما يقال: يا أخا قريش أو يا أخا تميم. ولعلّ من ذلك أيضاً ما ورد في القرآن الكريم كقوله في سورة الأعراف، الآية (٦٥): ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾، وقوله في نفس السورة، الآية (٧٣): ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾، وقوله في نفس السورة، الآية (٨٥) أيضاً: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾.

وقد روى الطبري في تفسيره عن المغيرة بن شعبة أنّه قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى أهل نجران فقالوا لي: ألستم تقرؤون عن مريم: ﴿يا أخت هارون﴾؟ قلت بلى، فقالوا: لقد علمتم ما كان بين عيسى وموسى من السنين. فرجعتُ إلى رسول الله ﷺ فأخبرته فقال: «ألا أخبرتهم أنهم كانوا يسمّون بأنبيائهم والصالحين قبلهم».

والغريب حقّاً أن تأتي «دائرة المعارف الإنكليزية» فتقول بكلّ صلافةٍ ووقاحة: «إنّ القرآن غلط غلطاً تاريخيّاً حين قال: ﴿يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ﴾ مع أنّ بين مريم وهارون أخي موسى مئات السنين».

وهذا دليلٌ على جهلهم بأساليب الكلام العربيّ الفصيح، وصدق المتنبي حيثُ يقول:

وكم من عائبٍ قولاً صحيحاً ... وآفتُه من الفهم السقيم

٨٢٩٣ ـ قال نصيب بن رباح:

وما في الأرض أشقى من محبٍّ ... وإن وجد الهوى حلو المذاق

تراه باكياً في كلّ حينٍ ... مخافة فرقةٍ أو لاشتياق

فيبكي إن نأوا[١] شوقاً إليهمْ ويبكي إن دنوا خوف الفراق

فتسخن عينُه عند التنائي[٢] وتسخن[٣] عينُه عند التلاقي

٨٢٩٤ ـ قال ديك الجن:

لا أحب الفتى أراه إذا ما عضّه الدهر جاثماً في الظلال[٤]

مستكيناً لذي الغنى خاشع الطر فِ ذليلَ الأدبار والإقبال

٨٢٩٥ ـ قال ديك الجن:

من عاش في الدنيا بغير حبيب فحياتُهُ فيها حياةُ غريب

٨٢٩٦ ـ قال عروة بن الورد:

دعيني للغنى أسعى فإنّي رأيتُ الناس شرُّهم الفقيرُ

وأبعدهم وأهونهم عليهمْ وإن أمسى له حسبٌ وخير

٨٢٩٧ ـ قال النابغة الذبياني أو أبو الأسود الدؤلي:

لا تمدحنّ امرءاً حتى تجرّبه ولا تذمنّهُ من غير تجريبِ

وقد مرّ هذا البيت في غضون هذا الكتاب من غير أن يُنسب إلى أحدٍ من الشعراء.

٨٢٩٨ ـ قال المرحوم السيد الوالد (قدس سرّه):

الكتبُ للإنسان خير مقتنى منها ثمار العلم ـ حقّاً ـ تُجتنى

---

(١) نأوا: بعدوا.

(٢) التنائي: التباعد.

(٣) تسخن عينه: نقيض تقرّ عينه.

(٤) جاثماً في الظلال: يعيش في ظلّ فلان وفلان.

٨٢٩٩ ـ سيبويه ـ العالم النحويُّ الكبير ـ اسمه «عمرو بن عثمان ابن قنبر»، وإنّما لُقّب بسيبويه لأنّه كان جميلاً منذ الصغر، وله خدّان كأنّهما تفّاحتان، فكانت أمّه ترقّصه وتشبّهه بالتفّاح لجمال وجهه وحمرة وجنتيه، والتُّفّاح اسمه بالفارسيّة «سيب».

وقيل: لأنّه كان يكثر من شمّ التُّفّاح. قال ياقوت الحموي في «معجم الأدباء»: «سيبويه» لقب ومعناه «رائحة التُّفّاح». وقيل غير ذلك.

٨٣٠٠ ـ لقد وصف الله القرآن بصفاته الحسنى.

فوصف نفسه بالحكيم كما قال في سورة سبأ، الآية (١): ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾، ووصف القرآن الكريم كما قال في سورة يس: ﴿يسٓ ﴿١﴾ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾﴾.

ووصف نفسه بالعظيم كما قال في سورة البقرة، الآية (٢٥٥): ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾، ووصف القرآن بالعظيم كما قال في سورة الحجر: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾﴾.

ووصف نفسه بالكريم كما قال في سورة الانفطار: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾﴾، ووصف القرآن بالكريم كما قال في سورة الواقعة: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾﴾.

ووصف نفسه بالعزيز كما قال في سورة الروم، الآية (٥): ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾، ووصف القرآن بالعزيز كما قال في سورة فصلت، الآية (٤١): ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ﴾.

ووصف نفسه بالمجيد كما قال في سورة هود، الآية (٧٣): ﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾، ووصف القرآن

بالمجيد كما قال في سورة البروج: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١﴾.

ووصف نفسه بالمهيمن كما قال في سورة الحشر، الآية (٢٣): ﴿ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ﴾، ووصف القرآن بالمهيمن كما قال في سورة المائدة، الآية (٤٨): ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾.

ووصف نفسه بالنور كما قال في سورة النور، الآية (٣٥): ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، ووصف القرآن بالنور كما قال في سورة النساء، الآية (١٧٤): ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾.

٨٣٠١ ـ روى الشيخ المفيد في كتابه «الاختصاص» بسنده عن الحسن بن أبي العلاء قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: الأوصياء طاعتهم مفترضة؟ فقال: «نعم هم الذين قال الله: ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾،[1] وهم الذين قال الله: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾[2]».

٨٣٠٢ ـ وري الشيخ الكليني في «الكافي» بسنده عن أبان بن تغلب قال: سئل الإمام الصادق عليه السلام: هل كان عيسى ابن مريم قد أحيا أحداً بعد موته بأكلٍ ورزقٍ ومدّة وولد؟ فقال عليه السلام: «نعم إنّه كان له صديق مؤاخ له في الله تبارك وتعالى، وكان عيسى عليه السلام يمرّ به وينزل عليه، وإن عيسى غاب عنه حيناً ثم مرّ به ليسلّم عليه فخرجت عليه أمّهُ فسألها عنه فقالت له: مات ولدي يا نبيّ الله، فقال عليه السلام: أتحبّين أن تريْنَه؟ قالت: نعم، فقال عليه السلام: إذ كان الغد أتيتك حتى

---

(١) سورة النساء: آية: (٥٩).
(٢) سورة المائدة: آية: (٥٥).

أحييه لكِ بإذن الله تعالى. فلمّا كان من الغد أتاها فقال لها: انطلقي معي إلى قبره، فانطلقا حتى أتيا قبره، فوقف عليه عيسى عليه السلام ثم دعا الله عزّ وجلّ فانفرج القبر فخرج ابنُها حيّاً، فلمّا رأته أمّه ورآها بكيا فرحمهما عيسى عليه السلام فقال للولد: أتحب أن تبقى مع أمّك في الدنيا؟ فقال: يا نبيّ الله أبقى فيها بأكلٍ ورزقٍ ومدّة أم بغير أكلٍ ورزقٍ ومدّة؟ فقال له عيسى عليه السلام: بأكلٍ ورزقٍ ومدّة تعمّر عشرين سنة وتتزوج ويولد لك، فقال: نعم إذاً، فدفعه عيسى إلى أمّه فعاش عشرين سنة وتزوّج ووِلد له».

۸۳۰۳ ـ قال الشاعر:

مواعظ الواعظ لن تقبلا حتى يعيها قلبُه أوّلا

۸۳۰٤ ـ كلمة «الوحي» تُطلق في القرآن الكريم على التشريعات والتعليمات السماويّة التي ينزل بها أمين الوحي جبرائيل عليه السلام أو غيره من الملائكة على أنبياء الله ورسله عليهم السلام ليبلّغوها إلى أممهم، أو ليثبّتوا بها قلوبهم كقوله تعالى في سورة النساء، الآية (١٦٣): ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ وقوله في سورة الأنعام، الآية(١٩): ﴿وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ﴾، وقوله في سورة إبراهيم: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾﴾.

وقد تطلق على الإلهام الإلهي لمن يشاء من خلقه كقوله تعالى في سورة المائدة: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾﴾، وقوله في سورة القصص: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا

تَحْزَنِيٓ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾﴾، وقوله في سورة النحل: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾﴾، وقوله في سورة الزلزلة: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾﴾.

وقد تطلق على وسوسة الشياطين وإغرائهم كقوله تعالى في سورة الأنعام، الآية (١١٢): ﴿شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾، وقوله في نفس السورة، الآية (١٢١): ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ﴾.

وقد تطلق على الإشارة السريعة كقوله تعالى في سورة مريم: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾﴾.

٨٣٠٥ ـ روي عن محمد بن عيسى قال: قال لي أبو الحسن عليه السلام: «ما تقول إذا قيل لك: أخبرني عن الله عزّ وجل أشيء أم لا شيء؟» قلت: قد أثبت الله عزّ وجل نفسه شيئاً حيث يقول: ﴿قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾[1] وأقول: إنّه شيء لا كالأشياء إذ في نفي الشيئيّة عنه نفيُه وإبطاله. فقال عليه السلام: «صدقت وأحسنت».

٨٣٠٦ ـ قال الشاعر:

لَيتَ وهل ينفعُ شيئاً ليتُ ... ليتَ الشبابَ بيعَ فاشتريتُ

ومثله قول الآخر:

ألا ليت الشباب يعود يوماً ... فأخبره بما فعل بي المشيبُ

---

(١) سورة الأنعام: آية: (١٩).

٨٣٠٧ ـ الحُكمُ في الأمور التكوينيّة والتشريعيّة يكون أوّلاً وبالذات لله عزّ وجل، وقد نصّ القرآن الكريم في كثير من آياته الشريفة على هذا الأمر كقوله تعالى في سورة الأنعام، الآية (٥٧): ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾، وقوله في نفس السورة، الآية (٦٢): ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡحُكۡمُ﴾، وقوله في سورة الرعد، الآية (٤١): ﴿وَٱللَّهُ يَحۡكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكۡمِهِۦ﴾، وقوله في سورة يوسف، الآية (٤٠): ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾.

ويكون الحكم لغير الله ثانياً وبالعرض وبإذنه سبحانه كما نصّت على ذلك آيات الكتاب العزيز كقوله تعالى في سورة المائدة، الآية(٩٥): ﴿يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ﴾، وقوله في نفس السورة، الآية(٤٤): ﴿يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ﴾، وقوله في نفس السورة أيضاً مخاطباً لنبيّه محمدﷺ: ﴿فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾[1]، وقوله في سورة ص، الآية (٢٦): مخاطباً لنبيّه داودعليه السلام: ﴿إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ﴾.

وللإشارة إلى تعدّد إطلاق الحكم بين الله أولاً وبالذات وبين خلقه ثانياً وبالعرض قال الله تعالى في سورة الأعراف، الآية (٨٧): ﴿وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ﴾، وقال في سورة التين: ﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَحۡكَمِ ٱلۡحَٰكِمِينَ ۝٨﴾.

٨٣٠٨ ـ كلمة «المفاتح» جمع مَفتح ـ بفتح الميم ـ معناها في الغالب « الخزائن». وكلمة «المفاتيح» جمع مفتاح معناها: الآلات التي تفتح بها الأبواب المغلقة. وعلى هذا فإنّ قوله تعالى في سورة الأنعام،

---

(١) سورة المائدة آية: (٤٨)

الآية (٥٩): ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ﴾ معناه: وعنده خزائن الغيب، وهو كقوله تعالى في سورة الحجر، الآية (٢١): ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ﴾، وقوله في سورة المنافقون، الآية (٧): ﴿وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾. وقد تطلق كلمة «المفاتح» على «المفاتيح» كما في قوله تعالى في سورة القصص، الآية (٧٦): ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ﴾.

وهناك قراءة شاذة: «وعنده مفاتيحُ الغيب» والمقصود ـ على هذه القراءة ـ إنّ الله عنده مفاتيحُ خزائن الغيب، ومن كان يملك المفاتيح ملك الخزائن نفسها وأحاط بما فيها.

والقراءة الأولى هي الأنسب للمقام.

٨٣٠٩ ـ قيل: إنّ رجلاً كريماً كان يُكثر من البذل والعطاء فقال له أصحابه: «لا خير في السرف» فأجابهم على الفور: «بل لا سرفَ في الخير». وهو جوابٌ ينِمّ عن نفسٍ مطبوعةٍ على السخاء، وعن عقلٍ مطبوعٍ على الذكاء.

٨٣١٠ ـ روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «مَن بدأ بالكلام قبل السلام فلا تجيبوه» وهو أسلوب تربويّ رائع يشجّع الناس على السلام الذي هو تحيّة الإسلام.

٨٣١١ ـ اكتشف الطبُّ الحديث في هذه الأيام: أنّ في كبد الإنسان وعضلاته الهيكليّة مادةً سكريّةً ضخمة تتكسّر في فترة مرضه لتعوّضَ النقصَ الحاصلَ في المواد الأساسيّة لبناء الجسم. ولعلَّ الرسولَ الأعظم صلى الله عليه وآله قد أشار إليها بالذات حين قال: «لا تُكرِهوا مرضاكم على الطعام والشَّراب فإنّ الله يُطعمهم ويَسقيهم».

٨٣١٢ ـ قال صفوان بن يحيى: سألني أبو قرّة المحدّث أنْ أدخِلَه على أبي الحسن الرضاعليه السلام فاستأذنتُه في ذلك فأذِن لي، فدخل عليه فسأله عن الحلال والحرام والأحكام ثم قال له: إنّا روينا أنّ الله قسّم الرؤيةَ والكلامَ بين نبيَّيْن فجعل الكلامَ لموسىعليه السلام، وجعل الرؤيةَ لمحمّدصلى الله عليه وآله. فقال الإمام الرضاعليه السلام: «فمن المبلّغ عن الله إلى الثقلَيْن من الجنّ والإنس أنّه تعالى لا تدركه الأبصار، ولا يحيطون به علماً، وليس كمثله شيء أليس هو محمّداً؟»، قال: بلى فقالعليه السلام: «كيف يجيء رجل إلى الخلق جميعاً فيخبرهم أنّه جاء من عند الله، وأنّه يدعوهم إلى الله بأمر الله فيقول: لا تدركه الأبصار، ولا يحيطون به علماً، وليس كمثله شيء، ثم يقول لهم: أنا رأيتُه بعيني، وأحطتُ به علماً، وهو على صورة البشر، أما تستحون؟ ما قدرت الزنادقة أن ترميَه بهذا». ثم قالعليه السلام: «وقد أخبر الله تعالى بما رأى نبيُّهصلى الله عليه وآله فقال: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾[1] فآيات الله غير الله وقد قال الله: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾[2] فإذا رأته الأبصار فقد أحاط به العلم ووقعتِ المعرفة».

فقال أبو قرّة: فتكذب الروايات؟ فقال الرضاعليه السلام: «إذا كانت الرواياتُ مخالفةً للقرآن كذّبتُها».

وقال إسماعيل بن الفضل: سألتُ أبا عبد الله جعفرَ بنَ محمد الصادقعليه السلام عن الله تبارك وتعالى هل يُرى في المعاد؟ فقالعليه السلام: «سبحان الله وتعالى عن ذلك علوّاً كبيراً، يا ابن الفضل إنّ الأبصار لا تدرك إلا ماله لونٌ وكيفيّة، والله خالقُ الألوان والكيفيّات».

---

(١) سورة النجم، الآية (١٨). (٢) سورة طه، الآية (١١٠).

وقال محمد بن الفضيل: سألت أبا الحسنعليه السلام: هل رأى رسول اللهصلى الله عليه وآله عزّ وجل؟ فقال: نعم بقلبه رآه، أما سمعتَ الله عزّ وجل يقول: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾﴾[1]؟ لم يره بالبصر ولكن رآه بالفؤاد.

٨٣١٣ ـ قال تعالى في سورة الأنعام، الآية (١٠٨): ﴿كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ ومعنى الزينة هنا ـ والله أعلم ـ: إنّ الله سبحانه جعل كثيراً من الأشياء في هذه الدنيا ـ معنويّة كانت أو ماديّة ـ مقترنةً بما يسرُّ النفسَ ويُبهجُ القلب، وجعلها زينةً لأهلها، فمَن استعملها في طاعة الله ورِضاه فهي من فضل الله تعالى على الإنسان ومن نعمه السابقة، فالعلم زينة والتقوى زينة والإيمان زينة قال تعالى في سورة الحجرات، الآية (٧): ﴿حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ﴾، كما أنّ المالَ زينة والبنين زينة قال تعالى في سورة الكهف، الآية (٤٦): ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾.

ومن استعملَ هذه الأشياءَ في معصية الله وسخطه فهي من إغواء الشيطان وإغرائه كما حكى الله سبحانه عن إبليس قولَه في سورة الحجر، الآية (٣٩): ﴿لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾، وقال سبحانه في سورة النحل، الآية (٦٣): ﴿فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾.

وكلّ ما يقع في الوجود فهو بمشيئة الله وإذنه ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾[2] إذ ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكنْ وذلك للامتحان والاختبار كما قال سبحانه في سورة الكهف: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ

---

(١) سورة النجم آية: (١١).

(٢) سورة الأنعام، الآية (١١٢).

زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾﴾.

٨٣١٤ ـ روى الطبرسي في «مجمع البيان» عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنّه قال: «يجب الإنصات للقرآن في الصلاة وغيرها»، وروى العياشي عن زرارة عنه عليه السلام أنه قال: «وإذا قرِئ عندك القرآن وجب عليك الإنصاتُ والاستماع»، وعن عبد الله بن أبي يعفور عنه عليه السلام أنه قال: «إذا قرِئ القرآن وجب عليك الإنصاتُ والاستماع». وهذه الروايات وأمثالها وإنّ حملها كثير من الفقهاء على الاستحباب المؤكّد لكنّ ظاهرها الوجوب، والاحتياط سبيلُ النجاة: وهي مطابقة كقوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾.

٨٣١٥ ـ قال تعالى في سورة التوبة: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾ إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّوا۟ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾.

وفي هاتين الآيتين الكريمتين عدّةُ مباحث وهي:

الأوّل: إنّ قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ يشير إلى الشهور القمريّة الاثنيْ عشر التي تتكوّن منها السنةُ القمريّة بدليل قوله تعالى بعد ذلك: «مِنها أربَعَةٌ حرم» ومن المعلوم أنّ الأربَعةَ الحُرُم هي من الأشهر القمريّة لا الشمسيّة. وهذه الأشهر هي الثابتة عند الله في كتاب التكوين

من يوم خلق الله السمواتِ والأرضِ لا تتغيّر ولا تتبدّل.

الثاني: إنّ قوله: ﴿مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ يشير إلى الأشهر الأربعة التي حرّم الله فيها القتال، ثلاثة سَرْد وهي: «ذو القعدة وذو الحجّة ومحرم» وواحدٌ فرد وهو (رجب).

وحرمةُ هذه الأشهر قديمةٌ من عهد إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، وكانت العربُ في الجاهليّة تحترمها رغم كفرهم بالله وعبادتهم للأصنام.

الثالث: إنّ قوله: ﴿فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ تحذير من الله سبحانه للمشركين الذين قد تهاونوا في احترام قدسيّة هذه الأشهر وابتدعوا سُنّةً جاهليّةً وهي النسيء والتأخير واستبدالُ شهرٍ من الأشهر الحُرُم بشهرٍ آخرَ من غيرها، وحثَّ لهم على احترامِ هذه الأشهر ورعايةِ حُرمتها وقُدسيّتها.

الرابع: إنّ قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ نهي من الله سبحانه عن التلاعب بأحكام الله وتغييرِ سُننه التكوينيّة والتشريعيّة. وقد كان العرب ـ بسبب وَلَعهم بالحروب والغارات ـ يؤخّرون حرمة القتال في بعض الأشهر الحُرمُ إلى غيرها من الشهور بحيثُ يُحلّونه عاماً ويحرّمونه عاماً فيبدّلون شهراً بشهر على حسب أهوائهم ومصالحهم، ولكنّهم يحافظون على العدد فلا يزيد عن الأربعة أشهر كما قال سبحانه: ﴿لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾.

وروي عن النبيّ صلى الله عليه وآله في خطبته الشهيرة في حجّة الوداع قولُه: «ألا إنّ الزمانَ قد استدبرَ كهيئته يوم خلق السماوات والأرض، السنةُ

اثنا عَشَرَ شهراً منها أربعة حُرُم ثلاثةٌ متواليات ذو القعدة وذو الحَجة والمحرّم ورجب مفرد الذي بين جُمادى وشعبان».

ويعلّق العلامة الحَجة الطباطبائي في تفسيره القيّم «الميزان» على هذه الخطبة بقوله: «والمراد باستدارة الزمان كهيئته يوم خلق السماوات والأرضَ استقرارُ لأحكام الدينيّةَ على ما تقتضيه الفِطرة والخلقة، وتمكّنُ الدينِ القيّم من الرقابة في أعمال الناس، ومن ذلك حرمةُ الأشهر الأربعة الحرُم وإلغاءَ النسيء الذي هو زيادةٌ في الكفر».

٨٣١٦ ـ روي: إنّ أبا ذرﷺ تخلّف يوم تبوك عن رسول اللهﷺ ثلاثة أيّام لضعف جمَله حتى أنّه اضطّر في أثناء الطريق إلى أن يمشيَ على قدميّه، فلمّا قارب جماعةَ المسلمين نظر بعضُهم إليه وهم لا يعرفونه فقال رسول اللهﷺ: «كنْ أبا ذر» فكان كما قال. ثم قالﷺ لأصحابه: «أدركوه بالماء فإنّه عطشان» فلمّا وصل أبو ذر إلى رسول اللهﷺ رأى عنده ماءً فقال له: «يا أبا ذر معك ماءٌ وأنت عطشان؟» فقال: نعم يا رسولَ الله بأبي أنت وأمي انتهيتُ إلى صخرةٍ عليها ماء السماء فذقتُه فإذا هو عذبٌ بارد فقلتُ: لا أشربهُ حتى يشربَ منهُ رسول اللهﷺ. فقالﷺ: يا أبا ذر رحمك الله، تعيش وحدك، وتموت وحدك، وتُبعث وحدك، وتدخلُ الجنّة وحدك، يسعَد بك قومٌ من أهل العراق يتولّوْنَ غُسلَك وتجهيزكَ والصلاة عليك ودفنَك».

٨٣١٧ ـ روي عن الإمام زين العابدينﷺ أنّه قال: «إذا صار أهلُ الجنّة في الجنّة، ودخل وليّ الله إلى ساكنه فيها، واتكأ كلُّ مؤمنٍ على أريكته، حفّته خُدّامُه، وتهدّلت عليه الأثمار، وتفجرت حوله العيون، وجرت من تحته الأنهار، وبُسِطتْ له الزرابيّ ـ أي الفرشُ

الفاخرة ـ، ووُضعت له النمارق ـ أيّ الوسائد الراقية ـ، وأتته الخُدّام بما شاء هواه من قبل أن يسألهم ذلك، وتخرج عليه الحورُ العين فيمكثون بذلك ما شاء الله. ثم إنّ الجبّار يُشرف عليهم فيقول لهم: «أوليائي وأهلَ طاعتي وسكّان جنّتي في جواري ألا هل أنبّئكم بخيرٍ ممّا أنتم فيه؟» فيقولون: ربّنا وأيُّ شيء خير مِمّا نحن فيه ممّا اشتهتْ أنفسنا ولذّت أعينُنا من النعم في جوار الكريم؟ فيعيد عليهم القول فيقولون: ربّنا نعم فأتِنا بخيرٍ مِمّا نحن فيه، فيقول تبارك وتعالى لهم: «رِضايَ عنكم ومحبّتي لكم خير وأعظمُ مِمّا أنتم فيه»، فيقولون: نعم ربّنا رِضاك عنّا ومحبّتك لنا خيرٌ وأطيبُ لأنفسنا. ثم قرأ﴿ع﴾ قولَه تعالى في سورة التوبة: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٧٢)﴾.

٨٣١٨ ـ روى الشيخ الكليني(قدس سرّه) في «الكافي» بسنده عن أبي حمزة الثمالي عن الإمام الباقر﴿ع﴾ أنه قال: «قال رسول الله﴿ص﴾ في حجّة الوداع: «ألا إنّ الروحَ الأمين نفث في روعي أنّه لا تموتُ نفس حتى تستكملَ رزقها فاتّقوا الله وأجمِلوا في الطلب. ولا يحملنّكم استبطاءُ شيءٍ من الرزق أنْ تطلُبوه بشيءٍ من معصية الله فإنّ الله قسّم الأرزاقَ بين خلقه حلالاً ولم يقسّمها حراماً، فمن اتقى الله وصبر أتاهُ رزقُه من حِلّه، ومن هتك حجابَ ستر الله عزّ وجل وأخذه من غيرِ حلّه قصّ به من رزقه الحلال وحوسب عليه».

٨٣١٩ ـ وردت روايات كثيرة من طرق الشيعة وأهل السنّة على أنّ المرادَ بالشاهد في قوله تعالى في سورة هود، الآية (١٧): ﴿أَفَمَن كَانَ

عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ هو عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

فمن طرق الشيعة ما رواه الشيخ الكليني في «الكافي» بسنده عن أحمد بن عمر الخلال قال: سألتُ أبا الحسن ـ الرضا ـ عليه السلام عن قول الله عزّ وجل: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾[1] فقال: «أمير المؤمنين عليه السلام هو الشاهد من رسول الله صلى الله عليه وآله ورسولُ الله على بيّنةٍ من ربّه»، وما رواه الشيخ الطوسي في «الأمالي» بسنده عن عبد الرحمن بن كثير عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جدّه علي بن الحسين عن الحسن عليهما السلام في خطبةٍ طويلةٍ خطبها بمحضرٍ من معاوية قال فيها: «فأدّتِ الأمور وأفضتِ الدهور إلى أنْ بعث الله محمّداً صلى الله عليه وآله للنبوّة واختاره للرسالة، وأنزل عليه كتابَه، ثم أمره بالدعاء إلى الله عزّ وجل فكان أبي أوّل مَن استجاب لله عزّ وجل ولرسوله، وأوّلَ مَن آمن وصدّق الله ورسوله، وقد قال الله عزّ وجل في كتابه المنزل على نبيّه المرسل: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ فرسول الله صلى الله عليه وآله الذي على بيّنةٍ من ربّه، وأبي عليه السلام الذي يتلوه وهو شاهدٌ منه».

ومن طرق أهلِ السُّنّة ما رواه في «الدرّ المنثور» بسنده عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: «ما مِن رجلٍ من قريش إلا ونزل فيه طائفة من القرآن، فقال له رجل: ما نزل فيك؟ فقال: «أما تقرأ في سورة هود: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ رسول الله صلى الله عليه وآله على بيّنةٍ من ربّه وأنا شاهدٌ منه»، وفي تفسير الثعلبي بسنده عن الشعبي عن علي بن أبي طالب عليه السلام مثلهُ، وفيه أيضاً بسنده عن ابن عباس رضي الله عنه قال: «وَيَتْلُوهُ شاهِدٌ مِنْهُ» عليّ خاصة. وفي تفسيره البرهان عن ابن

(١) سورة هود آية: (١٧).

المغازلي بسنده عن عبّاد بن عبد الله عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: «رسول الله صلى الله عليه وآله على بيّنةٍ من ربّه وأنا شاهد منهُ».

ومن هنا يظهر لك تهافتُ ما قالهُ صاحب المنار في تفسير هذه الآية عند ذكر الأقوال في معنى الشاهد: «ومنها: إنّه عليٌّ رضي الله عنه ترويه الشيعة ويفسّرونه بالإمامة» وقد عرَفتَ أنّ الروايات التي تنصّ على أنّه عليٌّ عليه السلام قد جاءت من طرق الفريقيْن على السواء، ولكنّ التعصّبَ الأعمى يسدّ على صاحبه منافذ تفكيره، ويورده موارد الضلالة من حيثُ يشعر أو لا يشعر ﴿وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾[1].

٨٣٢٠ ـ روى البخاري في صحيحه وأحمد في مسنده عن عائشة أنّها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وآله مضطجعاً في بيتي كاشفاً فَخِذَيْه أو ساقيْه، فإستأذن أبو بكر فأذن له وهو على تلك الحال فتحدّث، ثم استأذن عمر فأذن له وهو كذلك فتحدّث، ثم استأذنَ عثمان فجلس رسول الله صلى الله عليه وآله وسوّى ثيابه...

فلمّا خرج قالت عائشة: دخل أبو بكر فلم تهتشّ له ولم تُبالِه، ثم دخل عمر فلم تهتشّ له ولم تبالِه، ثم دخل عثمانُ فجلستَ وسوّيتَ ثيابكَ؟ فقال صلى الله عليه وآله: «ألا أستحي من رجلٍ تستحي منه الملائكة».

والغريب أنّهم ينسبون إلى النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه كان قد كشف فَخِذَيْه مع أنّ البخاري وأحمد نفسيهما قد رويا عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: «الفَخِذ عورة»!!.

٨٣٢١ ـ روى الطبري في تفسيره حديثَ الدار حينَ أمر الله تعالى

---

(١) سورة الرعد، الآية (٣٣).

نبيّهﷺ بإنذار عشيرته الأقربين، فلمّا جمعهم خطب فيهم ثم قال: «فأيّكم يؤازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي وكذا وكذا» فلمّا حجم القوم عن الجواب ولم يقم إلا عليّ عليه السلام قائلاً لرسول اللهﷺ: «أنا يا نبيّ الله» فقالﷺ: «إنّ هذا أخي وكذا وكذا فاسمعوا له وأطيعوا» فلماذا لم يُكمِلْ كلامَ رسول الله في مثل هذا المقام الكريم؟!.

ومن المعلوم أنّ النبيّﷺ قال للقوم: «فأيّكم يؤازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووزيري ووصيّي وخليفتي فيكم من بعدي» ثم قال مشيراً إلى عليّ عليه السلام: «إنّ هذا أخي ووزيري ووصيّي وخليفتي فيكم من بعدي فاسمعوا له وأطيعوا». فلماذا حُذفت هذه الكلمات النبويّة في حقّ أمير المؤمنين عليه السلام واستُبدل مكانها: كذا وكذا؟! ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾(١).

٨٣٢٢ ـ روي عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه سُئل عن معنى قوله تعالى في سورة يوسف، الآية (١٠٦): ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ۝١٠٦﴾ فقال عليه السلام: «إنه شركُ طاعة وليس شِركَ عبادة، والمعاصي التي يرتكبونها فهي شرك طاعة أطاعوا فيها الشيطان، فأشركوا بالله الطاعةَ لغيره، وليس بشرك عبادة بأن يعبُدوا غير الله»، وسئل الإمام الصادق عليه السلام عن معنى الآية فقال: «هو الرجل يقول: لولا فلان لهلكت، ولولا فلان لأصبتُ كذا وكذا.. ألا ترى أنّه جعل لله شريكاً في ملكه يرزقه ويدفع عنه؟» فقالوا له: لو قال الرجل: لولا أنْ منّ الله عليّ بفلان لهلكت قال عليه السلام: «نعم لا بأس بهذا»، وسئل الإمام الرضا عليه السلام عن معنى الآية فقال: «شركٌ لا يبلغ به الكفر».

(١) سورة ص، الآية (٥).

٨٣٢٣ ـ روى الصدوق في «عيون أخبار الرضا» بسنده عن علي ابن محمد بن الجهم قال: حضرتُ مجلسَ المأمون وعنده الرضا عليُّ ابنُ موسى عليه السلام فقال له المأمون: يا ابن رسول الله أليس من قولك إنّ الأنبياء معصومون؟ قال: «بلى» فذكر المأمون له بعض الآيات التي قد تدلّ بظاهرها على عدم العِصمة، فأجاب الإمام عليه السلام عن معنى تلك الآيات الكريمة بما يتّفق مع القول بعصمة الأنبياء عليهم السلام، إلى أن قال المأمون: فأخبرني عن قول الله تعالى في سورة يوسف، الآية (١١٠): ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا﴾ فقال الإمام الرضا عليه السلام: «يقول الله: حتى إذا استيأس الرسل من قومهم فظنّ قومُهم أنّ الرسل قد كَذِبوا جاء الرسلَ نصرُنا».

وجاء في كتاب «الدرّ المنثور» بسنده عن أبي حمزة الجزري قال: صنعتُ طعاماً فدعوتُ ناساً من أصحابنا، منهم سعيدُ بنُ جُبَيْر والضحّاك بن مزاحم، فسأل فتًى من قريش سعيدَ بنَ جبير فقال له: يا أبا عبد الله كيف تقرأ هذا الحرف؟ فإني إذا أتيتُ عليه تمنّيتُ أنّي لم أقرأ هذه السورة: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ﴾ قال سعيد: نعم حتّى إذا استيأس الرُّسُلُ من قومهم أنْ يصدّقوهم، وظنّ المرسَلُ إليهم أنّ الرسلَ قد كَذِبُوا» فقال الضحّاك بنُ مزاحم: لو رحلتُ في هذه إلى اليمن لكان قليلاً.

٨٣٢٤ ـ روى الكليني في «الكافي» بسنده عن عمر بن يزيد قال: سألتُ أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزّ وجل في سورة الرعد، الآية (٢١): ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ قال عليه السلام: «نزلت في رحِم آل محمّد، وقد يكون في قرابتك» ثم قال: «ولا تكونَنّ مِمّن

يقول في الشيء إنّه في شيءٍ واحد» وروى العياشي في تفسيره بسنده عن عمر بن مريم قال: سألتُ أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله: ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ فقال عليه السلام: «مِن ذلك صلة الرحم، وغايةُ تأويلها صِلتُك إيّانا».

٨٣٢٥ ـ روي عن أبي سعيد الخُدري أنّه قال: سألتُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله عن قول الله جلّ ثناؤه في سورة النمل: ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ قال صلى الله عليه وآله: «ذاك وصيُّ أخي سليمان بنِ داود» فقلتُ له: يا رسول الله فقول الله في سورة الرعد، الآية (٤٣): ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَـٰبِ﴾؟ قال صلى الله عليه وآله: «ذاك وصيّ عليُّ بنُ أبي طالب».

٨٣٢٦ ـ جاء في كتاب «الدرّ المنثور» قوله: أخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني في «الأوسط» وابن مردويه والحاكم وصحّحه من طرق عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام في قوله تعالى في سورة إبراهيم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٢٩﴾﴾ قال عليه السلام: «هما الأفجرانِ من قريش بنو أميّة وبنو المغيرة، فأمّا بنو المغيرة فقطع الله دابرَهم يوم بدر، وأمّا بنو أميّة فمُتّعوا إلى حين».

وجاء فيه أيضاً قوله: أخرج البخاري وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه عن عمر بن الخطّاب في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾﴾ قال: «هما الأفجران من قريش بنو المغيرة وبنو أميّة، فأمّا بنو المغيرة فكُفيتُموهم يوم بدر، وأمّا بنو أميّة فمُتّعوا إلى حين».

٨٣٢٧ ـ روى الشيخ المفيد في «الاختصاص» بسنده عن أبي بكر بن محمد الحضري عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «ما من مخلوقٍ إلا وبين عينيه مكتوب مؤمن أو كافر وذلك محجوبٌ عنكم وليس بمحجوبٍ عن الأئمة من آل محمّد، ثم ليس يدخل عليهم أحد إلا عرفوه مؤمناً أو كافراً» ثم تلا هذه الآية من سورة الحجر: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾﴾ فهم المتوسّمون.

٨٣٢٨ ـ ذكر العياشي في تفسيره بسنده عن عبد الله بن الوليد قال: قال أبو عبد الله الصادق عليه السلام: «قال الله عن موسى عليه السلام: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾[1] فعلمنا أنه لم يكتب لموسى الشيءَ كلّه، وقال الله عن عيسى عليه السلام ﴿وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾[2]، وقال الله عن محمّد صلى الله عليه وآله: ﴿وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾[3]».

٨٣٢٩ ـ قال الشاعر في مدح أهل البيت عليهم السلام:

همُ السفينةُ فاز الراكبون بها ... ومَن تخلّف عنها صار في تيهِ
وآيةُ الرجس والتطهيرِ نازلةٌ ... في حقّهمْ ماتلا القرآنَ تاليهِ
البيتُ بيتهُمْ والجدُّ جدُّهُمُ ... وصاحبُ البيتِ أدرى بالّذي فيهِ

٨٣٣٠ ـ روي عن الإمام الحسن السبط عليه السلام أنه قال: «والله لقد عهِد إلينا رسولُ الله صلى الله عليه وآله أنّ هذا الأمر يملكه اثنا عشر إماماً، ما منّا إلا مسموم أو مقتول».

---

(١) سورة الأعراف آية: (١٤٥).

(٢) سورة الزخرف آية: (٦٣).

(٣) سورة النحل آية: (٨٩).

٨٣٣١ ـ القضاء هو فصلُ الأمر وإبرامُه، ويكون بالفعل كما يكون بالقول. وكلٌّ منهما يكون إلهيّاً ويكون بشريّاً.

فالقضاءُ الإلهيّ بالفعل كقوله تعالى في سورة فصلت، آية(١٢): ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾، والقضاءُ الإلهيّ بالقولِ كقوله تعالى في سورة الإسراء، الآية (٢٣): ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ أي أمر بذلك.

أمّا القضاء البشري بالفعل فكقوله تعالى في سورة البقرة، الآية(٢٠٠): ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ﴾، وأمّا القضاءُ البشري بالقول فكقولك: قضى الحاكمُ بكذا أي حكم وأمر بكذا.

٨٣٣٢ ـ روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «إنّ الله إذا أراد شيئاً قدّره، فإذا قدّره قضاه، فإذا قضاه أمضاه». وروي عن الإمام الكاظم عليه السلام أنه قال: «إنّ الله إذا شاء شيئاً أراده، وإذا أراده قدّره، وإذا قدّره قضاه، وإذا قضاه أمضاه».

٨٣٣٣ ـ جاء في تفسير العياشي بسنده عن إسحاق بن عمّار عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «ما من طيرٍ يُصاد في برٍّ أو بحر، ولا شيء يُصاد من الوحش إلا بتضييعه التسبيح». وجاء فيه أيضاً بسنده عن مسعدة بن صدقة عنه عليه السلام عن أبيه الباقر عليه السلام أنه دخل عليه رجل فقال له: فداك أبي وأمي إني أجد الله يقول في كتابه: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾[1] فقال عليه السلام له: «هو كما قال الله تبارك وتعالى» فقال الرجل: أتسبّح الشجرة اليابسة؟ فقال: «نعم».

---

(١) سورة الإسراء، الآية (٤٤).

٨٣٣٤ ـ كلمة «الجهل» في اللّغة العربيّة قد تأتي في مقابل «العلم» وهو الأكثر شيوعاً وإستعمالاً في الكلام، وقد تأتي في مقابل «الحلم» ومن هذا الباب قول الشاعر العربي عمرو بن كلثوم:

ألا لا يجهلَنْ أحدٌ علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

٨٣٣٥ ـ لقد قُتل أولاد عدي بن حاتم الطائي الثلاثة مع أمير المؤمنين عليه السلام في صفّين، فلمّا دخل عدي على معاوية بعد مقتل أمير المؤمنين عليه السلام قال له معاوية: ما أنصفك عليّ حيث قتل أولادَك وأبقى أولادَه، فأجابه عدي(رضوان الله عليه): «بل ما أنصفتُ عليّاً حيثُ قُتل هو وبقيت أنا حيّاً».

٨٣٣٦ ـ روى الشيخ الكليني في «الكافي» بسنده عن أبي هاشم قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «إنّما خلّد أهل النار في النار لأنّ نيّاتِهم كانت في الدنيا أنْ لو خلّدوا فيها أن يعصوا الله أبداً، وإنّما خلُد أهلُ الجنّة في الجنّة لأنّ نيّاتِهم كانت في الدنيا أن لو بَقُوا فيها أن يطيعوا الله أبدا. فبالنيّات خلُد هؤلاء وهؤلاء، ثم تلا قوله تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾[1] أي على نيّته».

٨٣٣٧ ـ يُحتمل في قوله تعالى في سورة الإسراء، الآية(١١٠): ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾ معنيان: أوّلهما: إنّ المصلي يجب عليه أنْ يلتزمَ طريقَ الإعتدال في الجهر والإخفات ـ أو الخفت على ما هو الصحيح ـ فلا يبالغ فيهما، فمن رفع صوتَه عالياً جدّاً في الصلاة أو أخفى صوتَه إلى حدّ لا يسمعه هو فقد جانب طريقَ الإعتدال.

---

(١) سورة الإسراء، الآية (٨٤).

ثانيهما: أنّ المرادَ من الآية: «لا تجهز بصلواتك كلّها ولا تخافت بها كلّها، بل أجهر في بعضها وهي الصبح والمغرب والعشاء، وخافِتْ في البعض الآخر وهي الظهر والعصر، والمعنى الأول هو الأظهر والأشهر.

٨٣٣٨ ـ روي الشيخ الكليني في «الكافي» بسنده عن عليّ بن محمّد قال: سُئل أبو عبد الله عليه السلام عن الشخص الذي بجبهته عِلّة لا يقدَر على السجود عليها؟ قال عليه السلام: «يضع ذقنه على الأرض، إنّ الله عزّ وجل يقول: ﴿يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾[1].

٨٣٣٩ ـ جاء في «الدرّ المنثور» بسنده عن ابن عباس رضي الله عنه قال: صلّى رسول الله صلى الله عليه وآله بمكة ذات يوم فدعا الله فقال في دعائه: «يا الله يا رحمٰن» فقال المشركون: انظروا إلى هذا الصابئ ينهانا أن ندعوَ إلٰهيْن وهو يدعو إلٰهين، فأنزل الله: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾[2].

٨٣٤٠ ـ اختلف المفسرون في «إسماعيل» المذكور في قوله تعالى في سورة مريم: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥٤﴾﴾ هل هو إسماعيل بنُ إبراهيم الخليل عليه السلام، أم هو إسماعيل بنُ حزقيل أحد أنبياء بني إسرائيل؟ فقال الجُمهور إنّه ابن إبراهيم عليه السلام، وورد عن أهل البيت عليهم السلام إنّه من أنبياء بني إسرائيل، فقد روي الصدوق في «علل الشرائع» بسنده عن ابن أبي عمير ومحمّد ابن سنان عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «أنّ إسماعيل الذي قال الله

(١) سورة الإسراء، الآية (١٠٧).

(٢) سورة الإسراء، الآية (١١٠).

عزّ وجلّ في كتابه: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ لم يكن إسماعيل بن إبراهيم بل كان نبيّاً من الأنبياء بعثه الله عزّ وجلّ إلى قومه فأخذوه وسلخوا فروة رأسه ووجهه، فأتاه ملَك فقال: أنّ الله جلّ جلالهُ بعثني إليك فأمُرني بما شئت، فقال: «لي اسوة بما يُصنع بالأنبياء عليهم السلام».

وروى أيضاً في «عيون أخبار الرضا» بسنده عن سليمان الجعفري عن أبي الحسن الرضا عليه السلام أنّه قال: «أتدري لِمَ سُميّ إسماعيلُ صادقَ الوعد»؟

قال: لا أدري، قال عليه السلام: «وعد رجلاً فجلس له زمناً ينتظرهُ». وهذه هي أخلاق الأنبياء وإحترامهم للوعد، فقد روي انّ النبيّ صلى الله عليه وآله وعد بعضَ أصحابه بمكة أن ينتظره عند الكعبة حتى يرجعَ إليه، فمضى الرجل لشأنه ونسي ما كان بينه وبين النبيّ، فبقيَ صلى الله عليه وآله ثلاثة أيام عند الكعبة ينتظره، فعلِم بعض أصحابه صلى الله عليه وآله بذلك فاخبروا الرجل فجاء إليه معتذراً وأخبره بأنّه نسي الموعد الذي بينه وبينه.

٨٣٤١ ـ روي الصدوق في «التوحيد» بسنده عن عمرو بن جابر قال: قلتُ لأبي جعفر محمّدِ بن علي الباقر عليه السلام: يا ابنَ رسول الله إنّا نرى الأطفال منهم مَن يولد ميّتاً، ومنهم مَن يسقط غيرَ تام، ومنهم مَن يولد أعمى، وأخرس وأصم، ومنهم مَن يموت من ساعته إذا سقط إلى الأرض، ومنهم من يبقى إلى الإحتلام، ومنهم مَن يعمّر حتى يصيرَ شيخاً، فكيف ذلك وما وجهه؟ فقال عليه السلام: «أنّ الله تبارك وتعالى أولى بما يدبّره من أمر خلقه منهم، وهو الخالق والمالك لهم، فمن منعه التعمير فإنما منعه ما ليس له، ومن عمّره فإنما أعطاه ما ليس له، فهو

المتفضّلُ بما أعطى، والعادلُ فيما منع، ولا يُسأل عمّا يفعل وهم يُسألون».

قلت: يا ابن رسول الله وكيف لا يُسأل عمّا يفعل؟ قال: «لأنّه لا يفعل إلا ما كان حكمةً وصواباً، وهو المتكبّرُ الجبّار والواحدُ القهّار، فمَن وجد في نفسه حرَجاً في شيءٍ ممّا قضى كفر، ومَن انكر شيئاً من أفعاله جحد».

٨٣٤٢ ـ روي الصدوق في «العيون» بسنده عن الحسين بن خالد عن الإمام الرضا عليه السلام عن آبائه عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «مَن لم يُؤمنْ بحوضي فلا أورده الله حوضي، ومَن لم يُؤمن بشفاعتي فلا أناله الله شفاعتي، إنّما شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي، فأمّا المحسنون فما عليهم من سبيل».

قال الحسين بن خالد: فقلتُ للرضا عليه السلام: يا ابن رسول الله فما معنى قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾[1] قال عليه السلام: «لا يشفعون إلا لمن إرتضى الله دينَه».

٨٣٤٣ ـ قال الإمام الصادق عليه السلام: «لا يكون المؤمنُ مؤمناً حتى يكون خائفاً راجياً، ولا يكون خائفاً راجياً حتى يكون عاملاً بما يخاف ويرجو».

٨٣٤٤ ـ كلمة «النَفس» تُطلق في اللغة العربيّة وفي القرآن الكريم على معانٍ متعدّدة.

منها: إطلاقُها على ذات الشيء سواء كان إنساناً أو غير إنسان،

---

(١) سورة الأنبياء، الآية (٢٨).

فقولك: جاء زيدٌ نفسُه أي جاء بذاته وليس برسوله أو بصاحبه، وقولك: قرأتُ الكتابَ نفسَه أي ذاتَه، وقولك: رميتُه بالحجرِ نفسِه أي ذاته. وعلى هذا المعنى يُحمل قولُه تعالى في سورة الأنعام، الآية(٥٤): ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ أي على ذاته، وقولُه في سورة آل عمران، الآية (٢٨): ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ أي ذاتَه.

ومنها: اطلاقُها على الإنسان خاصة المكوّنِ من روح وبدن كقوله تعالى في سورة الأعراف، الآية (١٨٩): ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ أي من شخصٍ إنسانيّ واحد، وقوله تعالى في سورة المائدة، الآية (٣٢): ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ أي من قتل إنساناً بغير إنسان، وقوله في سورة الأنبياء، الآية (٣٥): ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ أيّ كلّ إنسان يموت. وقد إستعملها القرآن في كلا المعنيَيْنِ في قوله تعالى في سورة النحل، آية:(١١١): ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا﴾ أي يوم يأتي كلُّ إنسانٍ يجادل عن ذاته، فالنفس الأولى بالمعنى الثاني، والنفس الثانية بالمعنى الأول.

ومنها: إطلاقُها على روح الإنسان فحسب كقولِهِ تعالى في سورة الفجر: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾﴾، وقوله في سورة الشمس: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴿١٠﴾﴾.

٨٣٤٥ ـ روي الطبرسي في «مجمع البيان» عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «إنّ أمير المؤمنين عليه السلام مرض فعاده أصحابُه فقالوا: كيف نجدك يا أمير المؤمنين؟ قال عليه السلام: «بشر» فقالوا: ما هذا كلامُ مثلك،

قال عليه السلام: إنّ الله تعالى يقول: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾[1] فالخير: الصحة والغنى، والشر: المرض والفقر».

٨٣٤٦ ـ روي عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلتُ يا رسولُ الله كم النبيّون؟ قال صلى الله عليه وآله: «مائة وأربعة وعشرون ألف نبيّ»، قلتُ: كم المرسلون منهم؟ قال: «ثلاثمائة وثلاثة عشر»، قلتُ: من كان أوّل الأنبياء؟ قال: «آدم»، قلتُ: وكان من الأنبياء مرسَلاً؟ قال: «نعم خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه». ثم قال صلى الله عليه وآله: «يا أبا ذر أربعة من الأنبياء سريانيون وهم: آدم وشيث وأخنوخ وهو إدريس ـ وهو أوّل مَن خطّ بالقلم ـ ونوح، وأربعة من العرب وهم: هود وصالح وشعيب ونبيّك محمد صلى الله عليه وآله، وأوّل نبيّ من بني إسرائيل موسى وآخرهم عيسى وبينهما ستمائة نبيّ». قلتُ: يا رسول الله كم أنزل الله تعالى من كتاب؟ قال صلى الله عليه وآله: «مائة وأربعة كتب، أنزل الله على شيث خمسين صحيفة، وعلى إدريس ثلاثين صحيفة، وعلى إبراهيم عشرين صحيفة، وأنزل التوراة والإنجيلَ والزبورَ والقرآن».

٨٣٤٧ ـ المشهور في الفرق بين النبيّ والرسول أنّ النبيَّ هو الذي يُبعث بالنبوّة وإن لم يؤمر بالتبليغ، والرسول هو الذي يُبعث بالنبوّة ويُؤمر بالتبليغ. وقيل: إنّ النبيّ هو الذي يبعث بتبليغ شريعة من قبله، والرسول هو الذي يبعث بشريعةٍ جديدة. ولكنّ الذي يظهر من روايات أهل البيت عليهم السلام أنّ النبيّ هو الذي يرى في المنام ويسمع الصوت ولا يعاين الملَك، والرسول هو الذي يرى في المنام ويسمع الصوت ويعاين الملك. فقد روى الشيخ الكليني في «الكافي» بسنده عن زرارة عن أعين عن أبي

---

(١) سورة الأنبياء آية: (٣٥)

جعفر الباقر عليه السلام أنه قال: «النبيّ الذي يرى في منامه ويسمع الصوت ولا يعاين الملَك، والرسول الذي يرى في منامه ويسمع الصوت ويعاين الملَك».

٨٣٤٨ ـ روى القمي في تفسيره بسنده عن أبي الجارود عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال في تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ﴾[(١)] أي لا تطيعوا أهلَ الفسق من الملوك، فإن خفتموهم أن يفتنوكم عن دينكم فإنّ أرضي واسعة، وهو تعالى يقول: ﴿فِيمَ كُنتُمۡۖ قَالُواْ كُنَّا مُسۡتَضۡعَفِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ فقال: ﴿أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٗ فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ﴾[(٢)]. وروى الطبرسي في تفسيره عن الإمام الصادق عليه السلام في تفسير الآية الكريمة: «معناها إذا عُصي الله في أرضٍ أنت بها فاخرجْ منها إلى غيرها».

٨٣٤٩ ـ روى الكليني في «الكافي» بسنده عن محمد بنِ مسلم عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: «الغناءُ مِمّا أوعد الله عليه النار» وتلا هذه الآية من سورة لقمان: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ٦﴾.

٨٣٥٠ ـ روى القمي في تفسيره بسنده عن الحسين بنِ خالد قال: قلتُ لأبي الحسن الرضا عليه السلام: أخبرني عن قول الله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡحُبُكِ ٧﴾[(٣)] فقال عليه السلام: «هي محبوكةٌ إلى الأرض» وشبّك بين أصابعه، فقلتُ: كيف تكون محبوكةً إلى الأرض والله يقول: ﴿رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ﴾[(٤)]؟ فقال عليه السلام: «سبحان الله أليس

(١) سورة العنكبوت، الآية (٥٦).
(٢) سورة النساء، الآية (٩٧).
(٣) سورة الذاريات، الآية (٧).
(٤) سورة الرعد، الآية (٢).

يقول: ﴿بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ﴾؟ فقلتُ: بلَى، فقال عليه السلام: «فثَمَّ عَمَد ولكن لا ترونها».

وهناك معنًى آخر لكلمة «الحُبُك» وهو الزينة، أي: أقسم بالسماء المزيّنة بالنجوم والكواكب كما قال تعالى في سورة الصافات: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِزِينَةٍ ٱلۡكَوَاكِبِ ۝٦﴾، وقال في سورة الملك، الآية (٥): ﴿وَلَقَدۡ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾ وقد روي عن أمير المؤمنين عليه السلام في معنى الحُبُك أنّه حسنُها وزينُها.

وهناك معنًى ثالث لكلمة «الحُبُك» وهو الإحكام والاستواء، أي أقسم بالسماء المحكمة والمستوية كقوله تعالى في سورة الذاريات: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ۝٤٧﴾ وقوله في سورة الملك: ﴿فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ۝٣ ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ خَاسِئٗا وَهُوَ حَسِيرٞ ۝٤﴾، وقوله في سورة النبأ: ﴿وَبَنَيۡنَا فَوۡقَكُمۡ سَبۡعٗا شِدَادٗا ۝١٢﴾.

وهناك معنًى رابع لكلمة «الحُبُك» وهو الطرائق، أي أقسم بالسماء ذات الطرائق، كقوله تعالى في سورة المؤمنون، الآية (١٧): ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا فَوۡقَكُمۡ سَبۡعَ طَرَآئِقَ﴾. وهذه الكلمة من كلمات القرآن الجامعة التي تشير إلى كل هذه المعاني والله أعلم.

٨٣٥١ ـ روي: إنّ الحسينَ بنَ عليّ عليه السلام مرّ على عبد الرحمن ابن عمرو بن العاص وهو جالسٌ مع جماعةٍ من الناس فقال عبد الرحمن لأصحابه: مَن أحبّ أن ينظر إلى أحبّ أهل الأرض إلى أهل السماء فلينظرُ إلى هذا ـ وأشار إلى الحسين عليه السلام ـ وما كلمتُه منذ ليالي صفّين. وكان من جملة الحاضرين مع عبد الرحمن أبو سعيد الخُدري فأتى به إلى الحسين عليه السلام ليسترضيه، فقال له عليه السلام: «أتعلم أنّي أحبُّ

أهل الأرض إلى أهل السماء وتقاتلني وأبي يوم صفين؟ والله إنّ أبي لخيرٌ منّي»، فقال عبد الرحمن: إنّ النبيّ ﷺ قال لي يوماً: «أطع أباك» وإنّي أطعتُ أبي في قتالكم. فقال له الحسين عليه السلام: «أما سمعتَ قولَ الله عزّ وجل: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾[1] وقولَ رسول الله ﷺ: «إنما الطاعة بالمعروف» وقوله: «لا طاعةَ لمخلوقٍ في معصية الخالق» فكيف تعصي الله وتطيعُ أباك؟!».

٨٣٥٢ ـ لقد نُسب التوفي ـ بمعنى الموت ـ في القرآن الكريم مرّةً إلى الله سبحانه كما في قوله تعالى في سورة الزمر، الآية (٤٢): ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾، ومرّةً إلى ملك الموت كما في قوله تعالى في سورة السجدة، الآية (١١): ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾، ومرّةً إلى الملائكة أو الرسل من الملائكة كما في قوله تعالى في سورة النحل، الآية (٢٨): ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ وقوله في سورة الأنعام، الآية (٦١): ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾، وذلك لبيان مراتب الأسباب، فالله سبحانه بما أنّه هو الآمر الأوّل والسببُ الأعلى وهو مسبّبُ الأسباب فنُسب التوفي إليه في الآية الأولى، وملكُ الموت بما أنّه هو الموكّل من قِبَل الله تعالى في قبض الأرواح فنُسب التوفي إليه في الآية الثانية، والملائكة الذين جعلهم الله أعواناً لمَلك الموت بما أنّهم هم الذين يباشرون عمليّة قبض الأرواح بأمره وبأمر الله عزّ وجل فنُسب التوفيّ إليهم في الآيتينِ الثالثة والرابعة.

---

(١) سورة لقمان، الآية (١٥).

٨٣٥٣ ـ قال الشاعر:

وإذا ما خلا الجبانُ بأرضٍ طلَبَ السيفَ وحدَه والنزالا

٨٣٥٤ ـ روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «تزوّج رسول الله صلى الله عليه وآله بخمس عشرةَ امرأة، ودخل بثلاث عشرةَ امرأة منهن، وقُبض عن تسع. فأمّا اللتان لم يدخل بهما فعمرة وسقا، وأمّا الثلاث عشرة اللاتي دخل بهنّ فأولهنّ خديجة بنت خويلد، ثم سودة بنت زمعة، ثم أم سلمة واسمها هند بنت أبي أميّة، ثم عائشة بنت أبي بكر، ثم حفصة بنت عمر، ثم زينب خزيمة بن الحارث، ثم زينب بنت جحش، ثم أم حبيب رملة بنت أبي سفيان، ثم ميمونة بنت الحارث، ثم زينب بنت عميس، ثم جويرية بنت الحارث، ثم صفيّة بنت حيي بن أخطب. والتي وهبت نفسَها للنبيّ صلى الله عليه وآله خولة بنت حكيم السلمي. وأمّا التسع اللاتي قُبض عنهنّ فهنّ عائشة، وحفصة، وأم سلمة، وزينب بنت جحش، وميمونة بنت الحارث، وأم حبيب بنت أبي سفيان، وجويرية، وسودة، وصفيّة. وأفضلُهنّ خديجة ثم أم سلمة ثم ميمونة».

٨٣٥٥ ـ روى القمي في تفسيره عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال في تفسير هذه الآية من سورة الأحزاب، الآية (٣٣): ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾: «أي ستكون جاهليّة أخرى. وهو استنتاج قيّم من الآية الكريمة فقد عادت بعد فجر الإسلام جاهليات أخرى كما قال الشاعر:

«والناس عادت إليهم جاهليتهم»

حتى رأينا بأعيننا جاهليّة القرن العشرين.

٨٣٥٦ ـ لأزواج النبي صلى الله عليه وآله فضل شامخ وشرف باذخ، وكذلك

لأصحابه ﷺ مثل ذلك الفضلِ والشرف، ولكنّ القرآنَ الكريم خصّ المؤمنين الذين صدقوا فيما عاهدوا الله عليه واتّقوْه وأخلصوا لرسوله وعملوا الصالحات بالأجر العظيم والمنزلة العالية في جنّات النعيم.

يقول الله سبحانه في سورة الأحزاب بالنسبة إلى أزواج النبي ﷺ: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾[1]، ويقول أيضاً: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[2].

ويقول عزّ وجل في سورة الفتح، الآية (١٠)، بالنسبة إلى أصحاب النبيّ ﷺ: ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾، ويقول في نفس السورة، الآية (٢٩): ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا﴾. هذا هو حالهم وهذا هو ظاهرهم، أمّا حسابُهم عند الله ومنزلتُهم لديه ودرجتُهم في الجنّة فلا تُدرك بظاهر الحال وإنّما تُدرك بصدق الإيمان وصالح الأعمال، ولذلك ختم الله الآيةَ الكريمة بقوله: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾.

أمّا أهل بيت النبيّ ﷺ فقد قال الله عنهم في سورة الأحزاب بغير قيدٍ ولا استثناء: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[3].

---

(١) سورة الأحزاب آية: (٣٠-٣١).

(٢) سورة الأحزاب آية: (٢٩).

(٣) سورة الأحزاب آية: (٣٣).

٨٣٥٧ ـ روى الطبرسي في «مجمع البيان» عن مقاتل بن حيّان قال: لمّا رجعت أسماء بنت عميس من الحبشة مع زوجها جعفر بن أبي طالب﵁ دخلت على نساء النبيﷺ فقالت: هل نزل فينا شيء من القرآن؟ قلن: لا، فأتت رسولَ اللهﷺ فقالت: يا رسول الله إنّ النساءَ لفي خيبةٍ وخسار، فقالﷺ: «ومِمَّ ذلك؟»، قالت: لأنهنّ لا يُذكرْن بخيرٍ كما يذكر الرجال، فأنزل الله تعالى هذه الآية من سورة الأحزاب: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾.

وفي بعض الروايات أنّ التي سألت رسولَ اللهﷺ عن ذلك هي زوجتُه أم سلمة(رضي الله عنها).

٨٣٥٨ ـ روى القمي في تفسيره: إنّ رجلاً ذكر الأغنياء عند أبي عبد الله الصادق﵇ ووقع فيهم فقال له﵇: «اسكتْ فإنّ الغنيَّ إذا كانَ وَصولاً لرحمه بارّاً بإخوانه أضعف الله له الأجرَ ضِعفيْن لأنّ الله يقول: ﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾﴾[1]».

٨٣٥٩ ـ روى الكليني في «الكافي» بسنده عن السكوني عن أبي عبد الله﵇ قال: قال رسول اللهﷺ: «مَنْ صدّق بالخُلْف جاد بالعطيّة»، وروى أيضاً بسنده عن سماعة عن أبي الحسن﵇ قال: قال رسول اللهﷺ: «مَن أيقن بالخُلْف سخت نفسُه بالنفقة».

---

(١) سورة سبأ، الآية (٣٧).

٨٣٦٠ ـ قال الله تعالى في سورة يس: ﴿لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ و «ما» في قوله: ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾ يُحتمل فيها وجهان:

الأوّل: إنّها نافية، والمعنى ـ على هذا ـ يكون: ليأكلوا من ثمره وهو من صنع الله وحده وما صنعته أيديهم أفلا يشكرون؟

الثاني: إنّها موصولة، والمعنى ـ على هذا ـ يكون: ليأكلوا من ثمره ومن الذي عملته أيديهم من هذا الثمر كالدِّبْس[1] والخَل والمربّى والعصير ونحوِ ذلك أفلا يشكرون؟

٨٣٦١ ـ قال الله تعالى في سورة البقرة، الآية (١١٧): ﴿وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾، وقال في سورة النحل: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾، وقال في سورة يس: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾. فهل يحتاج الأمر إلى قولٍ ولفظٍ منه تعالى أم إنّ إرادتَه للشيء هي فعلُه وإيجادُه دون حاجةٍ إلى قولٍ ولفظ؟ اختلف علماء الإسلام في ذلك، فأكثر علماء أهل السنّة على المعنى الأوّل قال بعض مفسريهم: «الظاهر أنّ هناك قولاً لفظيّاً هو لفظ «كنْ» وإليه ذهب معظم السلف». وأجمع علماء الشيعة على المعنى الثاني وبذلك وردت الروايات الصحيحة عن أهل بيت العصمة(صلوات الله عليهم)، قال أمير المؤمنين عليه السلام ـ كما في نهج البلاغة ـ: «يقول لما أراد كوْنَه كنْ فيكون، لا بصوتٍ يُقرع ولا نداءٍ يُسمع»، وقال زين العابدين عليه السلام ـ كما في الصحيفة السجّادية

---

(١) الدِّبِس ـ بكسر الباء ـ الذي يُتخذ من الثمرة والدِّبْس ـ بسكون الباء ـ الذي يُتخذ من العنب.

ـ: «وجرى بقدرتك القضاء، ومضت على إرادتك الأشياء، فهي بمشيّتك دون قولك مؤتمرة، وبإرادتك دون نهيك منزجرة».

٨٣٦٢ ـ كلّ ما ذُكر في كتب التفسير والحديث والتاريخ عن نبيّ الله أيّوب عليه السلام، وكلّ ما ورد من الروايات التي تدلّ على أنه عليه السلام بلغ به سوء الحال إلى حدّ استقذره الناس ورموا به خارج بلدهم فهو من الإسرائيليات التي دسّها أعداء الإسلام في كتبنا وتراثنا. والصحيح في ذلك ما ثبت عن أهل البيت عليهم السلام فقد صحّ عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: «إنّ أيوب عليه السلام ابتليَ لسبع سنين من غير ذنب، وإنّ الأنبياءَ لا يُذنبون لأنّهم معصومون مطّهرون ولا يَزيغون ولا يرتكبون ذنباً صغيراً ولا كبيراً، ثم قال عليه السلام: «إنّ أيّوب من جميع ما ابْتُليَ به لم تَنْتُنْ له رائحة، ولا قَبُحَتْ له صورة، ولا خرجتْ منه مِدّةٌ من دمٍ ولا قيح، ولا استقذره أحد رآه، ولا استوحش منه أحد شاهده، ولا تَدوّد شيء من جسده. وهكذا يصنع الله عزّ وجل بجميع مَن يبتليه من أنبيائه وأوليائه المكرمين عليه، وإنّما اجتنبه الناس لفقره وضعفه في ظاهر أمره لجهلهم بما له عند ربّه تعالى ذكرُه من التأييد والفرج. وقد قال النبيّ صلى الله عليه وآله: «أعظم الناس بلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل». وإنّما ابتلاه الله بالبلاء العظيم الذي يهون معه على جميع الناس لئلا يدّعوا له الربوبيّة إذا شاهدوا ما أراد الله أن يوصلَه إليه من عظائم نعمه، وليستدِلّوا بذلك على أنّ الثوابَ من الله على ضربيْن: استحقاق واختصاص ولئلا يحتقروا ضعيفاً لضعفه، ولا فقيراً لفقره، ولا مريضاً لمرضه.

وليعلموا أنّه يُسقم مَن يشاء، ويَشفي مَن يشاء، متى شاء وكيف شاء وبأيّ سببٍ شاء. وهو عزّ وجل في جميع ذلك عدل في قضائه، وحكيم

في أفعاله، لا يفعل بعباده إلا الأصلحَ لهم: ولا قوّةَ لهم إلا به».

٨٣٦٣ ـ في قوله تعالى في سورة المؤمن: ﴿ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾﴾ ذكر الفرحَ مقيّداً بغير الحق، بينما ذكر المرحَ مطلقاً بغير قيد. والسبب في ذلك: إن الفرحَ معناه مطلق السرور وهو قد يكون بالحقّ فيكون ممدوحاً، وقد يكون بالباطل فيكون مذموماً. بينما المرح معناه الإفراط في السرور وهو مذمومٌ على كلّ حال.

٨٣٦٤ ـ روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لا يموتَنَّ أحدُكم إلا وهو يحسن الظنّ بالله. فإنّ قوماً قد أرداهم سوءُ ظنّهم بالله عزّ وجل قال الله تعالى: ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾[1].

٨٣٦٥ ـ لقد خصّ الله ساداتِ الرسُل وأولي العزم منهم بالذكر في القرآن الكريم في عدّة آيات تعظيماً لقدرهم وتكريماً لشأنهم: منها قوله تعالى في سورة الأحزاب، الآية (٧): ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾. ومنها قوله تعالى في سورة الشورى، الآية (١٣): ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ﴾، وإنّما قدّم ذكر النبي ﷺ على جميعهم في الآية الأولى، وعلى إبراهيم وموسى وعيسى في الآية الثانية للتشريف والتفضيل فإنّه ﷺ أشرفُ النبيّين وأفضلُ المرسلين(صلوات الله عليه وآله وعليهم أجمعين). وإنّما

---

(١) سورة فصلت آية: (٢٣).

قدّم ذكرَ نوحٍ عليه السلام في الآية الثانية للدلالة على أنّ شريعته هي أوّلُ وأقدمُ شريعةٍ جامعةٍ نزلت إلى الأرض.

٨٣٦٦ ـ روي عن محمّد بن عمارة قال: سألت الصادقَ جعفرَ بنَ محمدعليه السلام فقلت له: يا ابنَ رسول الله أخبرني عن الله عزّ وجل هل له رضىً وسخط؟ قال عليه السلام: «نعم، وليس ذلك على ما يوجد من المخلوقين ولكن سخطُ الله عقابُه، ورضاهُ ثوابهُ».

٨٣٦٧ ـ روى الصدوق في «عيون أخبار الرضا» بسنده عن محمد بن يحيى عن عمّه قال: سمِعتُ الرضاعليه السلام يوماً يُنشد ـ وقليلاً ما كان يُنشد ـ شعراً:

كـلُّـنـا نـأمُـلُ مـدّاً فـي الأجـلْ والـمـنـايـا هُـنَّ آفـاتُ الأمـلْ

لا تَـغُـرَّنْـكَ أبـاطـيـلُ الـمُـنـى والْزَمِ الـقـصـدَ ودعْ عـنـك العِـلَـلْ

إنّـمـا الـدنـيـا كـظـلٍّ زائـلٍ حـلَّ فـيـه راكـبٌ ثـم رحـلْ

فقلت: لِمن هذا أعزّك الله؟ فقال عليه السلام: «العراقيّ لكم» قلت: أنشد فيه أبو العتاهية لنفسه، فقال عليه السلام: «هات اسمَه ودع هذا إنّ الله سبحانه يقول: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ﴾[1] ولعلّ الرجلَ يكره هذا».

وإنّما قال الإمام عليه السلام ذلك لأنّ كلمةَ «العتاهية» معناه نقصان العقل.

٨٣٦٨ ـ روى الكليني في «الكافي» بسنده عن يُونس بن يعقوب عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «الإسلام قبل الإيمان وعليه يَتوارثون

---

(١) سورة الحجرات، الآية (١١).

وعليه يتناكحون، والإيمان عليه يُثابون». وفي حديث آخرَ عنه عليه السلام قال: «الإسلام غير الإيمان، وكلُّ مؤمنٍ مسلم، وليس كلُّ مسلم مؤمناً».

٨٣٦٩ ـ روى النسائي في صحيحه بسنده عن عبد الله بن عباس قال: جاءت بنو أسد إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا: يا رسول الله أسلمنا، وقاتلتك العرب ولم نقاتلك، فنزلت هذه الآية من سورة الحجرات: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (١٧)﴾.

وفي هذه الآية الكريمة تنبيه لهم على أمرين مهمّين:

أحدهما: إنّ المنّة لله عليكم حيث هداكم إلى الحقِ.

وثانيهما: إنّ المنّة ينبغي أن تكونَ بالإيمان الذي به يُثابون، لا بظاهر الإسلام الذي به يتوارثون ويتناكحون.

٨٣٧٠ ـ الخطاب في قوله تعالى في سورة ق: ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ (٢٤) مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ (٢٥)﴾ فيه ثلاثة أقوالَ:

الأوّل: إنّ المخاطَبَ في الآية هما الملاكان الموكّلانِ بالإنسان وهما السائق والشهيد المُشار إليهم في نفس السورة بقوله تعالى ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ (٢١)﴾.

الثاني: إنّ المخاطب فيها هما ملكان من الملائكة الموكّلين بالنار.

الثالث: إنّ المخاطَبَ فيها هما رسولُ الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام وقد روي ذلك من طرق الشيعة وأهل السُنّة، فقد روى

الشيخ الطوسي في أماليه، وروى أبو القاسم الحسكاني بسندهما عن أبي سعيد الخُدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إذا كان يوم القيامة يقول الله لي ولعليّ: ألقيا في النار مَن أبغضكما، وأدخلا في الجنّة مَن أحبّكما، وذلك قوله تعالى: ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾﴾.

٨٣٧١ ـ قال تعالى في سورة الذاريات: ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا ﴿١﴾ فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا ﴿٢﴾ فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا ﴿٣﴾ فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا ﴿٤﴾﴾. وقد سئل أميرُ المؤمنين عليه السلام عن معاني هذه الكلمات فقال: «والذارياتِ ذرواً: الرياح ـ وهي التي تذرو الترابَ وتثيره ـ، فالحاملاتِ وقراً: السُحُب ـ وهي التي تحمل الماء ـ، فالجاريات يُسراً: السُفُن ـ وهي التي تجري في البحر بيُسر ـ، فالمقسّماتِ أمراً: الملائكة ـ وهي التي تقوم بتنفيذ أمر الله في هذا الكون كلٌ بحسب وظيفته ـ».

٨٣٧٢ ـ كلمة «الإشفاق» تدلّ على الخوف، كما تدلّ على العناية والرعاية، فإذا عُدّيت بمن فمعناها: الخوف، كقوله تعالى في سورة الأنبياء، الآية (٤٩): ﴿وَهُم مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾، وإذا عُدّيت بفي أو بالباء أو بعلى فمعناها: العناية والرعاية، كقوله تعالى في سورة الطور: ﴿قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾، وكقولك: «أنا بهم مشفقون»، وكقولك: «إنّا عليهم مشفقون».

٨٣٧٣ ـ المَن: هو التفضّلُ والإنعامُ، وهو إمّا بالفعل فيكون حسَناً من الله ومن غيره، قال تعالى في سورة آل عمران، الآية(١٦٤): ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾، وقال في سورة يوسف، الآية (٩٠): ﴿قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾، وقال في سورة الطور: ﴿فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾﴾. وإمّا بالقول فهو حسنٌ من الله وقبيح من غيره،

قال تعالى في سورة الحجرات، الآية (١٧): ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ﴾، وقال في سورة البقرة، الآية (٢٦٤): ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ﴾.

٨٣٧٤ ـ من فضل الله ورحمته بعبادة المؤمنين أن يجمع شملَهم يوم القيامة في الجنّة فيُلحق الأبناءَ بالآباء وإن كان الأبناءُ أقلَّ إيماناً من الآباء، ويُلحق الآباء بالأبناء وإن كان الآباءُ أقلَّ إيماناً من الأبناء، قال تعالى في سورة الطور، الآية (٢١): ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ وقال في سورة المؤمن، الآية (٨): ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾. وروي عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «إذا دخل الرجلُ الجنّةَ سأل عن أبويْه وذرّيته فيُقال له: إنّهم لم يبلغوا درجتَك وعملكَ فيقول: يا رب قد عمِلتُ لي ولهم فيأمر تعالى بإلحاقهم به»، وروي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «قصُرتِ الأبناءُ عن عملِ الآباء فألحق الأبناء بالآباء لتقرَّ بذلك أعينُهم».

٨٣٧٥ ـ روي عن سهل بن يعقوب قال: قلتُ للإمام العسكري عليه السلام: يا سيّدي في أكثر هذه الأيّام قواطع من المقاصد لما ذكر فيها من النُّحس والمخاوف فدُلّني على الاحتراز من المخاوف فيها، فإنّما تدعوني الضرورة إلى التوجّه في الحوائج فيها، فقال لي عليه السلام: «يا سهل إنّ لشيعتنا بولايتنا لعصمة لو سلكوا بها في لُجّة البحار الغامرة وسباسب[1] البيداء الغائرة بين سباعٍ وذئاب وأعادي الجن

---

(١) السباسب: جمع سبسب وهي الصحراء.

والإنس لأمِنوا من مخاوفهم بولايتهم لنا، فثِقْ بالله عزّ وجل وأخلِصْ في الولاء لأئمّتك الطاهرين، وتوجّه حيثُ شئت واقْصد ما شئت . . . إلى آخر الحديث».

٨٣٧٦ ـ قال أمير المؤمنين عليه السلام: «لو أنّ الناسَ حين تنزلُ بهم النقم، وتزول عنهم النعم، فزعوا إلى ربّهم بصدقٍ من نيّاتهم، ووَلهٍ من قلوبهم، لرد عليهم كلَّ شارد، وصلح لهم كلُّ فاسدٍ».

٨٣٧٧ ـ كلمة «الشجر» تُذكر أو تؤنّث، وقد استعملها القرآن الكريم في الحالتَيْن بقوله تعالى في سورة الواقعة: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾﴾.

٨٣٧٨ ـ النظر إذا جاء متعدّياً بنفسه كان بمعنى الانتظار والإمهال كقوله تعالى في سورة الحديد، الآية (١٣): ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ أي انتظرونا نقتبس من نوركم، وقوله في سورة الأعراف: ﴿قَالَ أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾﴾ أي أمهلني إلى يوم يُبعثون.

وإذا جاء متعدّياً بإلى كان بمعنى إلقاء النظر عليه كقوله تعالى في سورة يونس، الآية (٤٣): ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ﴾، وقوله في سورة التوبة، الآية (١٢٧): ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُم مِّنْ أَحَدٍ﴾.

وإذا جاء متعدّياً بفي كان بمعنى التدبُّر والتأمُّل كقوله تعالى في سورة الأعراف، الآية (١٨٥): ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾، وقوله في سورة الصافات: ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي

﴿ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾.

٨٣٧٩ ـ قال تعالى في سورة الحديد، الآية (٢٠): ﴿ٱعْلَمُوٓا أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾ وقد علّق الشيخ البهائي(قدّس سره) على هذه الآية الكريمة بقوله: «إنّ الخصال الخمس المذكورة في الآية مترتّبة بحسب سني عمر الإنسان ومراحل حياته، فيتولّع أوّلاً باللعب وهو طفلٌ أو مراهق، ثم إذا بلغ واشتدّ عظمهُ تعلّق باللهو والملاهي، ثم إذا بلغ أشُدَّه اشتغل بالزينة من الملابس الفاخرة والمراكب البهيّة والمنازل العالية وتولّه بالحُسن والجمال، ثم إذا اكتهل أخذ بالمفاخرة بالأحساب والأنساب، ثم إذا شاب سعى في تكثير المال والولد».

٨٣٨٠ ـ قال الشاعر:

وليس عتابُ المرءِ للمرءِ نافعاً ... إذا لم يكن للمرء عقلٌ يعاتِبُهْ

٨٣٨١ ـ الفرق بين «المسابقة» و «المسارعة» أنّ المسابقة هي الحرصُ على أن يكون المسابقُ أسرعَ حركةً ووصولاً إلى الهدف من صاحبه. وأمّا «المسارعة» فهي الجَدُّ في الوصول إلى الهدف بالسرعة الممكنة من غير ملاحظةٍ لغيره.

قال تعالى بالنسبة إلى «المسابقة» في سورة الحديد، الآية (٢١): ﴿سَابِقُوٓا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾، وقال في سورة الواقعة: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾﴾. وقال سبحانه بالنسبة إلى «المسارعة» في سورة آل عمران: ﴿وَسَارِعُوٓا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾، وقال في نفس السورة:

﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ (١١٤)﴾.

والظاهر أنّ المقصودَ بالعَرض في الآيتيْنِ المذكورتيْنِ هو السَّعة المقابلُ للضيق دون العرض المقابل للطول، والمقصود ـ والله أعلم ـ هو المبالغة والتأكيد على عظيم سعة الجنّة.

٨٣٨٢ ـ قال تعالى في سورة الحديد، الآية (٢٧): ﴿وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ والمعنى ـ والله أعلم ـ إنّ أتباعَ عيسى عليه السلام ابتدعوا من عند أنفسهم رهبانيّةً ما كتبها الله عليهم ولا شرّعها لهم، وإنّهم إنّما ابتدعوا ذلك في أوّل الأمر ابتغاءَ رِضوان الله وطلباً لمرضاته فما حافظوا عليها حقّ المحافظة ولا رعوها حقّ الرعاية.

٨٣٨٣ ـ روى الكليني في «الكافي» بسنده عن محمّد بن سنانٍ عن أبي خديجة قال: دخلتُ على أبي الحسن عليه السلام فقال لي: «إنّ الله تبارك وتعالى أيّد المؤمن بروحٍ تحضرُه في كلّ وقتٍ يُحسن فيه ويتّقي، وتغيب عنه في كلّ وقتٍ يُذنبُ فيه ويَعتدي، فهي معه تهتزّ سروراً عند إحسانه، وتسيخ في الثرى عند إساءته. فتعاهدوا عبادَ الله نعمَه بإصلاحكم أنفسَكم تزدادوا يقيناً، وتربحوا نفيساً ثميناً. رحم الله امرءاً همّ بخيرٍ فعمله، أو همّ بشرٍّ فارتدع عنه».

ولعلّ الإمام عليه السلام يشير في هذا الحديث الشريف إلى الآية الكريمة من سورة المجادلة، الآية (٢٢): ﴿أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾.

٨٣٨٤ ـ قال تعالى في سورة الحشر: ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٦ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٧ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ﴾.

نزلت هذه الآيات الكريمة في قضيّة إجلاء بني النضير ـ وهم قومٌ من اليهود ـ من المدينة والاستيلاء على أموالهم بسبب غدرهم ونقضهم العهد مع النبي ﷺ كما قال تعالى في نفس السورة: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٤﴾.

فقولهُ تعالى: ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾. أي ما أرجع الله تعالى إلى رسوله من أموال بني النّضير فهي له ﷺ يضعها حيثُ يشاء أو يشاء الله له لأنكم ـ معاشرَ المسلمين ـ لم تسيروا إليهم بالخيل أو الركاب ـ وهي الإبل ـ بل مشيتم إلى حصونهم مُشاةً لقربها من المدينة ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ بيانٌ لمصرف الفيءِ ـ سواء كان من بني النضير أو غيرهم ـ فهو سهمٌ لله أوّلاً أي يُصرف في وجوه الخير والبرِ وفي سبيل الله على ما يراه الرسول ﷺ ثم سهم للنبيّ ﷺ

يأخذه لنفسه فيما يحتاج إليه، ثم سهم لذوي قرباه ﷺ وأكدّ بالذكر اليتامى والمساكين وابنَ السبيل منهم كما ورد ذلك في أحاديث أهل البيت عليهم السلام ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ﴾ تتداولونه فيما بينكم ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ﴾ ـ من هذا الفيء من سهم سبيل الله أو من أيّ شيء ـ ﴿فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ﴾ ـ أي عن الأخذ منه أو من أيّ شيء ـ ﴿فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾﴾ فالظاهر إنّه بيان لبعض مصاديق الصرف في سبيل الله الذي هو المصرف الأوّل للفيء، وقد ورد عن النبيّ ﷺ أنّه أعطى من سهم سبيل الله أو من سهمه الخاص به المهاجرين ولم يعط الأنصارَ شيئاً منه إلا ثلاثة من فقرائهم وصلحائهم وهم: أبو دجانة وسهل بن حنيف والحارث بن الصمّة ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ﴾ ـ في الدنيا ـ ﴿وَرِضْوَانًا﴾ ـ في الآخرة ـ ﴿وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ ـ بأموالهم وأنفسهم ـ ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ معطوفٌ على قوله: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ﴾ أيّ إنّ للنبيّ ﷺ أن يعطيَ من يشاء من الأنصار كما أعطى الثلاثة الذين مرّ ذكرهم آنفاً والله أعلم.

والظاهر إنّ الأنفالَ والفيء حكمها واحد فقد روى الشيخ الطوسي في «التهذيب» بسنده عن الحلبي عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ . . .﴾ الفيء ما كان من أموالٍ لم يكن فيها هراقةُ دمٍ أو

قتل، والأنفال مثل ذلك وهو بمنزلته».

وهناك روايات أخرى تدلّ على هذا المعنى.

٨٣٨٥ ـ روى الصدوق في «الفقيه» بسنده عن الفضل بن أبي مرّة قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: «أتدري من الشحيحُ؟» قلت: هو البخيل، قال: «الشحيحُ أشدُّ من البخيل، إنّ البخيلَ يبخل بما في يده، والشحيح يشِحّ بما في أيدي الناس وبما في يده، حتى لا يرى في أيدي الناس شيئاً إلا تمنّى أن يكون له بالحلّ والحرام، ولا يقنع بما رزقه الله عزّ وجل».

٨٣٨٦ ـ كلمة «العدو» تُطلق على الواحد من الأعداء كما تُطلق على الجماعة منهم، وقد استعملها القرآن الكريم في المعنيين.

ففي المعنى الأوّل قال تعالى في سورة القصص، الآية (١٩): ﴿فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِالَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا﴾، وقال في سورة التوبة، الآية (١١٤): ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾.

وفي المعنى الثاني قال تعالى في سورة الممتحنة، الآية (١): ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ وقال في سورة المنافقون، الآية (٤): ﴿هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾.

٨٣٨٧ ـ قالت اليهود: نحن شعب الله المختار، ونحن أبناء الله وأحبّاؤه وأولياؤه، ولن يدخل الجنّةَ إلا اليهود فردّ الله عليهم بحُجّةٍ دامغة في موقعيْنِ من كتابه الكريم:

أحدهما: قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ

ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةٗ مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوۡهُ أَبَدَۢا بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٥﴾﴾.

ثانيهما: قولُه تعالى في سورة الجمعة: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمۡتُمۡ أَنَّكُمۡ أَوۡلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوۡنَهُۥٓ أَبَدَۢا بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾﴾.

٨٣٨٨ ـ روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الجودُ شجرة من أشجار الجنّة من أخذ بغصنٍ من أغصانها أدّى به إلى الجنّة، والبخل شجرةٌ من أشجار النار من أخذ بغصنٍ من أغصانها أدّى به إلى النار».

٨٣٨٩ ـ جاء في «مجمع البيان»: إنّ رسولَ الله ﷺ لمّا تلا على الناس قولَه تعالى في سورة الجمعة: ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٢﴾ وَءَاخَرِينَ مِنۡهُمۡ لَمَّا يَلۡحَقُواْ بِهِمۡۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٣﴾﴾ قال له أصحابه: مَن هؤلاء الآخرين؟ فوضع ﷺ يدَه على كتف سلمان وقال: «لو كان الإيمانُ في الثُّريّا لنالته رجالٌ من هؤلاء».

وجاء في «الدرّ المنثور» عن صحيح البخاري ومسلم والترمذي والنسائي عن أبي هريرة عن النبيّ ﷺ أنّه وضع يدَه على رأس سلمان وقال: «والذي نفسي بيده لو كان العلم بالثُّريّا لناله رجالٌ من هؤلاء».

وروى عن سعد بن منصور وابن مردويه عن قيس بن سعد بن عُبادة عن النبيّ ﷺ أنّه قال: «لو أنّ الإيمانَ بالثُّريّا لناله رجالٌ من أهل فارس».

٨٣٩٠ ـ روى الكليني في «الكافي» بسنده عن عبد الله بن سنان

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «جاء رجلٌ إلى أبي ذر فقال: يا أبا ذر ما لنا نكره الموت؟ فقال(رض): لأنكم عمّرتم الدنيا وخربتم الآخرة فتكرهون أن تنتقلوا من عمرانٍ إلى خرابٍ».

٨٣٩١ ـ روى الكليني في «الكافي» بسنده عن سماعة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إنّ الله تبارك وتعالى فوّض إلى المؤمن أموره كلّها ولم يفوّض إليه أنْ يُذِلَّ نفسه، ألم تر قولَ الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[1]، وروى أيضاً بسنده عن المفضّل بن عمر قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «لا ينبغي للمؤمن أن يُذِلَّ نفسَه» قلت: بِمَ يُذِلّ نفسَه؟ قال: «يدخل فيما يُعتذَرُ منه».

٨٣٩٢ ـ أمر الله سبحانه نبيّه الكريم صلى الله عليه وآله في القرآن العظيم أنْ يُقسمَ بربّه على وقوع المعاد في ثلاثة مواضع.

الأوّل: قوله تعالى في سورة يونس: ﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾ وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾﴾.

الثاني: قوله تعالى في سورة سبأ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾﴾.

الثالث: قوله تعالى في سورة التغابن، الآية (٧): ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾﴾.

---

(١) سورة المنافقون، الآية (٨).

٨٣٩٣ ـ روي عن الفضل بن أبي مرّة قال: رأيتُ أبا عبد الله عليه السلام يطوف بالبيت من أوّل الليل إلى الصباح وهو يقول: «اللّهمّ قِني شُحّ نفسي» فقلت: جُعلتُ فِداك ما رأيتُك تدعو بغير هذا الدعاء؟ فقال عليه السلام: «وأيّ شيءٍ أشدُّ من شُحّ النفس؟ إنّ الله يقول: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾[1].

٨٣٩٤ ـ ورد في تفسير قوله تعالى في سورة الحاقة، الآية(١٧): ﴿وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ﴾ إنّهم أربعة من الأوّلين وهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام وأربعة من الآخرين وهم: محمّد وعليّ والحسن والحسين عليهم السلام.

٨٣٩٥ ـ في القرآن الكريم آيات وإشارات إلى عالم البرزخ وما أعدّ الله فيه من نعيم للمؤمنين وعذاب للكافرين.

من ذلك قولُه تعالى في سورة المؤمنون: ﴿قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ٩٩ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ١٠٠﴾.

ومن ذلك قولُه في سورة المؤمن: ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ٤٥ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ٤٦﴾.

ومن ذلك قولُه في سورة يس: ﴿إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ ٢٥ قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ٢٧﴾.

---

(١) سورة الحشر، الآية (٩)؛ وسورة التغابن، الآية (١٦).

ومن ذلك قوله في سورة نوح: ﴿مِمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾﴾ وهي نار البرزخ التي دخلوها مباشرةً بعد الإغراق.

٨٣٩٦ ـ الجن ـ كما هو مذكور في القرآن الكريم ـ نوعٌ من خلق الله أسكنه الأرضَ قبل خلق الإنسان كما قال تعالى في سورة الحجر، الآية (٢٧): ﴿وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَـٰهُ مِن قَبْلُ﴾. وهو مخلوق من النار كما أنَّ الإنسان مخلوق من التراب كما قال تعالى في سورة الرحمن: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾﴾. وأنّ فيهم رجالاً ونساءً كما قال تعالى في سورة الجن، الآية (٦): ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾. وأنّهم مكلّفون كالإنس بالتكاليف الشرعيّة ومأمورون جميعاً بعبادة الله عزّ وجل كما قال تعالى في سورة الذاريات: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾. وأنّ منهم المؤمنون والصالحون ومنهم الكافرون والفاسقون كما قال تعالى في سورة الجن، الآية (١٤): ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ﴾، ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّـٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ﴾[1].

وأنّهم مطالبون ـ كالإنس ـ باتّباع نبيّنا محمّدﷺ والإيمان بما جاء به من عند ربّه عزّ وجل كما قال تعالى في سورة الجن: ﴿فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾﴾ وقال في سورة الأحقاف: ﴿قَالُوا۟ يَـٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَـٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَـٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ

---

(١) سورة الجن آية: (١١)

أَلِيمٍ ﴿٣١﴾﴾. وأنّهم يُحشرون مع الإنس يوم القيامة للحساب كما قال تعالى في سورة الرحمن: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾﴾، وقال في نفس السورة: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلَا جَانٌّ ﴿٣٩﴾﴾. وأنّهم قد يتّصلون بالإنس أو يوحون إليهم كما قال تعالى في سورة الأنعام، الآية (١١٢): ﴿شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾. وأنّهم كانوا قبل مبعث الرسول ﷺ يستمعون إلى الملأ الأعلى في السماء ثم صاروا يُرجَمون بالشُّهب كما قال تعالى في سورة الجن: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾﴾. وأنّ إبليس كان موجوداً قبل خلق آدم مع الملائكة وهو من الجن كما قال تعالى في سورة الكهف، الآية (٥٠): ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾. وأنّ له ذرّية كما قال تعالى في نفس الآية: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾. وأنّه وقبيله يروا الناس ولا يرونهم كما قال تعالى في سورة الأعراف، الآية (٢٧): ﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ إلى غير ذلك من الآيات البيّنات.

٨٣٩٧ ـ روي عن الإمام الرضا عليه السلام أنه نظر إلى أبي هذاب فقال له: «إن أنا أخبرتك أنّك ستبتلى في هذه الأيّام بدم ذي رحم لك أكنت مصدّقاً لي؟» قال: لا، فإنّ الغيب لا يعلمه إلا الله تعالى، فقال عليه السلام: «أو ليس أنّه يقول: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [1] فرسول الله ﷺ عند الله مرتضى، ونحن ورثة ذلك الرسول الذي أطلعه الله على ما يشاء من غيبه، فعلمنا ما كان وما يكون

---

(١) سورة الجن، الآية (٢٦-٢٧).

إلى يوم القيامة».

٨٣٩٨ ـ من الملفت للنظر أنّ الآيات التي وردت في وصف الجنة من سورة «هل أتى» خلت من ذكر «الحور العين» واكتفت بذكر «الولدان المخلّدين». وقد أشار إلى السر في ذلك بعضُ المفسّرين من الشيعة وأهل السنّة. قال العلامة الطباطبائي ـ وهو من أكابر مفسّري الشيعة ـ في تفسيره «الميزان»: «واعلم أنّه تعالى لم يذكر فيما ذكر من نعيم الجنّة في هذه الآيات نساء الجنّة من الحور العين وهي من أهم ما يذكره عند وصف نعيم الجنّة في سائر كلامه، ويمكن أن يُستظهر منه أنّه كانت بين هؤلاء الأبرار الذين نزلت فيهم الآيات من هي من النساء».

وقال العلامة الألوسي ـ وهو من أكابر مفسّري أهل السُّنة ـ في تفسيره «روح المعاني»: «ومن اللطائف على القول بنزول السورة فيهم ـ يعني في أهل البيت عليهم السلام ـ أنّه سبحانه لم يذكر فيها الحور العين وإنما صرّح عزّ وجل بولدان مخلّدين رعايةً لحرمة البتول وقرّة عين الرسول».

٨٣٩٩ ـ ذكر الفقهاء كراهة الصلاة في المقابر، واستثنوا من ذلك مقابر الأنبياء والأوصياء والأولياء ومن كان له فضل وشرف في الدّين فإنّ الكراهة ترتفع بل الصلاة فيها مستحبّة وفيها من الأجر والثواب ما يدهش الألباب. ويمكن استفادة هذا الاستحباب ـ إضافةً إلى الروايات الكثيرة ـ من قوله تعالى في سورة الكهف، الآية(٢١): ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾.

٨٤٠٠ ـ جاء في «الدرّ المنثور»: إنّ أبا بكر سُئل عن معنى «الأب» في قولِه تعالى في سورة عبس: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ۝٣١﴾ فقال: أيّ

سماءٍ تَظلُّني وأيُّ أرضٍ تُقلُّني إذا قلتُ في كتاب الله ما لا أعلم، وجاء في «إرشاد المفيد»: إنّ أبا بكر سئِل عن قول الله تعالى: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾ فلم يعرف معنى الأب من القرآن فقال: أيُّ سماءٍ تُظلُّني وأيُّ أرضٍ تُقلُّني أم كيف أصنع إنْ قلتُ في كتاب الله ما لا أعلم، أمّا الفاكهة فنعرفها وأمّا الأب فالله أعلم. فبلغ أميرَ المؤمنينعليه السلام مقالُه في ذلك فقال: «سبحان الله أما علم أنّ الأب هو الكلأ والمرعى».

هذا حال أبي بكر من هذه الآية. وأمّا عمر فقد جاء في «الدرّ المنثور» بسنده عن أنس أنّ عمر قرأ على المنبر: ﴿فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبّٗا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبٗا وَقَضۡبٗا ﴿٢٨﴾ وَزَيۡتُونٗا وَنَخۡلٗا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلۡبٗا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةٗ وَأَبّٗا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ ﴿٣٢﴾﴾[1] فقال: كل هذا قد عرفناه فما الأب؟ ثم رفض عصاً كانت في يده فقال: هذا لعَمرُ الله هو التكلُّف، فما عليك أن لا تدري ما الأب، اتّبعوا ما بُيّن لكم هُداه من الكتاب فاعملوا به، وما لم تعرفوه فكِلُوه إلى ربّه.

والعجيب أنهما لم يعرفا معنى الأب مع أنّ الله سبحانه قد أشار إلى معناه بقوله: ﴿مَّتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ﴾ فالفاكهة متاعٌ لهم، والأب متاعٌ لأنعامكم.

٨٤٠١ ـ روى الكليني في «الكافي» بسنده عن سدير الصيرفي قال: قلتُ لأبي عبد اللهعليه السلام: جُعلتُ فِداك يا ابن رسول الله هل يُكره المؤمنُ على قبض روحه؟ فقالعليه السلام: «لا، والله إنّه إذا أتاه ملكُ الموت ليقبضَ روحَه جزع عند ذلك فيقول ملك الموت: يا وليّ الله لا

---

(١) سورة عبس آية: (٢٧-٣٢)

تجزع فوالذي بعث محمّداً لأنا أبرُّ بك وأشفق عليك من والدٍ رحيم لو حضرك، افتحْ عينيْك فانظرْ. فيتمثل له رسول الله ﷺ وأميرُ المؤمنين وفاطمةُ والحسنُ والحسينُ والأئمةُ من ذرّيتهم عليهم السلام، فيُقال له: هذا رسولُ الله وأميرُ المؤمنين وفاطمةُ والحسنُ والحسينُ والأئمةُ عليهم السلام رفقاؤك فيفتح عينيه فينظر، فينادي روحَه منادٍ من قِبل رب العزّة فيقول: يا أيّتها النفسُ المطمئنّةُ إلى محمّد وأهل بيته ارجعي إلى ربّك راضيةً بالولاية مرضيّةً بالثواب، فادْخلي في عبادي ـ يعني محمّداً وأهلَ بيته ـ وادخلي جنّتي. فما من شيءٍ أحبُّ إليه من استقلال روحه، واللحوقِ بالمنادي».

٨٤٠٢ ـ جاء في «الدرّ المنثور» عن ابن عساكر بسنده عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: كنا عند النبيّ ﷺ فأقبل علي عليه السلام فقال النبيّ ﷺ: «والّذي نفسي بيده إنّ هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة، ونزلت: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٧﴾[1]. فكان أصحابُ النبيِّ ﷺ إذا أقبل علي عليه السلام قالوا: جاء خيرُ البريّة.

٨٤٠٣ ـ روى الحسينُ بنُ سفيان في «المسند»، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» بسندهما عن شدّاد بن أوس قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «أيّها الناس إنّ الدنيا عرضٌ حاضر يأكلُ منه البرُّ والفاجر، وإنّ الآخرة وعدٌ صادق يحكم فيها ملكٌ قادر يُحِقُّ فيها الحقَّ ويُبطل الباطل. أيّها الناس كونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا فإنّ كلَّ أم يتبعها ولدُها، اعملوا وأنتم من الله على حذر، واعلموا إنّكم معروضون على أعمالكم وأنّكم ملاقو الله: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن

---

(١) سورة سورة البيّنة، الآية (٧).

يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ﴿٨﴾[1].

٨٤٠٤ ـ اختلف المفسّرون في معنى كلمتي «هُمَزة ولُمَزة» في قوله تعالى في سورة الهمزة: ﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾﴾.

فَمنهم مَن يقول: «الهُمَزَة واللُّمَزَة» بمعنًى واحد وهو الذي يطعن غيرَه ويَعيبهم.

ومنهم من قال: إنّ «الهُمَزَة» هو الذي يطعن ويَعيب غيرَه بظهر الغيب، وإنّ «اللُمزَة» هو الذي يطعن ويَعيب غيرَه مواجهةً والله سبحانه هو الأعلم.

٨٤٠٥ ـ ظاهر الروايات الواردة في مسألة الجمع في الصلاة بين سورتي «الضحى وألم نشرح» وبين سورتي «الفيل وقريش»: إنّ القِرانَ والجمعَ بين سورتيْن في ركعةٍ واحدةٍ في الفريضة غَيرُ جائزٍ إلا في هذه السور الأربع فإنّه يجوز الجمعُ بين الضحى وألم نشرح وكذلك بين الفيل وقريش في ركعةٍ واحدة لما بينهما من ترابطٍ في المعنى، لا أنّه لا يجوز قراءةَ كلٍّ منهما منفردةً في الركعة الواحدة كما ذهب إليه كثير من الفقهاء.

ويدُلّ على ذلك صحيحة ابن أبي عمير عن زيد الشحّام قال: صلّى بنا أبو عبد الله عليه السلام فقرأ في الأولى «الضحى» وقرأ في الثانية «ألم نشرح لك صدرك».

ولا يمكن حملُ هذه الرواية على أنّه عليه السلام صلّى النافلة ـ كما صرّح بعض الفقهاء ـ لقوله: «صلّى بنا» فإنّه يدلّ على أنّه صلّى بهم

---

(١) سورة الزلزلة، الآية (٧-٨).

جماعةً ولا تصحّ الجماعةُ إلا في الفرائض.

ويدُلُّ على ذلك أيضاً ما رواه الراوندي في «الخرائج» بسنده عن داود الرقي قال: فلمّا طلع الفجر قام أبو عبد الله عليه السلام فأذّن وأقام، وأقامني عن يمينه وقرأ في الأُولى الحمدَ والضحى، وقرأ في الثانية الحمدَ وقلْ هو الله أحد».

وما رواه الشيخ الطوسي في «التهذيب» بسنده عن زيد الشحّام قال: صلّى بنا أبو عبد الله عليه السلام فقرأ بنا الضحى وألم نشرح. فيُحتمل أنّه عليه السلام قرأ في الأولى «الضحى»، وقرأ في الثانية «ألم نشرح». كما يُحتمل أنّه جمع بينهما والجمعُ بين هاتين السورتيْنِ جائزٌ كما قلنا. وروى الطبرسي في «مجمع البيان» بسنده عن المفضّل بن صالح قال: سمعتُ أبا عبد الله يقول: «لا تجمعْ بين سورتيْن في ركعةٍ واحدةٍ إلا الضحى وألم نشرح، وألم تر ولإيلاف قريش» وهذه الرواية تدُلّ على جواز الجمع بين هاتيْن السورتين في الركعة الواحدة ولا تدلّ على عدم جواز قِراءة واحدةٍ فيهما في الركعة كما هو ظاهر. كما إنّها تدُلّ على أنّ كلَّ واحدةٍ من هذه السور الأربع سورة مستقلّة حيث يقول: «ولا تجمع بين سورتين في ركعةٍ واحدةٍ إلا الضحى وألم نشرح، وألم تر ولإيلاف قريش» فإنّها تدُلّ على جواز الجمع بين كلّ من هاتيْن السورتين لا إنّهما سورة واحدة.

نعم هناك رواية واحدة ذكرها الطبرسي في «المجمع» عن أبي العباس عن أحدهما عليهما السلام قال: «ألم تر كيف فعل ربّك ولإيلاف قريش سورة واحدة» وهي رواية ضعيفة كما صرّح بذلك بعض المحقّقين لا تقوى على معارضة الروايات الأخرى التي تصرّح بأنّهم عليهم السلام اعتبروا

كلاً منها سورة مستقلّة، وأنهم صلّوا تارةً بواحدةٍ من هذه السور الأربع في الركعة الواحدة، وتارة بالجمع بين السورتين. والله سبحانه هو العالم.

٨٤٠٦ ـ روي عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال: «توفي القاسم ابن رسول الله صلى الله عليه وآله بمكّة فمرّ رسول الله صلى الله عليه وآله وهو آتٍ من جنازته على العاص بن وائل ومعه عمرو فقال حين رأى رسول الله صلى الله عليه وآله: إني لأشنؤه ـ أي أبغضه ـ فقال العاص: لا جرم لقد أصبح أبتر فأنزل الله سورة الكوثر: «بسم الله الرّحمن الرحيم ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾. وروي أنّ الإمام الحسن عليه السلام قال مخاطباً لعمرو بن العاص: «وإنّك وُلدتَ على فِراشٍ مشتركٍ فتحاكمت فيك رجال من قريش منهم أبو سفيان بنُ حرب والوليد بنُ المغيرة وعثمان بن الحارث والنضرُ بنُ الحارث والعاصُ بنُ وائل كلُّهم يزعم إنّك ابنه فغلبهم عليك منهم ألأمهم حسباً وأخبثهُم منصباً. ثم قمتَ وقلتَ: أنا شانئ محمد فقال العاص: إنّ محمداً رجلٍ أبتر لا ولد له فلو قد مات انقطع ذكرهُ فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾. وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «لمّا نزل قوله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ قال جبرائيل للنبيّ صلى الله عليه وآله: «إنّ الله يأمرك أن ترفع يديك إلى نحركَ إذا أحرمتَ للصلاة وإذا كبّرتَ للركوع وإذا رفعتَ رأسَكَ منه، وإذا كبّرتَ للسجود وإذا رفعتَ رأسَكَ منه فإنّها صلاتُنا وصلاةُ الملائكة الذين في السموات السبع، وإنّ لكلِّ شيءٍ زينة وزينةُ الصلاة رفعُ اليدينِ عند كلّ تكبيرة».

وروى ابنُ مردويه عن ابن عبّاس في قوله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ قال: «إنّ الله أوحى إلى رسوله أن أرفعْ يديْكَ حذاء نحركَ إذا كبّرتَ للصلاة».

٨٤٠٧ ـ ثويبية امرأة كانت قد أرضعت رسولَ الله ﷺ في صغره قبل أن تُرضِعَه حليمةُ السعديّة. كما إنّها قد ارضعت الحمزة بنَ عبد المطلب فهو عمُّ النبيُّ ﷺ وأخوه من الرّضاعة.

وكان رسول الله ﷺ يبعث لها بالصلة والكسوة.

٨٤٠٨ ـ روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «من برِئ من ثلاثة نال ثلاثة: مَن برئ من الشرك نال العز، ومَن برئ من الكِبر نال الكرامة، ومَن برِئ من البُخل نال الشرف».

٨٤٠٩ ـ قال أمير المؤمنين عليه السلام: «أحسنُ الكلام ما زانه حسن النظام، وفهمه الخاص والعام».

٨٤١٠ ـ من الملاحَظِ في القرآن الكريم أنّ كلمةَ «ما أدراك» إذا جاءت في الآية يأتي بعدها ـ غالباً ـ تفسير وتوضيح لذلك الشيء المبهم، وإذا جاءت كلمة «ما يدريك» يبقى الشيء على إبهامه.

ومن الشواهد على الكلمة الأولى قولُه تعالى في سورة المدّثر: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾﴾، وقوله في سورة الإنفطار: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾﴾، وقوله في سورة المطففين: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَـٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَـٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾﴾،

وقولُه في سورة الطارق: ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٢﴾ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴿٣﴾﴾، وقولُه في سورة البلد: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾﴾ وقولُه في سورة القدر: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴿٥﴾﴾.

ومن الشواهد على الكلمة الثانية قولُه تعالى في سورة الأحزاب: ﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾﴾، وقولُه في سورة الشورى، الآية (١٧): ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾.

٨٤١١ ـ أوصى أمير المؤمنين عليه السلام بعضَ أصحابه فقال: «أوصيكم بالخشيةِ من الله في السرّ والعلانيّة، والعدلِ في الرضا والغضبِ، والاكتسابِ في الفقر والغنى، وأن تصلوا مَن قطعكم، وتعفوا عمّن ظلمكم، وتعطِفوا على مَن حرمكم، وليكن نظرُكم عبرا، وصمتُكم فِكرا، وأقوالكم ذِكرا، وطبيعتكم السخاء، فإنّه لا يدخل الجنّة بخيل، ولا يدخل النارَ سخيّ».

٨٤١٢ ـ من أقوال الإمام موسى الكاظم عليه السلام: «إنّ الله يُنزل المعونةَ على قدر المؤونة، وينزل الصبر على قدر المصيبة». «الأمانةُ والصدقُ يجلبان الرزق، والخيانةُ والكذبُ يجلبانِ الفقر». «مَن تكلّم في الله هلك» «ومَن طلبَ الرياسةَ هلك، ومَن دخله العُجبُ هلك».

٨٤١٣ ـ من أقوال الإمام محمّد الجواد عليه السلام: «ثلاثُ خِصال

تجلب المودّة: الإنصافُ في المعاشرة، والمواساة في الشدّة، والانطواء على قلبٍ سليم». «عزُّ المؤمن غِناه عن الناس». «العلماءُ غرباءُ لكثرة الجُهّال بينهم».

٨٤١٤ ـ قال السيد حيدر الحلّي في مدح الإمامَيْنِ الجوادَيْن عليهما السلام وبلدهما المقدس:

وعلى بلدة الجوادَيْنِ عرِّجْ ... بالقوافي مهنّئاً وبشيرا

قلْ لها: لا برِحتِ فردوسَ أُنسٍ ... فيكِ يلقى الناسُ الهنا والحبورا

ما نزلنا حماكِ إلا وجدنا ... بلداً طيّباً وربّاً غفورا

وإمامَيْنِ يُنقذان من النا ... رِ لمن كان فيهما مستجيرا

٨٤١٥ ـ قال الخليفة العبّاسي الناصر لدين الله في مدح أهل البيت عليهم السلام:

يا بنيّ الزهراء والنور الذي ... ظنّ موسى أنّه نارُ قبسْ

صحّ عندي أنّ مَن عاداكمُ ... إنّه آخرُ سطرٍ من عبسْ

يشير إلى قوله تعالى في آخر سورة عبس: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾﴾.

غبرة: غبار وكدورة. ترهقها: تغشاها. قترة: ظلمة وسواد.

٨٤١٦ ـ قال ابن حجر في «الصواعق المحرقة»: «الآية الثانية من الآيات النازلة في أهل البيت عليهم السلام قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾[1]

---

(١) سورة الأحزاب، الآية (٥٦).

صحّ عن كعب بن عجرة قال: لمّا نزلت هذه الآية قلنا: يا رسولَ الله قد علِمنا كيف نسلّم عليك فكيف نصلّي عليك؟ فقال ﷺ: «قولوا: اللّهمّ صلِّ على محمّدٍ وعلى آلِ محمّد كما صلّيتَ على إبراهيم وعلى آل إبراهيمَ إنّك حميد مجيد». ثم قال ابن حجر: «وفي رواية للحاكم فقلنا: يا رسولَ الله كيف الصلاة عليكم أهل البيت؟ قال: «قولوا: اللّهمّ صلِّ على محمّدٍ وعلى آل محمّد...» فسؤالهم بعد نزول الآية وإجابتُهم باللّهم صلِّ على محمّدٍ وعلى آلِ محمّد دليلٌ ظاهرٌ على أنّ الأمرَ بالصلاة على أهل بيته وآلِه مرادٌ من هذه الآية... وإنّه أقامهم في ذلك مقامَ نفسه لأنّ القصدَ من الصلاة عليه مزيدُ تعظيمه ومنه تعظيمُهم. ومن ثَمّ لمّا أدخلهم في الكساء قال: «اللّهمّ فهم منّي وأنا منهم فاجعلْ صلاتَكَ ورحمتكَ ورِضوانكَ عليّ وعليهم...».

وروى النسائي في «سُننه» بسنده عن زيد بن خارجة قال: أنا سألتُ رسولَ الله ﷺ فقال: «صلّوا عليّ واجتهدوا في الدعاء وقولوا: اللّهمّ صلِّ على محمّد وآل محمّد».

وروى الطحاوي في «مشكل الآثار» بسنده عن زيد بنِ خارجة قال: قلنا يا رسولَ الله قد علمنا كيف نسلّم عليك فكيف نصلّي عليك؟ قال: «قولوا: اللّهمّ صلِّ على محمّدٍ وآل محمّد كما صلّيتَ على إبراهيم وآل إبراهيم إنّك حميدٌ مجيد، وبارِكْ على محمّدٍ وآل محمّد كما باركت على إبراهيمَ وآل إبراهيمَ إنّك حميدٌ مجيد».

وروى السيوطي في «الدرّ المنثور» بسنده عن أنسِ بنِ مالك قال: إنّ رهطاً من الأنصار قالوا: يا رسولَ الله كيف الصلاةُ عليك؟ قال: «قولوا: اللّهمّ صلِّ على محمّدٍ وآل محمّدٍ كما صليتَ على

إبراهيمَ وآل إبراهيم إنّك حميدٌ مجيد».

وروى الشعراني في «كشف الغُمّة» والحضرمي في «رشفة الصادي» والسخاوي في «القول البديع» بسندهم عن أبي بكر قال: يا رسولَ الله كيف نصلّي عليك؟ قال ﷺ: «تقول: اللّهمّ صلِّ على محمّدٍ وآل محمّدٍ في الأوّلين والآخرين وفي الملأ الأعلى إلى يوم الدين» فقال أبو بكر: يا رسولَ الله ما ثوابُ هذه الصلاة؟ قال ﷺ: يا أبا بكر لقد سألتني عمّا لا أقدر أن أحصيَه، فلو كانت البحارُ مداداً، والأشجارُ أقلاماً، والملائكةُ كُتّاباً لفنيَ المداد، وتكسّرت الأقلام، ولم تبلغ الملائكة ثوابَ هذه الصلاة».

فالآية الكريمة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ أمرت المؤمنينَ بالصلاة والسلام عليه ﷺ وقد فسّرها هو بالصلاة عليه وعلى آله فيجب الأخذ بما قاله وأمر به لقوله تعالى في سورة الحشر، الآية (٧): ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾. وقد أمر الله نبيّه ﷺ أن يبيّن للناس ما أنزل إليه من الآيات ويوضح لهم ما خفيَ عليهم من معانيها ومقاصدها قال تعالى في سورة النحل، الآية (٤٤): ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾ وقد بيّن النبيّ ﷺ لأمّته كيفيّة الصلاة عليه وعلى آله صلّى الله عليه وآله. قال ابن تيميّة في «منهاج السُنّة»: «إنّ الله تعالى أمر بالصلاة على نبيّه ﷺ وقد فسّر النبيّ ذلك الأمر بالصلاة عليه وعلى آله».

وللتأكيد على ذلك أيضاً نهى النبيّ ﷺ عن الصلاة البتراء فقد روى ابن حجر في «الصواعق» والشيخ سليمان الحنفي في «الينابيع» وغيرُهما عنه ﷺ أنّه قال: «لا تصلّوا عليّ الصلاة البتراء» فقالوا: وما

الصلاة البتراء؟ قالﷺ : «تقولون اللّهمّ صلّ على محمّدٍ وتمسكون، بل قولوا: اللّهمّ صلّ على محمّدٍ وعلى آل محمّد» فلا بدّ من اتباع سُنّة الرسول وإطاعة أمره: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾[1].

وروي أنّ الإمام الصادقعليه‌السلام سمِع رجلاً يقول: اللّهمّ صلّ على محمّد، فقال لهعليه‌السلام : «لا تبتِرها ولا تظلِمُنا حقّنا، قلْ: وآل محمّد».

وقد دأب أهلُ السُّنّة في هذا المقام على أمورٍ ثلاثة وهي:

إمّا أن يتركوا الصلاة على الآل ويلتزموا بالصلاة البتراء خلافاً للنصوص الواردة عن النبيّﷺ.

وإمّا أن يُضيفوا ذكرَ الصحابة بعد ذكر الآل مع أنّه لم يردْ نص واحد في كتبهم بأنّ النبيّﷺ أمر بالصلاة عليهم بعد الصلاة عليه وعلى آله.

وإمّا أن يلتزموا بوضع كلمة «وعلى» قبل ذكر الآل ـ إذا أرادوا ذكرَهم ـ فيقولون: «اللّهمّ صلّ على محمّدٍ وعلى آلِ محمّد» وصرّح بعضهم بأنّ التزامُهم هذا مخالفةٌ للشيعة الذين التزموا ـ غالباً ـ بعدم الفصل بين النبيّ وآله بكلمة «وعلى» مع أنهم رووا في أحاديثهم عن رسول اللهﷺ أنّه سُئِل عن كيفيّة الصلاة عليه فقالﷺ : «قولوا: اللّهمّ صلّ على محمّدٍ وآل محمّد» فقال رجلٌ من الصحابة: اللّهمّ صلّ على محمّدٍ وعلى آل محمّد، فقالﷺ : «مَنْ فصل بيني وبين آلي بعلى لم ينلْ شفاعتي» وفي حديثٍ آخر: «فليس من أمّتي» جاء ذلك في

---

(١) سورة النساء، الآية (٨٠).

كتاب «تجهيز الجيش» للشيخ حسن بن أمان الله الدهوي الهندي، وأشار إليه أيضاً جلال الدين الدواني في حاشيته على «شرح التجريد» للقوشجي.

وقد نصّ كثيرٌ من علماء أهل السُنّة وفي طليعتهم الإمام الشافعي على عدم صحّة الصلاة بدون الصلاة على محمّد وآله الطيّبين الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين ورَووا في ذلك كثيراً من الأحاديث النبويّة الشريفة. منها رواه الدارقطني في «سُننه» والبيهقي في «السُنن الكبرى» وابن حجر في «الصواعق» والحضرمي في «رشفة الصادي» والسخاوي في «القول البديع» وغيرُهم بسندهم عن أبي مسعود الأنصاري قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن صلّى صلاةً لم يصلّ فيها عليَّ وعلى أهل بيتي لم تُقبَلْ منه»، ومنها ما رواه محبّ الدين الطبري الشافعي في «ذخائر العقبى» والشيخ سليمان الحنفي في «ينابيع المودّة» وأبو بكر الحضرمي في «رشفة الصادي» وغيرُهم بسندهم عن جابر بن عبد الله الأنصاري أنّه كان يقول: «لو صلّيتُ صلاةً لم أصلّ فيها على محمّد وآله ما رأيتُ أنّها تُقبلَ».

ولقد أبدع الشافعي بقوله المشهور:

يا آل بيت رسولِ الله حبّكُمُ فرضٌ من الله في القرآن أنزلَهُ
كفاكُمُ من عظيم القدر أنّكُمُ مَنْ لم يصلّ عليكم لا صلاة لَهُ

٨٤١٧ ـ روى الحسكاني في «شواهد التنزيل» بسنده عن أنس بن مالك قال: قال النبيّ ﷺ: «لمّا عُرج بي رأيتُ على ساق العرش مكتوباً: لا إلهَ إلا الله، محمّد رسولُ الله، أيّدتُه بعليّ، نصرتُه بعليّ» وإلى ذلك يشير قولُه تعالى في سورة الأنفال، الآية (٦٢): ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ

أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ والمراد بالمؤمنين هنا هو أمير المؤمنين عليه السلام كما نصّ على ذلك كثير من المفسّرين من الشيعة وأهل السُنّة ووردت بذلك الأحاديثُ النبويّةُ الشريفة.

٨٤١٨ ـ روى الخوارزمي في «المناقب» وابنُ حجر العسقلاني في «لسان الميزان» والكنجي الشافعي في «كفاية الطالب» وغيرُهم بسندهم عن ابن عبّاس قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وآله: «لمّا عُرج بي إلى السماء رأيتُ على باب الجنّة مكتوباً: لا إله إلا الله محمّد رسولُ الله، عليٌّ حبيبُ الله ـ وفي بعض الروايات وليّ الله ـ فاطمةُ أمةُ الله، الحسنُ والحسينُ صفوةُ الله، وعلى مبغضهم لعنةُ الله».

٨٤١٩ ـ روى أحمدُ بنُ حنبل في «المسند» وأبو نعيم في «حلية الأولياء» وابنُ حجر في «الصواعق المحرقة» والكنجي الشافعي في «كفاية الطالب» وغيرُهم بسندهم عن ابن عبّاس قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وآله: «ما أنزل الله في القرآن آيةً يقول فيها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ إلا وعليٌّ رأسُها وأميرها وشريفُها»، وقد عاتب الله أصحابَ محمّد صلى الله عليه وآله في القرآن وما ذكر عليّاً إلا بخير. وإنّما قال ابن عبّاس في آخر الحديث: «وقد عاتب الله أصحابَ محمّد صلى الله عليه وآله في القرآن وما ذكر عليّاً إلا بخير» إشارةً إلى بعض الآيات التي يقول الله فيها: يا أيها الذين آمنوا وفيها عتابٌ وزجرٌ لهم فإنّ ذلك العتابَ والزجرَ لا يشملَ عليّاً عليه السلام لأنّ الله ـ كما يقول ابن عبّاس ـ ما ذكر عليّاً إلا بخير.

٨٤٢٠ ـ من الصحيح أن تقولَ لمن ابتُلي بشيءٍ يعوقه عن التصرّف من عاهةٍ أو غيرها: مَعُوق ومُعَوَّق، وليس من الصحيح أن تقولَ: مُعاق.

٨٤٢١ ـ كلمةُ «البقشيش» أو «البخشيش» في اللّغة الدارجة تركيّةٌ تستعمل للشيء الذي يُقدّم كهديّة إلى من يقوم بعملٍ مجّاني، وفي اللغة العربيّة الفصحى كلمات كثيرةٌ وفصيحة يمكن أن تؤدي هذا المعنى ويحصل بها الغرض المطلوب مثل هِبة أو منحة أو نفحة أو عطيّة أو ما أشبه ذلك.

٨٤٢٢ ـ هناك ألفاظ في العربيّة الفصحى تُستعمل للمناسبات التي يُقدّم فيها الطعام مثل:

القِرى: لطعام الضيف.

الوليمة: لطعام العُرس.

الخُرْس: لطعام الوِلادة.

الإعذار أو العِذار: لطعام الخِتان.

الوكيرة أو الوَكار: لطعام المنزل الجديد.

الرِّكاز: لطعام القادم من الحج.

النقيعة: لطعام القادم من السفر.

وفي الحديث النبويّ الشريف: «لا وليمةَ إلا في خمس: في عُرسٍ أو خُرسٍ أو عذارٍ أو وكارٍ أو ركازٍ».

٨٤٢٣ ـ قال الصلتان الفهمي:

العبدُ يُقرع بالعصا ... والحرُّ تكفيه الإشارة

٨٤٢٤ ـ هناك أفعالٌ لا تُستعمل إلا على البناء للمجهول مِثل: استُهتِر فلان فهو مُستهتَر أي كثيرُ العبث ومولَعَ بالأباطيل، ولا يُقال ـ كما هو مشهور ـ: استهترَ فهو مُستهتر. ومثل: عُني الوالدُ بولده أي

اهتمّ بأمره، ولا يُقال: عَنى الوالدُ بولده. ومثل: هُرِع الناسُ إلى مكان الحادث، ولا يُقال: هرَع الناسُ إلى مكان الحادث.

وهناك أفعالٌ تُستعمل على البناء للمجهول في معنًى وعلى البناء للمعلوم في معانٍ أخرى مثل: احتُضِر المريض أي أشرف على الموت، ولا يُقال: احتضرَ المريض، نعم تُستعمل للمعلوم في معانٍ أخرى كقولك: احتضرني الهم أي حضرني وألمّ بي، وقولك: احتضرَ الرجل أي نزل في الحضر. ومثل: تُوفيّ فلان أي مات فهو متوَفّى، ولا يُقال: متوَفي، نعم تُستعمل للمعلوم في معنًى آخر كقولك: توفّاه الله فهو سبحانه وتعالى المتوَفيّ. ومثل: جُنّ الرجل أي أصابهُ الجنون ولا يُقال: جَنّ الرجل، نعم تُستعمل للمعلوم في معنىً آخر كقولك: جَنّ الليلُ أي ستر الكونَ بظلامه.

٨٤٢٥ ـ قال أبو العلاء المعرّي يخاطب نفسَه:

أبا العَلا يا ابن سليمانا ... إنّ العمى أولاكَ إحسانا
لو أبصرتْ عيناك هذا الورى ... لم يرَ إنسانُك إنسانا[1]

٨٤٢٦ ـ أسباب منع الصرف عند النحاة تسعة وقد نظّمها الشاعر بقوله:

عدلٌ ووصفٌ وتأنيثٌ ومعرفةٌ ... وعُجمةٌ ثم جمعٌ ثمّ تركيبُ
والنونُ زائدةٌ من قبلها ألفٌ ... ووزنُ فعلٍ وهذا القولُ تقريبُ

---

(١) لم ير إنسانك: لم تر عينيك.

٨٤٢٧ ـ قال بشّار بن برد:

وإذا أقلَّ ليَ البخيلُ عذرتهُ
إنَّ القليلَ من البخيلِ كثيرُ

٨٤٢٨ ـ قال بشّار:

يا رحمةَ الله حُلّي في منازلنا وجاورينا فدتكِ النفسُ من جارِ
كأنني يوم لا تمشين راضيةً أمشي على جمرةٍ أو حدِّ مِسمارِ

٨٤٢٩ ـ قال بشّار:

إنّي وإنْ كان جمعُ المالُ يُعجبني لا يَعدِلُ المالُ عندي صِحّةَ الجسدِ
المالُ زينٌ وفي الأولادِ مكرمةٌ والسُّقمُ يُنسيكَ ذكر المالِ والولدِ

٨٤٣٠ ـ قال بشّار ونُسب أيضاً إلى أبي عليّ البصير:

يزدحم الناس على بابه
والموردُ العذبُ كثيرُ الزِحامْ

وقد مرّ هذا البيت في هذا الكتاب دون أن يُنسبَ إلى أحد.

٨٤٣١ ـ قال بشّار ونُسب أيضاً إلى عمرو بن معد يكرب:

لقد أسمعتَ لو ناديتَ حيّاً ولكنْ لا حياةَ لمن تنادي

٨٤٣٢ ـ قال محمّد بن بشار:

غلط الفتى في قوله: من لا يُردكَ فلا تُرِدْهُ
كم من أخٍ لك يا ابن بشّـ ـارٍ وأمّكَ لم تَلِدْهُ

والبيت الثاني مأخوذٌ من قول أمير المؤمنين عليه السلام: «رُبَّ أخٍ لك لم تلده أمّك».

٨٤٣٣ ـ قال الشاعر:

ما كنتُ أحسبُ أنّ الخبزَ فاكهةٌ
حتى نزلتُ على قومٍ بميسانِ
قومٌ إذا ما أتى الأضيافُ منزلَهُمْ
لم يُنزلوهمْ ودَلّوهمْ على الخانِ

ومثله قولُ الآخر:

ما كنتُ أحسبُ أنّ الدُّخْنَ فاكهةٌ حتى نزلتُ بوادي آل عمّارِ
قومٌ إذا استقبح الأضيافُ كلبَهُمْ قالوا لأُمّهُمْ: بولي على النارِ
فضيّقتْ فرجَها بُخلاً ببولتها فلمْ تبُلْ لهمْ إلا بمقدارِ

٨٤٣٤ ـ قال مطيع بن أياس:

جاريةٌ أحسنُ من حَلْيِها والحَلْيُ فيه الدُرُّ والجوهرُ
وريحُها أطيبُ من طيبِها والطيبُ فيه المسكُ والعنبرُ

٨٤٣٥ ـ إنّ اسمَ «محمّد» لم يستعملْه العربُ في أسمائهم قبل النبيّ ﷺ إلا لسبعة أشخاصٍ وهم: محمّد بن سفيان بن مجاشع، ومحمد بن بر بن عتوارة، ومحمّد بن خزاعي بن علقمة السلمي، ومحمّد بن حمران بن مالك الجعفي، ومحمّد بن عقبة بن أحيحة الأوسي، ومحمّد بن مسلمة الأنصاري، ومحمّد بن الحرماز بن مالك.

٨٤٣٦ ـ قال الشاعر:

لي خمسةٌ أهلُ العَبا أطفي بهم نارَ الوَبا
المصطفى والمرتضى وفاطمٌ ذاتُ الإبا
والحسنانِ خيرُ أهلِ الأرض أماً وأبا

٨٤٣٧ ـ حُكي: إنّ الأميرَ ابنَ مُنقذ كان يعمل في خدمة محمود بن صالح صاحب حلب، ثم حدثت له حادثة اضطرّته إلى الهرب منه إلى طرابلس، فأرسل إليه ابن صالح يطلب منه العودةَ إليه فلم يعُدْ خوفاً منه، فأحضر رجلاً من أهل حلب كان صديقاً لابن منقذ وأمره أن يكتب له كتاباً يطمئنه ويشجّعه على العودة إليه، فما كان يسعه إلا أن يستجيب له مع أنّه يخاف على صديقه منه، ففكّر في طريقةٍ تُنجيه وتنجي صديقَه من بطشه فاهتدى إلى طريقةٍ حسنة حيثُ كتب الكتاب ـ كما أراد ابن صالح ـ ولكنه ختمه بقوله: «إن شاء الله تعالى» وأرسله إلى ابن منقذ، فلمّا قرأ الكتاب قال: هذا كتاب صديقي ولا أحسب أنه يغشّني ولولا أنّه يعلم بعفو صاحب حلب عني لمّا كتب إليّ، وعزم على السفر. وكان له ولدٌ ذكيّ فقرأ الكتاب وأمعن النظرَ فيه ثمّ قال لأبيه: يا أبتِ مكانَكَ لا تعجلْ بالسفر فإنّ صديقك قد حذّرك من العودة، فقال له أبوه: وكيف يا بنيّ؟ قال: إنّه كتب في آخر الكتاب: «إن شاء الله تعالى» وشدّد إنّ، وأعتقد أنه يشير إلى قوله تعالى في سورة القصص، الآية (٢٠): ﴿إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ﴾ فاستطلع الأمرَ قبل السفر، فاستطلَعَ فكان كما قال.

٨٤٣٨ ـ قيل: إنّ أحدَ التّجار في مصر كان له عبدٌ اسمه «بَيْلَبَك» فافتقر التاجر وأفلس فقال له عبدُه: بِعْني يا سيّدي، واستعنْ بثمني على قضاء حوائجك، فباعه مُكرَهاً.

ثم مضت الأيّام فإذا بهذا العبد يُصبح من رجالات مصر البارزين وصار يُدعى: «الأميرُ بدر الدين بَيْلَبَك». فلمّا اشتدّت الفاقةُ بسيّده السابق كتب إليه هذينِ البيتيْن:

كنّ جميعيْنِ في بؤسٍ نكابدُهُ والقلبُ والطرفُ كلٌ في أذًى وقذى
والآنَ أقبلتِ الدنيا عليكَ بما تهوى فلا تنسَني إنّ الكرامَ إذا

يشير إلى بيت إبراهيم الصولي:

إنّ الكرامَ إذا ما أيسروا ذكروا
مَن كان يألفهُمْ في المنزلِ الخشنِ

٨٤٣٩ ـ قال ابن المكرّم:

بالله إنْ جُزتَ بوادي الأراكْ وقبّلتْ عيدانهُ الخُضرَ فاكْ
ابعثْ إلى المملوك من بعضه فإنني والله ما لي سِواكْ

وفي قوله: «ما لي سواك» تورية جميلة ففيه معنى ما لي غيركَ، وفيه معنى ما لي سِواك أي مسواكٌ.

٨٤٤٠ ـ قال الشيخ عز الدين الموصلي:

لحظتُ في وجنتِها شامةً فابتسمتْ تعجَبُ من حالي
قالت: قِفوا واستمِعوا ما جرى قد هام عمّي الشيخُ في خالي

وفي كلمة «خالي» تورية جميلة فظاهرها يُدلّ على معنى الخال أي أخ الأم، ولكنّها تريد بها معنًى آخر وهو «الشامة».

٨٤٤١ ـ اللَّحْن: يأتي مرّةً بمعنى الخطأ في القول، ومنه قول الشاعر:

ويُعجِبُني زِيُّ الفتى وجمالهُ ويَسقط من عينيّ ساعةَ يَلْحَنُ

أي حين يُخطىء في كلامه ويجانب الصوابَ في منطقه.

ويأتي مرّةً ثانيةً بمعنى الإبهام في القول وعدم الإفصاح،

والتلويح فيه وعدم التصريح، ومنه قول الشاعر:

منطقٌ رائعٌ وتَلْحَنُ أحياناً   وخيرُ الحديثِ ما كان لَحْنا

أي إنّها تلوّح بكلامها ولا تصرّح وخير الكلام ما كان كذلك. ولعلّ منه قولُه تعالى في سورة محمّد، الآية (٣٠): ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ ٱلْقَوْلِ﴾ أي في أساليبهم الخفيّة.

ويأتي مرّةً ثالثة بمعنى الفِطنة، ومنه ما روي عن النبيّ ﷺ أنّه قال: «إنّكم تختصمون إليّ، ولعلّ بعضكم يكونَ ألْحَنَ بُحجّته من بعض ـ أي أفطن لها ـ، فمن قضيتُ له بشيءٍ من حقّ أخيه فإنّما أقطعُ له قطعةً من النار».

ويأتي مرّة رابعة بمعنى ترجيع الصوت والتغنّي به، ومنه قوله الشاعر:

غنّى على الأغصانِ   بأعذب الألحانِ

٨٤٤٢ ـ حدّثنا التاريخ: إنّ أبا فراس الحمداني لمّا أصيبَ في إحدى المعارك التي خاضها بِجُرحٍ يهدّد حياته بالخطر وأحسّ بقُرب أجله قال يخاطب ابنتهِ وهو يواسيها ويخفّف عنها ألَمَ فِراقه:

أبُنيّتي لا تجزَعي   كلُّ الأنامِ إلى ذَهابِ

نوحي عليَّ بحسرةٍ   من خلفِ سترِكِ والحجابِ

قولي إذا ناديتِني   فعَييتُ عن ردّ الجوابِ:

زينُ الشبابِ أبو فراسٍ   لم يُمتّع بالشبابِ

٨٤٤٣ ـ قال الشاعر:

خيرُ ما في الوجود دينٌ وعلمٌ   بهما تنهضُ الشعوبُ وتسمو

٨٤٤٤ ـ من كلمات أمير المؤمنين عليه السلام القيمة قولُه: «الغريبُ مَن ليس له حبيب»، وقولُه: «الصدقُ عزّ، والكذبُ عجز»، وقولُه: «ثمرةُ القناعة الراحة، وثمرةُ التواضع المحبّة».

٨٤٤٥ ـ قال ابن الوردي عمر بن المظفر:

إذا أحببتَ نظمَ الشعر فاختَرْ لنظمك كلَّ سهلٍ ذي امْتناعِ
ولا تُكثر مجانسةً[1] ومكّنْ قوافيَهُ وكِلْهُ إلى الطِّباعِ

٨٤٤٦ ـ قال ابن الوردي:

لي صاحبٌ واسْمُهُ سِراجٌ ما قرّ لي عندهُ قرارُ
لسانُه محرقٌ لقلبي إنّ لسانَ السِّراج نارُ

٨٤٤٧ ـ قال ابن الوردي:

يقول بدرٌ طالعٌ في ليل شَعْرٍ حالكٍ[2]:
إنّ إمامي مالكٌ فقلتُ: أنتَ مالكي

٨٤٤٨ ـ قال ابن الوردي:

فوِصالُ العدوّ ليس وِصالاً وانقطاعُ المحبّ ليس انقطاعا

٨٤٤٩ ـ قال ابن الوردي:

فمن آتى فمرحباً ومن تولّى فإلى

أي: فإلى حيثُ ألقت رحلَها أم قشعم يعني الموت، أو فإلى جهنّمَ وبئس المصير أو ما يُشبهُ ذلك.

---

(١) لا تكثر مجانسة: لا تكثر من استعمال الجناسَ.

(٢) حالك: مظلم.

٨٤٥٠ ـ قال ابن الوردي:

وقائلٍ لي: طسرفُه فاتِرٌ قلتُ: وبالنونِ وبالكافِ

أي: وفاتنٌ وفاتك أيضاً.

٨٤٥١ ـ قال ابن الوردي:

ألا قاتل الله مَن يطمعُ فلم أرَ أرذلَ من طامعِ

فِلِلّه كلُّ فتًى يقنعُ ولم أرَ أرفعَ من قانعِ

٨٤٥٢ ـ قال ابن الوردي:

كيف أسلو عنك قُلْ لي عنك قُلْ لي كيف أسلو[1]

ليس يخلو منك قلبٌ منك قلبُ ليس يخلو

أنت كلٌّ لستَ بعضاً لستَ بعضاً أنت كلُّ

٨٤٥٣ ـ قال ابن الوردي في رثاء ابنته:

أثّر الحزنُ بقلبي أثراً يوم غيّبتُ الثريا في الثرى

٨٤٥٤ ـ قال ابن الوردي:

زيادةُ الفضل عينُ النقص عندهُمُ وكثرةُ المال فيهم أرفعُ الدرَجِ

وقد ضمّنه جزءاً من بيت الفارض:

مَن مات فيه غَراماً مات مرتقياً

ما بين أهل الهوى في أرفع الدرَجِ

٨٤٥٥ ـ قال ابن الوردي:

نَحلْتُ فمَن يغُذني لم يجذني وليس يدُلّه إلا أنيني

---

(١) أسلو: أصبر.

وقد أخذ هذا المعنى من قول المتنبي:

كفى بجسمي نُحولاً[1] أنني رجلٌ
لولا مخاطبتي إيّاكَ لم ترَني

٨٤٥٦ ـ قال ابن الوردي:

ولا تجهلْ بجهلٍ من أناسٍ وإنْ همْ خاطبوكَ فقلْ: سلاما

يشير إلى قوله تعالى في سورة الفرقان، الآية (٦٣): ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَـٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَـٰمًا﴾ .

٨٤٥٧ ـ قال ابن الوردي:

يقول من يقيس بلقيس بها آمِرةٌ ناهيةٌ عُشّاقَها
«إنّي وَجَدْتُ امْرأةً تَمْلِكُهُمْ وَأوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ» راقَها

فقد ضمن بشعره قوله تعالى في سورة النمل: ﴿إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾ .

٨٤٥٨ ـ قال ابن الوردي وفيه جناس مكرّر:

ودارِهِمْ في دارِهِمْ وحَيِّهِمْ
في حَيِّهِمْ وارضِهِم في أرضِهِمْ

٨٤٥٩ ـ قال ابن الوردي وفيه جناسٌ ملفّق:

كلُّ غرامٍ فيك أمسى لي أوالهاً بي كنتَ أم سالِ[2]
فاجْرِ على أحسن مِنوالِ فليس لي غيرُكَ مِن والِ

---

(١) النحول: الضعف الشديد.

(٢) الواله: المتلهف من شدّة الوجد. السال: الصابر.

٨٤٦٠ ـ قال ابن الوردي وفيه جِناسٌ مقلوب:

انقلبَ الحبرُ على ثوبكَ فأبْشِرْ بالأدبْ
فإنّ حبرَ كاتبٍ ريحٌ إذا هو انقلبْ

٨٤٦١ ـ قال ابن الوردي وهو من «الترصيع».

ألا تتعطّفينَ وأنتِ غصنٌ ألا تتلفّتينَ وأنتِ ظبْيُ

وقال أيضاً:

يكدّرُني نواكَ وأنتَ صافٍ ويُسكِرُني هواكَ وأنتَ صاحٍ

٨٤٦٢ ـ كان ابن الوردي معاصراً للملك الأشرف «كجك» الذي تسلّم مقاليد المُلك وهو طفلٌ لم يبلغ سنَّ الرشد:

سلطانُنا اليومَ طفلٌ والأكابرُ في خُلْفٍ وبينهم الشيطانُ قد نَزغا[1]
فكيف يطمع مَن مسّته مظلمَةٌ أن يبلغَ السؤلَ والسلطانُ ما بلغا

٨٤٦٣ ـ قال علي بن محمّد البُرْقُعي:

ما همّتي إلا مقارعةُ العِدى خَلِقَ[2] الشبابُ وهمّتي لم تَخْلَقِ
والمرءُ كالمدفونُ تحت لسانه ولسانُه مفتاحُ بابٍ مُغلَقِ
إنّي أرى الأكياسَ[3] قد تُركوا سدًى وأزمّةُ الأملاك طوعَ الأحمقِ
لو كان بالحيلِ الغنى لوجدتني بنجوم أقمار السماءِ تعلُّقي
لكنّ مَن رُزِقَ الحِجى[4] حُرِمَ الغِنى ضدّانِ مفترقانِ أيَّ تفرُّقِ

---

(١) خلف: اختلاف. نزغ: وسوس.

(٢) خلِقَ: بلي.

(٣) الأكياس: العقلاء.

(٤) الحِجى: العقل.

والبيت الثاني مأخوذ من قول إمام البلغاء أمير المؤمنين عليه السلام: «تكلّموا تُعرفوا فإنّ المرء مخبوء تحت لسانه».

٨٤٦٤ ـ نظم شِهابُ الدين الشوّاء الحلبي المتوفّى سنة ٦٣٥هـ قصيدةً جمع فيها ثلاثين فعلاً من الأفعال المعتلّة اللام ـ أي الوسط ـ التي جاء فيها لغتان: الواو والياء، وعدد أبياتها خمسةَ عشرَ بيتاً ومطلعها:

قلْ إنْ نسَبْتَ عزوتُه وعزيتُه ... وكنوتُ أحمدَ كُنيةً وكنيتهُ

ونظم بهاءُ الدين بنُ النحّاس المتوفّى سنة ٦٩٨هـ قصيدةً مشابهةً لقصيدة الشوّاء جمع فيها تسعةً وخمسين فعلاً من الأفعال المعتلّةِ اللام التي جاء فيها لغتان: الواو والياء، وعدد أبياتها أربعةٌ وثلاثون بيتاً ومطلعها:

وأسوْتُ مثل أسيتُ صلحاً بينهم ... وأسوْتُ جُرحي والمريضُ أسيتُهُ

٨٤٦٥ ـ قال أمير المؤمنين عليه السلام: «مَن كساه الحياءُ ثوبَه، لم يرَ الناسُ عيبَه».

٨٤٦٦ ـ قال الشاعر:

قد يجمعَ المالَ غيرُ آكلهِ ... ويأكلُ المالَ غيرُ جامعِه

٨٤٦٧ ـ كلمة «اللّهمّ» معناها «يا الله» والميم زائدة، قال سيبويه في «الكتاب»: إنّهم زادوا الميم في آخره عوضاً عن حرف النداء فلا يجوز الجمع بينهما فلا يُقال: «يا اللّهمّ». ولكن ورد في بعض الأشعار العربيّة الجمعُ بينهما كقول أحدهم:

إنّي إذا ما حدَثٌ ألمّا ... أقول: يا اللّهمّ يا اللّهمّا

وقولِ الآخر:

وما عليكِ أنْ تقولي كلّما
صلّيتِ أو سبّحتِ يا اللّهمّ ما
أرْدُدْ علينا شيخنا مسلّما

وربما كان قولهم هذا من باب الضرورة فلا يُحتجُّ به ولا يُستَنَدُ عليه.

وقال سيبويه أيضاً: إنّ كلمة «اللّهمّ» لا يدخل عليها الوصف، وخالفه في ذلك بعض العلماء كأبي العبّاس المبّرد واحتجّوا بقوله تعالى في سورة آل عمران، الآية (٢٦): ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ﴾، وقوله في سورة الزمر، الآية (٤٦): ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾. ولعلّ الأصح ما قاله سيبويه، والاحتجاج بالآيتينِ الكريمتيْنِ غيرُ سديد لاحتمالَ أنْ تكونَ كلمةُ «مالك» وكلمةُ «فاطر» منصوبتيْنِ على أنّ كلاً منهما منادى مستقل وليست صفةً لكلمة «اللّهمّ» فكأنّه قال: قُل اللهمّ يا مالكَ الملك، وقُل اللّهمّ يا فاطرَ السموات والأرض، وإذا طرأ فيهما هذا الاحتمال بطل بهما الاستدلال.

٨٤٦٨ ـ جاء في بعض كتب الأدب والتراجم: إنّ الكميتَ رأى في منامه رسولَ اللهﷺ فقال له: أنشدني قصيدتك التي مطلُعها:

طَرِبتُ وما شوقاً إلى البيض أطرَبُ ولا لعِباً منّي وذو الشيب يلعَبُ؟

فقال لهﷺ: «بارك الله فيك وفي قومك» فكان قومُه يلتمسونَ هذه البركة بينهم جميعاً ويقولون إنّها سبب دعاء رسول اللهﷺ.

وحكي: إنّ رجلاً من قومه رأى رسول اللهﷺ أيضاً في منامه فلّما علِمﷺ أنّه من عشيرة الكميت قال له: أتحفظ شيئاً من شعره؟

قال: نعم، قال ﷺ: فأنشدني شيئاً منه، فأنشد الرجل قصديته البائية الشهيرة التي مطلُعها:

طرِبتُ وما شوقاً إلى البيض أطربُ ولا لِعباً منّي وذو الشيب يلعَبُ

حتى وصل إلى قوله فيها:

وما ليَ إلا آلَ أحمدَ شيعةٌ وما لي إلا مذهبَ الحقّ مذهبُ

فقال ﷺ: «بشّرِ الكميت بأنّ الله عزّ وجل غفر له ذنوبَه كلَّها من أجل هذه القصيدة».

٨٤٦٩ ـ روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «ثلاثٌ من كُنّ فيه استكمل حقيقة الإيمان: مَن إذا غضب لم يُخرِجُه غضبُه من الحقّ، وإذا رضيَ لم يُدْخِلْه رضاه في الباطل، وإذا قدِرَ عَفا ـ أو إذا قدِرَ عَف ـ».

ومعنى إذا قدِرَ عفا أي إذا تمكّن من خصمه التزم جانبَ العفو، فإنّ العفوَ عند المقدرِة من أعظم الملكات.

ومعنى إذا قدِرَ عف أي إذا تمكّن من الفاحشة التزم جانبَ العِفّة، فإنّ العفّةَ بعد القدرة من أفضل الصفات، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «ما المجاهد الشهيد في سبيل الله بأعظمَ أجراً ممن قدِرَ فعف، كاد العفيف أن يكون ملِكاً من الملائكة».

والإمام الصادق عليه السلام ربّما أراد المعنى الأوّل، وربما أراد المعنى الثاني فكلاهما ممّا يستكمل به الإنسانُ حقيقةُ الإيمان.

٨٤٧٠ ـ قال محمّد بن منذر يخاطب أهلَ البيت عليهم السلام:

نحن قومٌ نرى الولايةَ فيكم هي نصٌّ لا يقبل التحويرا

بيعةٌ في غدير خمٍّ بأمرٍ نصب المصطفى عليّاً أميرا

بيعة أكمل المهيمنُ فيها ديننا فارتضاه للناس نورا
ومن الرجس والخبائثِ طرّاً طهّر الله بيتكم تطهيرا
أنجبتكم أمُّ المعالي فحزتُم مصبَ السَّبق أوّلاً وأخيرا

٨٤٧١ ـ روى الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» بسنده عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «عنوانُ صحيفة المؤمن حبُّ عليّ بن أبي طالب».

وروى أبو نعيم في «حلية الأولياء» بسنده عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مَنْ سرّه أن يحيا حياتي، ويموت مماتي، ويسكن جنّةَ عدنٍ غرسها ربّي، فليوال عليّاً من بعدي، وليوالِ وليّه، وليقتدِ بالأئمة من بعدي، فإنّهم عترتي، خُلِقوا من طينتي، ورُزِقوا فهماً وعلماً، وويلٌ للمكذّبينَ بفضلهم من أمتي، القاطعينَ فيهم صِلتي، لا أنالهم الله شفاعتي».

٨٤٧٢ ـ روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «كونوا للعلم وُعاةً ولا تكونوا له رواة».

٨٤٧٣ ـ روي عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال لولدهِ: «يا بنيّ اعرف منازلَ شيعة عليٍّ على قدرِ رواياتهم ومعرفتهم، فإنّ المعرفةَ هي الدرايةُ للرواية، وبالدرايات للروايات يعلو المؤمن إلى أقصى درجة الإيمان. إني نظرتُ في كتابٍ لعليّ عليه السلام فوجدتُ فيه: إنّ زنَة كلِّ امرئٍ وقدرَه معرفتُه. إنّ الله يحاسب العبادَ على قدر ما آتاهم من العقول».

٨٤٧٤ ـ روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «خبر تدريه خيرا من عشرِ ترويه. إنّ لكلّ حقٍ حقيقةً، ولكلّ صوابٍ نوراً».

٨٤٧٥ ـ روى ابنُ كثير في « البداية» والخطيبُ الخوارزمي في «المناقب» بسندهما عن عبدالله بن مسعود قال: كنتُ مع رسول الله ﷺ وقد اصحر ـ أي خرج إلى الصحراء ـ فتنفس الصُعَداء فقلتُ يا رسول الله ما لك تتنفس؟ قال: « يا ابن مسعود نُعِيَت إليّ نفسي » فقلتُ: يا رسول الله استخلف، قال: «مَن؟» قلتُ: أبا بكر فسكت ثم تنفّس، فقلتُ: ما لي أراك تتنفّس؟ قال: « نُعيت إليّ نفسي» فقلتُ: استخِلف يا رسول الله، قال: «مَن؟» قلتُ: عمر بن الخطّاب فسكت. ثم تنفس، فقلتُ: ما شأنك يا رسول الله؟ قال: « نُعِيَت إليّ نفسي» فقلت: يا رسول الله استخلف، قال: « من؟» قلتُ: علي بن أبي طالب قال: «أوه ولن تفعلوه إذاً أبداً، والله لئن فعلتموه ليُدِخلنكم الجنّة».

وروى أحمدُ بنُ حنبل في «المسند» بسنده عن زيد بن يثيع عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «وإن تؤمروا علياً ولا أراكم فاعلين تجدوه هادياً مهدياً يأخذ بكم الطريق المستقيم»، وروى الخطيبُ البغدادي في تاريخه بسنه عن حذيفه بن اليمان عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «وإن ولّيتموها ـ أي الخلافة ـ عليّاً وجدتموه هادياً مهدياً يسلك بكم الطريق المستقيم»، وروى أبو نعيم في حِليته بسنده عن حذيفة عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «إن توَلّوا عليّاً تجدوه هادياً مهدياً يسلك بكم الطريق المستقيم»، وروى المتقي الهندي في «كنز العمّال» بسنده عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «إن تستخلِفوا عليّاً وما أراكم فاعلين تجدوه هادياً مهديّاً يحملكم على المحجّة البيضاء».

٨٤٧٦ ـ روى شِهاب الدين الهمداني في «مودة القربى» والشيخ سليمان الحنفي في «ينابيع الموّدة» بسندهما عن عمر بن الخطّاب قال:

نصب رسول الله ﷺ علياً علَماً فقال: «من كنتُ مولاه فعليّ مولاه، اللّهمّ والِ من والاه، وعادِ من عاداه، واخذل من خذله، وانصُر من نصره، اللّهمّ أنت شهيدي عليهم» فقلتُ: يا رسولَ الله كان في جنبي شاب حسنُ الوجه طيّبُ الريح قال لي: «يا عمر لقد عقد رسول الله عقداً لا يحِلّه إلا منافق» فأخذ رسول الله ﷺ بيدي فقال: « يا عمر إنّه ليس من ولد آدم لكنّه جبرئيل أراد أن يؤكّد عليكم ما قلته في عليّ».

٨٤٧٧ ـ قال ابن أبي الحديد المعتزلي في «شرح نهج البلاغة»: وذكر جماعة من شيوخنا البغداديّين أنّ عِدّةً من الصحابة والتابعين والمحدّثين كانوا منحرفين عن عليّ عليه السلام قائلين فيه السوء، وفيهم مَن كتم مناقبه وأعان أعداءه ميلاً مع الدنيا وإيثاراً للعاجلة. فمنهم أنس بن مالك حين ناشد عليّ عليه السلام في رحبة القصر أو قالوا في رحبة الجامع بالكوفة: أيّكم سمع رسولَ الله ﷺ يقول: «مَن كنتُ مولاه فعليّ مولاه» فقام اثنا عشر رجلاً فشهِدوا بها وأنس بن مالك في القوم لم يقم، فقاله له عليه السلام: «يا أنس ما يمنعك أن تقومَ فتشهد ولقد حضرتها؟» فقال أنس: يا أميرَ المؤمنين كبرتُ ونسيت، فقال عليه السلام: «اللّهمّ إنْ كان كاذباً فارمِه ببيضاءَ لا تواريها العِمامة». قال طلحة بن عمير: فوالله لقد رأيتُ الوضح به بعد ذلك: ابيضّ بين عينيه. وروى عثمان بن مطرف: إنّ رجلاً سأل أنسَ بنَ مالك في آخر عمره عن عليّ بن أبي طالب فقال: إنّي آليتُ أن لا أكتمَ حديثاً سُئلتُ عنه في عليّ بعد يوم الرحبة، ذاك رأس المتّقين يوم القيامة، سمِعتُه والله من نبيّكم ﷺ.

٨٤٧٨ ـ روى الخوارزمي الحنفي في «المناقب» وسبط ابن الجوزي في «تذكرة الخواص»: إنّ أميرُ المؤمنين عليه السلام كتب أيّام صفّين

كتاباً إلى معاوية وأرسلهُ إليه بيد الأصبغ بن نباتة فدخل عليه وهو جالس وعن يمينه عمرو بن العاص وحوشب وذو الكلاع، وعن شماله أخوه عتبة والوليد بن عقبة وعبد الرحمن بن خالد وشرحبيل بن السمط، وبين يديه أبو هريرة وأبو الدرداء والنعمان بن بشير وأبو أمامة الباهلي.

فلمّا قرأ الكتاب قال: إنّ عليّاً لا يدفع إلينا قتلة عثمان. فقال له الأصبغ: يا معاوية لا تعتلّ بدم عثمان فإنّك تطلب الملك والسلطان، ولو كنتَ أردتَ نصرَه حيّاً لنصرته، ولكنّك تربّصتَ به لتجعلَ ذلك سبباً لوصولك إلى الملك، فغضِب معاوية من كلامه. فقال الأصبغ لأبي هريرة: يا صاحبَ رسولَ الله إنّي أحلّفك بالذي لا إله إلا هو عالمُ الغيبُ والشهادة، وبحقّ حبيبه المصطفى عليه وآله السلام إلا أخبرتني أشهِدتَ يوم غدير خم؟ قال: بلى شهدتُه، قال الأصبغ: فما سمِعتَ رسولَ الله ﷺ يقول في عليّ عليه السلام؟ قال أبو هريرة: سمِعتهُ يقول: «من كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه، اللّهمّ والِ من والاه، وعادِ من عاداه، وانصرْ من نصره، واخذل من خذله» فقال الأصبغ: فإذاً أنتَ يا أبا هريرة واليتَ عدوّه وعاديتَ وليّه.

فتنفّس أبو هريرة الصعداء وقال: إنّا لله وإنّا إليه راجعون.

٨٤٧٩ ـ قال ابن أبي الحديد في «شرح نهج البلاغة»: روى سفيان الثوري عن عبد الرحمن بن القاسم عن عمر بن عبد الغفار: إنّ أبا هريرة لمّا قدِم الكوفة مع معاوية كان يجلس بالعشيّات بباب كندة ويجلس الناس إليه، فجاء شاب من الكوفة فجلس إليه فقال: يا أبا هريرة أنشدك الله أسمِعتَ رسولَ الله ﷺ يقول لعليّ عليه السلام: «اللّهمّ والِ من والاه وعادِ من عاداه» فقال: اللّهمّ نعم، فقال الشاب: أشهد بالله

لقد واليتَ عدوَّه وعاديتَ وليَّه. ثم قام عنه. وروت الرواة: إنّ أبا هريرة كان يؤاكل الصبيانَ في الطريق ويلعب معهم، وكان يخطب وهو أمير المدينة ويقول: الحمد لله الذي جعل الدِّين قياماً، وأبا هريرة إماماً، ليُضحكَ الناسَ بذلك.

وكان يمشي وهو أمير المدينة في السوق، فإذا انتهى إلى رجلٍ يمشي أمامه ضرب برجليه الأرضَ ويقول: الطريقَ الطريق قد جاء الأمير ـ يعني نفسه ـ.

٨٤٨٠ ـ قال المسعودي في «مروج الذهب»: «الأشياء التي استحقّ بها أصحابُ رسول الله ﷺ الفضل هي: السَّبْقُ إلى الإيمان والهجرة، والنُّصرةُ لرسول الله ﷺ والقربى منه، والقناعةُ، والزهدُ، والقضاءُ، والحلمُ، والعفّةُ، والعلم. وكلُّ ذلك لعليّ عليه السلام منه النصيبُ الأوفر والحظُّ الأكبر، إلى ما ينفرد به من قول رسول الله ﷺ حين آخى بين أصحابه: «أنت أخي»، وقوله ﷺ: «أنتَ مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنّه لا نبيَّ بعدي» وقوله: «من كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه، اللّهمّ والِ من والاه، وعادِ من عاداه»، ثم دعاؤه ﷺ وقد قدّم إليه أنس الطائر: «اللّهمّ أدخِلْ إليّ أحبَّ خلقك إليك يأكل معي من هذا الطائر» فدخل عليه عليٌّ عليه السلام».

٨٤٨١ ـ قيل: إنّ رجلاً فُرِض عليه أن يقفَ خطيباً بين مجموعةٍ من الناس في ثلاثة أيّام ولم يكن قادراً على ذلك، فتحيّر في أمره، وأخيراً وقف فيهم في اليوم الأوّل فقال: أيّها الناس هل تفهموني وتفهمون ما أريد أن أقول لكم؟ فقالوا: لا، فقال: إذا كنتم لا تفهموني ولا تفهمون ما أريد أن أقول لكم فلا فائدةَ من الكلام معكم ثم

انصرف. فقرّر القوم أن يقولوا له: نعم إذا كلّمهم في اليوم الثاني. فلما وقف فيهم قال لهم: أيّها الناس هل تفهموني وتفهمون ما أريد أن أقول لكم؟ فقالوا: نعم، فقال: إذا كنتم تفهموني وتفهمون ما أريد أن أقولَ لكم فلا حاجةَ إذاً للكلام معكم ثم انصرف. فقرّر القوم أن ينقسموا إلى فريقين فريق يقول: نعم، وفريق يقول: لا. فلما وقف فيهم في اليوم الثالث قال لهم: أيّها الناس هل تفهموني وتفهمون ما أريد أن أقولَ لكم؟ فقال فريق منهم: نعم، وقال الفريق الآخر: لا، فقال: على الذين يفهمون أن يعلّموا الذين لا يفهمون ثم انصرف. وبهذه الطريقة تخلّص من المأزق الحرج الذي وقع فيه.

٨٤٨٢ ـ روى الحافظ الهروي في تفسيره وأبو إسحاق النيسابوري في تفسيره وأبو بكر القرطبي في تفسيره وأبو السعود العمادي الحنفي في تفسيره وشمس الدين الشربيني الشافعي في تفسيره وبرهان الدين الحلبي الشافعي في «السيرة الحلبيّة» والشبلنجي الشافعي في «نور الأبصار» والحاكم الحسكاني في «دعاة الهداة» وسبط ابن الجوزي في «تذكرة الخواص» والحمويني الشافعي في «فرائد السمطيْن» وغيرهم: إنّ رسولَ الله ﷺ لمّا رجع من حجّة الوداع وبعد أن نصب عليّاً عليه السلام أميراً للمؤمنين في غدير خم وقال فيما قال: «مَن كنتُ مولاه فهذا عليٌّ مولاه...» شاع قوله هذا في البلاد فبلغ ذلك الحارثُ بن النعمان الفهري فأتى رسولَ الله ﷺ على ناقةٍ له فأناخها وأقبل إلى النبي ﷺ وجثا بين يديْه وقال: يا محمّد أمرتنا عن الله أن نشهدَ أن لا إله إلا الله وأنّك رسولُ الله فقبِلنا، وأمرتنا أن نصلّيَ خمساً فقبِلنا، وأمرتنا بالزكاة فقبلنا، وأمرتَنا بالصوم فقبِلنا، وأمرتنا بالحج فقبلنا، ثم لم ترض بهذا حتى رفعتَ بضبعي ابن عمّك وفضّلته علينا وقلتَ: «من

كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه» فهذا شيءٌ منك أم من الله؟ فقال النبيّ ﷺ: «والذي لا إله إلا هو إنّ هذا من الله» فولّى الحارثُ بن النعمان يريد راحلته وهو يقول: اللّهمّ إن كان ما يقول محمّد حقّاً فأمطِرْ علينا حجارةً من السماء أو ائتنا بعذاب أليم.

فما وصل إليها حتى رماه الله تعالى بحجرٍ فسقط على هامته وخرج من دُبُره وقتله. فأنزل الله عزّ وجل على نبيّه ﷺ قولَه في سورة المعارج: ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ۝١ لِّلۡكَٰفِرِينَ لَيۡسَ لَهُۥ دَافِعٞ ۝٢ مِّنَ ٱللَّهِ ذِي ٱلۡمَعَارِجِ ۝٣﴾.

٨٤٨٣ ـ لقد صوّر شاعران كبيران طبيعةَ الفرق بين أهل البيت عليهم السلام وبين بني أميّة تصويراً رائعاً.

أحدهما: صفيّ الدين الحلّي حيثُ يقول في أهل البيت عليهم السلام:

إليكم وإلا لا تُشَدُّ الركائبُ
ومنكم وإلا لا تُنالُ الرغائبُ
وفيكم وإلا فهْو قولٌ مزخرفٌ
وعنكم وإلا فالمحدّثُ كاذبُ

وثانيهما: عبد الباقي العمري حيثُ يقول في بني أميّة:

واحَرَبا[1] يا آل حربٍ منكمُ
يا آل حرْبٍ منكُمُ واحَربَا
فيكمْ وعنكمْ وإليكمْ وبكمْ
ما لو شرحناه فضحنا الكُتبا

---

(١) واحربا: كلمة تأسّف وتذمّر.

وصدق قول الشاعر بقوله:

آل حـزبٍ قـد أضـرمـتْ لـبـنـي هـاشـمَ حرباً يشيبُ فيهـا الـولـيـدُ
فابن حزبٍ للمصطفى وابن هندٍ لـعـلـيٍّ ولـلـحـسـيـن يـزيـدُ

٨٤٨٤ ـ روى فرات بن إبراهيم الكوفي بسنده عن عبد الله بن الفضل الهاشمي عن الإمام الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يومُ غدير خم أفضلُ أعياد أمتي، وهو اليومُ الذي أمرني الله تعالى ذكره بنصب أخي عليّ بنِ أبي طالب علماً لأمتي، وهو اليوم الذي أكمل الله فيه الدين، وأتمّ على أمتي فيه النعمة، ورضيَ لهم الإسلام ديناً».

وروى أيضاً بسنده عن فرات بن أحمد قال: قلتُ لأبي عبد الله عليه السلام: جُعِلتُ فِداك للمسلمين عيد أفضل من الفطر والأضحى ويومَ الجمعة ويوم عرفة؟

قال عليه السلام: نعم أفضلُها وأعظمُها وأشرفُها عند الله منزلةً هو اليومُ الذي أكمل الله فيه الدين، وأنزل على نبيّه محمّد صلى الله عليه وآله: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[1]، قلتُ: وأيّ يوم هو؟ قال: «إنّ أنبياء بني إسرائيل كانوا إذا أراد أحدُهم أن يعقِدَ الوصيّة والإمامة من بعده ففعل ذلك جعلوا ذلك اليوم عيداً. وإنّه اليوم الذي نصب فيه رسولُ الله صلى الله عليه وآله عليّاً للناس علماً، وأنزل فيه ما أنزل، وكُمِل فيه الدين، وتمّتْ فيه النعمةُ على المؤمنين» قلت: فما ينبغي لنا أن نعملَ في ذلك اليوم؟ قال عليه السلام: «هو يوم عِبادةٍ وصلاةٍ وشكرٍ لله وحمدٍ له وسرورٍ لِما منّ الله به عليكم من ولايتنا».

(١) سورة المائدة، الآية (٣).

وروى الشيخ الطوسي في «المصباح» بسنده عن عمّار بن حريز العبدي قال: دخلتُ على أبي عبد الله عليه السلام في اليوم الثامن عشر من ذي الحجّة فوجدته صائماً فقال لي: «هذا يومُ عظيم عظّم الله حُرمته على المؤمنين، وأكمل لهم فيه الدين، وأتمّ عليهم النعمة، وجدّد لهم ما أخذ عليهم من العهد والميثاق» فقلت: ما ثواب صوم هذا اليوم؟ قال عليه السلام: «إنّه يومُ عيدٍ وفرحٍ وسرور، ويومُ صومٍ شكراً لله، وإنّ صومَه يعدِل ستين شهراً من الأشهر الحُرُم».

٨٤٨٥ ـ روى عليّ بن حميد القرشي في كتابه «شمس الأخبار» نقلاً عن كتاب «سلوة العارفين» للحسين بنِ إسماعيل الجرجاني بسنده عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه سُئِل عن معنى قوله: «مَن كنت مولاه فهذا عليٌّ مولاه» قال صلى الله عليه وآله: «الله مولاي أولى بي من نفسي لا أمر لي معه، وأنا مولى المؤمنين أولى بهم من أنفسهم لا أمر لهم معي، ومن كنتُ مولاه أولى به من نفسه لا أمر له معي فعليّ مولاه أولى به من نفسه لا أمر له معه».

٨٤٨٦ ـ ذكر الجاحظ في كتابه «الحيوان»: إنّ السيّدَ الحميري شبّه عائشة في حربها لعليّ عليه السلام يوم الجمل بالهرّة التي تأكل أولادَها فقال:

جاءت مع الأشقَيْنِ في هودجٍ تُزجي إلى البصرة أجنادَها[1]
كأنّها في فعلها هِرّةٌ تريد أن تأكل أولادَها

٨٤٨٧ ـ النسيان نعمةٌ كبرى من نعم الله تعالى على الإنسان، ولولاه لبقي شبحُ المصائب والرزايا يلاحق الإنسانَ في جميع أوقاته

---

(١) يريد بالأشقَيْن طلحة والزبير. تزجي: تسوق.

وحالاته ينغّص عليه حياته، ويكدّر عليه عيشه. والنسيان وُجد مع الإنسان منذ الأزل ومن بداية الخليقة، فالله سبحانه يقول في سورة طه، عن أبينا آدمعليه السلام: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾﴾، وقد قلتُ في هذا المعنى:

قالوا: نسيتَ عهوداً كنتَ تحفظُها
فقلتُ: مهلاً فكم في الناس من ناسي
لئِن نسيتُ فما في ذاك من عجبٍ
لأنّ أوّلَ ناسٍ أوّلُ الناسِ

٨٤٨٨ ـ حُكي: إنّ رجلاً فقيراً استوقف المأمونَ في طريقه فلم يقفْ له، فنادى الرجل: يا أمير إنّ الله أوقف نبيّه سليمانعليه السلام ليستمع إلى نملةٍ اعترضت طريقَه، وإني لم أكن بأحقرَ من النملة، ولا أنت بأعظمَ من سليمان، فوقف المأمون له واستمع إليه.

وقبل ذلك دخلت امرأة من شيعة أمير المؤمنينعليه السلام على الحجّاج وكان معه بعضُ رجاله فاستشارهم في أمرها فأشاروا عليه بقتلها في الحال فهمّ أن يفعلَ ذلك فقالت المرأة: هلا كنتَ كصاحبك، وهلا كان رجالك كرجاله؟ فقال الحجّاج: ويلكِ ومن تعنينَ بصاحبي؟ فقالت: فرعونَ فإنّه لمّا استشار رجاله في أمر موسى وهارون ﴿قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾[1] أي أخّرْ أمرَ عقوبتهما فاستجاب فرعون لهم ولم يقتلْهما، ورجالُك يطلُبون منك أن تعجّلَ بقتلي، وتريد أن تفعلَ ذلك. فاضطّر الحجّاج إلى أن يعفوَ عنها ويُطلقَ سراحَها.

---

(١) سورة الشعراء، الآية (٣٦).

٨٤٨٩ ـ قلتُ أنا مخاطباً الأحبّة: يا أحبّاءنا عليكم من الله ومنّي تحيّةٌ وسلامٌ:

ففؤادي ـ بدونكم ـ ليس يسلو[1] وعيوني ـ لبُعدكم ـ لا تنامُ
كلُّ أُنسٍ وبهجةٍ وسرورٍ قبل أن ألتقي بكم فحرامُ
حيثُ إنّي بكم شغوف[2] وقلبي في هواكم مُتيَّم[3] مستَهامُ[4]

٨٤٩٠ ـ روى الشيخ الطوسي في أماليه: إنّ رسولَ الله ﷺ إستسقى فأنزل الله المطرَ ببركة دعائه وصلاته، فقال ﷺ: «للهِ دَرُّ أبي طالب لو كان حيّاً لقرَّت عيناه، مَن يُنشدنا قولَه؟» فقام عمر بن الخطّاب فقال: عسى أردتَ يا رسولَ الله قولَه:

وما حمَلتْ من ناقةٍ فوق ظهرها أبرَّ وأوفى ذِمّةً من محمّدِ

فقال ﷺ: «ليس هذا من قول أبي طالب، هذا من قول حسّان بن ثابت».

فقام علي بن أبي طالب عليه السلام وقال: كأنّك أردتَ يا رسول الله قولَه:

وأبيضُ يُستسقى الغمامُ بوجهه ربيعُ اليتامى عِصمةٌ للأراملِ
تلوذُ به الهُلّاكُ من آل هاشمٍ فهم عنده في نعمةٍ وفواضلِ

فقال رسول الله ﷺ: «أجل».

٨٤٩١ ـ روى ابن كثير في تفسيره: لمّا نزل قولُه تعالى في

---

(١) ليس يسلو: ليس يصبر.
(٢) شغوف: مولَع.
(٣) متيّم: شديد الحب.
(٤) مستهام: أذهله الحب.

سورة الشعراء: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾﴾.

جاء عدّةٌ من الشعراء إلى رسول اللهﷺ وهم يبكون قائلين: إنّا شعراء، والله أنزل هذه الآيات، فتلا النبيّﷺ: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾[1] وقال: «أنتم». ثم تلا: ﴿وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ وقال: «أنتم». ثم تلا: ﴿وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟﴾ وقال: «أنتم».

٨٤٩٢ ـ روي: إنّ كعب بنَ مالك جاء إلى رسول اللهﷺ بعد نزول آية الشعراء فقال: يا رسولَ الله إنّ الله تبارك وتعالى قد أنزل في الشعر ما قد علِمت فكيف ترى فيه؟ فقالﷺ: «إنّ المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه».

٨٤٩٣ ـ قال أمير المؤمنينعليه السلام: «مَن أطال الأمل، أساء العمل».

٨٤٩٤ ـ ذكر كثيرٌ من أرباب السير: إنّ أمير المؤمنينعليه السلام لمّا قتل أصحابَ الألوية يوم أحد وفرّق جموعَ المشركين الذين أرادوا قتلَ رسول اللهﷺ بعد أن انهزم المسلمون نادى جبرائيل بين السماء والأرض: لا سيف إلا ذو الفقارِ ولا فتى إلا علي، وقد نظمّ حسان بن ثابت هذه الفضيلة بقوله:

جِبريل نادى معلناً والنقع[2] لمّا ينجلي
والمسلمون أحدقوا حول النبيّ المرسلِ:
لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي

(١) سورة الشعراء آية: (٢٢٧)
(٢) النقع: الغبار.

وروى كثير من المحدّثين أيضاً: إنّ ملكاً اسمه «رضوان» نادى يوم بدر بعد أن قتل أميرُ المؤمنين عليه السلام صناديدَ قريش وفرسانَهم.

لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي.

وروى بعضهم أيضاً: إنّ علياً عليه السلام لمّا فتح خيبر وقلع بابَ الحصن وقتل مرحباً سمع المسلمون تكبيراً من السماء ومنادياً ينادي:

لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يردّد كثيراً هذه المقولة، فقد روى نصرُ بنُ مزاحم في كتابه «صِفّين» عن جابر بنِ عمير الأنصاري قال: سمِعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله يقول كثيراً:

لا سيفِ إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي

٨٤٩٥ ـ قال حسان بن ثابت:

وإنْ مريمٌ أحصنت فرجَها ... وجاءت بعيسى كبدر الدُجى

فقد أحصنتْ فاطمٌ بعدها ... وجاءت بسبطيْ نبيّ الهدى

٨٤٩٦ ـ قال السيد الحِمْيري:

يا بائع الدين بدنياهُ ... ليس بهذا أمر الله

مِن أين أبغضتَ عليَّ الوصي ... وأحمدُ قد كان يرضاهُ

مَن الذي أحمدُ من بينهم ... يوم غدير الخم ناداه؟

أقامه من بين أصحابه ... وهم حواليْه فسمّاهُ

هذا عليُّ بنُ أبي طالبٍ ... مولًى لِمَنْ قد كنتُ مولاهُ

فوالِ من والاه يا ذا العُلا ... وعادِ من قد كان عاداهُ

٨٤٩٧ ـ ذكر أبو الفرج الأصفهاني في كتابه «الأغاني»: إنّ السيدَ الحِميَري جلس يوماً إلى قومٍ وصار يُنشدهم من شعره وهم يلغطون، فقال فيهم:

قد ضيّع الله ما جمّعتُ من أدبٍ ... بين الحمير وبين الشاءِ والبقرِ

لا يسمعون إلى قولٍ أجيء به ... وكيف تستمع الأنعام للبشرِ

أقول إنْ سكتوا: أنسٌ، فإن نطقوا ... قلتُ: الضفادعُ بين الماء والشجرِ

٨٤٩٨ ـ قال السيد الحِميَري في مدح أمير المؤمنين عليه السلام:

بأبي أنتَ وأمّي ... يا أميرَ المؤمنينا

بأبي أنتَ وأمّي ... وبرهطي أجمعينا

وبأهلي وبمالي ... وبناتي والبنينا

وفدَتْكَ النفسَ منّي ... يا إمامَ المتّقينا

وأمينَ الله والوارثَ ... عِلمَ الأوّلينا

ووصيَّ المصطفى أحمدَ ... خيرِ المرسلينا

ووليَّ الحوضِ والذائدَ ... عنه المُحدِثينا

أنتَ أولى الناسِ بالناسِ ... وخيرُ الناس دينا

أنتَ في الدنيا أخوه ... يوم يدعو الأقربينا

ليُجيبوه إلى الله ... فكانوا أربعينا

بين عمّ وابن عمٍّ ... حوله كانوا عرينا

فورثتَ العلمَ عنه ... والكتابَ المستبينا

طِبْتَ كهلاً وغلاماً ... ورضيعاً وجنينا

ولـدى الـمـيـثـاقَ طـيـنـاً يـوم كـان الـخـلـقُ طـيـنـا
كـنـتَ مـأمـونـاً وجـيـهـاً عـنـد ذي الـعـرشِ مـكـيـنـا

ويشير الشاعر في هذه الأبيات إلى عددٍ من فضائل ومناقب أمير المؤمنين عليه السلام ومنها نزول قوله تعالى في سورة الشعراء: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ وكيف دعاهم رسول الله صلى الله عليه وآله وكانوا أربعين رجلاً وفيهم أعمامهُ وأبناءُ أعمامه، وعرض عليهم دعوتَه، وطلبَ منهم مؤازرته عليها فأبوا أن يستجيبوا له إلا عليّ أمير المؤمنين عليه السلام - وكان أصغرَهم سنّاً - فقال: أنا يا رسولَ الله، فقال صلى الله عليه وآله: «هذا أخي ووصيّي ووزيري وخليفتي من بعدي فاسمعوا له وأطيعوا».

وقد روى هذه الحادثة أكثر المؤرّخين والمفسّرين من الشيعة وأهل السُنّة ولم يطعن بصحتها إلا بعض النواصب كابن تيميّة وأمثاله. وقد مرّ ذكرُها في هذا الكتاب.

٨٤٩٩ - روى أبو الفرج الأصبهاني في كتابه «الأغاني»: إنّ السيدَ الحِميري وسفيانَ بنَ مصعب العَبْدي - وهما من أبرز شعراء أهل البيت عليهم السلام - اجتمعا، فقال السيد الحِميري منشداً:

إنّـي أديـن بـمـا دان الـوصـيُّ بـه يوم الخريبة من قتل المحلّينا(١)
وبـالـذي دان يـومَ الـنـهـروان بـه وشـاركـتْ كـفُّـه كـفّـي بـصـفّـيـنـا

فقال له العبدي: أخطأت لو شاركت كفُّك كفَّه كنتَ مثلَه قل: وتابعت كفُّه كفّي بصفّينا لتكونَ تابعاً لا شريكاً. فكان السيد الحِميري يقول بعد هذا الاجتماع: أنا أشعر الناس إلا العَبْدي.

---

(١) الخريبة: موضع بالبصرة كانت به واقعة الجمل.

٨٥٠٠ ـ روى الحمويني الشافعي في كتابه «فرائد السمطين» والخطيب الخوارزمي في كتابه «المناقب» بسندهما عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «لمّا خلق الله تعالى آدم أبا البشر ونفخ فيه من روحه إلتفت آدم يُمنةَ العرش فإذا في النور خمسةُ أشباح سُجّداً ورُكّعاً، فقال آدم: يا رب هل خلقتَ أحداً من طينٍ قبلي؟ قال: لا يا آدم، قال: فمن هؤلاء الخمسة الأشباح الذين أراهم في هيئتي وصورتي؟ قال: «هؤلاء خمسة من ولدك، لولاهم ما خلقتك. هؤلاء خمسة شققتُ لهم خمسةَ اسماء من اسمائي لولاهم ما خلقتُ الجنّةَ والنار، ولا العرشَ ولا الكرسي، ولا السماء ولا الأرض، ولا الملائكةَ ولا الإنسَ ولا الجن، فأنا المحمودُ وهذا محمّد، وأنا العالي وهذا عليُّ، وأنا الفاطرُ وهذه فاطمة، وأنا قديمَ الإحسان وهذا الحسن، وأنا المُحسن وهذا الحسين. آليتُ بعزّتي أن لا يأتيني أحد بمثقال ذرّةٍ من خردل من بغض أحدهم إلا أدخِله ناري ولا أبالي، يا آدم هؤلاء صفوتي من خلقي بهم أنجيهم وبهم أهلكهم. فإذا كان لكَ إليّ حاجة فبهؤلاءِ توسّلْ». فقال ﷺ: «نحن سفينةُ النجاة مَن تعلّق بها نجا، ومن حاد عنها هلك، فمن كان له إلى الله حاجة فلْيسألْ بنا أهل البيت».

هذا ما رواه علماء أهل السُنّة في كتبهم، وفيه تصريحٌ جليٌّ عن الله تعالى وعن رسوله ﷺ أنّ مَن كان له إلى الله حاجة فلْيتوسل بهؤلاء ـ على حدّ قول الله عزّ وجل ـ، وإنْ مَن كان له إلى الله حاجة فلْيسألْ بهم ـ على حدّ قول رسول الله ﷺ ـ.

فلماذا يُنكر جهلةُ العامة بل علماؤهم على الشيعة توسلهم بأهل البيت عليهم السلام في قضاء حوائجهم وهم سفينة النجاة من تعلّق بها نجا،

ومن حاد عنها هلك.

وهم الوسيلة إلى الله سبحانه وقد أمرنا أن نبتغيَ إليه الوسيلة حيث قال تعالى في سورة المائدة، الآية (٣٥): ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ فأيُّ وسيلةٍ أقربُ إلى الله من محمَّدٍ وآل محمّد صلوات الله عليهم؟

وصدق الإمام الشافعي حيثُ يقول:

ولمّا رأيتُ الناسَ قد ذهبت بهم مذاهبُهم في البحر الغيّ والجهلِ
ركِبتُ على اسم الله في سُفُن النّجا وهم آلُ بيت المصطفى سيّد الرّسلِ
وأمسكتُ حبلَ الله وهو ولاؤهم كما قد أمرنا بالتمسّك بالحبل

وصدق الآخر حيثُ يقول:

وإذا الأنام توسّلوا بوسيلةٍ فوسيلتي حبّي لآلِ محمّدِ

٨٥٠١ ـ أخرج الحاكم الحسكاني في «شواهد التنزيل» والكنجي الشافعي في «الكفاية» وغيرُهما بعدّة طرق عن أبي أمامة الباهلي قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ الله خلق الأنبياء من أشجارٍ شتّى، وخلقني من شجرةٍ واحدة فأنا أصلُها، وعليٌّ فرعُها، وفاطمةُ لَقاحُها، والحسنُ والحسينُ ثمرُها، فمَن تعلّق بغصنٍ من أغصانها نجا، ومَن زاغ عنها هوى. ولو أنّ عبداً عبد الله بين الصفا والمروة ألفَ عام ثم ألفَ عام، ثم لم يُدرك صحبتنا أكبّه الله على منخريه في النار» ثم تلا ﷺ قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[1].

---

(١) سورة الشورى، الآية (٢٣).

وفي وصف هذه الشجرة الطيّبة المباركة يقول أحد الشعراء:

يا حبّذا دوْحةٌ في الخُلد نابتة ما في الجِنان لها شِبْهٌ من الشجرِ
المصطفى أصلُها والفرعُ فاطمةٌ ثم اللّقاحُ عليٌّ سيِّد البشرِ
والهاشميّان سبطاهُ لها ثمرٌ والشيعةُ الورقُ الملتَفُّ بالثمرِ

وإلى آية المودّة يشير ابن العربي بقوله:

رأيتُ ولائي آل طه فريضةً على رغم أهل البعد يورثني القُرْبا
فما طَلب المبعوثُ أجراً على الهدى بتبليغه إلا المودّةَ في القربى

٨٥٠٢ ـ قيل: إنّ عمارة بنَ عقيل سمِع قولَ أبي تمّام:

وطولُ مقامُ المرء في الحيّ مُخلقٌ لديباجتيْه فاغتُربْ تتجدَّدِ
فإنّي رأيتُ الشمسُ زيدتْ محبّةً إلى الناس أنْ ليست عليهم بسرمدِ

فقال: إن كان الشعرُ بجودة اللفظ وحسنِ المعاني واستواء الكلام فهي لأبي تمام وهو أشعرُ الناس، وإنْ كان بغيرها فلا أدري.

٨٥٠٣ ـ كان أبو تمّام في لسانه حبْسة تعيقه عن الانطلاق في الكلام، وفي ذلك يقول بعض الشعراء مخاطباً له:

يا نبيَّ الله في الشعر ويا عيسى ابنَ مريم
أنت من أشعر خلق الله ما لم تتكلّمْ

٨٥٠٤ ـ قال ابن الفتّال في روضته وابن شهر آشوب في مناقبه: إنّ دعبلَ الخزاعي لمّا وفد على الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام بخراسان وأنشده قصيدته التائيّة الشهيرة بدأها بقوله:

مدارسُ آياتٍ خلتْ من تلاوةٍ ومنزلُ وحيٍ مقفرُ العرصاتِ

وليس هو أوّلَ القصيدة، فسُئلَ عن ذلك فقال: استحيتُ من الإمام عليه السلام أن أنشد التشبيب فأنشدتُه المناقب. وأوّلُ القصيدة هو:

تجاوبن بالأرنانِ والزفرات
نوائحُ عُجْمُ اللفظ والنطقاتِ

وعدد أبيات القصيدة مائة وعشرون بيتاً.

٨٥٠٥ ـ روى الشيخ الطوسي في أماليه والشيخ المفيد في أماليه وأبو الفرج الأصفهاني في أغانيه وابن عساكر في تاريخه: إنّ المأمونَ قال لدعبل وقد حضر عنده: أنشدْني قصيدتَك الرائيّة، فأنكرها دعبل خوفاً من بطشه، فقال له المأمون: لك الأمان، فأنشد دعبل:

تأسّفتْ جارتي لمّا رأتْ زَوَري[1] وعدّت الحِلمَ ذنباً غيرَ مغتفَرِ

إلى أن يقول:

يا أمّة السوء ما جازيت أحمدَ في حسن البلاء على التنزيل والسُّور

ثم يقول في آخرها:

قبرانِ في طوس خير الناس كلّهمُ وقبرُ شرّهمُ هذا من العِبرِ
ما ينفع الرجسَ من قرْب الزكيّ ولا على الزكيّ بقربُ الرجسِ من ضررِ
هيهاتَ كلُّ امرئٍ رهنٌ بما كسبتْ له يداه فخُذ ما شئتَ أو فذَرِ

فضرب المأمون عِمامتَه على الأرض وقال: صدقت يا دعبل.

وروى الشيخ الصدوق في أماليه عن دعبل أنّه قال: جاءني خبرُ موت الإمام الرضا عليه السلام وأنا مقيمٌ بقم فقلتُ قصيدتي الرائيّة.

---

(١) زوري: إعراضي.

٨٥٠٦ ـ ذكر أربابُ السير: إنّ إبراهيمَ بنَ المهدي ـ عمّ المأمون ـ دخل عليه فقال له: يا أميرَ المؤمنين إنّ الله سبحانه وتعالى فضّلكَ في نفسكَ عليّ، وألهمك الرأفةَ والعفوَ عنّي، وقد هجاني دعبل فانتقمْ لي منه، فقال له المأمون: لك أسوة بي فقد هجاني واحتملتهُ وقال فيّ:

أيسومني المأمون خطّةَ جاهلٍ ... أو ما رأى بالأمسِ رأسَ محمّدِ
إنّي من القوم الذين سيوفهُمْ ... قتلتْ أخاكَ وشرّفتكَ بمقعدِ
شادوا بذكرك بعد طول خموله ... واستنقذوك من الحضيض الأوهد[1]

فقال إبراهيم: زادك الله حلماً يا أميرَ المؤمنين وعلماً، فما ينطق أحدُنا إلا عن فضل علمك، ولا نحتمل إلا اتّباعاً لحلمك.

ويشير دعبل في أبياته هذه إلى اشتراك طاهر الخزاعي ـ أحد أقرباء دعبل ـ في قتل الأمين محمّد بن الرشيد أخ المأمون.

٨٥٠٧ ـ وُجِد على قبر دعبل هذه الأبيات:

أعدَّ لله يوم يلقاهُ ... دِعبلُ: أنْ لا إله إلا هُو
يقولها مخلصاً لعلّ بها ... يرحمُهُ في القيامةِ الله
الله مولاه والرسولُ ومن ... بعدِهما فالوصيُّ مولاهُ

وقد استشهد في سبيل ولائه وعقيدته وعمره سبع وتسعون سنة رضي الله عنه وأرضاه، وجعل الجنّة منزلَه ومأواه.

٨٥٠٨ ـ قال الفضل بنُ الحسن بن عبيد الله بن العبّاس بن أمير المؤمنين عليه السلام يمدحُ جدّه أبا الفضل العبّاسَ بنَ عليّ عليه السلام:

(١) الأوهد: الأسفل.

أحقُّ الناس مَن يُبكى عليهِ ... فتًى أبكى الحسينَ بكربلاءِ

أخوهُ وابنُ والدهِ عليٍّ ... أبو الفضلِ المضرَّجُ بالدماءِ

ومَن واساه لا يَثنيه شيءٌ ... وجادَ لهُ على عطشٍ بماءِ

وقد شطّر هذه الأبيات المرحوم العلامة الحجّة الشيخ محمّد علي الأوردبادي بقوله:

«أحقُّ الناس مَن يُبكى عليهِ» ... بدمعٍ شابهٍ علقَ الدماءِ

بجنبِ العلقميِ سريٌّ فهرٍ ... «فتًى أبكى الحسينَ بكربلاءِ»

«أخوهُ وابنُ والدهِ عليٍّ» ... هِزَبرُ الملتقى ربُّ اللواءِ

صريعاً تحت مشتبكِ المواضي ... «أبو الفضلِ المضرَّجُ بالدماءِ»

«ومَن واساه لا يَثنيه شيءٌ» ... عن ابنِ المصطفى عند البلاءِ

وقد ملكَ الفراتَ فلم يَذُقه ... «وجادَ له على عطشٍ بماءِ»

٨٥٠٩ ـ قيل: إنّ ملكاً كان عنده وزيرٌ يعتمد عليه ويستشيره في أموره لسداد رأيه وكمال عقله. فلما مات الملك خلَفه ابنهُ في المُلك فاستبدّ برأيه في الأمور ولم يستشر الوزيرَ كما كان يفعل أبوه. فقيل له: لِمَ تركتَ مشورةَ الوزير وهو مَن هو في عقله وفهمه وذكائه؟ فأراد أن يختبرَه فسأله قائلاً: أيّها الوزير أيّهما يغلب الطبع أم الأدب؟ فقال الوزير: الطبع. فدعا الملك وزيرَه إلى مائدة طعامه وأحضر قِططاً قد تمرّنتْ على حمل الشموع والوقوف من حول المائدة بكلّ أدبٍ والوقوف من حول المائدة بكلّ أدبٍ وخضوع، وقال للوزير: أرأيتَ كيف غلب الأدبُ الطبعَ؟ فاستمهله الوزير إلى الغد ليجيبَه عن هذا السؤال.

فلّما ذهب إلى بيته اصطادَ فأراً وحمله في جيبه، فلما حضر مائدة الملك في اليوم الثاني، وأحضرتِ القِطط وهي تحمل الشموع أرسل الوزير الفأر من جيبه، فلمّا نظرت القِطط إلى الفأر ألقتِ الشموعَ وركضتْ وراءَه وكاد المكان أن يحترق، فقال الوزير للملك: أرأيت كيف غلب الطبعُ الأدب؟ فأدرك الملك ما يتمتّع به الوزير من فطنةٍ وحنكةٍ وذكاء، فقرّبه إليه، وأدناه من مجلسه، وصار يستشيره في جميع القضايا والمهمّات.

٨٥١٠ ـ لقد جاء مدحُ أمير المؤمنين عليه السلام وأهل بيته في شعر عددٍ من شعراء النصارى قديماً وحديثاً.

منهم: الوامق بقراط بن أشوط النصراني حيثُ يقول في ضمن قصيدةٍ طويلة:

أليس بخمٌ قد أقام محمّدٌ ... عليّاً بإحضار الملأ في المواسمِ

فقال لهم: مَن كنتُ مولاهُ منكُمُ ... فمولاكمُ بعدي عليُّ بنُ فاطِمِ

فقال: إلهي كنْ وليَّ وليّه ... وعادِ أعاديهِ على رغم راغمِ

ثم يقول فيها مخاطباً أمير المؤمنين عليه السلام:

وعاديتَ في الله القبائلَ كلَّها ... ولم تخشَ في الرحمن لومةَ لائمِ

وكنتَ أحقَّ الناس بعد محمّدٍ ... وليس جهولُ القوم في حكم عالمِ

ومنهم: زينبا بن إسحاق الموصلي النصراني حيثُ يقول:

عديٌّ وتيمٌ لا أحاولُ ذكرَهُم ... بسوءٍ ولكنّي محبٌّ لهاشمِ

وما تعتريني في عليٍّ ورهطه ... إذا ذُكِروا في الله لومةُ لائمِ

يقولون: ما بال النصارى تحبّهم ... وأهلِ النّهى من أعرُبٍ وأعاجمِ

فقلتُ لهم: إنّي لأحسبُ حبّهُمْ سرى في جميع الخلق حتى البهائمِ

ومنهم: أبو يعقوب النصراني حيث يقول:

يا حبّذا دوحةٌ في الخلد نابتةٌ ما في الجِنان لها شبْهٌ من الشجرِ
المصطفى أصلُها والفرعُ فاطمة ثم اللّقاحُ عليّ سيّدُ البشرِ
والهاشميّان سِبطاهُ لها ثمرٌ والشيعةُ الورقُ الملتفُ بالثمرِ
هذا مقالُ رسول الله جاء به أهلُ الروايات في المعالي من الخبرِ
إنّي بحبّهُمُ أرجو النجاةَ غداً والفوزَ في زُمرةٍ من أحسن الزُمرِ

ومنهم: بعض شعراء النصارى القدماء حيث يقول:

عليٌّ أميرُ المؤمنينَ صريحةٌ[1] وما لِسواهُ في الخلافةِ مطمعُ
له النسبُ الأعلى وإسلامهُ الذي تقدّم فيه والفضائل أجمعُ
وإنّ عليّاً أفضلُ الناسِ كلّهم وأورعهُم بعد النبيّ وأشجعُ
فلو كنتُ أهوى ملّةً غيرَ ملّتي لمّا كنتُ إلا مسلماً أتشيّعُ

ومدحه من متأخري شعراء النصارى الأستاذ عبد المسيح الأنطاكي المصري بقصيدته المسّماة «العلويّة المباركة» التي يبلغ عدد أبياتها «٥٥٩٥» بيتاً والتي يقول فيها:

للمرتضى رتبةٌ بعد الرسول لدى أهل اليقين تناهتْ في تعاليها
كذا النصارى بحبّ المرتضى شُغفتْ ألبابُها وشدت فيه أغانيها
فلستَ تسمع منها غيرَ مِدْحته الغرّاء ما ذكرتْهُ في نواديها

والأستاذ بولس سلامه اللُبناني بقصيدته المسماة «عيد الغدير»

---

(١) الصريحةُ: هو النقي الخالص من الشوائب.

التي يبلغ عدد أبياتها «٣٠٨٥» بيتاً والتي يقول فيها:

جلجل الحقُّ في المسيحيّ حتى ... عُـدَّ مـن فـرط حـبّـه عـلـويّـا
لا تـقـلْ شـيـعـةٌ هـواةُ عـلـيٍّ ... إنّ فـي كـلّ مـنـصـفٍ شـيـعـيّـا
كـان ربُّ الـبـيـان مـن بـعـد طـه ... وأخـاه وصـهـرَه والـوصـيّـا
وإذا لـم يـكـنْ عـلـيٌّ نـبـيّـاً ... فـلـقـد كـان خُـلْـقُـهُ نـبـويّـا
يـا سـمـاءُ اشـهـدي ويـا أرضُ قـرّي ... واخـشـعـي إنّـنـي ذكـرتُ عـلـيّـا

٨٥١١ ـ قال الشاعر:

أراهـا وإن طـالـت عـلـيـنـا فـإنّـهـا ... سـحـابـةُ صـيـفٍ عـن قـلـيـلٍ تـقـشّـعُ

٨٥١٢ ـ روى ابن عبد ربّه في «العقد الفريد» وابن طلحة في «مطالب السؤول» وغيرُهما عن عائشة أنها قالت: «ما رأيتُ أحداً أشبه سَمتاً ودَلاً وهَدْياً وحديثاً برسول الله ﷺ في قيامه وقعوده من فاطمة، وكانت إذا دخلت على رسول الله ﷺ قام إليها فقبّلها ورحبّ بها، وأخذها بيده وأجلسها في مجلسه».

وروى ابن الصبّاغ المالكي في «الفصول المهمّة» والصفوري في «نزهة المجالس» والشبلنجي الشافعي في «نور الأبصار»: إنّ النبيّ ﷺ قال وهو آخذ بيد فاطمة: «مَن عرف هذه فقد عرفها، ومَن لم يعرفها فهي بضعةٌ منّي، هي قلبي وروحي التي بين جنبيّ فمن آذاها فقد آذاني».

٨٥١٣ ـ تواترت الأحاديث في كتب الفريقَيْنِ: إنّ علياً عليه السلام كان أحسنَ الناس خَلقاً وخُلقاً، وكان أشبهَ الناس برسول الله ﷺ، وإنّه كان حسنَ الوجهِ كأنّه القمرُ ليلةَ البدر، وكأنّ عنقَه إبريقُ فِضّة، وكان

ضحوكَ السن فإنّ تبسّم فعنْ مثل اللؤلؤ المنظوم. وكان النبيّ ﷺ يقول له: «أشبهتَ خَلقي وخُلُقي، وأنت من شجرتي التي أنا منها»، وقال: «من أراد أن ينظر إلى يوسف في جماله فلينظر إلى عليّ بن أبي طالب».

وصدق أبو الأسود الدؤلي تلميذُ الإمامﷺ حيثُ يقول:

إذا استقبلتَ وجهَ أبي ترابٍ رأيتَ البدرَ راع الناظرينا[1]

٨٥١٤ ـ روى الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» والمتقي الهندي في «كنز العمال» وغيرهُما عن النبيّ ﷺ أنّه قال: «خيرُ رجالكم علي بن أبي طالب، وخيرُ نسائكم فاطمة بنت محمد» وقال: «عليٌّ خير البشر ومن أبى فقد كفر»، وقال: «من لم يقل عليٌّ خيرُ البشر فقد كفر».

٨٥١٥ ـ قال ابن الرومي يمدح أمير المؤمنينﷺ:

يا هندُ لم أعشقْ ومثلي لا يرى عِشقَ النساء تديّناً وتحرّجا

لكن حبّي للوحي مخيّمٌ في الصدر يسرَح في الفؤاد تولُجا

فهو السراج المستنيرُ ومَن به سببُ النجاة من العذاب لمن نجا

وإذا تركتُ له المحبّةَ لم أجدْ يوم القيامةَ من ذنوبيَ مخرجا

قلْ لي: أأتركُ مستقيمَ طريقه جهلاً وأتبعُ الطريقَ الأعوجا؟

وأراه كالبّر المصفّى جوهراً وأرى سواه لناقديه مُبَهْرجا

ومحلُّه من كلّ فضل بيّنٌ عالٍ محلَّ الشمسِ أو بدرِ الدُّجى

(١) راع: أدهش.

٨٥١٦ ـ قال الحِمَّاني الأفوه يمدح أميرَ المؤمنين عليه السلام:

قالوا: أبو بكرٍ له فضلُه قلت لهم: هنّأه الله
نسيتمُ خطبة خمّ وهل يُشبّه العبدُ بمولاهُ
إنّ علياً كان مولى لمن كان رسولُ الله مولاهُ

٨٥١٧ ـ قال الحِمّاني في مدح أهل البيت عليهم السلام:

همُ صفوةُ الله التي ليس مثلُها وما مثلُهم في العالمين بديلُ
خِيارُ خيار الناس مَن لا يُحبّهم فليس له إلا الجحيمَ مَقيلُ

٨٥١٨ ـ زيدُ بنُ عليّ بنِ الحسين الشهيد عليه وعلى آبائه أفضلُ الصلاة والسلام من عظماء أهل البيت وساداتهم ذهب إلى ربّه في زمرة الشهداء والسعداء، وكان له عند الأئمة الطاهرين عليهم السلام منزلة كبيرة ومكانةٌ رفيعة، بل أشاد بذكره الرسولُ الأعظم صلى الله عليه وآله كما في «عيون أخبار الرضا» للشيخ الصدوق حيث يروي عنه صلى الله عليه وآله أنه ذكره وقال عنهُ: «إنّه يخرج ويُقتل بالكوفة ويُصلب بالكناسة، يُخرّج من قبره نبشاً، وتُفتح لروحه أبوابُ السماء، ويبتهج به أهلُ السموات والأرض»، وقال صلى الله عليه وآله للحسين السبط عليه السلام: «يخرج من صلبك رجلٌ يُقال له «زيد» يتخطّى هو وأصحابُه رِقابَ الناس، يدخلون الجنّةَ بغير حساب».

ووقف أميرُ المؤمنين عليه السلام على موضع قبره بالكوفة فبكى وبكى أصحابُه وقالوا: ما الذي يُبكيك يا أمير المؤمنين؟ قال: «إنّ رجلاً من ولدي يُصلب في هذا الموضع، مَن رضيَ أن ينظرَ إلى عورته أكبّه الله على وجهه في النّار».

وقال الإمام الصادق عليه السلام لمّا سمِع بمقتله: «إنّا لله وإنّا إليه راجعون، عند الله أحتسبُ عمّي إنّه كان نعم العم، مضى والله شهيداً

كشهداءٍ استشهدوا مع رسول الله وعليّ والحسين، مضى والله شهيداً»، وقال: «إنّه كان مؤمناً وكان عارفاً وكان عالماً وكان صدوقاً. أما إنّه لو ظفر لوفى، أما إنّه لو ملك لعرف كيف يضعها»، وقال: «إنّ زيداً كان عالماً وكان صدوقاً ولم يدْعُكم إلى نفسه وإنّما دعاكم إلى الرضا من آل محمد، ولو ظفر لوفى بما دعاكم إليه»، وقال: «أمّا الباكي على زيد فمعه في الجنّة، وأمّا الشامت فشريك في دمه».

وقال الإمام الرضا عليه السلام: «إنّه كان من علماء آل محمّد، وغضب لله وجاهدَ أعداءَه حتى قُتل».

والذي تولّى قتلَه هو يوسفُ بنُ عمر الثقفي عاملُ هشامِ بن عبد الملك على العراق، وفي ذلك يقول الكميت:

يعِزُّ على أحمدٍ بالذي ... أصابَ ابنَه أمسِ من يوسُفِ
خبيثٌ من العُصبة الأخبثين ... وإنْ قلتُ: زانيين لم أقذفِ

والذي تولّى إخراج جسده الطاهر من قبره هو خراش بن حوشب، وفي ذلك يقول السيد الحميري:

لعن الله حوشباً ... وخراشاً ومزبدا
ويزيداً فإنّه ... كان أعتى وأعندا
ألفَ ألفٍ وألفَ ألفٍ ... من اللعن سرمدا
إنّهم حاربوا الإله ... وآذَوا محمّدا
شركوا في دم المطهّر ... زيدٍ تعنُّدا
ثم عالوه فوق جذعٍ ... صريعاً مجرّدا
يا خراشَ بن حوشبٍ ... أنت أشقى الورى غدا

وقد أثنى على زيد الشهيد علماءُ الشيعة في جميع عصورهم، وألّفوا فيه الكتب الخاصة، وأشاد بمواقفه ومناقبه شعراؤهم وأدباؤهم جيلاً بعد جيل. ومع ذلك كلّه يظهر لنا بين الحين والحين رجال أعمى الله قلوبَهم وزيّن لهم الشيطانُ أعمالَهم فينسبون إلى الشيعة ما هم منه براء، فهذا ابن تيميّة في كتابه «منهاج السنّة» يقول: «إنّ الرافضة رفضوا زيدَ بنَ عليّ بنِ الحسينَ ومَن والاه، وشُهدوا عليه بالكفر والفسق!!»، وهذا محمود الآلوسي في كتابه «السُنّة والشيعة» يقول: «الرافضة يبغضون كثيراً من أولاد فاطمة (رضي الله عنها) بل يسبّونهم كزيد بن علي!! وقد كان في العلم والزهد على جانبٍ عظيم».

عجيبٌ والله أمرُ هؤلاء ينسبون إلى الشيعة ما لا يعلمون، ويرمونهم بما هم أنفسهُم فيه متلبّسون تماماً كالمثل الذي يقول: «رمتني بدائها وانسلّت». أليس شاعرهم الحكيم الأعور يقول:

صلبنالكم زيداً على جذع نخلةٍ ولم نر مهديّاً على الجذعِ يُصلبُ

وقِستم بعثمان عليّاً سفاهةً وعثمانُ خيرٌ من عليّ وأطيبُ

ويقول شاعرهم الآخر مسلمة بن الحر بن الحكم:

وأهلكْنا جَحاجِحَ من قريشٍ فأمسى ذكرُهمْ كحديث أمسِ

وكُنا أسّ ملكهُمُ قديماً وما مُلكٌ يقوم بغير أسّ

وأمّا ما جاء في بعض الروايات عن أهل بيت العصمة عليهم السلام من المس بقداسة زيد ونزاهته فهو إمّا مكذوبٌ عليهم من قِبَل أعدائهم وإمّا أن يحملَ على التقيّة بسبب الظروف العصيبة التي كانت تحيط بهم عليهم السلام.

٨٥١٩ ـ من روائع أمير المؤمنين عليه السلام وحِكمه البليغة قولُه: «الفقرُ يُخرس الفطِنَ عن حُجّتِه، والمقِلُّ غريبٌ في بلدته»، وقولُه: «الغِنى في الغُربة وطن، والفقرُ في الوطن غربة»، وقولُه: «مَن شكا حاجتَه إلى مؤمن فكأنّما شكاها إلى الله، ومن شكاها إلى كافر فكأنّما شكا الله»، وقولُه: «اطرحْ عنك وارداتِ الهموم بعزائم الصبر وحسنِ اليقين»، وقولُه: «رُبّ بعيدٍ أقربُ من قريب، ورُبّ قريبٍ أبعدُ من بعيد»، وقولُه: «اختَرْ أنْ تكونَ مغلوباً وأنت منصف، ولا تختَرْ أن تكونَ غالباً وأنت ظالم»، وقولُه: «ما مات مَن أحيا عِلماً، وما افتقر من ملك فهماً»، وقولُه: «العفوُ يُفسد من اللئيم بقدر ما يُصلح من الكريم»، وقولُه: «انظرْ وجهَك كلَّ يومٍ في المرآة فإنْ كان حسناً فاستقبِحْ أن تضيفَ إليه قبيحاً وتشينه به، وإن كان قبيحاً فاستقبِح أن تجمعَ بين قبيحَيْن»، وقولُه: «كفرُ النعمة لُؤم، وصحبةُ الجاهل شُؤم»، وقولُه: «دعِ الكذبَ تكرُماً إنْ لم تدعْه تأثُماً»، وقولُه: «الروحُ حياةُ البدن، والعقلُ حياةُ الروح»، وقولُه: «لا يعرِف الفضلَ لأهلِ الفضل إلا أولو الفضل»، وقولُه: «الحرُّ عبدٌ إذا طمع، والعبدُ حرٌّ إذا قنع»، وقولُه: «حقيقٌ بالإنسان أن يخشى الله بالغيب، ويحرسَ نفسَه من العيب، ويزدادَ خيراً مع الشيب»، وقولُه: «شفيعُ المذنب إقرارُه، وتوبتُه اعتذارُه»، وقولُه: «بلوغُ أعلى المنازل من غير إستحقاق من أكبر أسبابِ الهلكةِ»، وقولُه: «اتّقوا ظنونَ المؤمنين فإنّ الله تعالى جعل الحقَ على ألسنتهم»، وقولُه: «أسْوأُ ما في الكريم أنْ يمنعكَ نَداه، وأحسنُ ما في اللئيم أنْ يكفَّ عنكَ أذاه»، وقولُه: «احتمالُ الفقر أحسنُ من احتمال الذُّل، لأنّ الصبرَ على الفقر قناعة، والصبرَ على الذُّلِّ ضراعة»، وقولُه: «السفرُ ميزانُ الأخلاق»، وقولُه: «التكبّرُ على المتكبرّين هو التواضعُ

بعينه»، وقولُه: «ألأمُ الناس مَن سعى بإنسانٍ ضعيفٍ إلى سلطانٍ جائر»، وقولُه: «الملوكُ حكّامٌ على الناس، والعلماءُ حكّامٌ على الملوك»، وقولُه: «من أفضلِ أعمال البرّ: الجودُ في العسر، والصدقُ في الغضبِ، والعفوُ عند المقدرة»، وقولُه: «لا تصحبْ في السفر غنياً فإنّك إنْ ساويتَه في الانفاق أضرّ بك، وإنْ تفضلَ عليك استذلّك»، وقولُه: «أسوأُ الناس حالاً من لا يثق بأحدٍ لسوء ظنّه، ولا يثق به أحدٌ لسوء فعله»، وقولُه: «لا يكونَنَّ المحسنُ والمسيءُ عندك بمنزلةٍ سواء، فإنّ في ذلك تزهيداً لأهلِ الإحسان في الإحسان، وتدريباً لأهلِ الإساءة على الإساءة»، وقولُه: «أشدُّ من البلاء شماتةُ الأعداء» وقد أخذ هذا المعنى بعض الشعراء فقال:

كلُّ المصائب قد تمُرّ على الفتى ... وتـهـون غـيـرَ شـمـاتـة الأعـداءِ

وقولُه: «لو رأيتَ ما في ميزانك لختمتَ على لسانك»، وقولُه: «العالِمُ مصباحُ الله في الأرض، فمن أراد الله به خيراً اقتبس منه»، وقولُه: «العفوُ عن المقر لا عن المصر»، وقولُه: «مَن تجرّأ لك تجرّأ عليك»، وقولُه: «نقلُ الصخورِ من مواضعها أهونُ من تفهيم مَن لا يفهم»، وقولُه: «ليكنْ سرورُكَ بما قدّمت، وأسفُكَ على ما خلّفت، وهمُّكَ فيما بعد الموت»، وقولُه: «لا نذرَ في معصية، ولا يمينَ في قطيعة»، وقولُه: «إنْ لم تعلمْ من أين جئتَ لم تعلمْ إلى أينَ تذهبُ»، وقولُه: «أوّلُ الغضب جنون، وآخرُه ندم»، وقولُه: «إذا دعتْكَ قدرتُكَ على ظلم الناس فتذكّرْ قدرةَ الله عليك»، وقولُه: «أعجزُ الناس مَن عجز عن اكتساب الإخوان، وأعجزُ منه مَن ضيّع مَن ظفر به منهم» ومثلُه قولُه عليه السلام: «أعجزُ الناس مَن قصّر في طلب الصديق، وأعجزُ منه مَن

وجده فضيّعه».

٨٥٢٠ ـ جاء في كتاب «المحاسن والمساوئ» بسنده عن الزهري: إنّ عائشة قالت لرجلٍ من ضبّة وهو آخذ بخُطام جملها: أين ترى عليُّ بنَ أبي طالب؟ قال: هو ذا واقفٌ رافعُ يَده إلى السماء فنظرتْ فقالت: ما أشبهه بأخيه، فقال الضبّي: ومَن أخوه؟ قالت: رسول الله ﷺ قال: فلا أراني أقاتل رجلاً هو أخو رسول الله ﷺ. ثم نبذ خُطامَ راحلتها من يده ومال إليه.

٨٥٢١ ـ أخرج ابن مردويه في «المناقب» والديلمي في «الفردوس»: إنّ عائشة لمّا عُقر جملها ودخلت داراً بالبصرة أتى إليها أخوها محمّد بن أبي بكر فسلّم عليها فلم تكلمه، فقال لها: أنشدكِ الله أتذكرينَ يوم حدّثتيني عن النبيّ ﷺ أنه قال: «الحقُّ لن يزالَ مع عليّ، وعليٌّ مع الحق ولن يفترقا» قالت: نعم. وروى ابن قتيبة في «الإمامة والسياسة» عن محمّد بن أبي بكر إنّه دخل على أخته عائشة وقال لها: «أما سمِعتِ رسولَ الله ﷺ يقول: «عليٌّ مع الحق، والحقُّ مع عليّ» ثم خرجتِ تقاتلينَه؟!».

٨٥٢٢ ـ روى الزمخشري في «ربيع الأبرار» والخوارزمي الحنفي في «المناقب» والحمويني الشافعي في «فرائد السمطين»: إنّ أبا ثابت مولى عليّ عليه السلام إستأذن على أمّ سلمة فقالت: مرحباً بك يا أبا ثابت أين طار قلبُك حين طارت القلوب مطائرَها؟ قال: تبَعَ علي بن أبي طالب، قالت: وُفّقت، والذي نفسي بيده سمِعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «عليٌّ مع الحق والقرآن، والحقُّ والقرآن مع عليّ ولن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض».

٨٥٢٣ ـ قال الرازي في تفسيره الكبير: وأمّا إنّ عليَّ بنَ أبي طالب (رضي الله عنه) كان يجهر بالتسمية فقد ثبت بالتواتر، ومن اقتدى في دينه بعلي بن أبي طالب فقد اهتدى، والدليل عليه قوله ﷺ: «اللّهمّ أدر الحقّ مع عليّ حيثُ دار».

٨٥٢٤ ـ أخرج البيهقي في سُننه وغيرُه عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «ألا لا يحلّ هذا المسجد لجُنُب ولا لحائض إلا لرسول الله وعليّ وفاطمة والحسن والحسين، ألا قد بيّنتُ لكم الأسماء أن لا تضلّوا»، وأخرج أيضاً عنه ﷺ أنّه قال: «ألا أنّ مسجدي حرامٌ على كلِّ حائضٍ من النساء وكلِّ جُنبٍ من الرجال إلا على محمّد وأهل بيته: عليٍّ وفاطمةَ والحسنِ والحسين».

٨٥٢٥ ـ قال أبو القاسم الصوبري:

يا خيرَ من لبس النبـ ـوّة من جميع الأنبياءِ
وَجْدي على سبطيْكَ وَجْدٌ ليس يُؤذن بانقضاءِ
هذا قتيلُ الأشقياء وذا قتيلُ الأدعياءِ

٨٥٢٦ ـ روى الحمويني الشافعي في «فرائد السمطيْن» والخوارزمي الحنفي في «المناقب» وسليمان الحنفي في «ينابيع المودّة» بسندهم عن رسول الله ﷺ أنّه قال لعليّ: «يا أبا الحسن كلّم الشمس فإنّها تكلّمك» فقال عليه السلام: «السلام عليك أيّها العبد المطيع لله ورسوله» فقالت الشمس: «وعليك السلام يا أميرَ المؤمنين، وإمامَ المتقين، وقائد الغرّ المحجّلين، يا عليّ أنتَ وشيعتُكَ في الجنّة، يا عليّ أوّلُ من تنشقّ عنه الأرض محمّد ثم أنت، وأوّل من يُكسى محمّد ثم أنت» فسجد عليّ عليه السلام لله تعالى وعيناه تذرفانِ بالدموع. فانكبّ عليه النبيّ ﷺ فقال:

«يا أخي وحبيبي ارفع رأسَك فقد باهى الله بك أهلَ سبع سموات».

٨٥٢٧ ـ قال أبو القاسم الزاهي يمدح أهل البيت عليهم السلام:

يا لائمي في الوِلا هل أنتَ تعتبرُ ... بمن يوالي رسولَ الله أو يذرُ
أهلُ الفخار وأقطابُ المَدار ومَن ... أضحت لأمرهم الأيامُ تأتمرُ
هم آلُ أحمدَ والصيدُ الجحاجحةُ ... الزهرُ الغطارفةُ العلويّةُ الغُرَرُ
والبيضُ من هاشمٍ والأكرمون أولو ... الفضل الجليل ومَن سادتْ بهم مضرُ
وتُوّجوا شرَفاً ما مثلُه شرَفُ ... وقُلّدوا خطَراً ما مثلُه خطَرُ
حسبي بهم حُجَجاً لله واضحةً ... تجري الصلاةُ عليهم أينما ذُكروا
هم دوحةُ المجد والأوراقُ شيعتهم ... والمصطفى الأصلُ والذريّةُ الثمرُ

٨٥٢٨ ـ قال أبو الفتح كشاجم:

زعموا أنّ مَن أحبّ عليّاً ... ظلّ للفقر لابساً جِلبابا
كذبوا من أحبّه من فقيرٍ ... يتحلّى من الغِنى أثوابا
حرّفوا منطقَ الوصيّ بمعنًى ... خالفوا ـ إذْ تأوّلوه ـ الصوابا
إنما قال: أرْفُضوا الدنـ ... ـيا إذا كنتمُ لنا أحبابا

يشير الشاعر إلى قول أمير المؤمنين عليه السلام:

«من أحبّنا فليستعدَّ للفقر جلبابا».

٨٥٢٩ ـ قال الحسين بن داود البشنوي الكردي في مدح أهل البيت عليهم السلام:

يا ناصبيُّ بكلّ جُهدكَ فاجْهَدِ ... إنّي علِقتُ بحبّ آلِ محمّدِ
الطيّبين الطاهرينَ ذوي الهدى ... طابوا وطاب وليُّهم في المولدِ

والَيتُهم وبرئتُ من أعدائهمْ فاقبلْ ملامَكَ - لا أباً لكَ - أو زدِ
فهُمُ أمانٌ كالنجومِ وإنّهمْ سفنُ النجاةِ من الحديثِ المُسندِ

٨٥٣٠ - قال الصاحب بن عبّاد:

حبّ عليِّ بنِ أبي طالبِ هو الذي يَهدي إلى الجنّةِ
إن كان تفضيلي له بدعةً فلعنة الله على السُّنّةِ

٨٥٣١ - قال الصاحب بن عبّاد:

ناصِبٌ قال لي: معاويةٌ خالُك خيرُ الأعمامِ والأخوالِ
فهوَ خالٌ للمؤمنينَ جميعاً قلتُ: خالٌ لكنْ من الخير خالي

٨٥٣٢ - قال الصاحب بن عباد يمدح أهلَ البيت عليهم السلام:

بلغتْ نفسي مُناها بالمَوالي آلِ طه
برسول الله من حا زَ المعالي وحواها
وببنتِ المصطفى مَن أشبهتْ فضلاً أباها
مَن كمولايَ عليٌّ والوغى تحمي لظاها؟
مَن له في كلِّ يومٍ وقعات لا تُضاهى
اذكروا أفعالَ بدرٍ لستُ أبغي ما سواها
اذكروا غزوةَ أُحْدٍ إنّه شمسُ ضُحاها
اذكروا حربَ حنينٍ إنّه بدر دُجاها
اذكروا الأحزابَ قِدْماً إنّه ليثُ شراها
اذكروا لي قُلَلَ العلم ومَن حلَّ ذُراها
أعلى حبّ عليٍّ لامني القومُ سَفاها؟

٨٥٣٣ ـ قال الصاحب بن عباد:

إنّ المحبّةَ للوصيّ فريضةٌ أعني أميرَ المؤمنين عليّا
قد كلّف اللهُ البريّةَ كلَّها واختاره للمؤمنين وليّا

٨٥٣٤ ـ قال الصاحب بن عباد:

بمحمّدٍ ووصيّهِ وابنيْهما وبعابدٍ وبباقريْنِ وكاظمِ
ثم الرضا ومحمّدٍ ثم ابنهِ والعسكري المتّقي والقائِم
أرجو النجاةَ من المواقف كلِّها حتى أصيرَ إلى نعيمٍ دائمِ

٨٥٣٥ ـ كان للصاحب بن عبّاد خاتمان نقشُ أحدهما:

على الله توكلْتُ وبالخمس توسّلْتُ

ونقشُ الآخر:

شفيعُ إسماعيلَ في الآخرةْ محمّدٌ والعترةُ الطاهرَة

٨٥٣٦ ـ قال أبو العبّاس الضبيّ:

لا تركننَّ إلى الفراقِ فإنّه مُرُّ المذاقِ
الشمسُ عند غروبها تصفرُّ مِن فَرَقِ الفِراقِ(١)

٨٥٣٧ ـ قال مهيار الديلمي مفتخراً بنسبه الذي ينتهي إلى كسرى ملك الفرس، وبدينه الذي نزل به الروح الأمين على سيد المرسلين ﷺ:

قد قَبستُ المجدَ من خير أبِ وقبستُ الدينَ من خير نبي
وضممتُ الفخرَ من أطرافهِ سؤدد الفرس ودين العربِ

(١) الفرق: الخوف.

٨٥٣٨ ـ قال مهيار الديلمي وهو يشير إلى أنّ التشيّعَ الكاملَ لأهل البيت عليهم السلام لا يتمّ إلا بالولاية لهم والبراءة من أعدائهم:

أواليكُمُ ما جرت مُزنةٌ[1] وما اصطخب الرعدُ أو جلجلا
وأبرأ مِمَّن يعاديكُمُ فإنّ البراءةَ شرطُ الوَلا

٨٥٣٩ ـ قال الشيخ عز الدين أحمد بن مقبل: «لو حلف إنسانٌ أنّ السيد المرتضى كان أعلمَ بالعربيّة من العرب أنفسِهم لم يكن عندي آثما»، وقال أحد شيوخ الأدب في مصر: «والله إني استفدتُ من كتاب «الغُرر والدُرر» للشريف المرتضى مسائلَ لم أجدْها في كتاب سيبويه وغيره من كتب النحو»، وكان الشيخ نصير الدين الطوسي إذا جرى ذكرُه في مجلسه يقول: «صلوات الله عليه» ثم يلتفت إلى أهل العلم الذين حضروا مجلسَه ويقول: «كيف لا يُصلّى على السيد المرتضى؟».

٨٥٤٠ ـ قال علي بن أحمد الفنجكردي:

زمانُنا ذا زمانُ سوءٍ لا خيرَ فيه ولا صلاحا
هل يُبصر المسلمون فيه لليلِ أحزانِهم صباحا
فكلُّهم منه في عناءٍ طوبى لمن مات فاستراحا

٨٥٤١ ـ قال الملك الصالح طلايع بن رزّيك:

يا أمّةً سلكت ضلالاً بيّناً حتى استوى إقرارُها وجحودُها
قلتُم: ألا إنّ المعاصي لم يكنْ إلا بتقدير الإله وجودُها
لو صحّ ذا كان الإلهُ بزعمكمْ منع الشريعةَ أن تُقامَ حدودُها
حاشا وكلا أن يكونَ إلهُنا ينهى عن الفحشاءِ ثم يريدُها

---

(١) المزنة: السحابة الممطرة.

٨٥٤٢ ـ قال الملك الصالح يمدح رسول الله ﷺ:

محمّدٌ خاتم الرسل الذي سبقت ... به بِشارةُ قُسٍّ وابن ذي يَزَنِ
وانذر النطقاء الصادقون بما ... يكون من أمره والطُّهرُ لم يكنِ
الكاملُ الوصف في حِلم وفي كرمٍ ... والطاهرُ الأصل من ذمٍّ ومن درنِ
ظِلُّ الإله ومفتاح النجاة وينبوعُ ... الحياة وغيثُ العارض الهتِنِ[1]
فاجعله ذخركَ في الدارينِ معتصماً ... به وبالمرتضى الهادي أبي الحسن

٨٥٤٣ ـ قال الملك الصالح يخاطب أميرَ المؤمنين عليه السلام:

كأنّي إذْ جعلتُ إليك قصدي ... قصدتُ الركنَ بالبيتِ الحرامِ
وخُيّلَ لي بأنّي في مَقامي ... لديكم بين زمزمَ والمقامِ
أيا مولاي ذكركَ في قعودي ... ويا مولاي ذكركَ في قيامي
وحبُّكَ إن يكنْ قد حلّ قلبي ... ففي لحمي استكنَّ وفي عظامي
فلولا أنتَ لم تُقبلْ صلاتي ... ولولا أنتَ لم يُقبلْ صيامي
عسى أسقى بكأسك يوم حشري ... ويبرُدُ حين أشربُها أوامي[2]

٨٥٤٤ ـ قال نجم الدين عمارة بن علي الحكمي:

يا ربِّ هيِّئ لنا من أمرنا رشدا ... واجعلْ معونتَك الحسنى لنا مدَدا
ولا تكِلْنا إلى تدبير أنفسِنا ... فالنفسُ تعجزُ عن إصلاح ما فسدا

٨٥٤٥ ـ قيل: إنّ المستنصرَ الخليفةَ العبّاسي خرج يوماً لزيارة سلمان رضي الله عنه ومعه السيد قطب الدين الأقساسي، فقال له الخليفة في أثناء

---

(١) العارض الهتن: السحاب الممطر. (٢) أوامي: عطشي.

الطريق: إنّ من الأكاذيب ما ترويه الشيعة من أنّ عليَّ بنَ أبي طالب عليه السلام جاء من المدينة إلى المدائن لتجهيز سلمان بعد وفاته وعاد من ليلته إلى المدينة. فأنشده الأقساسي أبياتاً من الشعر قد تكون من نظمه أو نظم أحد أسلافه من السادة الأقساسيين أو غيرهم وهي:

أنكرتَ ليلةَ إذْ صار الوصيُّ إلى ... أرض المدائنِ لما أنْ لها طلَبا

وغسّل الطهرَ سلماناً وعاد إلى ... أرض المدينة والإصباحُ ما وجبا

وقلتَ: ذلك من قولُ الغُلاة وما ... ذنب الغُلاة إذا لم يوردوا كذِبا

فآصفٌ قبل ردّ الطرف من سبأٍ ... بعرش بَلقيس وافى يخرُقُ الحُجُبا

فأنت في آصفٍ لم تغلُ فيه بلى ... في حيدرٍ أنا غالٍ إنّ ذا عجبا

إنْ كان أحمدُ خيرَ المرسلينَ فذا ... خيرُ الوصيّين أو كلُّ الحديث هَبا

والغريب: إنّ القوم يستكثرون على أمير المؤمنين عليه السلام هذه المنقبة ويعتبرونها غلوّاً مع أنّ كتبَهم مشحونةٌ بنسبة طيّ الأرض وقطع المسافات الشاسعة بمدّة قصيرة إلى كثير من رجالاتهم ولا يجدون في ذلك أيَّ غضاضة، كأنّ الله سبحانه يُجري الكراماتِ الخارقة على يد كلِّ مَن هبّ ودبّ إلا إذا كان من أهل بيت النبوّة فإنّه يكون من الأمور المستحيلة أو من الغلُوّ المرفوض عقلاً وشرعاً!!.

روى ابن عساكر في تاريخه عن السريّ بن يحيى قال: كان حبيبُ بنُ محمّد البصري يُرى يومَ التروية - وهو الثامن من ذي الحجّة - بالبصرة، ويوم عرفة - وهو التاسع منه - بعرفات. وقال ابن كثير في تاريخه: ذكروا أنّ الشيخ عبد الله اليونيني المتوفى سنة٦١٧هـ كان يحجّ في بعض السنين في الهواء، وقد وقع هذا لطائفة كبيرة من الزُهّاد

وصالحي العباد.

وجاء في «شذرات الذهب» لابن العماد عن السخاوي في طبقاته: إنّ الشيخ معالي سأل الشيخ سلطان بن محمود البعلبكي فقال له: يا سيّدي كم مرّة رحتَ إلى مكة في ليلةٍ واحدة؟ قال: ثلاث عشرةَ مرّة، قال الشيخ عبد الله اليونيني: لو أراد أن لا يصلّي فريضةً إلا في مكة لفعل. وجاء في «شذرات الذهب» أيضاً عن محمد بن علي الحبّاك خادم الشيخ جلال الدين السيوطي أنّ الشيخ قال له يوماً وقت القيلولة وهو في مصر: أتريد أن تصلّي العصر بمكة بشرط أن تكتمَ ذلك عليّ حتى أموت؟ قال: نعم. فأخذ بيده وقال له: غمّضْ عينيك فغمّضها فرحل به نحو سبع وعشرين خطوة ثم قال له: افتح عينيك فإذا هما بباب المعلاة بمكة المكرمة فدخلا الحرم وطافا بالبيت وشربا من ماء زمزم. ثم قال له: إنْ شئتَ تمضي معي وإنْ شئتَ تقيم حتى يأتي الحُجّاج؟ فقال: أذهب مع سيّدي.

فمشيا إلى باب المعلاة وقال له: غمّض عينيك فغمّضها، فهرول وهو معه سبع خطوات ثم قال له: افتح عينيك فإذا هما بمكانهما في مصر!!.

وشبيه بذلك حادثة رد الشمس لأمير المؤمنين عليه السلام ويعتبرون ذلك من قول الغلاة مع أنّ هذه المنقبة له عليه السلام مرويّة في كتبهم المعتبرة عندهم وبأسانيدَ صحيحة، في حين أنّهم ينسبون مثل هذه الخارقة لبعض رجالهم دون أيّ غمزٍ أو إنكارٍ. فقد روى السبكي في «طبقات الشافعيّين» واليافعي في «مرآة الجنان» وابن العماد في «شذرات الذهب» وابن حجر في «الفتاوى الحديثيّة»: إنّ إسماعيل بن محمد

الحضرمي المتوفى سنة ٦٧٦هـ كان في سفر ومعه خادمه وكادت الشمس تغرب فقال لها: لا تغربي فوقفت، وفي روايةٍ أخرى قال لخادمه: قُلْ للشمس تقف حتى نصلَ إلى البلد الذي نقصده، ففعل الخادم فوقفتْ فلمّا وصل إلى مقصده أومأ إلى الشمس فغابت، وفي روايةٍ أخرى قال لخادمه: أما تطلق ذلك المحبوس؟ فأمرها الخادم بالغروبِ فغربتْ. كلّ هذا الغلو فمقبول، أمّا إذا تعلّق بأهل البيت فمرفوض!!.

٨٥٤٦ ـ روى الشيخ الكليني في «الكافي» بسنده عن إسماعيل بن مراد قال: كتب الحسن بن العبّاس المعروف إلى الإمام الرضاعليه السلام: جُعلتُ فِداك أخبرني ما الفرق بين الرسول والنبيّ والإمام؟

فكتبعليه السلام: «الفرق بين الرسول والنبيّ والإمام: إنّ الرسول الذي ينزل عليه جبرائيل فيراه ويسمع كلامه وينزل عليه الوحي، وربما رأى في منامه نحو رؤيا إبراهيمعليه السلام، والنبيّ ربّما سمِع الكلام وربّما رأى الشخصَ ولم يسمعْ. والإمام هو الذي يسمع الكلام ولا يرى الشخص».

وروى الشيخ الطوسي في أماليه بسنده عن أبي عبد الله الصادقعليه السلام أنّه قال: «كان عليّعليه السلام محدّثاً..» فقيل له: فما آية المحدَّث؟ قال: «يأتيه ملَك فينكت في قلبه».

٨٥٤٧ ـ قال أبو المحاسن شِهاب الدين الشواء الكوفي يمدح أمير المؤمنينعليه السلام:

ضَمِنتُ لمن يخاف من العقابِ ... إذا والى الوصيَّ أبا ترابِ

يرى في حشره ربّاً غفوراً ومولّى شافعاً يومَ الحسابِ
فتًى فاق الورى كرماً وبأساً عزيزَ الجار مخضرَّ الجنابِ
يرى في السلم منه غيثَ جودٍ وفي يوم الكريهة ليثَ غابِ
إذا ما سلّ صارمه لحربٍ أراك البرق في متن السحابِ
وصيُّ المصطفى وأبو بنيه وزوجُ الطهر من بين الصحابِ
أخو النصّ الجليّ بيوم خمّ وذو الفضل المرتلّ في الكتاب

٨٥٤٨ ـ قال كمال الدين محمد بن طلحة الشافعي يمدح أميرَ المؤمنين عليه السلام:

إصبحْ وإسْتِمعْ آيات وحيٍ تنزلتْ بمدحِ إمامٍ بالهدى خصّه الله
ففي آل عمران المباهلةُ التي بإنزالها أولاه بعض مزاياهُ
وفي آية النجوى التي لم يفز بها سواه سنا رُشدٍ به تمّ معناهُ
وأزلفهُ حتى تبوّأ منزلاً من الشرف الأعلى وآتاهُ تقواهُ
وأنكحه الطهرَ البتولَ وزادهُ بأنك منّي يا عليُّ وآخاهُ
وشرّفه يوم الغدير فخصّه بأنك مولى كلّ من كنتُ مولاهُ

٨٥٤٩ ـ قال كمال الدين الشافعي:

إذا حكم المنجّمُ في القضايا بحكمٍ جازمٍ فارْدُدْ عليهِ
فليس بعالمٍ يا الله قاضٍ فقلّدْني ولا تركنْ إليهِ

وقال أيضاً في نفس المعنى:

لا تركننَّ إلى مقالِ منجّم وكلِ الأمورَ إلى الإله وسلّمِ
واعلمْ بأنك إنْ جعلتَ لكوكبٍ تدبيرَ حادثةٍ فلستَ بمسلمِ

٨٥٥٠ ـ لمّا احترق الحرم النبويّ الشريف في المدينة المنوّرة بسبب إهمال بعض خدمته وسقوط بعض المصابيح قال أحد الشعراء هناك:

قُلْ للروافض بالمدينة: ما لكم ... يقتادكم للذمّ كلُّ سفيهِ

ما أصبح الحرمُ الشريفُ محرَّقاً ... إلا لذمّكم الصحابةَ فيهِ

فأجابه أحد شعراء الشيعة أبو الحسين الجزّار:

لا تعبؤوا ـ إنْ يحترقْ في طيبةٍ ... حرمُ النبيّ ـ بقول كلّ سفيهِ

لله في النار التي وقعتْ بهِ ... سرٌّ عن العقلاء لا يُخفيهِ

إذْ ليس تبقى في فِناه بقيّةٌ ... مِمّا بنتْه بنو أميّةَ فيهِ

ومثلهُ ما مرّ في غضون هذا الكتاب من قول بعض شعرائهم أيضاً:

لم يحترقْ حرمُ النبيّ لريبةٍ ... كلا ولا هو قد دهاه العارُ

لكنّما أيدي الروافض لامستْ ... ذاكَ الجنابَ فطهّرتهُ النارُ

فأجابه شيخُنا الحرُّ العاملي (قُدّس سرّه) بقوله:

لم يحترقْ حرمُ النبيّ لريبةٍ ... ولكلّ شيءٍ مبدأٌ وعواقبُ

لكنّ شيطانَيْن قد قرنا بهِ ... ولكلّ شيطانٍ شِهابٌ ثاقبُ

٨٥٥١ ـ لمّا تزوج والدُ أبي الحسن الجزّار واسمه «عبد العظيم» وكان شيخاً كبيراً، وكانت زوجته عجوزاً أيضاً قال ولده أبو الحسن مداعباً:

تزوج الشيخُ أبي شيخةً ... ليس لها عقلٌ ولا ذِهنُ

لو برزت صورتها في الدجى ما جسرت تبصرها الجنّ
كأنها في فرشها رِمّةٌ[1] وشعرها من حولها قُطْنُ
وقائلٍ لي قال: ما سنُّها؟ فقلتُ: ما في فيها سِنُّ

٨٥٥٢ ـ قال أبو الحسن الجزّار:

احملُ قلبي كلَّ يومٍ وليلةٍ
هموماً على مَن لا أفوز بخيرهِ
كما سوّد القصّارُ في الشمس وجهَه[2]
حريصاً على تبييض ثوبٍ لغيرهِ

٨٥٥٣ ـ قال بهاء الدين أبو الحسن الأربلي يمدح أميرَ المؤمنين عليه السلام:

عرّجْ على أرض الغريّ وقِفْ به والثِمْ ثراه وزُرْهُ خيرَ مزارِ
واخلعْ بمشهده الشريف معظِّماً تعظيمَ بيت الله ذي الأستارِ
وقلِ السلامُ عليك يا خيرَ الورى وأبا الهداةِ السادةِ الأبرارِ

٨٥٥٤ ـ روي أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال يوماً لولده الحسين عليه السلام: «مرحباً بزين أهل السموات وأهل الأرض»، وقال له أيضاً: «أنت إمام ابنَ إمامٍ أخو إمام أبو أئمة تسعة، أنت حُجّة ابنُ حُجّة أخو حُجّة أبو حُجَجٍ تسعة تاسعهم قائمهُم»، وقال فيه أيضاً: «حسينٌ مني وأنا من حسين، أحبّ الله مَن أحبّ حسيناً»، وقال: «الحسينُ مِصباحُ الهدى وسفينةُ النجاة»، وقال فيه وفي أخيه الحسن عليه السلام: «الحسن والحسين

(١) الرمة ـ بالفتح والكسر ـ ما بلي من العظام.

(٢) القصّار: مبيّض الثياب وغاسلها.

سيّدا شباب أهلِ الجنّة»، وقال فيهما أيضاً: «الحسنُ والحسين إمامان قاما أو قعدا».

٨٥٥٥ ـ روي: إنّ أميرَ المؤمنين عليه السلام وضع يوماً ولده الحسين عليه السلام في حُجره وهو صغير، فقال: يا أبتي أتأذنُ لي بالكلام معك؟ قال عليه السلام: نعم تكلّم، قال الحسين عليه السلام: أريد أن أفاخرك فهل تأذن لي بذلك؟ قال: نعم، قال: «إنّ أباكَ أبو طالب رضي الله عنه وأبي أنت وأنت أفضل من أبيك، وأمُّكَ فاطمةُ بنتُ أسد(رض) وأمي فاطمةُ الزهراء عليها السلام سيّدةُ نساء العالمين من الأوّلين والآخرين وهي أفضلُ من أمّك، وجدُّكَ عبدُ المطلب رضي الله عنه شيخُ البطحاء وجدّي عبدُ المطلب رضي الله عنه سيّدُ الأنبياء وجدّي رسولُ الله صلى الله عليه وآله سيّدُ الأنبياء وخاتمُ المرسلين وهو أفضلُ من جدّك، وأخوكَ جعفرُ الطيّار رضي الله عنه وأخي الحسنَ سيّدُ شباب أهل الجنّة وهو أفضلُ من أخيك».

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: «زاد الله شرفَكَ أبا عبد الله».

٨٥٥٦ ـ يحاول بعضُ الجهلة الحاقدين من النواصب والوهّابيين إنكار ولادةُ أمير المؤمنين عليه السلام في جوف الكعبة مع أنّ هذه الفضيلةَ الجليلة اشتهرت بين جميع المؤرّخين وأربابِ السيرَ من الشيعة والسُّنّة.

وقد ذكرها من أعلام الشيعة جماعة كبيرة نذكر منهم: الشيخ المفيد في كتابيْه «المقنع» و «الإرشاد» وغيرهما، والسيّد المرتضى في شرحه للقصيدة البائية للحميري، والشريف الرضي في كتابه «خصائص الأئمة»، والشيخ الطوسي في كتبه «التهذيب» و «الأمالي» و «مصباح المتهجّدين»، والشيخ الكراجكي في كتابه «كنز الفوائد»، والشيخ الطبرسي في كتابه «أعلام الورى»، وابن شهرآشوب في كتابه

«المناقب»، وابن البطريق الحلّي في كتابه «العُمدة»، وابن طاووس في كتابه «الإقبال»، والطبري الآملي في كتابه «تحفة الأبرار»، والأربلي في كتابه «كشف الغُمّة»، وابن الفتّال النيسابوري في كتابه «روضة الواعظين»، والعلامة الحلّي في كتابيْه «كشف الحق» و «كشف اليقين»، وابن عنبسة جمال الدين في كتابه «عُمدة الطالب»، والشيخ الكفعمي في كتابه «المصباح»، والقاضي المرعشي في كتابه «إحقاق الحق»، والمولى محسن الكاشاني في كتابه «تقويم المحسنين»، والشيخ أبو الحسن الشريف في كتابه «ضياء العالمين»، والسيد هاشم البحراني في كتابه «غاية المرام»، والشيخ المجلسي في كتابه «جلاء العيون»، والسيد نعمة الله الجزائري في كتابه «الأنوار النعمانية»، والسيد محسن الأعرجي في كتابه «عُمدة الرجال»، والسيد حيدر الحسني الحسيني الكاظمي ـ جدّنا الأكبر ـ في كتابه «عُمدة الزائر»، والسيد حسن الزفوزي في كتابه «بحر العلوم»، والميرزا حبيب الخوئي في كتابه «شرح نهج البلاغة»، والسيد جعفر الأعرجي في كتابه «المناهل»، والشيخ عباس القمي في كتابه «سفينة البحار»، والسيد محسن الأمين في كتابه «أعيان الشيعة»، والشيخ جعفر النقدي في كتابه «نزهة المحبّين في فضائل أمير المؤمنين» وغيرُهم من العلماء والمحدّثين.

وقد نظم هذه المأثرة الخالدة عددٌ من شعراء الشيعة قديماً وحديثاً وحسبُك من القدماء قولُ السيد الحميري المتوفى سنة ١٧٣هـ:

ولدتْه في حرم الإله وأمْنِه ... والبيتِ حيثُ فِناؤه والمسجدُ

بيضاءُ طاهرةُ الثياب كريمةٌ ... طابت وطاب وليدُها والمولِدُ

ما لُفَّ في خرَق القوابلِ مثلُه ... إلا ابنُ آمنةَ النبيُّ محمّدُ

وحسبُك من المتأخرين قول الشيخ حسين نجف المتوفّى سنة ١٢٥٢هـ:

جعل الله بيته لعليٍّ مولداً يا له عُلاً لا يُضاهى
لم يشاركه في الولادة فيه سيّدُ الرسل لا ولا أنبياها
فاكتست مكةٌ بذلك فخراً وكذا المشعرانِ بعد مِناها

وذكر هذه المنقبة العظيمة من أعلام السُنّة جماعةٌ كبيرة نذكر منهم: المسعودي في كتابه «مروج الذهب» وابن الصبّاغ المالكي في كتابه «الفصول المهمّة»، وسبط ابن الجوزي الحنفي في كتابه «تذكرة الخواص»، والحلبي الشافعي في كتابه «السيرة النبويّة»، ومحمد بن طلحة الشافعي في كتابه «مطالب السؤول» والشيخ علي القاري الحنفي في كتابه «شرح الشفا»، والترمذي في كتابه «المناقب»، والشيخ عبد الحق الدهلوي في كتابه «مدارج النبوّة»، وعبد الرحمن الصفوري الشافعي في كتابه «نزهة المجالس»، والشبلنجي الشافعي في كتابه «نور الأبصار»، والحاكم في كتابه «المستدرك» حيثُ يقول: «وقد تواترت الأخبار أنّ فاطمة بنتَ أسد ولدت أميرَ المؤمنين عليَّ بنَ أبي طالب كرّم الله وجهَه في جوف الكعبة»، والحافظ الكنجي الشافعي في كتابه «كفاية الطالب»، حيثُ نقل عن الحاكم النيسابوري أنه قال: «وُلد أميرُ المؤمنين عليُّ بنُ أبي طالب بمكة في بيت الله الحرام ليلة الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلتْ من رجب سنة ثلاثين من عام الفيل، ولم يولدْ قبله ولا بعده مولودٌ في بيت الله الحرام سواه إكراماً له بذلك وإجلالاً لمحلّه في التعظيم»، وأحمد بن عبد الرحيم الدهلوي المعروف بشاه وليّ الله في كتابه «إزالة الخفاء»، حيثُ يقول: «تواترت الأخبار أنّ

فاطمة بنتَ أسد ولدت أميرَ المؤمنين علياً في جوف الكعبة، فإنّه وُلد في يوم الجمعة ثالث عشر من شهر رجب بعد عام الفيل بثلاثين سنة في الكعبة، ولم يولد فيها أحد سواه قبله ولا بعده»، والسيد محمود الآلوسي في كتابه «شرح الخريدة الغيبيّة في شرح القصيدة العينيّة» حيثُ يقول: «وكون الأمير كرّم الله وجهَه ولد في البيت أمرٌ مشهور في الدنيا، وذُكر في كتب الفريقيْن السُنّة والشيعة... ولم يشتهرْ وضعُ غيره كرّم الله وجهَه كما اشتهر وضعُه... وما أحرى بإمام الأئمّة أن يكونَ وضعُه فيما هو قبلةٌ للمؤمنين، وسبحان مَن يضع الأشياءَ في مواضعها وهو أحكم الحاكمين».

وقد نظم هذه الحادثةَ العجيبةَ عددٌ من شعراء السُنّة قديماً وحديثاً وحسبُك منهم الشاعرُ العراقيُّ المشهور عبد الباقي العمري حيثُ يقول في مطلع قصيدته العينيّة الغرّاء:

أنتَ العليُّ الذي فوق العُلا رُفعا ... ببطن مكّةَ وسْطَ البيتِ إذْ وضعا

٨٥٥٧ ـ روى الحاكم في «المستدرك» والقسطلاني في «إرشاد الساري» والعيني في «عمدة القاري» والسيوطي في «الجامع الكبير» وابنُ أبي الحديد في «شرح النهج» وأحمد زيني دحلان في «الفتوحات الإسلاميّة» بسندهم عن أبي سعيد الخُدري قال: حَجَجنا مع عمر بن الخطّاب فلما دخل الطواف استقبل الحجر فقال: إنّي أعلم أنّك حجر لا تضرّ ولا تنفع، ولولا أنّي رأيتُ رسولَ الله ﷺ يقبّلك ما قبّلتُك فقبّله. فقال عليّ بن أبي طالب عليه السلام ـ وكان حاضراً ـ: «بل يضرّ وينفع، ولو علمتَ ذلك من تأويل كتاب الله لعلِمتَ أنّه كما أقول: قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ

أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾(١) فلما أقرّوا أنه الربُّ عزّ وجل وأنهم العبيد كتب ميثاقهم في رقٍّ وألقمه في هذا الحجر، وأنه يُبعث يوم القيامة وله عينانِ ولسانٌ وشفتان يشهد لمن وافى بالموافاة، فهو أمينُ الله على هذا الكتاب» فقال له عمر: لا أبقاني الله بأرضٍ لستَ فيها يا أبا الحسن.

٨٥٥٨ ـ روى ابن أبي الحديد المعتزلي في «شرح النهج»: إنّ عمر مرّ يوماً بشابٍ من الأنصار وهو ظمآن فاستقاه، فجدح ـ أي خلط ـ له ماءً بعسلٍ فلم يشربه وقال: إنّ الله تعالى يقول: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا﴾(٢) فقال له الشاب: يا أمير المؤمنين إنّها ليست لك ولا لأحدٍ من أهل القبلة، اقرأ ما قبلها: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا﴾ فقال عمر: كلّ الناس أفقهُ من عمر.

٨٥٥٩ ـ روى ابن القيّم الجوزيّة في «الطريق الحكميّة»: إنّ عمر بن الخطاب سأل رجلاً: كيف أنت؟ فقال: أنا مِمّن يحبّ الفتنة، ويكره الحق، ويشهد بما لم يره. فأمر به إلى السجن. فقال عليّ عليه السلام: أنّه صدق، قال عمر: كيف صدّقته؟

قال: «يحبّ المالَ والولد، وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ۝١٥﴾(٣)، ويكره الموت وهو الحق، ويشهد أنّ محمّداً رسولُ الله ولم يره» فأمر عمر بإطلاقه وقال: «الله أعلمُ حَيْثُ يَجْعلُ رِسالتَه».

---

(١) سورة الأعراف، الآية (١٧٢).

(٢) سورة الأحقاف، الآية (٢٠).

(٣) سورة التغابن، الآية (١٥).

٨٥٦٠ ـ روى الكنجي الشافعي في «كفاية الطالب» وابن الصبّاغ المالكي في «الفصول المهمّة» بسندهما عن حذيفة بن اليمان أنّه لقِي عمر بنَ الخطاب فقال له عمر: كيف أصبحت يا ابن اليمان؟ قال: كيف تريدني أصبح، أصبحتُ والله أكره الحق، وأحِبّ الفتنة، وأشهد بما لم أره، وأصلّي على غير وضوء، ولي في الأرض ما ليس لله في السماء. فغضب عمر لقوله وانصرف من فوره وقد أعجله أمر، وعزم على أذى حذيفة لقوله ذلك. فبينما هو في الطريق إذْ مرّ بعليّ بن أبي طالب عليه السلام فرأى الغضبَ في وجهه فقال له: ما أغضبك يا عمر؟ فقال: لقيتُ حذيفةَ بن اليمان فسألتهُ: كيف أصبحت؟ فقال: أصبحتُ أكره الحق، فقال عليّ: صدق يكره الموتَ وهو حق. فقال: يقول: وأحبّ الفتنة، قال عليّ: صدق يحبّ المالَ والولد وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾[1]، فقال: يا عليّ يقول: وأشهد بما لم أره، فقال عليّ: صدق يشهد لله بالوحدانيّة ويشهد بالموت والبعث والقيامة والجنّة والنّار والصراط ولم ير ذلك كلّه. فقال: يقول: أصلّي على غير وضوء، فقال عليّ: يصلّي على رسول الله صلى الله عليه وآله على غير وضوء. فقال عمر: يا أبا الحسن قد قال أكبر من ذلك، قال: ما هو؟ قال: يقول: إنّ لي في الأرض ما ليس لله في السماء، قال عليّ: صدق له زوجة، وولد وتعالى الله عن الزوجة والولد.

فقال عمر: كاد يهلك ابنُ الخطّاب لولا عليّ بنُ أبي طالب.

٨٥٦١ ـ روى القرطبي في تفسيره والزمخشري في تفسيره والسيوطي في تفسيره بسندهم عن إبراهيم التميمي قال: قال رجلٌ عند

(١) سورة التغابن، الآية (١٥).

عمر بن الخطّاب:

اللّهمّ اجْعلني من القليل، فقال عمر: ما هذا الدعاء؟ فقال الرجل: إني سمِعتُ الله يقول: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾(١) فأنا أدعوه أن يجعلني من ذلك القليل. فقال عمر: كلُّ الناس أفقهُ من عمر. وفي روايةٍ أخرى: كلُّ الناس أعلمُ من عمر.

وفي رواية ثالثة: كل الناس أعلم منك يا عمر.

٨٥٦٢ ـ روى البيهقي في «السُّنن الكبرى» بسنده عن عبد الرحمن بن حنظلة قال: صلّى بنا عمرُ بنُ الخطّاب فلم يقرأ في الركعة الأولى شيئاً فلما قام في الركعة الثانية قرأ بفاتحة الكتاب وسورة، ثم مضى، فلمّا فرغ من صلاته سجد سجدتيْن بعدما سلّم.

وروى البيهقي أيضاً في سُننه بسنده عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال: إنّ عمر كان يصلّي بالناس المغرب فلم يقرأ فيها، فلمّا انصرف قيل له: ما قرأت، قال: فكيف كان الركوع والسجود؟ قالوا: حسناً، قال: فلا بأس إذاً!!.

٨٥٦٣ ـ جاء في «الرياض النضرة» و «ذخائر العُقبى» و «مطالب السؤول» و «مناقب الخوارزمي»: إنّ عمرَ بنَ الخطّاب أُتي بامرأةٍ قد اعترفت بالفجور فأمر عمر برجمها فتلقّاها عليّ عليه السلام فقال: ما بال هذه المرأة؟ قالوا: أمر عمر برجمها، فردّها عليّ وقال لعمر: «هذا سلطانُكَ عليها فما سلطانُكَ على ما في بطنها؟ ولعلّك انتهرتَها أو أخفتَها؟» قال: قد كان ذلك. قال عليّ: «أو ما سمِعتَ رسولَ الله صلى الله عليه وآله قال: «لا حدّ

---

(١) سورة سبأ، الآية (١٣).

على معترفٍ بعد بلاء» إنّه من قُيّد أو حُبس أو هُدّد فلا إقرارَ له» فخلا عمرَ سبيلَها ثم قال: عجَزَتِ النساءُ أن تَلِدْنَ مثلَ عليِّ بن أبي طالب، لولا عليٌّ لهلك عمر.

٨٥٦٤ ـ جاء في «كنز العمال» للمتقي الهندي و «الطرق الحكميّة» لابن القيّم الجوزيّة: إنّ عمر بنَ الخطّاب أُتي بامرأةٍ زنت فأقرّت فأمر برجمها، فقال عليٌّ عليه السلام: لعلّ بها عذراً، ثم قال لها: ما حملك على الزنى؟ قالت: كان لي خليط ـ أي شريك ـ وفي إبله ماءٌ ولبن، ولم يكنْ في إبلي ماءٌ ولبن، فظمِئت فاستقيتُه فأبى أن يَسقيَني حتى أعطيه نفسي، فأبيتُ عليه ثلاثاً فلمّا ظمئتُ وظننتُ أنّ نفسي ستخرج أعطيتهُ الذي أراد فسقاني. فقال عليٌّ عليه السلام: الله أكبر ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1].

٨٥٦٥ ـ جاء في «الطرق الحكميّة» لابن القيّم الجوزيّة: إنّ عمر ابن الخطّاب أُتي برجلٍ أسود ومعه امرأة سوداء فقال: يا أميرَ المؤمنين إني أغرس غرساً أسود وهذه سوداء على ما ترى. فقد أتتني بولدٍ أحمر، فقالت المرأة: والله يا أميرَ المؤمنين ما خُنتهُ وإنّه لولُده. فبقي عمر لا يدري ما يقول، فسأل عن ذلك عليَّ بنَ أبي طالب عليه السلام.

فقال للرجل الأسود: إنْ سألتكَ عن شيءٍ أتصدِقُني؟ قال: أجل والله، قال عليه السلام: هل واقعتَ امرأتك وهي حائض؟ قال: قد كان ذلك، قال عليٌّ عليه السلام: «الله أكبر، إنّ النطفةَ إذا خُلطت بالدم فخلق الله عزّ وجل منها خلقاً كان أحمر فلا تُنكر ولدَك فأنت جنيتَ على نفسك».

---

(١) سورة البقرة، الآية (١٧٣).

٨٥٦٦ ـ كلمة «الهم» تأتي في اللغة العربيّة بمعنى الحزن والغم، ومنه قول أمير المؤمنين عليه السلام: «الهم نصف الهرم». وتستعمل كلمة «الاهتمام» بمعنى الحزن الشديد والاعتناء الزائد بالشيء، ومنه الكلمة المأثورة: «راحة اللسان في قلّة الكلام وراحة النفس في قِلّة الآثام، وراحة القلب في قلّة الاهتمام، وراحة الجسم في قِلّة الطعام».

وتأتي كلمة «الهم» أيضاً بمعنى القصد إلى الشيء والعزم عليه، ومنه قوله تعالى في سورة يوسف، الآية (٢٤): ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ﴾.

وكلمة «الهِمّة والهَمّة» بمعنى قوّة العزم على الشيء و «الرجل الهُمام» أي عظيم الهِمّة الذي إذا أراد شيئاً فعله، وإذا عزم على أمرٍ أمضاه.

والهِمّ: هو الشيخ الفاني الذي أضناه الكِبرَ والحزن والمرض.

والهامة: هي الجثّة الهامدة وجمعها: هام.

واهتمّ بالأمر أي عُني به عنايةً فائقة.

والمهمّات من الأمور: بمعنى الشدائد والصِعاب.

ويُقال: قضيّة هامّة وقضيّة مهمّة، وأمرٌ هام وأمرٌ مهم: أي إنّه ذو أهميّة تدعو الناسَ إلى الاعتناء به، وكلا الاستعمالَيْن صحيح، وإنْ قال بعض أهل اللغة: إنّ استعمال الهامّة في هذا المعنى غيرُ صحيح لأنّ الهامّة هي الدابّة الزاحفة كالحيّة وأمثالها وجمعُها هوام. وقد مرّت الإشارة إلى ذلك في غضون هذا الكتاب.

٨٥٦٧ ـ مما قلتُه في مدح سيّدنا المغفور له آية الله الوالد (قُدسَ سرّه):

هكذا هكذا وإلا فلا لا ... ليس كلُّ الرجالَ تُدعى رجالا
أنتَ في عالَمَ التقى والمعالي ... حزتَ فخراً وسُؤدداً وكمالا
وتجلَّيْتَ في سماء العلم بدراً ... يتعالى وكوكباً يتلالا
ملكاتٌ بها سموتَ إلى المـ ... ـجد ولطفٌ من الإله تعالى
ولِذا صِرْتَ للفضائل رمزاً ... ولأصحابها الكرام مِثالا
قد فقدناك عالماً عبقريّاً ... وفقيهاً يهذّب الأجيالا
فتبوّأ من جنّة الخلدِ داراً ... حسُنتْ منزلاً وطابتْ مآلا

٨٥٦٨ ـ قال الزمخشري في «ربيع الأبرار» والأبشيهي في «المستطرف»: قد أنزل الله تعالى في الخمر ثلاث آيات، الأولى: قولُه تعالى في سورة البقرة، الآية (٢١٩): ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾، فكان من المسلمين مِنْ شاربٍ ومِنْ تاركٍ إلى أن شرب رجلٌ فدخل في الصلاة فهجر فنزلُ قولُه تعالى في سورة النساء، الآية (٤٣): ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ فشربها من شربها من المسلمين وتركها من تركها، حتّى شرِبها عمر ﷺ فأخذ بلحي بعير فشجّ به رأس عبد الرحمن بن عوف، ثم قعد ينوح على قتلى بدر بشعر الأسود بن يعفر ومما قال:

أيوعدُني ابنُ كبشةَ أنْ سنحيا ... وكيف حياةُ أصداءٍ[1] وهامِ؟[2]

---

(١) أصداء: أموات.

(٢) هام: جمع هامة وهي الجثة الهامدة.

أيعجزُ أن يردَّ الموتَ عنّي ويَنشُرُني إذا بلِيتْ عظامي؟
ألا من مبلغ الرحمن عنّي بأنّي تاركٌ شهرَ الصيامِ
فقلْ لله يمنعني شرابي وقل لله يمنعني طعامي

فبلغ ذلك رسولَ الله ﷺ فخرج مُغضباً يجرُّ رداءَه فرفع شيئاً كان في يده فضربه به فقال عمر: أعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله، فأنزل الله تعالى في سورة المائدة: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾ فقال عمر ﷺ: انتهينا انتهينا.

وفي قوله تعالى في الآية الأولى: ﴿فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ تصريحٌ بالحرمة لقوله تعالى في سورة الأعراف، الآية (٣٣): ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ﴾، والمراد بالإثم هو الذنب، بل إنّ كلمةَ الإثم قد تُطلقَ على خصوص الخمر كما قال الشاعر العربي:

شربتُ الإثمَ حتى ضلَّ عقلي كذاك الإثمُ تذهبُ بالعقولِ

وأمّا قوله تعالى: ﴿وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ فقد قال الطبري في تفسيره: «وليست منافعُ الخمر إلا أثمانُها قبيل تحريمها، وما يصلون إليه بشربها من اللذّة».

وقال الجصّاص في «أحكام القرآن»: «هذه الآية قد اقتضت تحريم الخمر، ولو لم يرِدْ غيرُها في تحريمها لكانت كافية مُغنية وذلك لقوله: ﴿قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ والإثم كلُّه محرّم بقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ﴾ فأخبر أنّ الإثم

محرّم، ولم يقتصرْ على إخباره بأنّ فيهما إثماً حتى وصفه بأنّه كبير تأكيداً لحَظْرها. وقولُه: ﴿وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ لا دَلالةَ فيها على إباحتها لأنّ المرادَ منافع الدنيا» وإنّ في سائر المحرّمات منافعَ لمرتكبيها في دُنياهم إلا أنّ تلك المنافع لا تفي بضررها من العقاب المستحق بارتكابها. فذِكْرُه لمنافعها غيرُ دالٍّ على إباحتها لا سيما وقد أكّد حظْرها مع ذكر منافعها بقوله في سياق الآية: ﴿وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَاۗ﴾ يعني أنّ ما يُستحق بهما من العقاب أعظم من النفع العاجل الذي يحصل منهما».

٨٥٦٩ ـ روى الحافظ العاصمي في كتابه «زينُ الفتى في شرح سورة هل أتى» عن أبي الطفيل قال: شهِدتُ الصلاةَ على أبي بكر، ثم إجتمعنا إلى عمر بن الخطاب فبايعناه، وأقمنا أيّاماً نختلف إليه في المسجد حتى أسْمَوْه أميرَ المؤمنين، فبينما نحن عنده جلوس إذْ أتاه يهوديٌ من يهود المدينة وهم يزعمون أنّه من ولد هارون أخي موسى بنِ عمران حتى وقف على عمر فقال له: يا أميرَ المؤمنين أيّكم أعلم بنبيّكم وبكتاب نبيّكم حتى أسأله عمّا أريد؟ فأشار عمر إلى علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: هذا أعلم بنبيّنا وبكتاب نبيّنا، فقال اليهودي: كذلك أنت يا عليّ؟ قال: «سلْ عمّا تريد».

قال: إنّي أسألك عن ثلاث وثلاث وواحدة. قال له عليّ: «ولِمَ لا تقول إني أسألك عن سبع؟» قال اليهودي: أسألك عن ثلاث فإنْ أصبتَ فيهنّ أسألك عن الواحدة، وإنْ أخطأتَ في الثلاث الأوَل لم أسألك عن شيء.

فقال عليّ: «وما يدريك إذا سألتني فأجبتُك أني أخطأتُ أم أصبت؟» قال: فضرب يدَه على كُمّه فاستخرج كتاباً عتيقاً فقال: هذا

كتابٌ ورثتُه عن آبائي وأجدادي بإملاء موسى عليه السلام وخطّ هارون عليه السلام وفيه هذه الخِصال التي أريد أن أسألك عنها، فقال عليّ: «والله عليكَ إنْ أجبتُكَ فيهنّ بالصواب أنْ تسلم» فقال اليهودي: والله لِئنْ أجبتني فيهنّ بالصواب لأُسلِمنّ الساعةَ على يديك. قال عليّ: «سلْ»، قال: أخبرني عن أوّل حجر وُضع على وجه الأرض، وأخبرني عن أوّل شجرةٍ نبتتْ على وجه الأرض، وأخبرني عن أوّل عينٍ نبعت على وجه الأرض، قال عليّ: «يا يهودي أمّا أوّلُ حجرٍ وُضِع على وجه الأرض فإنّ اليهودَ يزعُمون أنّه صخرةُ بيت المقدس وكذِبوا، لكنّه الحجرُ الأسود نزل به آدمُ معه من الجنّة فوضعه في ركن البيت، فالناس يتمسّحون به ويقبّلونه ويجدّدون العهدَ والميثاق فيما بينهم وبين الله»، قال اليهودي: أشهد بالله لقد صدقت. قال عليّ: «وأمّا أوّل شجرةٍ نبتتْ على وجه الأرض فإنّ اليهودَ يزعُمون أنها الزيتونة وكذبوا، ولكنّها نخلةُ العجوة نزل بها معه آدم من الجنّة، فأصل التمرِ كلِّه من العجوة»، قال اليهودي: أشهد بالله لقد صدقت. قال عليّ: «وأمّا أوّلُ عينٍ نبعت على وجه الأرض فإنّ اليهودَ يزعمُون أنّها العينُ التي تحت صخرة بيت المقدس وكذِبوا، ولكنّها عينُ الحياة التي نسي عندها صاحبُ الحوت السمكةَ المالحة فلمّا أصابها ماءُ العين عاشت فاتبعها موسى وصاحبُه فأتيا الخضر»، قال اليهودي: أشهد بالله لقد صدقت. فقال له عليّ عليه السلام: «سلْ»، قال: أخبرني عن منزل محمّد أين هو في الجنّة؟ قال عليّ: «منزل محمّد صلى الله عليه وآله في الجنّة جنّةُ عدن في وسط الجنّة أقربُه من عرش الرحمن عزّ وجل»، قال اليهودي: أشهد بالله لقد صدقت. ثم قال له عليّ: «سلْ»، قال: أخبرني عن وصيّ محمّد من أهله كم يعيش بعده، وهل يموت أو يُقتل؟ قال عليّ: «يا يهودي يعيش بعده

ثلاثين سنة وتُخضب هذه من هذا» وأشار عليه السلام إلى لحيته ورأسه. فوثب اليهودي وقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمّداً رسولُ الله.

٨٥٧٠ ـ من أغرب ما حدّثتنا كتبُ السِّيَرِ والتاريخ عن عمر بن الخطّاب أنّه نهى في أيّام خلافته عن السؤال عن معاني آيات الكتاب العزيز وعن التحدّث بسُنّة رسول الله صلى الله عليه وآله، وإنّه عاقب وضرب من كان يسأل عن معاني كتاب الله أو مَن يحدّث بسُنّة رسول الله صلى الله عليه وآله، فقد رووا أنّ رجلاً اسمه صُبَيْغ قدِم المدينة فجعل يسأل عن بعض متشابهات القرآن فأعدّ له عمر عرجوناً من النخل وجعل يضرب به رأسه أو ظهره حتى أدماه. وفي بعض الروايات أنّه تركه حتى برِئ ثم أعاده وضربه مرّةً أخرى، وبعد أن برِئ أعاده ليضربه مرّةً ثالثة فقال له صُبَيْغ: إنْ كنتَ تريد قتلي فاقتلني قتلاً جميلاً، وإنْ كنتَ تريد أن تداويني فقد والله برئت. فأمر بنفيه إلى بلده، وأن لا يجالسه أحد!!.

ورووا أيضاً أنه قيل لعمر: إنّا لقينا رجلاً يسأل عن تأويل مشكل القرآن فقال عمر: اللّهمّ مكِنّي منه، فلمّا جيء به إليه سأل عمر عن معنى قوله تعالى في سورة الذاريات: ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا ۝١ فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا ۝٢﴾ فقام إليه وحسر عن ذِراعيه، ولم يزل يجلده حتى سقطت عِمامتُه، ثم أمر بنفيه إلى بلده!!.

وعن أبي العديس قال: كنّا عند عمر فأتاه رجل فقال: يا أميرَ المؤمنين ما الجوار الكُنّس؟ فطعن عمر بمخصرته في عِمامة الرجل فألقاها عن رأسه، وهمّ بضربه!!.

وأمّا نهيُه عن الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله فقد رووا عن قرظة ابن كعب قال: لمّا سيّرَنا عمر إلى العراق مشى معنا وقال: أتدرون لِمَ

شيّعتكم؟ قالوا: نعم تكرُمةً لنا، فقال عمر: ومع ذلك إنّكم تأتون أهلَ قريةٍ لهم دويٌ بالقرآن كدويِّ النحل فلا تصدّوهم بالأحاديث فتُشغِلوهم، جرّدوا القرآن وأقلّوا الروايةَ عن رسول الله ﷺ وأنا شريككم.

قال قرظة: فما حدّثتُ بعده حديثاً واحداً عن رسول الله ﷺ.

وفي لفظ الطبري: كان عمر يقول: جرّدوا القرآن ولا تفسّروه وأقِلّوا الروايةَ عن رسول الله ﷺ وأنا شريككم.

وأخرج الطبراني عن إبراهيم بن عبد الرحمن أنّ عمر حبس ثلاثة: ابن مسعود وأبا الدرداء وأبا مسعود الأنصاري وقال لهم: قد أكثرتم الحديثَ عن رسول الله ﷺ.

وفي لفظ الحاكم في «المستدرك»: إنّ عمر قال لابن مسعود ولأبي الدرداء ولأبي ذر: ما هذا الحديث عن رسول الله ﷺ وأحسبه حبسهم بالمدينة حتى أصيب. وبسبب ذلك تحامى الصحابة عن نقل الأحاديث النبويّة حتى روى الدارمي في سُننه وابن ماجة في سُننه عن الشعبي أنّه قال: قعدتُ مع ابن عمر سنتين أو سنة ونصفاً فما سمعتُه يحدّث عن رسول الله إلا حديثاً. وعن السائب بن يزيد أنّه قال: صحِبتُ سعد بن مالك من المدينة إلى مكة فما سمِعتُه يحدّث بحديثٍ واحد.

وروى ابن سعد في طبقاته عن عروة أنه قال: إنّ عمر بن الخطّاب أراد أن يكتبَ السُنن فاستفتى أصحاب رسول الله ﷺ في ذلك فأشاروا عليه أن يكتبها، فطفِق عمر يستخير الله فيها شهراً ثم أصبح يوماً وقد عزم الله له فقال: إنّي كنت أريد أن أكتبَ السُنن وإنّي ذكرتُ

قوماً كانوا قبلكم كتبوا كتاباً فأكبّوا عليه وتركوا كتاب الله، وإنّي والله لا أشوب كتابَ الله بشيءٍ أبداً.

وليت شعري كيف يتفق هذا مع روايتهم عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «إنّي تارك فيكم ما أن تمسّكتم بهما لن تضلّوا كتابَ الله وسُنّتي». ﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾[1].

٨٥٧١ ـ جاء في سُنن أبي داود وسُنن البيهقي ونهاية ابن الأثير وزاد المعاد لابن القيّم وغيرها: إنّ المغيرة بنَ شُعبة استأذن على عمر فقال: مَن؟ قيل: أبو عيسى، قال: من أبو عيسى؟ قيل: المغيرة بن شعبة، فقال: هل لعيسى أب؟ فشهد له بعضُ الصحابة أنّ النبيّ ﷺ كان يكنّيه بها، فقال: إنّ النبيّ ﷺ غُفر له وإنّا لا ندري ما يُفعل بنا، وكنّاه أبا عبد الله.

وجاء في «شرح النهج» لابن أبي الحديد: إنّ جاريةً لعبيد الله بن عمر جاءت إلى عمر تشكوه وقالت: يا أميرَ المؤمنين ألا تعذِرُني من أبي عيسى؟ قال: ومَن أبو عيسى؟

قالت: ابنكَ عبيد الله، قال: ويحكِ وقد تكنّى بأبي عيسى؟ قالت: نعم، فدعاه وقال له: أيهاً اكتنيتَ بأبي عيسى وحذّره وهدّده وأخذ بيده وعضّها ثم ضربه وقال: ويلك هل لعيسى أب؟ ما تدري ما كُنى العرب؟ أبو سلمة، أو حنظلة، أبو عرقطة، أبو مُرّة.

وجاء في «عمدة القارئ»: إنّ عمر كتب إلى أهل الكوفة: لا تسمّوا أحداً باسم نبيّ، وأمر جماعة بالمدينة بتغيير أسماء أبنائهم

---

(١) سورة ص، الآية (٥).

المسمين بمحمّد، حتى ذكر له جماعةٌ من الصحابة أنّ النبيّ ﷺ أذِن لهم في ذلك فتركهم.

والغريب أن يمنعَ عمر من التسمية باسم «محمّد» مع ورود الأحاديث الكثيرة التي تحثُّ الناسَ على أن يُسمّوا أولادهم بهذا الاسم الكريم تيمّناً باسم النبيّ الأعظم ﷺ. من ذلك ما رواه الهيثمي في «مجمع الزوائد» والسيوطي في «الجامع الصغير» وغيرُهما عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «مَن وُلد له ثلاثةُ أولاد فلم يسمّ أحدَهم محمّداً فقد جهِل»، وما رواه ابن الحجّاج في «المدخل» عن النبيّ ﷺ أنّه قال: «إنّ الله ليوقف العبدَ بين يديه يوم القيامة اسمه أحمد أو محمّد فيقول الله تعالى له: عبدي أما استحييتني وأنت تعصيني واسمك اسم حبيبي محمّد. فينكّس العبد رأسَه حياءً ويقول: اللّهمّ إنّي قد فعلت، فيقول الله عزّ وجل: يا جبرائيل خذْ بيد عبدي وأدخِله الجنّة فإنّي أستحي أن أعذّبَ بالنار من اسمه اسم حبيبي»، وما رواه المناوي في «فيض القدير» والحلبي في «السيرة النبويّة» وغيرُهما عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «مَن وُلد وله مولود فسمّاه محمّداً حبّاً لي وتبرّكاً باسمي كان هو ومولودُه في الجنّة». وقد سمّى رسولُ الله ﷺ عدداً من الأولاد الذين وُلدوا في عصره باسْمه الشريف كما نصّت على ذلك الكتبُ التي أُلّفتْ في أسماء الصحابة وتراجمهم كالإصابة وأسد الغابة والاستيعاب وغيرُها.

والعجيب أن ينهى عمر الناسَ عن أن يسمّوا أولادَهم بأسماء الأنبياء مع ما اشتهر عنه ﷺ أنّه قال: «سمُّوا بأسماء الأنبياء، وما من أهل بيتٍ فيه اسم نبيّ إلا بعث الله تبارك وتعالى إليهم ملكاً يقدّسهم

بالغُدُوّ والعَشيّ».

٨٥٧٢ ـ لمّا عُرج بالنبيّ صلى الله عليه وآله إلى السموات العُلى وأحسّ بأنّ يدَ القدرة تربّت على كتفه تطميناً له.

ولما فتح النبيّ صلى الله عليه وآله مكة ورفع عليّاً عليه السلام على كتفه ليطهّرَ الكعبة المعظّمة من الأصنام المنصوبة عليها تبارى الشعراءُ في ذكر هذه المنقبة العظيمة حيثُ إنّ عليّاً عليه السلام وضع قدمَه في الموضع الذي وضع الله يدَه عليه، فقال الشافعي:

مـاذا أقـول بـمـن حُـطَّـتْ لـه قَـدَمٌ
في موضعٍ وضع الرحمنُ يُمناهُ

وقال العمري:

وأنتَ أنتَ الذي حُطّتْ له قَدَمٌ
في موضعٍ يدَه الرحمنُ قد وضعا

وقال الآخر:

وعـلـيٌّ واضـع أقـدامَـه
فـي مـحـلٍّ وضـع الله يـدَهْ

ويأتي شاعرٌ آخر فيشير إلى قدم رسول الله صلى الله عليه وآله حيثُ وطأتِ المحلَّ الأقدس في السماء، وإلى قدم أمير المؤمنين عليه السلام حيثُ وطأتْ كتِفَ النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله فيقول وقد أبدع أيّما إبداع:

يا ربِّ بالقدم التي أوطأتَها
مِن قابَ قوسين المحلَّ الأعظما

وبحرمة القدم التي جُعلتْ لها
كتِفُ المؤيَّدِ بالرسالة سُلَّما

ثبّتْ على متن الصراط تكرُّماً
قدمي وكنْ لي منقذاً ومُسَلِّما

واجعلهما ذخري فمن كانا له
ذخراً فليس يخاف قطُّ جهنّما

٨٥٧٣ ـ قال الشيخ مغامس بن داغر الحلّي في ضمن قصيدةٍ طويلةٍ يمدح بها رسولَ الله والعترة الطاهرة (صلوات الله عليهم أجمعين):

أعْمَلْتُ في مدحكم فكري فعلّمني
نظْمَ المديح وأوصاني بذاك أبي
فتارةً أنظِمُ الأشعارَ ممتدِحاً
وتارةً أنثُرُ الأقوالَ في الخُطبِ

٨٥٧٤ ـ قال الحافظ البرسي الشيخ رضي الدين الحلّي في مدح رسول الله ﷺ:

أضاء بك الأفقُ المشرقُ ودان لمنطقك المنطقُ
وكنتَ ولا آدمٌ كائناً لأنّك من كونه أسبقُ
ولولاكَ لم تخلقِ الكائناتُ ولا بان غربٌ ولا مشرقُ

يشير الشاعر ـ في البيت الثاني ـ إلى الأحاديث النبويّة الكثيرة التي تقول:

«كنتُ نبيّاً وآدم بين الماء والطين»، وتقول: «أوّل ما خلق الله نوري».

ويشير ـ في البيت الثالث ـ إلى الحديث القُدسيّ الشريف: «لولاك لولاك ما خلقتُ الأفلاك» وغيرِه من الأحاديث.

٨٥٧٥ ـ قال الحافظ البرسي في مدح أمير المؤمنين عليه السلام:

هو الشمسُ أم نورُ الضريح يلوحُ؟ هو المسكُ أم طيبُ الوصيّ يفوحُ؟
له النصُّ في يوم الغدير ومدحُه من الله في الذكر الحكيم صريحُ
إمامٌ إذا بالمرءُ جاء بحبّه فميزانُه يومَ المعاد رجيحُ

له شيعةٌ مثلُ النجوم زواهرٌ لها بين كلّ العالمينَ وضوحُ
إذا قاولتْ فالحقّ فيما تقوله به النورُ بادٍ واللسانُ فصيحُ
وإن جادلتْ أو جالدتْ عن مرامها تولّى العدوُّ الجلدُ وهو طريحُ

٨٥٧٦ ـ قال الحافظ البرسي في مدح أمير المؤمنين عليه السلام:

أبا حسنٍ لو أنّ حبَّك مدخلي جهنّمَ كان الفوزَ عندي جحيمُها
وكيف يخافُ الناس من كان موقِناً بأنّك مولاه وأنتَ قسيمُها

وقد مرّ ذكرُ هذين البيتين منسوبين إلى الصاحب بن عبّاد، ولعلّ الصحيح أنّهما للبرسي.

٨٥٧٧ ـ قال الحافظ البرسي في مدح أهل البيت عليهم السلام:

إذا رُمتَ يوم البعث تنجو من اللظى
ويُقبَلُ منك الدينُ والفرضُ والسُّنن
فوالِ عليّاً والأئمةَ بعده
نجومُ الهدى تسلَم من الضيق والمحنِ
أئمّةُ حقٍّ أوجب الله حقَّهُمْ
وطاعتهم فرضٌ بها الخلقُ يمتحَنْ
نصحتُك أن ترتاب فيهم فتنثني
إلى غيرهم، مَن غيرُهم في الأنام مَنْ؟
فحبُّ عليٍّ عُدّةٌ لوليّه
يلاقيه عند الموت والقبر والكفنْ
كذلك يومُ البعث لم ينجُ قادمٌ
من النار إلا من تولّى أبا الحسنْ

٨٥٧٨ ـ روى الشيخ الصدوق في «الخِصال» عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «إيّاكم والغلوّ فينا، قولوا إنّا عبيدٌ مربوبون، وقولوا في فضلنا ما شئتم»، وروى الصفّار في «بصائر الدرجات» عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال لرجلٍ من أصحابه: «اجعلْ لنا ربّاً نؤوب إليه، وقولوا فينا ما شئتم»، وقال أيضاً: «اجعلونا مخلوقين، وقولوا فينا ما شئتم فلن تبلغوا»، وصدق الإمام عليه السلام فإنّ العقول تقصر عن إدراك كُنههم والإحاطة بحقيقة منزلتهم، فإنّ أمرَهم ـ كما جاء عنهم عليهم السلام ـ صعبٌ مستصعب لا يتحمله إلا نبيٌ مرسل أو ملكٌ مقرّب، أو مؤمنٌ امتحن الله قلبهُ بالإيمان، وقد روى الشيخ الكليني في «الكافي» عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال: «فمن ذا الذي يبلغ معرفةَ الإمام، أو يمكنُه اختياره؟ هيهات هيهات، ضلّت العقول، وتاهت الحلوم، وحارت الألباب، وتصاغرت العظماء، وتحيّرت الحكماء، وتقاصرت العلماء، وحصرت الخطباء، وجهلت الألِبّاء، وكلّت الشعراء، وعجزت الأُدباء، وعييَت البلغاء عن وصف شأنٍ من شأنه، وفضيلة من فضائله، وأقرّت بالعجز والتقصير. وكيف يوصف بكلّه، أو يُنعت بكُنهه، أو يُفهم شيءٌ من أمره، أو يوجد من يقوم مقامه ويُغني غِناه؟ لا، كيف؟ وأنّى؟ فهو بحيثُ النجمُ من يد المتناولين ووصف الواصفين، فأين الاختيارُ من هذا؟ وأين العقولُ عن هذا؟ وأين يوجد مثلُ هذا؟! ويؤيّد هذه الحقيقة ويؤكدّها قولُ الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله لأمير المؤمنين عليه السلام: «يا عليّ لا يعرفُ الله إلا أنا وأنت، ولا يعرفني إلا الله وأنت، ولا يعرفكَ إلا الله وأنا»، وصدق الشاعر حيثُ يقول مخاطباً له عليه السلام:

غايةُ المدحِ في عُلاكَ ابتداءُ ليت شعري ما تصنع الشعراءُ

ويقول الآخر:

أيا علّةَ الإيجاد حار بك الفكرُ وعن كُنه معنى ذاتك التبس الأمر

وقلتُ أنا في إحدى قصائدي العلوية:

هذا علـيٌّ وهو في أوصافه

وعُلاه فوق الناس مهما كانوا

٨٥٧٩ ـ من أعظم آيات الله في هذا الوجود هو الإمام أميرُ المؤمنين عليُّ بنُ أبي طالب عليه السلام وقد وصفه خاتمُ الأنبياء رسولُ الله صلى الله عليه وآله بالآية الكبرى في حديثٍ رواه أبو داود في سُننه وغيرُه يقول فيه: «فعليكم بالعُروةِ الوثقى والآيةِ الكُبرى وهو عليُّ بن أبي طالب»، كما وصفه بهذه الصفة خاتم الأوصياء الإمامُ المهدي (عجّل الله فرجه) في دعائه المعروف بدعاء الافتتاح حيثُ يقول فيه: «اللّهم وصلِّ على عليٍّ أمير المؤمنين ووصيِّ رسولِ ربِّ العالمين عبدِكَ ووليّك وأخي رسولك، وحُجّتك على خلقك وآيتِك الكبرى والنبأ العظيم».

٨٥٨٠ ـ روى الصفدي في «تمام المتون» عن سليمان بن ربوة قال: اجتمعتُ أنا وعشرة من المشايخ في جامع دمشق وفيهم أبو بكر ابن أحمد الطائي فقرأ لنا فضائلَ علي بن أبي طالب عليه السلام فوثب علينا قريبٌ من مائة يضربوننا ثم سحبونا إلى الوالي، فقال لهم أبو بكر الطائي: يا سادة اسمعوا لنا إنّما قرأنا اليوم فضائل علي وغداً نقرأ فضائل أمير المؤمنين معاوية رضي الله عنه، وقد حضرتني أبيات فاسمعوها فقالوا له: هات، فأنشأ على البديهة:

حبُّ علـيٍّ كلُّه ضربُ

يرجُفُ من خيفته القلبُ

ومــذهــبــي حــبُّ إمــام الــهــدى
يــزيــدُ والــديــن هــو الــنُّــصْــبُ
مَــن غــيــرَ هــذا قــال فــهــو امــرؤٌ
ليس لــه عــقــلٌ ولا لُــبُّ

فخلّوا عنّا!!

٨٥٨١ ـ قال الشاعر:

علـيـك بـأوسـاط الأمـور فـإنّـهـا نـجاةٌ ولا تـركـبْ ذلـولاً ولا صَعْبا

٨٥٨٢ ـ روى السيوطي في «الدرّ المنثور» وابن المغازلي في «المناقب» والشيخ سليمان الحنفي في «ينابيع المودّة» بسندهم عن ابن عبّاس قال: سألتُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله عن الكلمات التي تلقّاها آدمُ من ربّه فتاب عليه، قال: «سأل بحقّ محمّدٍ وعليٍّ وفاطمةَ والحسنِ والحسينِ إلا تبتَ عليّ، فتاب عليه».

وجاء في «الدرّ المنثور» أيضاً عن عليّ عليه السلام قال: سألتُ النبيّ صلى الله عليه وآله عن قول الله: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ﴾[1] فقال صلى الله عليه وآله في حديثٍ طويل: «فقال الله له: قُلْ: اللّهمّ بحقّ محمّدٍ وآل محمّد سبحانك لا إله إلا أنت عمِلتُ سوءاً وظلمتُ نفسي فاغفر لي إنّك أنت الغفورُ الرحيم».

وفي مقابل هذه الروايات الكثيرة المرويّة في كتب الفريقيْن يضع الكذّابون حديثاً مفترى عن أنس بن مالك قال: سمِعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله يقول: أخبرني جبرائيل أنّ الله تعالى لمّا خلق آدم وأدخل الروحَ في

(١) سورة البقرة، الآية (٣٧).

جسده أمرني أن آخذ تُفّاحةً من الجنّة فأعصِرُها في حلْقه فعصرتُها فخلقك الله من النطفة الأولى أنت يا محمّد، ومن الثانية أبا بكر، ومن الثالثة عمر، ومن الرابعة عثمان، ومن الخامسة عليّ، فقال آدم: مَن هؤلاء الذين كرمتهم؟ فقال الله تعالى: هؤلاء خمسة أشباح من ذرّيتك، وقال: هؤلاء أكرمُ عندي من جميع خلقي. قال: فلمّا عصى آدمُ ربّه قال: ربّ بحرمة أولئك الأشباح الخمسة الذين فضّلتهم إلا تُبتَ عليّ فتاب الله عليه.

قال ابن حجر الهيثمي نقلاً عن السيوطي بأنّ الرواية كذبٌ موضوع. وصدق الله العظيم حيث يقول في كتابه الكريم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ﴾(١).

٨٥٨٣ ـ روى الكنجي الشافعي في «كفاية الطالب» بسنده عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: سألتُ رسول الله ﷺ عن ميلاد عليّ ابن أبي طالب عليه السلام فقال: «لقد سألتني عن خير مولود، إنّ الله تبارك وتعالى خلق عليّاً من نوري وخلقني من نوره وكلانا من نورٍ واحد، ثم إنّ الله عزّ وجل نقلنا من صلب آدم في أصلابٍ طاهرة إلى أرحامٍ زكيّة، فما نُقلتُ من صلب إلا ونُقل عليٌّ معي، فلم نزلْ كذلك حتى استودعني خيرَ رحم وهي «آمنة» واستودع عليّاً خير رحم وهي «فاطمة بنتُ أسد»».

٨٥٨٤ ـ قال أبو طالب عليه السلام يمدح رسولَ الله ﷺ:

لقد أكرم الله النبيَّ محمّداً ... فأكرمُ خلقِ الله في الناس أحمدُ

---

(١) سورة يونس، الآية (٦٩).

وشقّ له من اسمه ليُجلّه فذو العرش محمودٌ وهذا محمّدُ

وقال أيضاً وهو يوصي أولاده الأربعة:

أوصي بنصر نبيّ الخير أربعةً
ابني عليّاً وشيخَ القومِ عبّاسا
وحمزة الأسدَ الحامي حقيقته
وجعفراً أن تذودوا دونه الناسا

٨٥٨٥ ـ روي: إنّ أميرَ المؤمنين عليه السلام كان جالساً في الرُّحبة والنّاس حوله، فقام إليه رجلٌ فقال له: يا أميرَ المؤمنين إنّك بالمكان الذي أنزلك الله وأبوك معذّبٌ في النار؟

فقال له عليه السلام: «مَهْ فضّ الله فاك، والذي بعث محمّداً بالحق نبيّاً لو يشفع أبي في كلّ مذنب على وجه الأرض لشفّعه الله، أأبي معذّب في النار وابنهُ قسيمُ الجنّة والنار. والذي بعث محمّداً بالحق أنّ نورَ أبي طالب يوم القيامة ليُطفئ أنوارَ الخلائق إلا خمسة أنوار: نور محمّد ونور عليّ ونور فاطمة ونورَ الحسن ونور الحسين وولدِه من الأئمة. ألا انّ نورَه من نورنا خلقه الله قبل خلق آدم بالفي عام».

وروي: أنّ الإمام زين العابدين عليه السلام سُئل عن ايمان ابي طالب فقال: «واعجباً انّ الله تعالى نهى رسولهُ ان يُقرّ مسلمةً على نكاح كافر، وقد كانت فاطمة بنت اسد من السابقات إلى الإسلام ولم تزلْ تحت ابي طالب حتى مات».

وروي: أنّ الإمام الباقر عليه السلام سُئل عن قول الناس انّ ابا طالب في ضحضاحٍ من نار، فقال عليه السلام: «لو وُضع ايمان ابي طالب في كفّة ميزان وايمانُ هذا الخلق في الكفّة الأُخرى لرجَحَ ايمانُه» ثم قال: «الم

تعلموا انّ أميرَ المؤمنين علياًعليه السلام كان يأمر ان يُحجّ عن ابيه أبي طالب في حياته، ثم اوصى ان يُحَجَّ عنه بعد وفاته».

وروي عن الإمام الصادقعليه السلام أنه قال: قال رسول اللهصلى الله عليه وآله: «إنّ أصحاب الكهف أسرّوا الإيمان وأظهروا الكفر فآتاهمُ الله أجرهم مرّتين، وإنّ أبا طالب أسرّ الإيمان وأظهر الشرك فآتاه الله أجرهُ مرّتين»، وقالعليه السلام ليونس بن نباتة: «يا يونس ما يقول الناس في أبي طالب؟» قال: جُعلت فِداك يقولون: هو في ضحضاح من نار يَغلي منها رأسه، فقالعليه السلام: «كذِب أعداءُ الله، إنّ أبا طالب من رفقاء النبيّين والصّدّيقينَ والشهداءِ والصالحينَ وحسُن أولئك رفيقاً».

وكتب أبان بن محمود إلى الإمام الرضاعليه السلام يقول: جُعلت فِداك إني قد شككتُ في إسلام أبي طالب، فكتب إليه: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾[1] ثم قالعليه السلام: «إنْ لم تقر بإيمان أبي طالب كان مصيرُك إلى النار»، وكتب إليه عبد العظيم العلوي الحسيني المدفون بالري وكان مريضاً: عرِّفْني يا ابن رسول الله عن الخبر المروي: إنّ أبا طالب في ضحضاح من نار يَغلي منه دماغُه، فكتب إليه الإمامعليه السلام: «بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد: فإنّك إنْ شككت في إيمان أبي طالب كان مصيرُك إلى النار».

٨٥٨٦ ـ قال السيد علي خان الشيرازي يمدح أبا طالبعليه السلام:

أبو طالبٍ عمُّ النبيّ محمّدٍ به قام أزرُ الدين واشتدّ كاهِلُهْ

(١) سورة النساء، الآية (١١٥).

ويكفيه فخراً في المفاخر أنه ... مؤازرُه دون الأنام وكافِلُه
لئنْ جهلتْ قومٌ عظيمَ مقامِه ... فما ضرّ ضوءَ الصبحِ من هو جاهِلُهْ
ولولاه ما قامت لأحمدَ دعوةٌ ... ولا انجابَ ليلُ الغيّ وانزاحَ باطِلُهْ
أقرّ بدينِ الله سرّاً لحكمةٍ ... فقال عدوُّ الحقّ ما هو قائِلُهْ
وكيف يحِلُّ الذمُّ ساحةَ ماجدٍ ... أواخِرُه محمودةٌ وأوائِلُهْ
عليه سلامُ الله ما ذرّ[1] شارقٌ ... وما تُليتْ أحسابُه وفضائِلُهْ

٨٥٨٧ ـ روى ابن حجر العسقلاني في «الإصابة» والبيهقي في «دلائل النبوّة» بسندهما عن النبيّ ﷺ أنه قال ثلاث مرّات: «ويلٌ لبني أميّة»، وروى محمّدُ بنُ عقيل في «النصائح الكافية» بسنده عن النبيّ ﷺ أنّه قال: «إذا بلغت بنو أميّة أربعين رجلاً اتّخذوا عبادَ الله خولاً، ومالَ الله دخلا، وكتابَ الله دغلاً»، وروى الطبري في تاريخه: إنّ رسولَ الله ﷺ نظر إلى أبي سفيان وهو راكب ومعاوية وأخوه أحدهما قائد والآخر سائق، فقال ﷺ «اللّٰهمّ الْعَنِ القائدَ والسائقَ والراكبَ».

٨٥٨٨ ـ روى الطبري في تاريخه والخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» وغيرُهم عن النبيّ ﷺ أنّه قال: «إذا رأيتم معاوية على مِنبري فاقتلوه»، وفي رواية أخرى: «إذا رأيتم معاوية على منبري فاضربوا عنقه». والبلاذري في تاريخه وروي عن جابر بن عبد الله الأنصاري عن النبيّ ﷺ أنّه قال: «يموت معاوية على غير مِلّتي». وقد مرّ في هذا الكتاب قوله ﷺ: «إذا رأيتم معاوية وعمر بن العاص مجتمعين ففرّقوا

---

(١) ذرّ: طلع.

بينهما فإنّهما لن يجتمعا على خير».

٨٥٨٩ ـ قال أبو العطاء السندي:

إنّ الخيارَ من البريّةِ هاشمٌ وبنو أميّةَ أرذلُ الأشرارِ
وبنو أميّة عودُهم من خروعٍ ولهاشمٍ في المجد عودُ نُضارِ[1]
أمّا الدُعاةُ إلى الجنان فهاشمٌ وبنو أميّةَ من دُعاةَ النارِ

٨٥٩٠ ـ خصّ النبيّ صلى الله عليه وآله عليّاً عليه السلام بلقب «أمير المؤمنين» في عِدّة مقامات وفي عِدّة روايات، نذكر منها ما رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» بسنده عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يا أنس اسكُبْ لي وضوءاً ثم قام فصلّى ركعتين، ثم قال: «يا أنس أوّلُ مَن يدخل عليك من هذا الباب أميرُ المؤمنين وسيّدُ المسلمين وقائدُ الغُرّ المحجّلين وخاتمُ الوصيّين».

قال انس: قلتُ: اللّهمّ اجعلْه رجلاً من الأنصار وكتمتُه إذْ جاء عليّ عليه السلام فقال صلى الله عليه وآله: «مَن هذا يا أنس؟» فقلت: عليّ، فقام مستبشراً فاعتنقه، ثم جعل يمسح عرقَ وجهه صلى الله عليه وآله بوجهه، ويمسح عرقَ عليّ بوجهه. قال عليّ عليه السلام: يا رسولَ الله لقد صنعتَ شيئاً ما صنعتَ لي من قبل؟ قال صلى الله عليه وآله: «وما يمنعني وأنت تُؤدي عنّي، وتُسمِعُهم صوتي، وتبيّنُ لهم ما اختلفوا فيه من بعدي». ولكنّ القوم لم يرقْهم هذا الاختصاص فصاروا يُطلقون على عمر أنّه أمير المؤمنين، كما فعلوا بكلمتيْ «الصدّيق» و «الفاروق» فقد صحّ عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: «يا عليّ أنت الصدّيقُ الأكبرُ والفاروقُ الأعظم» فأطلقوا كلمة «الصدّيق»

---

(١) النُضار: الذهب.

على أبي بكر، وأطلقوا كلمة «الفاروق» على عمر وانتزعوهما ـ غصباً ـ من صاحبهما الشرعيّ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

٨٥٩١ ـ روى الترمذي في صحيحه وابن ماجة في سُننه والحاكم في «المستدرك» وأبو نعيم في «الحلية» والسيوطي في «الجامع الصغير» وغيرُهم بسندهم عن بريدة عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: «إنّ الله عزّ وجل أمرني بحبّ أربعة وأخبرني أنّه يحبّهم: عليّ وأبو ذر والمقداد وسلمان».

وروى الهيثمي في «مجمع الزوائد» بسنده عن أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: «الجنّة تشتاق إلى ثلاثة: عليّ وعمّار وأبي ذر». وروى أيضاً بسنده عن الحسين بن عليّ عليه السلام أنّه قال: أتى جبرائيل النبيّ صلى الله عليه وآله فقال: يا محمّد إنّ الله يحبّ من أصحابك ثلاثة فأحبّهم: علي بن أبي طالب وأبو ذر والمقداد بن الأسود».

٨٥٩٢ ـ روى الزمخشري في «ربيع الأبرار» والأبشهي في «المستطرف»: إنّ أبا ذر مرّ على النبيّ صلى الله عليه وآله ومعه جبرائيل في صورة دحية الكلبي فلم يسلّمْ، فقال جبرائيل: هذا أبو ذر لو سلّم لرددنا عليه، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: أتعرِفه يا جبرائيل؟ قال: «والذي بعثك بالحقّ نبيّاً لهو في ملكوت السموات السبع أشهرُ منه في الأرض»، قال صلى الله عليه وآله: «بم نال هذه المنزلة؟» قال: «بزهده في هذه الدنيا الفانية».

٨٥٩٣ ـ روى الهيثمي في «مجمع الزوائد» عن عبد الله بن جعفر قال: «ما رأيت مثلَ عمّار بن ياسر ومحمّد بن أبي بكر كانا لا يُحبّان أن يعصيا الله طرفة عين، ولا يخالفان الحقّ قيد شعرة».

٨٥٩٤ ـ جاء في «تاج العروس»: إنّ معاوية بذل ألف ألف درهم لعبد الله بن جعفر بن أبي طالب على أن يسميّ أحد أولاده «معاوية». وهكذا تلاعبوا بالفضائل والمناقب حتى حرّفوها عن أصحابها وألصقوها في غيرهم مِمّن ليسوا لها بأهل، ثم تلاعبوا بالسُّنن والآثار ولم تنجُ من ألاعيبهم حتى الأسماء والألقاب.

٨٥٩٥ ـ قال الشيخ حسين بن عبد الصمد العاملي والد الشيخ البهائي رضوان الله عليهما:

ما شممتُ الوردَ إلا زادني شوقاً إليكْ
وإذا ما مال غصنٌ خلتُه يحنو عليكْ
لستَ تدري ما الذي قد حلّ بي من مقلتيكْ
إن يكنْ جسمي تناءى فالحشى باقٍ لديكْ
كلُّ حُسنٍ في البرايا فهو منسوبٌ إليكْ
رشقَ القلبَ بسهمٍ قوسُه من حاجبيكْ
آه لو أُسقى لأُشفى خمرةً من شفتيكْ

٨٥٩٦ ـ قال ابن أبي شانين البحراني من شعراء القرن الحادي عشر الهجري من قصيدةٍ طويلة:

أجلُّ مصابٍ في الحياة وأكبرُ مصابٌ له كلُّ المصائب تصغُرُ

إلى أن يقول:

وسار النبيُّ الطهر من أرض مكّةٍ وقد ضاق ذرعاً بالذي فيه أضمروا
ولمّا أتى نحو الغدير برحلهِ تلقّاه جبريلُ الأمينُ يبشّرُ
بنصب عليٍّ والياً وخليفةً فذلك وحيُ الله لا يتأخّرُ

رقى مِنبرَ الأكوار طهرٌ مطهّرٌ ويصدع بالأمر العظيم ويُنذرُ
فأثنى على الله الكريم مقدّساً وثنّى بمدح المرتضى وهو مُخبرُ
بأنّ جاءني فيه من الله عزمةٌ وإنْ أنا لم أصدع فإنّي مقصّرُ
وإنّي على اسم الله قمتُ مبلّغاً رسالتَهُ والله للحقّ يَنصُرُ
عليٌّ أخي في أمّتي وخليفتي وناصرُ دين الله والحقُّ يُنصرُ
وطاعتُه فرضٌ على كلّ مؤمنٍ وعِصيانُه الذنبُ الذي ليس يُغفرُ
ألا فاسْمعوا قولي وكونوا لأمره مطيعينَ في جنب الإله فتؤجروا
ألستُ بأولى منكُمُ بنفوسكمْ؟ فقالوا: نعم نصٌّ من الله يُذكرُ
فقال: ألا مَن كنتُ مولاهُ منكُمُ فمولاهُ بعدي والخليفةُ حيدرُ

٨٥٩٧ ـ قال الشيخ حسين الكركي العاملي:

ولقد تأمّلتُ الزمانَ وأهلَه فرأيتُ نارَ الفضل فيهم خامِدَهْ
فتنٌ تجوش ودولةٌ قد حازها[1] أهلُ الرذالة والعقولِ الفاسدَهْ
فقلوبُهم مثلُ الحديد صلابةً وأكفُّهمْ مثلُ الصخور الجامدَهْ
فرأيتُ أنّ الاعتزالَ سلامةٌ وجعلتُ نفسي واوَ عمرو الزائِدهْ

وهو نفسه صاحبُ البيتيْنِ الشهيرينِ اللذيْنِ مرّ ذكرُهما في هذا الكتاب وهما:

جودي بوصلٍ أو ببَيْنٍ فاليأسُ إحدى الراحتيْنِ
أيحِلُّ في شرع الهوى أنْ تذهبي بدم الحسينِ؟

---

(١) تجوش: تسير في كل مكان.

٨٥٩٨ ـ قال القاضي شرف الدين الخولاني:

ما هذه الدنيا لنا منزلاً ... وإنما الآخرةُ المنزلُ

قد حذّرتنا من تصاريفها ... لو أننا نسمَعُ أو نعقِلُ

يُطيل فيها المرءُ آماله ... والموتُ من دون الذي يأمُلُ

ألهتْهُ عن طاعة خلاقه ... والله لا يلهو ولا يغفُلُ

يا صاحِ ما لذّة عيشٍ بها ... والموت لا تدري متى ينزلُ

يا جاهلاً يجهد في كسبها ... أغرّك المشربُ والمأكل؟

ويا أخا الحِرصِ على جمعها ... مهلاً فعنها في غدٍ تُسأل

ما الفوزُ للعالم في علمه ... وإنما الفوزُ لمن يعملُ

٨٥٩٩ ـ قال شرف الدين الخولاني وفيه جِناسٌ جميل:

رويدك من كسب الذنوب فأنت لا ... تطيقُ على نار الجحيم ولا تقوى

أترضى بأن تلقى المهيمنَ في غدٍ ... وأنتَ بلا علمٍ لديكَ ولا تقوى

٨٦٠٠ ـ قال شيخنا الحرّ العاملي صاحب «الوسائل» في مدح أهل البيت عليهم السلام:

قلّما فاخروا سواهمْ وحاشا ... ذهباً أن يفاخرَ الفخّارا[1]

وأرى قولَنا الأئمة خيرٌ ... من فلانٍ ومن فلانٍ عارا

إنّما سَبْقهم لبكرٍ وعمرو ... مثلُ ما يسبق الجوادُ الحمارا

إنني ذو براعةٍ واقتدارٍ ... جاوز الحدَّ في الأنام إشهارا

وإذا رُمتُ وصفَ أدنى غُلاهم ... لا أرى لي براعةً واقتدار

---

(١) الفخّار: الخزف.

شبيه بهذا المعنى البيتان المشهوران:

يقولون لي فضّلْ عليّاً عليهُمُ — وكيف أقول الدرُّ خيرٌ من الحصى
ألم ترَ أنّ السيفَ يُزرى بقدْرِه — إذا قيل هذا السيفُ خيرٌ من العصا

٨٦٠١ ـ قال السيد علي خان المدني يمدح أمير المؤمنين عليه السلام:

أميرَ المؤمنين فدتكَ نفسي — لنا من شأنكَ العجَبُ العُجابُ
تولاّكَ الأولى سعِدوا ففازوا — وناواكَ الذين شَقوا فخابوا
ولو علم الورى من أنتَ أضحَوْا — لوجهك ساجدين ولم يُحابوا
يمينُ الله لو كُشِف المُغطّى — ووجهُ الله لو رُفع الحجابُ
خفِيتَ عن العيون وأنت شمسٌ — سمتْ عن أن يجلِّلَها السّحابُ
وليس على الصباح إذا تجلّى — ولم يبصرْه أعمى العين عابُ[1]
لسرٍّ ما دعاك أبا ترابٍ — محمّدٌ النبيُّ المستطابُ
فكان لكلّ من هو من ترابٍ — إليك ـ وأنتَ عِلّتُهُ ـ انتِسابُ
فلولا أنت لم تُخلقْ سماءٌ — ولولا أنت لم يخلقْ ترابُ
وفيكَ وفي ولائك يوم حشرٍ — يُعاقَبُ مَن يُعاقَبُ أو يُثابُ
بفضلكَ أفصحتْ توراةُ موسى — وإنجيلُ ابن مريمَ والكتابُ
فيا عجباً لمن ناواك قِدماً — ومن قوم لدعوتهم أجابوا
أزاغوا عن صراط الحقّ عمداً — فضلّوا عنك؟ أم خفيَ الصّوابُ؟
أم ارتابوا بما لا ريب فيه — وهل في الحقّ شكٌّ وارتيابُ؟
وهل لسواك بعد «غدير خمّ» — نصيبٌ في الخلافة أو نصابُ؟

(١) العاب: العيب.

ألم يجعلْك مولاهم؟ فذلّتْ على رغمٍ هناكَ لكَ الرقابُ

فلم يطمحْ إليها هاشميٌّ وإنْ أضحى له الحسبُ اللُّبابُ

فمن تيمُ بنُ مُرّةَ أو عديٌّ وهم سيّان إنْ حضروا وغابوا

٨٦٠٢ ـ قال السيد الرضوي:

أحسنْ إلى من شئتَ كنْ أميرَهُ واستغنِ عمّن شئتَ كنْ نظيرَهُ

إنْ كنتَ ذا عزٍّ ورُمتَ ذِلّةً فاحتجْ إلى من شئت كنْ أسيرَهُ

وقد أخذ هذا المعنى من قول أمير المؤمنين عليه السلام: «أحسنْ إلى من شئتَ تكنْ أميرَه، واستغنِ عمّن شئتَ تكنْ نظيرَه، واحتجْ إلى من شئتَ تكنْ أسيرَه».

٨٦٠٣ ـ روى البيهقي في سُننه والحلبي الشافعي في سيرته والذهبي في «ميزان الاعتدال» والشوكاني في «نيل الأوطار» والمتقي الهندي في «كنز العمّال» وغيرُهم بسندهم عن عكرمة قال: قلتُ لابن عبّاس: أخبرني لأيّ شيء حذف عمر من الأذان «حيّ على خير العمل؟» قال: «أراد عمر أن لا يتّكل الناسُ على الصلاة ويدعوا الجهاد فلذلك حذفها من الأذان».

وروى القبوشجي في «شرح تجريد الاعتقاد» وغيرهُ عن عمر بن الخطاب أنّه قال: «ثلاث كُنّ على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله حلال وأنا أحرمُها وأعاقبُ عليها: مُتعة الحج ومُتعة النساء وحيّ على خير العمل».

٨٦٠٤ ـ لقد ملأ الوهابيّون الدنيا ضجيجاً وعجيجاً بأنّ الوحدانيّة لله وحده فلا يجوز للمؤمن أن يتوسلّ بأي إنسان كائناً من كان أو

يجعله واسطةً بينه وبين ربّه حتى ولو كان ذلك سيّدُ المرسلين ﷺ، ويحتجّون بآيات من القرآن الكريم كقوله تعالى في سورة الجنّ: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ مع أنّ الله سبحانه أمر باتّخاذ الوسيلة إليه، كما أمر المذنبين أن يأتوا إلى رسوله ﷺ ليستغفروا الله ويستغفرَ لهم الرسول فلا تعارضَ ولا تناقضَ بين الأمرين، قال تعالى في سورة المائدة، الآية (٣٥): ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾، وقال في سورة الإسراء، الآية (٥٧): ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ﴾، وقال في سورة النساء، الآية (٦٤): ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ فلماذا أمر الله أن يجيئوا إلى رسول الله ﷺ فيستغفروا الله بأنفسهم، ثم يبتغون إليه الوسيلة بأنْ يستغفرَ لهم الرسول، وأنهم إذا فعلوا ذلك وجدوا الله توّاباً رحيماً، وقال في سورة يوسف: ﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾﴾، فلماذا قال يعقوب عليه السلام لبنيه: سوف أستغفر لكم ربّي ولم يقلْ لهم: استغفروا أنتم ربّكم ولا تجعلوني واسطة بينكم وبينه عزّ وجل.

وكم كان المسلمون يأتون إلى رسول الله ﷺ يطلبون منه أن يدعوَ لهم بشفاء مرضاهم وقضاء حوائجهم فيرون من ذلك ما يُسِرُّ قلوبهم ويُبْهِجُ نفوسهم. فقد روي أنّ أحد الصحابة كان فاقد البصر فجاء إلى النبيّ ﷺ وطلبَ منه أن يدعو له بفتح بصره فقال ﷺ: قمْ وتوضأ وصلِّ ركعتين ثم قلْ: «اللّهمّ إني أتوسل إليك بحبيبك محمّد إلا ما فتحت بصري» ففعل الرجل ذلك ففتح الله بصره.

وروى البخاري: إنّ عمرَ بن الخطاب استسقى بالعباس بن عبد المطلّب عندما انقطع عنهم المطر فقال: اللّهمّ إنّا كنّا نتوسّلُ إليك بنبيّنا فتسقينا، وإنّا نتوسّل إليك بعمّ نبيّنا فاسْقِنا، فسقُوا.

فهل هؤلاء كلُّهم مشركون أيّها الوهابيّون؟! وصدق الله حيث يقول عن المنافقين في سورة المنافقون: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ۝٥﴾.

٨٦٠٥ ـ قال الوهابيّون: نحن سلفيّون، أي إنّنا نتّبع آثار السلف ونهتدي بُهداهم، وقد صدقوا في ذلك، فهذا الحجّاج بن يوسف الثقفي يخطُب على المنبر ويقول: تبّاً لهم ويقصد جماعة المسلمين ـ يطوفون بأعوادٍ رُمّة بالية، هلا طافوا بقصر أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان؟ ألا يعلمون أنّ خليفةَ المرء خيرٌ من رسوله!!. وهذا أحد علماء الوهابيين يقول: إنّ محمّداً رُمّةٌ[1] بالية لا تضرّ ولا تنفع، وعصاي هذه خيرٌ منه لأنّها تضرّ وتنفع!! ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾[2].

٨٦٠٦ ـ قال الوهابيّون: يحرم على النساء زيارة القبور ﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۝٢٨﴾[3] فكتبُ الصِحاح عندهم تروي عن رسول الله ﷺ ما يخالف ذلك، فهذا مسلم يروي في صحيحه: إنّ عائشة سألت النبيّ ﷺ: ماذا أقول إذا جئتُ إلى المقابر؟ فقال ﷺ لها: قولي: السلام عليكم دارَ قومٍ آمنين، أنتم من السابقين، ونحن إن شاء الله بكم من اللاحقين، ويغفر الله

(١) الرُمّة: العظام البالية.

(٢) سورة الكهف، الآية (٥).

(٣) سورة النجم، الآية (٢٨).

للمتقدّمين والمتأخرين»، وتروي كتب الصّحاح أيضاً: إنّ فاطمة الزهراء عليها السلام كانت في كلّ يوم تأتي قبر أبيها صلى الله عليه وآله وتبكي عنده وتنشد هذه الأبيات:

ماذا على من شمّ تربة أحمدٍ — أن لا يشُمّ مدى الزمان غواليا[1]

صُبّتْ عليّ مصائب لو أنّها — صُبّتْ على الأيام صرْنَ لياليا

والحديثُ النبويّ المشهور الذي يرويه كتبُ الصحاح عامّ يشمل الرجالَ و النساء حيثُ يقول صلى الله عليه وآله: «كنتُ قد نهيتكم عن زيارة القبور، أمّا الآن فزوروها فإنّها تذكركم بالموت ـ أو بالآخرة ـ»، وتخصيص الحديث بالرجال دون النساء تحكمٌ ظاهر.

(١) غواليا: جمع غالية وهي الطيب.

وفي الختام أرفع أكُفّ الضراعةِ إلى الله سبحانه وتعالى أن يرحم علماءنا الأعلام الّذين استفدتُ كثيراً في كتابي هذا من مؤلّفاتهم القيّمة وآرائهم السديدة كآية الله شرف الدين في مؤلّفاته، وآية الله الأمين في مؤلّفاته، وآية الله الخوئي في مؤلّفاته، وآية الله السبزواري في تفسيره، وآية الله الطباطبائي في تفسيره، وآية الله الأميني في غديره، والعلاّمة الحُجّة مغنيّة في مؤلّفاته، وأخيراً آية الله الوالد في مؤلفاته ودروسه ومجالساته وغيرهم من العلماء والأدباء، والمؤلّفين تغمّدهم الله جميعاً بواسع رحمته، وأسكنهم فسيحَ جنّته، وجزاهم عنّا وعن المسلمين خيرَ جزاء المحسنين، وآخرُ دعوانا أن الحمدُ لله ربّ العالمين، وصلّى الله على سيّدنا ونبيّنا محمّدٍ وآلهِ الطيّبينَ الطاهرين(صلوات الله عليهم أجمعين).